موسوعة

العقائد الإسلامية

في الكتاب والسنّة

معرفة الله

محمد الريشهري

المجلد الثالث

بمساعدة : رضا برنجكار

بسم الله الرحمن الرحيم



مركز بحوث دار الحديث: ٨٥

محمّدی ری‌شهری، محمّد، ١٣٢٥ ـ
موسوعة العقائد الإسلاميّة / محمّد الريشهري؛ بمساعدة رضا برنجكار؛ تحقيق: مركز بحوث دار الحديث. ـ قم: دار الحديث، ١٣٨٦.
ج. ـ (مركز بحوث دار الحديث؛ ٨٥).
ISBN(set): 978 - 964 - 7489 - 99 - 7
ISBN: 978 - 964 - 7489 - 96 - 6
الطبعة الثالثة (منقّحة و مصححة): ١٣٨٦
فهرست‌نويسی پيش از انتشار بر اساس اطلاعات فيپا.
كتاب‌نامه: ج. ٥. ص. ٣٧٥ ـ ٤٠٤؛ همچنين به صورت زير نويس.
١. اسلام ـ اعتقادات ـ احاديث. ٢. شيعه ـ اعتقادات ـ احاديث. ٣. احاديث اهل سنّت ـ قرن ١٤. ٤. احاديث شيعه ـ قرن ١٤. الف. برنجكار، رضا، ١٣٤٢ ـ ، نويسنده همكار. ب. مسعودی، عبد الهادی، ١٣٤٣ ـ ، نويسنده همكار. ج. خدايارى، علينقى، ١٣٥١ ـ ، نويسنده همكار. د. عنوان.
BP ١٤١/٥/ الف ٥م ٣ ١٣٨٣ — ٢٩٧/٢١٨
فهرست‌نويسی پيش از انتشار، در كتاب‌خانهٔ تخصّصی حديث / قم.

موسوعة

العقائد الإسلامية في الكتاب والسنة والتاريخ

معرفة الله

محمد الريشهري



المجلد الثالث

بمساعدة : رضا برنجكار

موسوعة العقائد الإسلاميّة في الكتاب والسنّة / ج ٣

محمّد الرّيشهري

المساعد : رضا برنجكار

تخريج الأحاديث : أحمد غلامعلي ، عليّ نقي خداياري ، عليّ الحجيمي ، السيّد مهدي الحسيني

ضبط النصّ : مرتضى خوش‌نصيب

تقويم النصّ : حسنين الدباغ ، عادل الأسدي ، نعمان النصري

مقابلة النصّ : عبدالكريم المسجدي ، عبدالكريم الحلفي

المراجعة النهائية : حيدر المسجدي

استخراج الفهارس : رعد البهبهاني

المقابلة المطبعية : علي‌نقي نگران ، حيدر الوائلي ، مهدي جوهرچي

التعريب : عليّ الأسدي

الخطّ : حسن فرزانگان

الإخراج الفني : محمّد ضياء سلطاني

الناشر : دارالحديث للطباعة والنشر

الطبعة : الثالث . ١٤٢٩ ق / ١٣٨٧ ش

المطبعة : دارالحديث

الكمية : ٥٠٠

الثمن : ٦٠٠٠ تومان



ايران: قم المقدسة ، شارع معلّم ، الرقم ، ١٢٥ هاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ ـ ٧٧٤٠٥٢٣ ٠٢٥١

E-mail: hadith@hadith.net

Internet:http://www.hadith.net

ISBN(set): 978 - 964 - 7489 - 99 - 7

ISBN: 978 - 964 - 7489 - 96 - 6



الفهرس الإجمالي

القسم الثاني: التعرّف على توحيد الله

القسم الثالث: التعرّف على أسماء الله

المَدخَل

الحمد لله الأوّل بلا أوّل كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصر عن رؤيته أبصار الناظرين، و عجزت عن نعته أوهام الواصفين.

والحمد لله علىٰ ما عرّفنا من نفسه، وألهمنا من شكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيّته، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيده، وجنّبنا من الإلحاد والشكّ في أمره. حمداً يرتفع منّا إلىٰ أعلىٰ علّيّين، في كتابٍ مرقوم، يشهده المقرّبون.

والصلاة علىٰ عبده المصطفىٰ محمّد خاتم النبيّين وآله الطيّبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وعلىٰ أصحابه الذين أحسنوا الصحبة، واستجابوا له، وأسرعوا إلىٰ وفادته، وسابقوا إلىٰ دعوته.

إنّ معرفة الله سبحانه من أهمّ القضايا التي شغلت ذهن الإنسان علىٰ مرّ التاريخ، وصُنِّفت فيها كتب كثيرة، لكن هل يتسنّىٰ لنا أن نسأل عن أفضل كتابٍ يُعرِّف الناسَ بخالقهم؟

الكتاب الأفضل في معرفة الله

لا ريب في أنّ أفضل كتابٍ في معرفة الله تعالىٰ هو الكتاب الذي دوّنه أفضلُ عارفٍ بالله، وهو الله ـ جلّ وعلا ـ نفسه، وليس لأحدٍ أن يعرف ذاته كذاته المقدّسة عينها،

ثُمّ لم يعرفه من مخلوقاته أحد كأنبيائه وأوصيائهم، ومن هنا قال رسول‌الله ﷺ للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «يا عَلِيُّ، ما عَرَفَ اللهَ حَقَّ مَعرِفَتِهِ غيري وغَيرَكَ».[١]

علىٰ هذا الأساس يُعدُّ القرآن الكريم وكلام أهل البيت أفضل وسيلةٍ لمعرفة الله ـ جلّ شأنه ـ وتعريفه، وأفضل كتاب في معرفة الله هو الكتاب المستنير بتعاليم القرآن و السُنّة، المسترشد بهما، و أنّ إهمال هذه التعاليم، والاستناد على الفكر الوضعيّ الناقص لا يُبعدان الباحثَ عن الطريق الذي يؤدّي به إِلىٰ المقصد فحسب، بل يجعلانه عرضةً لخطر الضلال أيضاً.

دراسة الأبحاث في معرفة الله

إنّ الدِّراسة الدقيقة للأبحاث التي توفّرت علىٰ معرفة الله لحدّ الآن من جهةٍ، والتأمّل في تعاليم الكتاب والسنّة في هذا الشأن من جهة أُخرىٰ، تدلّ علىٰ مدىٰ قصور المسلمين أو تقصيرهم ـ ولا سيما الباحثين منهم ـ في هذا المجال.

إنّ هذه الدراسة تُرشد إِلىٰ أنّ الله تعالىٰ نفسه هو أفضل من أرشد الناس إِلىٰ أدلّة معرفته بواسطة رُسُله، وأعمقُ من كان، وأبسطُ من هدىٰ إِلىٰ ذلك وأنفعُ في الوقت ذاته، بَيْدَ أنّ ما قاله فيما يتعلّق بالتأمّل والتحقيق في هذه الأدلّة لم يَنَلْ نصيبه من البحث.

وتُشعر هذه الدراسة أنّه على الرغم ممّا بذله الباحثون المسلمون من وقتٍ كثير محقّقين في هذا الموضوع، ومع وجود الكتب الجمّة في هذا المجال، لكنّ أدلّة الله سبحانه علىٰ وجوده ما زالت بحاجةٍ إِلىٰ البحث والتحقيق كما هي حقّها.

وتهدي هذه الدراسة إِلىٰ أنّ الآيات التي تتحدّث عن معرفة الله ـ أي: الإنسان،

---

١. المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ٢٦٧.

والحيوانات، والأرض، والجبال، والماء، والبحار، والنباتات، والرياح، والسحاب، والمطر، والشمس، والقمر، واللّيل، والنهار، والنجوم، وأخيراً من أصغر ذرّات العالم إلىٰ أكبر الأجرام السماويّة ـ لو دُرست بشكلٍ علميّ جامعيّ من منظور قرآنيّ، لَمَا تقدّم المسلمون اليوم في الكلام والفلسفة والحكمة فحسب، بل في جميع العلوم التجريبيّة أيضاً، ولَعَمَرَتهم معرفة الله القائمة علىٰ تعاليم القرآن، والدِّين، والدنيا: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾[١].

التعقّل، لا التعبّد

من البديهيّ أنّ المقصود من الاستنارة بتعاليم القرآن والحديث لمعرفة الله تعالىٰ ليس القبول التعبّدي بها فيُشكل علىٰ أنّ حجّيّة القرآن والحديث تستند إلى إثبات وجود الله، فلو استند إثبات وجوده تعالىٰ إلى الكتاب والسنّة يكون دوراً، وهو باطلٌ عقلاً، بل المقصود هو الاستهداء بالأدلّة والبراهين العقليّة المستقاة من القرآن والحديث بنحوٍ يستطيع العقل فيه أن يدرك وجود الخالق وصفاته عبر التأمّل فيها بغضّ النظر عن قائلها، فالتعقّل هو المعيار في الإقرار بوجود الله لا التعبّد.

وفي ضوء ذلك، لا ضرورة لدراسة أسناد الأحاديث المرتبطة بمعرفة الله والتحقيق في انتسابها إلىٰ أهل البيت من أجل الاستضاءة بها؛ لأنّما فيها من الفاعليّة والتأثير هو البراهين العقليّة الكامنة فيها، لا انتسابها إلىٰ أهل البيت عليهم السلام فحسب.

أجل، بعد إثبات التوحيد والنبوّة، وحجيّة كلام أهل البيت عليهم السلام عن طريق العقل، لو ورد عن طريق النقل كلام لهم في صفات الله سبحانه لا يستند إلى البرهان فلابدّ من سبره و تحليله للاقتناع من انتسابه إليهم. وإذا ثبت جزماً أنّه منهم، فالعقل يحكم بقبوله تعبّداً.

---

١. النساء: ١٣٤.

معرفة الله من منظار القرآن والحديث

إذا أخذنا بعين الاعتبار الملاحظات المشار إليها فإنّ المجموعة التي أمامكم تحت عنوان «معرفة الله» محاولة في طريق معرفة الله تعالىٰ علىٰ أساس تعاليمه نفسه.

وهذا الكتاب الذي يمثّل امتداداً لكتاب «المعرفة» العتكفّل بدراسة موضوعات متنوّعة ترتبط بالمعرفة من منظار القرآن والحديث، يقدّم الحلقة الثانية من حلقات «موسوعة العقائد الإسلاميّة في الكتاب والسنّة».

إنّ كتابنا هذا يتناول النصوص الإسلاميّة في معرفة الله لأوّل مرّة، وقد جُمعت فيه وسُبكت بنظم جديد سهل المنال مشفوعةً بالتحليل وتبيان النقاط المطلوبة لتكون دانيةً إلىٰ أيدي الباحثين، وفيما يلي أقسام البحث:

القسم الأوّل: «التعرّف على الله» ويشتمل علىٰ عشرة فصول هي بالترتيب: قيمة معرفة الله، الهداة إلىٰ معرفة الله، مبادئ معرفة الله، طرق معرفة الله، دور معرفة الخلق في معرفة الخالق، طرق الوصول إلىٰ أسمى مراتب معرفة الله، آثار معرفة الله، آفاق معرفة الله، ما ورد في حجب الله، موانع معرفة الله.

القسم الثاني: «التعرف على توحيد الله»، ويضمّ فصلين:

الأوّل: قيمة التوحيد، وهو في الحقيقة مكمّل للفصل الأوّل من القسم الأوّل؛ لأنّ معرفة الله الحقيقيّة ليست إلّا توحيده.

الثاني: مراتب التوحيد، وقد نوقش فيه التوحيد في الذات، والتوحيد في الصفات، والتوحيد في الأفعال، والتوحيد في الطاعة، والتوحيد في العبادة.

القسم الثالث: «التّعرف على أسماء الله»، ويتألّف من خمسة فصول بيّنت القصد من أسماء الله تعالىٰ، وفسّرت معاني «الإله»، و «الله»، و«الله أكبر»، و «باسم الله» في لغة الأحاديث المأثورة، و استبانت أيضاً أقسام أسماء الله، والأسماء اللفظيّة،

والأسماء التكوينيّة، ومنتخباً من الأسماء، وعدد الأسماء اللفظيّة والتكوينيّة، وتفسير الاسم الأعظم، ودور الأسماء الإلهيّة في تدبير عالم الوجود.

القسم الرابع: «التعرف على الصفات الثبوتيّة»، و يشمل ثلاثة وتسعون فصلاً فصول توفّرت علىٰ تفسير أبرز الصفات الثبوتيّة لخالق الكَون في الرؤية القرآنيّة والحديثيّة؛ وذلك في سياق تبيان النقاط المهمّة التي يجدر الاهتمام بها في كيفيّة وصف الله سبحانه.

القسم الخامس: «التعرّف على الصفات السلبيّة» ويتكوّن من ثمانية فصول تحدّثت عن أهمّ الصفات السلبيّة للحقّ تعالىٰ نحو: المِثْل، والحدّ، والتجزّؤ، والتغيير، والجسم، والصورة، والوالد، والولد، والسِّنة، والنوم، والحركة، والسكون علىٰ ما أفاده منطوق النصوص الإسلاميّة.

وفي الختام يطيب لي أن أقدّم جزيل الشكر وبالغ التقدير لجميع الإخوة الأفاضل والباحثين الكرام العاملين في دار الحديث ممّن أدّوا دوراً محموداً في تنظيم هذه المجموعة النفيسة الثمينة، ولاسيّما الأخ الفاضل الجليل حجّة الإسلام والمسلمين الدكتور رضا بِرِنْجْكار، أبتهل إلىٰ المولىٰ الكريم سبحانه ـ وهو الكاتب الحقيقيّ لها ـ أن يمنّ علىٰ الجميع بالأجر والثواب كما هو أهله من الفضل والكرامة.

ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم.

محمّد المحمّدي الريشهري

٧ ربيع الأوّل ١٤٢٤هـ

القسم الأول

التعرف على الله

الفصل الأول: قيمة معرفة الله

الفصل الثاني: الهداة إلى معرفة الله

الفصل الثالث: مبادئ معرفة الله

الفصل الرابع: طرق معرفة الله

الفصل الخامس: دور معرفة الخلق في معرفة الخالق

الفصل السادس: طرق الوصول إلى أسمى مراتب معرفة الله

الفصل السابع: آثار معرفة الله

الفصل الثامن: آفاق معرفة الله

الفصل التاسع: ما ورد في حجب الله

الفصل العاشر : موانع معرفة الله

الفصل الأوّل

قيمة معرفة الله

١ / ١
رأس العلم وثمرته

٣٣١٢ . الإمام الرضا عليه السلام : جاءَ رَجُلٌ إلىٰ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، وقالَ : ما رَأسُ العِلمِ؟ قالَ : مَعرِفَةُ اللهِ حَقَّ مَعرِفَتِهِ.[١]

٣٣١٣ . الإمام عليّ عليه السلام : ثَمَرَةُ العِلمِ مَعرِفَةُ اللهِ.[٢]

١ / ٢
أعلى المعارف

٣٣١٤ . الإمام عليّ عليه السلام : مَعرِفَةُ اللهِ سُبحانَهُ أَعلَى المَعارِفِ.[٣]

٣٣١٥ . عنه عليه السلام : العِلمُ بِاللهِ أَفضَلُ العِلمَينِ.[٤]

---

١ . جامع الأخبار : ص ٣٦ ح ١٧ ، بحار الأنوار : ج ٣ ص ١٤ ح ٣٦.

٢ . غرر الحكم : ح ٤٥٨٦.

٣ . غرر الحكم : ح ٩٨٦٤ ، عيون الحكم والمواعظ : ص ٤٨٦ ح ٨٩٨٩.

٤ . غرر الحكم : ح ١٦٧٤.

٣٣١٦. عنه ﷺ : مَن عَرَفَ اللهَ كَمُلَت مَعرِفَتُهُ.[١]

٣/١
قِوامُ الدِّينِ

٣٣١٧. رسول الله ﷺ : دِعامَةُ الدِّينِ وأَساسُهُ المَعرِفَةُ بِاللهِ ﷻ، وَاليَقينُ، وَالعَقلُ النّافِعُ؛ وهُوَ الكَفُّ عَن مَعاصِي اللهِ ﷻ.[٢]

٣٣١٨. الإمام عليّ ﷺ : أَوَّلُ الدِّينِ مَعرِفَتُهُ.[٣]

٣٣١٩. عنه ﷺ : رَأسُ الأَمرِ مَعرِفَةُ اللهِ تَعالىٰ، وعَمودُهُ طاعَةُ اللهِ ﷻ.[٤]

٣٣٢٠. الإمام الرضا ﷺ : أَوَّلُ عِبادَةِ اللهِ مَعرِفَتُهُ.[٥]

٣٣٢١. عنه ﷺ : لا دِيانَةَ إلّا بَعدَ المَعرِفَةِ، ولا مَعرِفَةَ إلّا بِالإِخلاصِ.[٦]

---

١. غرر الحكم: ح ٧٩٩٩، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٣١ ح ٧٣٨٤.

٢. الفردوس: ج ٢ ص ٢٢٢ ح ٣٠٧٧ عن عائشة، كنز العمّال: ج ٣ ص ٣٨١ ح ٧٠٤٧.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ١، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٣ ح ١١٣، عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٢٦ ح ٢١٥، الكافي: ج ١ ص ١٤٠ ح ٦ عن فتح بن عبدالله مولى بني هاشم عن الإمام الكاظم ﷺ وفيه «أوّل الديانة به معرفته»، التوحيد: ص ٥٧ ح ١٤ عن فتح ابن يزيد الجرجاني عن الإمام الرضا ﷺ وفيه «أوّل الدّيانة معرفته»، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٧٦ ح ١٣٦.

٤. دستور معالم الحكم: ص ٢٠.

٥. التوحيد: ص ٣٤ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥٠ ح ٥١ كلاهما عن القاسم بن أيّوب العلوي، الأمالي للمفيد: ص ٢٥٣ ح ٤ عن محمّد بن زيد الطبري، الأمالي للطوسي: ص ٢٢ ح ٢٨ عن محمّد بن يزيد الطبري، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٦٠ ح ٢٨٣، الإرشاد: ج ١ ص ٢٢٣ عن صالح بن كيسان عن الإمام علي ﷺ، تحف العقول: ص ٦١ عن الإمام عليّ ﷺ، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٤٣ ح ١٧.

٦. التوحيد: ص ٤٠ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥٣ ح ٥١ كلاهما عن القاسم بن أيّوب العلوي، تحف العقول: ص ٦٧ عن الإمام علي ﷺ وفيه «بتصديق» بدل «بالإخلاص»، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٦٤ ح ٢٨٣، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٣٠ ح ٣.

١ / ٤
أفضَلُ الفَرائِضِ

٣٣٢٢ . **تنبيه الخواطر** : سَأَلَ رَجُلٌ رَسولَ اللهِ ﷺ عَن أَفضَلِ الأَعمالِ، فَقالَ : العِلمُ بِاللهِ وَالفِقهُ في دينِهِ، وكَرَّرَهُما عَلَيهِ.

فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، أسأَلُكَ عَنِ العَمَلِ فَتُخبِرُني عَنِ العِلمِ!

فَقالَ ﷺ : إنَّ العِلمَ يَنفَعُكَ مَعَهُ قَليلُ العَمَلِ، وإنَّ الجَهلَ لا يَنفَعُكَ مَعَهُ كَثيرُ العَمَلِ.[١]

٣٣٢٣ . **رسول الله** ﷺ : التَّفَكُّرُ في عَظَمَةِ اللهِ وجَنَّتِهِ ونارِهِ ساعَةً خَيرٌ مِن قِيامِ لَيلَةٍ.[٢]

٣٣٢٤ . **الإمام الصادق** عليه السلام : إنَّ أَفضَلَ الفَرائِضِ وأَوجَبَها عَلَى الإِنسانِ مَعرِفَةُ الرَّبِّ، وَالإِقرارُ لَهُ بِالعُبودِيَّةِ.[٣]

١ / ٥
أطيَبُ اللَّذائِذِ

٣٣٢٥ . **رسول الله** ﷺ : إذا دَخَلَ أَهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ نودوا: يا أَهلَ الجَنَّةِ، إنَّ لَكُم عِندَ اللهِ مَوعِداً لَم تَرَوهُ.

فَقالوا: وما هُوَ؟ أَلَم يُبَيِّض وُجوهَنا، ويُزَحزِحنا عَنِ النّارِ، ويُدخِلنَا الجَنَّةَ؟

قالَ: فَيُكشَفُ الحِجابُ، قالَ: فَيَنظُرونَ إلَيهِ، فَوَاللهِ ما أَعطاهُمُ اللهُ شَيئاً

---

١ . تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٨٢ وراجع: كنز العمّال: ج ١٠ ص ١٤٤ ح ٢٨٧٣١.

٢ . كنز العمّال: ج ٣ ص ١٠٧ ح ٥٧١٢ نقلاً عن أبي الشيخ عن ابن عبّاس.

٣ . كفاية الأثر: ص ٢٥٨ عن هشام، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٤٠٧ ح ١٦.

أحَبَّ إلَيهِم مِنهُ.[1]

٣٣٢٦ . عنه صلى الله عليه وآله : أسأَلُكَ الرِّضاءَ بَعدَ القَضاءِ، وأسأَلُكَ بَردَ العَيشِ بَعدَ المَوتِ، وأسأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلىٰ وَجهِكَ، وَالشَّوقَ إلىٰ لِقائِكَ، في غَيرِ ضَرّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فِتنَةٍ مُضِلَّةٍ.[2]

٣٣٢٧ . الإمام عليّ عليه السلام : ما يَسُرُّني لَو مِتُّ طِفلاً واُدخِلتُ الجَنَّةَ ولَم أكبُر فَأَعرِفَ رَبّي عزّ وجلّ.[3]

٣٣٢٨ . الإمام زين العابدين عليه السلام : إلٰهي ما ألَذَّ خَواطِرَ الإلهامِ بِذِكرِكَ عَلَى القُلوبِ! وما أحلَى المَسيرَ إلَيكَ بِالأَوهامِ في مَسالِكِ الغُيوبِ! وما أطيَبَ طَعمَ حُبِّكَ! وما أعذَبَ شُربَ قُربِكَ! فَأَعِذنا مِن طَردِكَ وإبعادِكَ.[4]

٣٣٢٩ . الإمام الصادق عليه السلام : لَو يَعلَمُ النّاسُ ما في فَضلِ مَعرِفَةِ اللهِ عزّ وجلّ ما مَدّوا أعيُنَهُم إلىٰ ما مَتَّعَ اللهُ بِهِ الأَعداءَ مِن زَهرَةِ الحَياةِ الدُّنيا ونَعيمِها، وكانَت دُنياهُم أقَلَّ عِندَهُم مِمّا يَطَؤونَهُ بِأَرجُلِهِم، ولَنَعِموا بِمَعرِفَةِ اللهِ ـ جَلَّ وعَزَّ ـ، وتَلَذَّذوا بِها تَلَذُّذَ مَن لَم يَزَل في رَوضاتِ الجِنانِ مَعَ أولِياءِ اللهِ.

إنَّ مَعرِفَةَ اللهِ عزّ وجلّ آنِسٌ مِن كُلِّ وَحشَةٍ، وصاحِبٌ مِن كُلِّ وَحدَةٍ، ونورٌ مِن كُلِّ ظُلمَةٍ، وقُوَّةٌ مِن كُلِّ ضَعفٍ، وشِفاءٌ مِن كُلِّ سُقمٍ.[5]

راجع: ص ٣٥٧ (الفصل الأوّل: قيمة التوحيد).

---

١ . مسند ابن حنبل: ج ٩ ص ٢٤٠ ح ٢٣٩٨٠، سنن الترمذي: ج ٤ ص ٦٨٧ ح ٢٥٥٢ وج ٥ ص ٢٨٦ ح ٣١٠٥، سنن ابن ماجة: ج ١ ص ٦٧ ح ١٨٧، صحيح ابن حبّان: ج ١٦ ص ٤٧١ ح ٧٤٤١ كلّها عن صهيب نحوه، كنز العمّال: ج ١٤ ص ٤٤٧ ح ٣٩٢٠٥.

٢ . سنن النسائي: ج ٣ ص ٥٥ عن عمّار بن ياسر، صحيح ابن حبّان: ج ٥ ص ٣٠٥ ح ١٩٧١ عن عطاء بن السائب عن أبيه، المعجم الكبير: ج ٥ ص ١٥٧ ح ٤٩٣٢ عن زيد بن ثابت، السنّة لابن أبي عاصم: ص ١٨٦ ح ٤٢٧ عن فضالة بن عبيد؛ مكارم الأخلاق: ج ٢ ص ٣١ ح ٢٠٦٩ نحوه.

٣ . حلية الأولياء: ج ١ ص ٧٤، العمر والشيب لابن أبي الدنيا: ص ٥٩ ح ٣٤ كلاهما عن أبي الفرج، ربيع الأبرار: ج ٢ ص ٦٠، كنز العمّال: ج ١٣ ص ١٥١ ح ٣٦٤٧٢.

٤ . بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٥١ ح ٢١ نقلاً عن العدد القويّة عن إبراهيم بن محمّد.

٥ . الكافي: ج ٨ ص ٢٤٧ ح ٣٤٧ عن جميل بن درّاج.

الفصل الثاني

الهُداةُ إلى مَعرِفَةِ اللهِ

٢ / ١

اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

الكتاب

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾.[١]

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّاتَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.[٢]

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ﴾.[٣]

﴿إِنَّكَ لَاتَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.[٤]

راجع : البقرة: ١٢٠، آل عمران: ٧٣، الأنعام: ٧١، الأعراف: ٤٣، طه: ٥٠، النور: ٣٥.

---

١ . الليل: ١٢.

٢ . الحجرات: ١٧.

٣ . البقرة: ٢٧٢.

٤ . القصص: ٥٦.

الحديث

٣٣٣٠. رسول الله ﷺ : قالَ اللهُ ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ: عِبادي، كُلُّكُم ضالٌّ إلّا مَن هَدَيتُهُ، وكُلُّكُم فَقيرٌ إلّا مَن أغنَيتُهُ، وكُلُّكُم مُذنِبٌ إلّا مَن عَصَمتُهُ.[1]

٣٣٣١. عنه ﷺ : مَن أصبَحَ ولايَذكُرُ أربَعَةَ أشياءَ أخافُ عَلَيهِ زَوالَ النِّعمَةِ: أوَّلُها أن يَقولَ: الحَمدُ للهِ الَّذي عَرَّفَني نَفسَهُ ولَم يَترُكني عُميانَ القَلبِ....[2]

٣٣٣٢. الإمام عليّ ؈ : اِعرِفُوا اللهَ بِاللهِ، وَالرَّسولَ بِالرِّسالَةِ، وأُولِي الأَمرِ بِالأَمرِ بِالمَعروفِ وَالعَدلِ وَالإِحسانِ.[3]

٣٣٣٣. عنه ؈ ـ مِن دُعائِهِ يَومَ الجَمَلِ ـ : لٰكِنَّكَ يا مَولايَ بَدَأتَني أوَّلاً بِإِحسانِكَ، فَهَدَيتَني لِدينِكَ، وعَرَّفتَني نَفسَكَ.[4]

٣٣٣٤. عنه ؈ ـ في دُعاءٍ عَلَّمَهُ نوفاً البِكالِيّ ـ: أسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي ظَهَرتَ بِهِ لِخاصَّةِ أولِيائِكَ فَوَحَّدوكَ وعَرَفوكَ فَعَبَدوكَ بِحَقيقَتِكَ، أن تُعَرِّفَني نَفسَكَ لِأُقِرَّ لَكَ بِرُبوبِيَّتِكَ عَلىٰ حَقيقَةِ الإِيمانِ بِكَ، ولا تَجعَلني يا إلٰهي مِمَّن يَعبُدُ الاِسمَ دونَ المَعنىٰ، وَالحَظني بِلَحظَةٍ مِن لَحَظاتِكَ تُنَوِّر بِها قَلبي بِمَعرِفَتِكَ خاصَّةً ومَعرِفَةِ أولِيائِكَ،

---

١. كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩٧ ح ٥٨٤٨، الأمالي للصدوق: ص ١٦٢ ح ١٦١ عن علقمة بن محمّد الحضرمي عن الإمام الصادق عن آبائه ؈ عنه ﷺ، بحار الأنوار: ج ٥ ص ١٩٨ ح ١٦ وراجع: سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٤٢٢ ح ٤٢٥٧ ومسند ابن حنبل: ج ٨ ص ٨٥ ح ٢١٤٢٥ وص ١٢٨ ح ٢١٥٩٦ و كنز العمّال: ج ١٥ ص ٩٢٥ ح ٤٣٥٩١.

٢. الدعوات: ص ٨١ ح ٢٠٤ عن الإمام عليّ ؈، بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ٢٨٢ ح ٤٥ وراجع: مصباح المتهجّد: ص ٢٩٣ ح ٤٠٤ والدروع الواقية: ص ١٦٢.

٣. الكافي: ج ١ ص ٨٥ ح ١، التوحيد: ص ٢٨٦ ح ٣ وليس فيه «بالأمر» وكلاهما عن الفضل بن السكن عن الإمام الصادق ؈، روضة الواعظين: ص ٣٨، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٠ ح ٧.

٤. مهج الدعوات: ص ١٢٥، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٢٣٤ ح ٩.

إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.[١]

٣٣٣٥. عنه ﷺ ـ في دُعاءٍ كانَ يَدعو بِهِ بَعدَ رَكعَتَيِ الفَجرِ ـ: يا مَن دَلَّ عَلىٰ ذاتِهِ بِذاتِهِ، وتَنَزَّهَ عَن مُجانَسَةِ مَخلوقاتِهِ، وجَلَّ عَن مُلاءَمَةِ كَيفِيّاتِهِ.[٢]

٣٣٣٦. الكافي عن عليّ بن عقبة: سُئِلَ أميرُ المُؤمِنينَ ﷺ: بِمَ عَرَفتَ رَبَّكَ؟

قالَ: بِما عَرَّفَني نَفسَهُ.

قيلَ: وكَيفَ عَرَّفَكَ نَفسَهُ؟

قالَ: لا يُشبِهُهُ صورَةٌ، ولا يُحَسُّ بِالحَواسِّ، ولا يُقاسُ بِالنّاسِ، قَريبٌ في بُعدِهِ بَعيدٌ في قُربِهِ، فَوقَ كُلِّ شَيءٍ ولا يُقالُ: شَيءٌ فَوقَهُ، أمامَ كُلِّ شَيءٍ ولا يُقالُ: لَهُ أمامٌ، داخِلٌ فِي الأَشياءِ لا كَشَيءٍ داخِلٍ في شَيءٍ، وخارِجٌ مِنَ الأَشياءِ لا كَشَيءٍ خارِجٍ مِن شَيءٍ، سُبحانَ مَن هُوَ هٰكَذا ولا هٰكَذا غَيرُهُ، ولِكُلِّ شَيءٍ مُبتَدَأٌ.[٣]

٣٣٣٧. التوحيد عن سلمان الفارسيّ: سَأَلَ الجاثَليقُ[٤] مِن عَلِيٍّ ﷺ: أخبِرني، عَرَفتَ اللهَ بِمُحَمَّدٍ، أم عَرَفتَ مُحَمَّداً بِاللهِ عز وجل؟

فَقالَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ ﷺ: ما عَرَفتُ اللهَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ولٰكِن عَرَفتُ مُحَمَّداً بِاللهِ عز وجل حينَ خَلَقَهُ وأَحدَثَ فيهِ الحُدودَ مِن طولٍ وعَرضٍ، فَعَرَفتُ أنَّهُ مُدَبَّرٌ مَصنوعٌ بِاستِدلالٍ وإلهامٍ مِنهُ وإرادَةٍ، كَما أَلهَمَ المَلائِكَةَ طاعَتَهُ وعَرَّفَهُم نَفسَهُ بِلا شِبهٍ ولا كَيفٍ.[٥]

---

١. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٩٦ ح ١٢ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي.

٢. بحار الأنوار: ج ٨٧ ص ٣٣٩ ح ١٩ نقلاً عن الاختيار.

٣. الكافي: ج ١ ص ٨٥ ح ٢، التوحيد: ص ٢٨٥ ح ٢، المحاسن: ج ١ ص ٣٧٣ ح ٨١٨ وفيه «بالقياس» بدل «بالناس»، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٠ ح ٨.

٤. الجاثَليق: هو رئيس النصارىٰ في بلاد الإسلام، ولغتهم السريانيّة (مجمع البحرين: ج ١ ص ٢٧٠).

٥. التوحيد: ص ٢٨٧ ح ٤، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٢ ح ٩.

٣٣٣٨ . الإمام الحسين عليه السلام ـ مِن دُعائِهِ يَومَ عَرَفَةَ ـ : أنتَ الَّذي هَدَيتَ.[١]

٣٣٣٩ . عنه عليه السلام ـ فيما نُسِبَ إلَيهِ مِن دُعاءِ عَرَفَةَ ـ : إلٰهي عَلِمتُ بِاختِلافِ الآثارِ وتَنَقُّلاتِ الأَطوارِ، أنَّ مُرادَكَ مِنّي أن تَتَعَرَّفَ إلَيَّ في كُلِّ شَيءٍ حَتّىٰ لا أجهَلَكَ في شَيءٍ... إلٰهي تَرَدُّدي فِي الآثارِ يوجِبُ بُعدَ المَزارِ، فَاجمَعني عَلَيكَ بِخِدمَةٍ توصِلُني إلَيكَ، كَيفَ يُستَدَلُّ عَلَيكَ بِما هُوَ في وُجودِهِ مُفتَقِرٌ إلَيكَ، أيَكونُ لِغَيرِكَ مِنَ الظُّهورِ ما لَيسَ لَكَ حَتّىٰ يَكونَ هُوَ المُظهِرُ لَكَ! مَتىٰ غِبتَ حَتّىٰ تَحتاجَ إلىٰ دَليلٍ يَدُلُّ عَلَيكَ! ومَتىٰ بَعُدتَ حَتّىٰ تَكونَ الآثارُ هِيَ الَّتي توصِلُ إلَيكَ! عَمِيَت عَينٌ لا تَراكَ عَلَيها رَقيباً، وخَسِرَت[٢] صَفقَةُ عَبدٍ لَم تَجعَل لَهُ مِن حُبِّكَ نَصيباً.[٣]

٣٣٤٠ . الإمام زين العابدين عليه السلام ـ فِي الدُّعاءِ المَعروفِ بِدُعاءِ أبي حَمزَةَ الثُّمالِيِّ ـ : (بِكَ) عَرَفتُكَ وأنتَ دَلَلتَني عَلَيكَ، ودَعَوتَني إلَيكَ، ولَولا أنتَ لَم أدرِ ما أنتَ.[٤]

٣٣٤١ . عنه عليه السلام : اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وقِنا مِنكَ، وَاحفَظنا بِكَ، وَاهدِنا إلَيكَ، ولا تُباعِدنا عَنكَ؛ إنَّ مَن تَقِهِ يَسلَم، ومَن تَهدِهِ يَعلَم، ومَن تُقَرِّبهُ إلَيكَ يَغنَم.[٥]

٣٣٤٢ . عنه عليه السلام ـ مِن دُعائِهِ يَومَ عَرَفَةَ ـ : سُبحانَكَ! بَسَطتَ بِالخَيراتِ يَدَكَ، وعُرِفَتِ الهِدايَةُ مِن عِندِكَ، فَمَنِ التَمَسَكَ لِدينٍ أو دُنيا وَجَدَكَ.[٦]

---

١ . الإقبال: ج ٢ ص ٨٢، البلد الأمين: ص ٢٥٥، المصباح للكفعمي: ص ٩٩٨، بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٢٢١.

٢ . كما في بحار الأنوار وفي المصدر: «حسرت» والظاهر أنّه تصحيف.

٣ . الإقبال (طبعة دار الكتب الإسلامية): ص ٣٤٨، بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٢٢٥.

٤ . مصباح المتهجّد: ص ٥٨٢ ح ٦٩١، الإقبال: ج ١ ص ١٥٧، المصباح للكفعمي: ص ٧٨١ كلّها عن أبي حمزة الثمالي، بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٨٢ ح ٢.

٥ . الصحيفة السجّادية: ص ٣٦ الدعاء ٥.

٦ . الصحيفة السجّادية: ص ١٨٧ الدعاء ٤٧، المصباح للكفعمي: ص ٨٨٨، الإقبال: ج ٢ ص ١٥٠ عن الإمام الصادق عليه السلام وليس فيه ذيله، بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٢٦٣.

٣٣٤٣. عنه ﷺ: الحَمدُ للهِ الأَوَّلِ بِلا أوَّلٍ كانَ قَبلَهُ، وَالآخِرِ بِلا آخِرٍ يَكونُ بَعدَهُ، الَّذي قَصُرَت عَن رُؤيَتِهِ أَبصارُ النّاظِرينَ، وعَجَزَت عَن نَعتِهِ أوهامُ الواصِفينَ، ابتَدَعَ بِقُدرَتِهِ الخَلقَ ابتِداعاً وَاختَرَعَهُم عَلىٰ مَشِيَّتِهِ اختِراعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِهِم طَريقَ إرادَتِهِ وبَعَثَهُم في سَبيلِ مَحَبَّتِهِ.[1]

وَالحَمدُ للهِ الَّذي لَو حَبَسَ عَن عِبادِهِ مَعرِفَةَ حَمدِهِ عَلىٰ ما أَبلاهُم مِن مِنَنِهِ المُتَتابِعَةِ، وأسبَغَ عَلَيهِم مِن نِعَمِهِ المُتَظاهِرَةِ، لَتَصَرَّفوا في مِنَنِهِ فَلَم يَحمَدوهُ، وتَوَسَّعوا في رِزقِهِ فَلَم يَشكُروهُ، ولَو كانوا كَذٰلِكَ لَخَرَجوا مِن حُدودِ الإِنسانِيَّةِ إلىٰ حَدِّ البَهيمِيَّةِ، فَكانوا كَما وَصَفَ في مُحكَمِ كِتابِهِ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.[2]

وَالحَمدُ للهِ عَلىٰ ما عَرَّفَنا مِن نَفسِهِ، وأَلهَمَنا مِن شُكرِهِ، وفَتَحَ لَنا مِن أَبوابِ العِلمِ بِرُبوبِيَّتِهِ، ودَلَّنا عَلَيهِ مِنَ الإِخلاصِ لَهُ في تَوحيدِهِ، وجَنَّبَنا مِنَ الإِلحادِ وَالشَّكِّ في أمرِهِ.[3]

٣٣٤٤. عنه ﷺ: اللّٰهُمَّ ... فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَامنَعنا بِعِزِّكَ مِن عِبادِكَ، وأغنِنا عَن غَيرِكَ بِإِرفادِكَ[4]، وَاسلُك بِنا سَبيلَ الحَقِّ بِإِرشادِكَ.[5]

٣٣٤٥. عنه ﷺ: سُبحانَكَ ما أَضيَقَ الطُّرُقَ عَلىٰ مَن لَم تَكُن دَليلَهُ! وما أَوضَحَ الحَقَّ عِندَ مَن هَدَيتَهُ سَبيلَهُ! إلٰهي فَاسلُكِ بِنا سُبُلَ الوُصولِ إلَيكَ، وسَيِّرنا في أقرَبِ الطُّرُقِ لِلوُفودِ عَلَيكَ، قَرِّب عَلَينَا البَعيدَ وسَهِّل عَلَينَا العَسيرَ الشَّديدَ.[6]

---

١. الصحيفة السجّادية: ص ١٩ الدعاء ١، ينابيع المودّة: ج ٣ ص ٤١١ وليس فيه ذيله من «ابتدع بقدرته...».

٢. الفرقان: ٤٤.

٣. الصحيفة السجّادية: ص ٢٠ الدعاء ١.

٤. الرِّفْدُ: العَطاء والصِّلَة (القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٩٥).

٥. الصحيفة السجّادية: ص ٣٦ الدعاء ٥.

٦. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٤٧ نقلاً عن بعض كتب الأصحاب.

٣٣٤٦. عنه ﷺ: اللّهُمَّ أنتَ وَلِيُّ الأَصفِياءِ وَالأَخيارِ، ولَكَ الخَلقُ وَالاِختِيارُ، وقَد أَلبَستَني فِي الدُّنيا ثَوبَ عافِيَتِكَ، وأَودَعتَ قَلبي صَوابَ مَعرِفَتِكَ،... اجعَلنا مِنَ الَّذينَ أَوضَحتَ لَهُمُ الدَّليلَ عَلَيكَ، وفَسَحتَ لَهُمُ السَّبيلَ إِلَيكَ، فَاستَشعَروا[1] مَدارِعَ الحِكمَةِ، وَاستَطرَفوا[2] سُبُلَ التَّوبَةِ، حَتّىٰ أَناخوا في رِياضِ الرَّحمَةِ، وسَلِموا مِنَ الاِعتِراضِ بِالعِصمَةِ.[3]

٣٣٤٧. عنه ﷺ: اللّهُمَّ اجعَلني مِنَ الَّذينَ جَدّوا في قَصدِكَ فَلَم يَنكِلوا، وسَلَكُوا الطَّريقَ إِلَيكَ فَلَم يَعدِلوا[4]، وَاعتَمَدوا عَلَيكَ فِي الوُصولِ حَتّىٰ وَصَلوا، فَرَوِيَت قُلوبُهُم مِن مَحَبَّتِكَ، وأَنِسَت نُفوسُهُم بِمَعرِفَتِكَ، فَلَم يَقطَعهُم عَنكَ قاطِعٌ، ولا مَنَعَهُم عَن بُلوغِ ما أَمَّلوهُ لَدَيكَ مانِعٌ، فَهُم فيمَا اشتَهَت أَنفُسُهُم خالِدونَ.[5]

٣٣٤٨. عنه ﷺ: فَيامَن أَكرَمَني بِتَوحيدِهِ، وعَصَمَني عَنِ الضَّلالِ بِتَسديدِهِ، وأَلزَمَني إِقامَةَ حُدودِهِ، لا تَسلُبني ما وَهَبتَ لي مِن تَحقيقِ مَعرِفَتِكَ، وأَحيِني بِيَقينٍ أَسلَمُ بِهِ مِنَ الإِلحادِ في صِفَتِكَ.[6]

٣٣٤٩. الإمام الباقر ﷺ: يا من أَتحَفَني بِالإِقرارِ بِالوَحدانِيَّةِ، وحَباني بِمَعرِفَةِ الرُّبوبِيَّةِ، وخَلَّصَني مِنَ الشَّكِّ وَالعَمىٰ....[7]

٣٣٥٠. عنه ﷺ ـ لِرَجُلٍ وقَد كَلَّمَهُ بِكَلامٍ كَثيرٍ ـ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، تَحتَقِرُ الكَلامَ وتَستَصغِرُهُ! اِعلَم

---

١. الشِّعار: الثوب الّذي يلي الجسد؛ لأنّه يلي شعره (النهاية: ج ٢ ص ٤٨٠) أي جعلوا الحكمة كالمِدرعة ـ وهي لباس خاص ـ وجعلوها ملاصقة لهم.

٢. استَطْرَفَهُ: أي عدّه طريفاً، أو استحدثه (الصحاح: ج ٤ ص ١٣٩٤).

٣. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٧٢ ح ٢٢ نقلاً عن كتاب أنيس العابدين.

٤. عَدَلَ عن الطريق: أي مال عنه (المصباح المنير: ص ٣٩٦).

٥. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٥٦ ح ٢٢ نقلاً عن كتاب أنيس العابدين.

٦. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٦١ ح ٢٢ نقلاً عن كتاب أنيس العابدين.

٧. مهج الدعوات: ص ٤٠٠ عن جابر بن يزيد الجعفي، بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٣٣٨ ح ٨.

أنَّ الله‌ﷻ لَم يَبعَثْ رُسُلَهُ حَيثُ بَعَثَها ومَعَها ذَهَبٌ ولا فِضَّةٌ، ولٰكِن بَعَثَها بِالكَلامِ، وإنَّما عَرَّفَ اللهَ ـ جَلَّ وعَزَّ ـ نَفسَهُ إلىٰ خَلقِهِ بِالكَلامِ وَالدَّلالاتِ عَلَيهِ وَالأَعلامِ.[١]

٣٣٥١. الإمام الصادق عليه السلام: أسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تَجَلَّيتَ بِهِ لِلكَليمِ عَلَى الجَبَلِ العَظيمِ، فَلَمّا بَدا شُعاعُ نورِ الحُجُبِ العَظيمَةِ أثبَتَّ مَعرِفَتَكَ في قُلوبِ العارِفينَ بِمَعرِفَةِ تَوحيدِكَ، فَلا إلٰهَ إلّا أنتَ.[٢]

٣٣٥٢. عنه عليه السلام ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: فَكِّر يا مُفَضَّلُ، فيما أُعطِيَ الإِنسانُ عِلمَهُ وما مُنِعَ؛ فَإِنَّهُ أُعطِيَ عِلمَ جَميعِ ما فيهِ صَلاحُ دينِهِ ودُنياهُ، فَمِمّا فيهِ صَلاحُ دينِهِ مَعرِفَةُ الخالِقِ ـ تبارَكَ وتَعالىٰ ـ بِالدَّلائِلِ وَالشَّواهِدِ القائِمَةِ فِي الخَلقِ.[٣]

٣٣٥٣. عنه عليه السلام: لا دَليلَ عَلَى اللهِ بِالحَقيقَةِ غَيرُ اللهِ، ولا داعِيَ إلَى اللهِ فِي الحَقيقَةِ سِوَى اللهِ، إنَّ اللهَ سُبحانَهُ دَلَّنا بِنَفسِهِ مِن نَفسِهِ عَلىٰ نَفسِهِ.[٤]

٣٣٥٤. عنه عليه السلام: لَيسَ للهِ عَلىٰ خَلقِهِ أن يَعرِفوا قَبلَ أن يُعَرِّفَهُم، ولِلخَلقِ عَلَى اللهِ أن يُعَرِّفَهُم، وللهِ عَلَى الخَلقِ إذا عَرَّفَهُم أن يَقبَلوهُ.[٥]

٣٣٥٥. الكافي عن منصور بن حازم: قُلتُ لِأَبي عَبدِ اللهِ عليه السلام: إنّي ناظَرتُ قَوماً، فَقُلتُ لَهُم: إنَّ اللهَ ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ أجَلُّ وأعَزُّ وأكرَمُ مِن أن يُعرَفَ بِخَلقِهِ، بَلِ العِبادُ يُعرَفونَ بِاللهِ. فَقالَ: رَحِمَكَ اللهُ.[٦]

---

١. الكافي: ج ٨ ص ١٤٨ ح ١٢٨ عن مسعدة عن الإمام الصادق عليه السلام، وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٩٠ ح ١٦٠٥٠.

٢. مصباح المتهجّد: ص ٣٣٩ ح ٤٥٠، جمال الأسبوع: ص ٢١٦ كلاهما عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ٤٥ ح ٩.

٣. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٨٢ عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل.

٤. إحقاق الحقّ: ج ١٢ ص ٢٨٩ نقلاً عن كتاب علم القلوب.

٥. التوحيد: ص ٤١٢ ح ٧، الكافي: ج ١ ص ١٦٤ ح ١ نحوه وكلاهما عن بريد بن معاوية.

٦. الكافي: ج ١ ص ٨٦ ح ٣ وص ١٦٨ ح ٢ وص ١٨٨ ح ١٥، التوحيد: ص ٢٨٥ ح ١، رجال الكشّي: ج ٢ ص ٧١٨ ح ٧٩٥، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٠ ح ٦.

٣٣٥٦ . الإمام الصادق عليه السلام : إنَّ أمرَ اللهِ كُلَّهُ عَجيبٌ ، إلّا أنَّهُ قَدِ احتَجَّ عَلَيكُم بِما قَد عَرَّفَكُم مِن نَفسِهِ.[1]

٣٣٥٧ . عنه عليه السلام : مَن زَعَمَ أنَّهُ يَعرِفُ اللهَ بِحِجابٍ أو بِصورَةٍ أو بِمِثالٍ فَهُوَ مُشرِكٌ ؛ لِأَنَّ الحِجابَ وَالمِثالَ وَالصّورَةَ غَيرُهُ ، وإنَّما هُوَ واحِدٌ مُوَحَّدٌ. فَكَيفَ يُوَحِّدُ مَن زَعَمَ أنَّهُ عَرَفَهُ بِغَيرِهِ! إنَّما عَرَفَ اللهَ مَن عَرَفَهُ بِاللهِ ، فَمَن لَم يَعرِفهُ بِهِ فَلَيسَ يَعرِفُهُ ، إنَّما يَعرِفُ غَيرَهُ. وَاللهُ خالِقُ الأَشياءِ لا مِن شَيءٍ ، يُسَمّىٰ بِأَسمائِهِ ، فَهُوَ غَيرُ أسمائِهِ وَالأَسماءُ غَيرُهُ ، وَالموصوفُ غَيرُ الواصِفِ ، فَمَن زَعَمَ أنَّهُ يُؤمِنُ بِما لا يَعرِفُ فَهُوَ ضالٌّ عَنِ المَعرِفَةِ ، لا يُدرِكُ مَخلوقٌ شَيئاً إلّا بِاللهِ ، ولا تُدرَكُ مَعرِفَةُ اللهِ إلّا بِاللهِ.[2]

٣٣٥٨ . الكافي عن عبد الأعلىٰ : قُلتُ لِأَبي عَبدِ اللهِ عليه السلام : أصلَحَكَ اللهُ ، هَل جُعِلَ فِي النّاسِ أداةٌ يَنالونَ بِهَا المَعرِفَةَ؟

قالَ : فَقالَ : لا .

قُلتُ : فَهَل كُلِّفُوا المَعرِفَةَ؟

قالَ : لا ، عَلَى اللهِ البَيانُ : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3] و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَىٰهَا﴾[4].[5]

٣٣٥٩ . تفسير العيّاشي عن محمّد بن حكيم : كَتَبتُ رُقعَةً إلىٰ أبي عَبدِ اللهِ عليه السلام فيها : أتَستَطيعُ النَّفسُ المَعرِفَةَ؟

---

١ . الكافي : ج ١ ص ٨٦ ح ٣ عن إبراهيم بن عمر.

٢ . التوحيد : ص ١٤٣ ح ٧ عن عبد الأعلىٰ ، بحار الأنوار : ج ٤ ص ١٦١ ح ٦ وراجع : التوحيد : ص ١٩٢ ح ٦.

٣ . البقرة : ٢٨٦.

٤ . الطلاق : ٧.

٥ . الكافي : ج ١ ص ١٦٣ ح ٥ ، التوحيد : ص ٤١٤ ح ١١ ، المحاسن : ج ١ ص ٤٣١ ح ٩٩٦ ، بحار الأنوار : ج ٥ ص ٣٠ ح ١٠.

فَقالَ: لا.

فَقُلتُ: يَقولُ اللهُ: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[1]!

قالَ: هُوَ كَقَولِهِ: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾[2].

قُلتُ: يُعاتِبُهُم[3]؟

قالَ: لَم يَعتِبهُم بِما صَنَعَ قُلوبُهُم، ولٰكِن يُعاتِبُهُم بِما صَنَعوا، ولَو لَم يَتَكَلَّفوا لَم يَكُن عَلَيهِم شَيءٌ.[4]

٣٣٦٠. الإمام الصادق عليه السلام ـ في جَوابِ عَبدِالرَّحيمِ القَصيرِ لمّا سَأَلَهُ عَنِ المَعرِفَةِ وَالجُحودِ هَل هُما مَخلوقانِ ـ: سَأَلتَ عَنِ المَعرِفَةِ ما هِيَ، فَاعلَم ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ أَنَّ المَعرِفَةَ مِن صُنعُ اللهِ عزّ وجلّ فِي القَلبِ مَخلوقَةٌ، وَالجُحودَ صُنعِ اللهِ فِي القَلبِ مَخلوقٌ، ولَيسَ لِلعِبادِ فيهِما مِن صُنعٍ، ولَهُم فيهِمَا الاِختيارُ مِنَ الاِكتِسابِ، فَبِشَهوَتِهِمُ الإِيمانَ اختارُوا المَعرِفَةَ، فَكانوا بِذٰلِكَ مُؤمِنينَ عارِفينَ، وبِشَهوَتِهِمُ الكُفرَ اختارُوا الجُحودَ، فَكانوا بِذٰلِكَ كافِرينَ جاحِدينَ ضُلّالاً، وذٰلِكَ بِتَوفيقِ اللهِ لَهُم وخِذلانِ مَن خَذَلَهُ اللهُ، فَبِالاِختِيارِ وَالاِكتِسابِ عاقَبَهُمُ اللهُ وأَثابَهُم.[5]

٣٣٦١. الكافي عن محمّد بن حكيم: قُلتُ لِأَبي عَبدِ اللهِ عليه السلام: المَعرِفَةُ مِن صُنعِ مَن هِيَ؟ قالَ: مِن صُنعِ اللهِ، لَيسَ لِلعِبادِ فيها صُنعٌ.[6]

---

١. الكهف: ١٠١.

٢. هود: ٢٠.

٣. في بحار الأنوار: «قلت: فعابهم؟ قال: لم يعبهم... لكن عابهم»، وهو الأنسب للسياق.

٤. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٣٥١ ح ٨٨، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٣٠٦ ح ٢٨.

٥. التوحيد: ص ٢٢٦ ح ٧ عن عبدالرحيم القصير، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٣٠ ح ٣٩.

٦. الكافي: ج ١ ص ١٦٣ ح ٢، التوحيد: ص ٤١٠ ح ١، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٦٥.

٣٣٦٢ . التوحيد عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام : أنَّهُ سُئِلَ عَنِ المَعرِفَةِ أهِيَ مُكتَسَبَةٌ ؟

فَقالَ : لا .

فَقيلَ لَهُ : فَمِن صُنعِ اللهِ عزّ وجلّ ومِن عَطائِهِ هِيَ ؟

قالَ : نَعَم ، ولَيسَ لِلعِبادِ فيها صُنعٌ .[1]

٣٣٦٣ . الإمام الصادق عليه السلام : سِتَّةُ أشياءَ لَيسَ لِلعِبادِ فيها صُنعٌ : المَعرِفَةُ ، وَالجَهلُ ، وَالرِّضا ، وَالغَضَبُ ، وَالنَّومُ ، وَاليَقظَةُ .[2]

٣٣٦٤ . الإمام الكاظم عليه السلام : الحَمدُ للهِ الَّذي أكرَمَني بِمَعرِفَتِهِ ومَعرِفَةِ رَسولِهِ صلى الله عليه وآله ، ومَن فَرَضَ اللهُ طاعَتَهُ رَحمَةً مِنهُ لي ، وتَطَوُّلاً مِنهُ عَلَيَّ بِالإِيمانِ .[3]

٣٣٦٥ . قرب الإسناد عن البزنطيّ : قُلتُ لِأَبِي الحَسَنِ الرِّضا عليه السلام : لِلنّاسِ فِي المَعرِفَةِ صُنعٌ ؟

قالَ : لا .

قُلتُ : لَهُم عَلَيها ثَوابٌ ؟

قالَ : يَتَطَوَّلُ عَلَيهِم بِالثَّوابِ كَما يَتَطَوَّلُ عَلَيهِم بِالمَعرِفَةِ .[4]

٣٣٦٦ . الإمام الجواد عليه السلام : قامَ رَجُلٌ إلَى الرِّضا عليه السلام ، فَقالَ لَهُ : يَا بنَ رَسولِ اللهِ صِف لَنا رَبَّكَ ، فَإِنَّ مَن قَبلَنا قَدِ اختَلَفوا عَلَينا .

---

١ . التوحيد : ص ٤١٦ ح ١٥ .

٢ . الكافي : ج ١ ص ١٦٤ ح ١ ، الخصال : ص ٣٢٥ ح ١٣ ، التوحيد : ص ٤١١ ح ٦ ، المحاسن : ج ١ ص ٧٢ ح ٢٩ ، مشكاة الأنوار : ص ٢٦١ ح ٧٧٤ ، بحار الأنوار : ج ٥ ص ٢٢١ ح ٢ .

٣ . كامل الزيارات : ص ٩٥ ح ٩٥ عن محمّد بن الحسن بن الوليد ، فرحة الغري : ص ٨٠ عن يونس بن ظبيان عن الإمام الصادق عليه السلام ، كتاب من لايحضره الفقيه : ج ٢ ص ٥٨٧ ح ٣١٩٧ من دون إسنادٍ إلى المعصوم ، بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص ٢٧١ ح ١٤ .

٤ . قرب الإسناد : ص ٣٤٧ ح ١٢٥٦ ، بحار الأنوار : ج ٥ ص ٢٢١ ح ١ وراجع : تحف العقول : ص ٤٤٤ .

فَقالَ الرِّضاعليه السلام: إِنَّهُ مَن يَصِفُ رَبَّهُ بِالقِياسِ لا يَزالُ الدَّهرَ فِي الاِلتِباسِ، مائِلاً عَنِ المِنهاجِ، ظاعِناً فِي الاِعوِجاجِ، ضالّاً عَنِ السَّبيلِ، قائِلاً غَيرَ الجَميلِ.

أُعَرِّفُهُ بِما عَرَّفَ بِهِ نَفسَهُ مِن غَيرِ رُؤيَةٍ، وأَصِفُهُ بِما وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ مِن غَيرِ صورَةٍ، لا يُدرَكُ بِالحَواسِّ ولا يُقاسُ بِالنّاسِ، مَعروفٌ بِغَيرِ تَشبيهٍ، ومُتَدانٍ في بُعدِهِ لا بِنَظيرٍ، لا يُمَثَّلُ بِخَليقَتِهِ ولا يَجورُ في قَضِيَّتِهِ، الخَلقُ إِلىٰ ما عَلِمَ مُنقادونَ وعَلىٰ ما سَطَرَ فِي المَكنونِ[1] مِن كِتابِهِ ماضونَ، ولا يَعمَلونَ خِلافَ ما عَلِمَ مِنهُم ولا غَيرَهُ يُريدونَ، فَهُوَ قَريبٌ غَيرُ مُلتَزِقٍ وبَعيدٌ غَيرُ مُتَقَصٍّ، يُحَقَّقُ ولا يُمَثَّلُ، ويُوَحَّدُ ولا يُبَعَّضُ، يُعرَفُ بِالآياتِ ويُثبَتُ بِالعَلاماتِ، فَلا إِلٰهَ غَيرُهُ الكَبيرُ المُتَعالِ.[2]

٣٣٦٧. **بحار الأنوار عن صُحف إدريس عليه السلام:** بِالحَقِّ عُرِفَ الحَقُّ، وبِالنُّورِ أُهتُدِيَ إِلَى النُّورِ، وبِالشَّمسِ أُبصِرَتِ الشَّمسُ، وبِضَوءِ النّارِ رُئِيَتِ النّارُ، ولَن يَسَعَ صَغيرٌ ما هُوَ أكبَرُ مِنهُ، ولا يَقِلُّ ضَعيفٌ ما هُوَ أَقوىٰ مِنهُ، ولا يُحتاجُ فِي الدَّلالَةِ عَلَى الشَّيءِ المُنيرِ بِما هُوَ دونَهُ، ولا يَضِلُّ عَنِ الطَّريقِ إِلَّا المَأخوذُ بِهِ عَنِ التَّوفيقِ، وَاللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ شَهيدٌ.[3]

راجع: ص ٤٥ (الفِطرَة) و٥٩ (الميثاقُ الفِطريُّ) و٦٢ (تجلّي الفِطرَةِ عِندَ الشَّدائدِ).

---

١. كَنَّ الشيء: ستره، أكْنَنْتُم: أخْفَيتم (لسان العرب: ج ١٣ ص ٣٦٠).

٢. التوحيد: ص ٤٧ ح ٩ عن محمّد بن زياد ومحمّد بن سيّار عن الإمام العسكري عن أبيه عليهما السلام، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٠ ح ٢٤، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٩٧ ح ٢٣.

٣. بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٤٦٦ نقلاً عن ابن متّويه.

تحليل الأحاديث معرفة الله بالله

قرأنا في أَحاديث هذا الباب أنّ الله تعالىٰ عرّف نفسه للناس، وأنّ عليهم أن يعرفوه به، وبملاحظة هذه الأحاديث يُثار سؤال وهو: ما المقصود من معرفة الله بالله؟

للمحدّثين والحكماء آراء شتّىٰ في الإجابة عن السؤال، كما يلاحظ بنظرةٍ بدائيّة في متن الأحاديث تفاسير مختلفة لمعرفة الله بالله، لكنّ التأمَّل فيها يستبين أن لا خلاف يلوح في الأُفق.

وما يُستشفّ من التأمّل في النصوص المأثورة هو أنّ المعرفة الحقيقيّة لله سبحانه لا تتيسّر إلّا بالله نفسه، وليس لأحدٍ أن يعرّفه للنّاس حقّ تعريفه إلّا هو ـ جلّ شأنه ـ، من هنا أخذ سبحانه علىٰ نفسه هداية النّاس، كما قال في كتابه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾[1]، يُثار هنا سؤال آخر مفاده: كيف يعرّف الله نفسه للنّاس، ويهديهم إليه؟

كيف عرّف الله نفسه للناس؟

لو تأمّلنا لرأينا أنّ الله تعالىٰ قد عرّفَ نفسه للنّاس، وهيّأ للبشر أَنواع الآلات

---

١. الليل: ١٢.

والأَدوات والإمكانيّات الداخليّة والخارجيّة لمعرفته بكلّ طريق متيسّر، من هنا قال شيخ المحدّثين في تفسير كلام أَمير المؤمنين عليّ عليه السلام إذ قال: «اعرفوا اللهَ باللهِ»:

«عَرَفنَا اللهَ بِاللهِ لِأَنّا إن عَرَفناهُ بعُقولِنا فَهُوَ عزّوجلّ واهِبُها؛ وإن عَرَفناهُ عزّوجلّ بِأَنبِيائِهِ ورُسُلِهِ وحُجَجِهِ عليهم السلام فَهُوَ عزّوجلّ باعِثُهُم ومُرسِلُهُم ومُتَّخِذُهُم حُجَجاً؛ وإن عَرَفناهُ بِأَنفُسِنا فَهُوَ عزّوجلّ مُحدِثُها، فَبِهِ عَرَفناهُ»[1].

إنّ ما أَودع الله في داخل وجود الإنسان لمعرفته، هو فطرة معرفته، والعقل والقلب، تلك الأُمور التي سيأتي تفصيلها في الفصل الثالث تحت عنوان «مبادئ معرفة الله»، وما جعل في خارج وجوده، هو الوحي والأنبياء.

ومهمّة الأَنبياء عليهم السلام، كما قال الإمام عليّ عليه السلام هي هداية الفطرة والعقل، وإزالة الموانع والحجب التي تحول دون معرفة الله من بصائرهم:

«فَبَعَثَ فيهِم رُسُلَهُ، وواتَرَ إلَيهِم أنبِياءَهُ، لِيَستَأدوهُم ميثاقَ فِطرَتِهِ، ويُذَكِّروهُم مَنسِيَّ نِعمَتِهِ، ويَحتَجّوا عَلَيهِم بِالتَّبليغِ، ويُثيروا لَهُم دَفائِنَ العُقولِ، ويُروهُم آياتِ المَقدِرَةِ ...»[2]

في ضوء ذلك، وكما ورد في عدّة أَحاديث[3]، المعرفة من صنع الله، فهو الذي علّم الإنسان أدوات معرفته، وهيّأ له سبيل كسبها. و يستطيع الإنسان أن يشاهد مظاهر جماله سبحانه ببصيرته جليّةً، مستظهراً بهداية الأنبياء وإزالة موانع المعرفة.

وانطلاقاً من هذا التحليل يمكننا أن نقدّم ثلاثة تفاسير واضحة لمعرفة الله بالله وفقاً لمراتب معرفة الله:

---

١. التوحيد: ص ٢٩٠ ذيل ح ١٠، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٣.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١، بحار الأنوار: ج ١١ ص ٦٠ ح ٧٠.

٣. راجع: ص ٢١ «الله عزّوجلّ».

١. معرفة الله عن طريق الآثار

يعرّف الله الخالق الحكيم القدير الإنسان بنفسه من خلال إراءَتِه آثار علمه وقدرته وحكمته في نظام الوجود، ويشير عدد من الأحاديث إلىٰ هذا التفسير.

«إنَّما عَرَّفَ اللهُ ـ جَلَّ وعَزَّ ـ نَفسَهُ إلىٰ خَلقِهِ بِالكَلامِ وَالدَّلالاتِ عَلَيهِ وَالأَعلامِ»[١].

٢. معرفة الله عن طريق التنزيه والتقديس

تنزيه الخالق سبحانه وتقديسه عن مشابهة المخلوقات هو التفسير الثاني لمعرفة الله بالله. قال المحدّث الأقدم الشيخ الكلينيّ ﷺ في تبيان هذا التفسير:

«إنّ الله خلق الأَشخاص والأَنوار والجواهر والأَعيان؛ فالأَعيان: الأَبدان، والجواهر: الأرواح، وهو ـ جلّ وعزّ ـ لا يشبه جسماً ولا روحاً، وليس لأَحد في خلق الروح الحسّاس الدرّاك أَمر ولا سبب، هو المتفرّد بخلق الأَرواح والأَجسام، فإذا نفى عنه الشبهين: شبه الأَبدان وشبه الأَرواح، فقد عرف الله بالله، وإذا شبّهه بالروح أو البدن أو النور فلم يعرف الله بالله»[٢].

وقال صدر الدِّين الشيرازيّ ﷺ في معرفة الله بالله عن طريق التنزيه والتقديس:

«وهو أن يستدلّ أَوّلاً بوجود الأَشياء علىٰ وجود ذاته، ثمّ يعرف ذاته بنفي المثل والشبه عنه... فإذا نفى عنه ما عداه وسلب عنه شبه ما سواه سواء كانت أبداناً أو أرواحاً، فعرف أنّه منزّه عن أن يوصف بشيء غير ذاته... فمن عرف الله بأنّه لا يشبه شيئاً من الأَشياء ولا يشبهه شيء، فقد عرف الله بالله لا بغيره»[٣].

---

١. راجع: ص٢٦ ح ٣٣٥٠.

٢. الكافي: ج ١ ص ٨٥ ح ١.

٣. شرح أُصول الكافي: ج ٣ ص ٦١.

وجاء هذا التفسير أيضاً في عدد من الأَحاديث كقول أَمير المؤمنين عليه السلام في جواب من سأَله: كيف عرّفك نفسه؟

«لا يَشبَهُهُ صورَةٌ، ولا يُحَسُّ بالحَواسِّ ولا يُقاسُ بِالنّاسِ»[1].

٣. معرفة الله عن طريق الشهود القلبيّ

إنّ أتمّ تفسير لمعرفة الله بالله هو معرفته بواسطة الشهود القلبيّ إذ أنّ «استطالة الشيء بنفسه تُغني عن وصفه»، أو كما جاء في الأدب الفارسيّ[2] ما تعريبه: «بزوغ الشَّمس دليل على الشَّمس».

وأشار عدد من الأَحاديث إلىٰ هذا التفسير[3] كالذي ورد في صُحُف إدريس عليه السلام:

«بِالحَقِّ عُرِفَ الحَقُّ، وبِالنّورِ أُهتُدِيَ إلَى النّورِ وبِالشَّمسِ أُبصِرَتِ الشَّمسُ»[4].

وقال صدر الدِّين الشيرازيّ رحمه الله في شرح أُصول الكافي حول معرفة الله بالله:

«إنّ معرفة الله بالله له وجهان أحدهما: إدراك ذاته بطريق المشاهدة وصريح العرفان. والثاني: بطريق التنزيه والتقديس...»[5].

وقال الإمام الخميني رحمه الله في شرح: «اِعرِفُوا اللهَ بِاللهِ، وَالرَّسولَ بِالرِّسالَةِ، وأُولِي الأَمرِ بِالأَمرِ بِالمَعروفِ وَالعَدلِ وَالإِحسانِ»:

«فبعد أن يغادر السالك إلى الله ـ بخطوات ترويض النفس والتقوىٰ الكاملة ـ بيت النفس، ولم يصطحب معه في هذا الخروج العُلقة الدنيوية، والتعيّنات،

---

١. راجع: ص ٣١٥ ح ٣٧٨٣.

٢. آفتاب آمد دليل آفتاب.

٣. راجع: ص ٧٢ «القلب».

٤. راجع: ص ٣١ ح ٣٣٦٧.

٥. شرح أُصول الكافي: ج ٣ ص ٦١.

ويتحقق له السفر إلى الله سبحانه، يتجلى له الحق المتعالي قبل كل شيء، على قلبه المقدس بالأُلوهية ومقام ظهور الأسماء والصفات. ويكون هذا التجلّي أيضاً مرتّباً ومنظّماً، حيث ينطلق من الأسماء المحاطة مروراً بالأسماء المحيطة حسب شدّة السير وضعفه وحسب قوّة قلب السالك وضعفه على التفصيل الذي لا يستوعبه هذا الكتاب المختصر، حتى ينتهي إلى رفض كل تعيّنات عالم الوجود سواء كانت تعيّنات تعود إلى نفسه أو تعيّنات راجعة إلى غيره والتي تعتبر ـ أي هذه التعينات الغيرية ـ في المنازل والمراحل التالية من التعيّنات العائدة إلى نفسه أيضاً وبعد الرفض المطلق، يتمّ التجلّي بالأُلوهية، ومقام الله الذي هو مقام أحديّة جمع ظهور الأسماء، وتظهر «إعرِفُوا اللهَ ـ بِاللهِ ـ» في مرتبتها الأوَليّة النّازلة.

ولدى وصول العارف إلى هذا المقام والمنزلة، يفنى في هذا التجلّي، فإذا وسعته العناية الأزليّة، لحصل للعارف الفاني في هذا التجلّي، استيناس، ولزالت عنه وحشة الطريق ونصب السفر، واستفاق، فلم يقتنع بهذا المقام، ويستمرّ بخطوات ملؤها الشوق والعشق، ويكون الحقّ المتعالي في سفر العشق هذا مبدأ السفر والباعث على السفر ونهاية السفر، وتتمّ خطواته في أنوار التجلّي، فيسمع هاتفاً يقول له «تَقَدَّم» ويستمرّ في التقدّم إلى أن تتجلّى في قلبه بصورة مرتّبة ومنظّمة، الأسماء والصفات في مقام الواحديّة، حتى يبلغ مقام الأحديّة، ومقام الاسم الأعظم الذي هو اسم الله، فيتحقق في هذا المقام «اِعرِفُوا اللهَ بِاللهِ» في مرتبة عالية. ويوجد أيضاً بعد هذا المقام، مقام آخر لا مجال لذكره فعلاً».[1]

---

١. الأربعون حديثاً: ص ٦٩٥.

٢ / ٢

الأنبياء

الكتاب

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.[1]

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.[2]

﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[3]

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾.[4]

الحديث

٣٣٦٨. رسول الله ﷺ: الحَمدُ للهِ ... المُحتَجِبِ بِنورِهِ دونَ خَلقِهِ ... وَابتَعَثَ فيهِمُ النَّبِيّينَ ... لِيَعقِلَ العِبادُ عَن رَبِّهِم ما جَهِلوهُ؛ فَيَعرِفوهُ بِرُبوبِيَّتِهِ بَعدَما أنكَروا، ويُوَحِّدوهُ بِالإِلٰهِيَّةِ بَعدَما عَضَدوا[5].[6]

---

١. الأنبياء: ٢٥.

٢. النحل: ٣٦.

٣. يوسف: ١٠٨.

٤. الغاشية: ١٧ ـ ٢٢.

٥. عَضَدوا: أي ذهبوا يميناً وشمالاً؛ من قولك عَضَدتُ الدابَّةَ: أي مَشيت إلى جانبها يميناً أو شمالاً (انظر المصباح المنير: ص ٤١٥) وفي بحارالأنوار وعلل الشرائع: «عندوا» بدل «عضدوا».

٦. التوحيد: ص ٤٤ ح ٤ عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام، علل الشرائع: ص ١١٩ ح ١ عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عليه السلام نحوه، كفاية الأثر: ص ١٦٠ عن هشام بن محمّد عن أبيه عن الإمام الحسن عليه السلام وليس فيه ذيله، بحارالأنوار: ج ٤ ص ٢٨٨ ح ١٩.

٣٣٦٩ . الإمام عليّ ﷺ ـ في بَيانِ رِسالَةِ الأَنبياءِ ـ: فَبَعَثَ فيهِم رُسُلَهُ، وواتَرَ[١] إلَيهِم أنبياءَهُ؛ لِيَستَأدوهُم ميثاقَ فِطرَتِهِ، ويُذَكِّروهُم مَنسِيَّ نِعمَتِهِ، ويَحتَجّوا عَلَيهِم بِالتَّبليغِ.[٢]

٣٣٧٠ . عنه ﷺ: إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بِالحَقِّ لِيُخرِجَ عِبادَهُ مِن عِبادَةِ عِبادِهِ إلىٰ عِبادَتِهِ، ومِن عُهودِ عِبادِهِ إلىٰ عُهودِهِ، ومِن طاعَةِ عِبادِهِ إلىٰ طاعَتِهِ، ومِن وِلايَةِ عِبادِهِ إلىٰ وِلايَتِهِ؛ بَشيراً ونَذيراً وداعِياً إلَى اللهِ بِإِذنِهِ وسِراجاً مُنيراً، عَوداً وبَدءاً وعُذراً ونُذراً، بِحُكمٍ قَد فَصَّلَهُ وتَفصيلٍ قَد أحكَمَهُ، وفُرقانٍ قَد فَرَّقَهُ وقُرآنٍ قَد بَيَّنَهُ، لِيَعلَمَ العِبادُ رَبَّهُم إذ جَهِلوهُ، ولِيُقِرّوا بِهِ إذ جَحَدوهُ، ولِيُثبِتوهُ بَعدَ إذ أنكَروهُ.[٣]

٣٣٧١ . عنه ﷺ: بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً ﷺ بِالحَقِّ لِيُخرِجَ عِبادَهُ مِن عِبادَةِ الأَوثانِ إلىٰ عِبادَتِهِ، ومِن طاعَةِ الشَّيطانِ إلىٰ طاعَتِهِ، بِقُرآنٍ قَد بَيَّنَهُ وأحكَمَهُ، لِيَعلَمَ العِبادُ رَبَّهُم إذ جَهِلوهُ، ولِيُقِرّوا بِهِ بَعدَ إذ جَحَدوهُ، ولِيُثبِتوهُ بَعدَ إذ أنكَروهُ.[٤]

٣٣٧٢ . الإمام الصّادق ﷺ ـ لِلزِّنديقِ الَّذي سَأَلَهُ: مِن أينَ أثبَتَّ الأَنبِياءَ؟ ـ: إنّا لَمّا أثبَتنا أنَّ لَنا خالِقاً صانِعاً مُتَعالِياً عَنّا وعَن جَميعِ ما خَلَقَ، وكانَ ذلِكَ الصّانِعُ حَكيماً مُتَعالِياً لَم يَجُز أن يُشاهِدَهُ خَلقُهُ، ولا يُلامِسوهُ، فَيُباشِرَهُم ويُباشِروهُ، ويُحاجَّهُم ويُحاجُّوهُ، ثَبَتَ أنَّ لَهُ سُفَراءَ في خَلقِهِ يُعَبِّرونَ عَنهُ إلىٰ خَلقِهِ وعِبادِهِ، ويَدُلّونَهُم علىٰ مَصالِحِهِم ومَنافِعِهِم، وما بِهِ بَقاؤُهُم وفي تَركِهِ فَناؤُهُم.[٥]

---

١ . واتَرْتُ الكتبَ فتواتَرَت: أي جاءت بعضُها في إثْرِ بعض وِتْراً وِتْراً من غير أن تنقطع (الصحاح: ج ٢ ص ٨٤٣).

٢ . نهج البلاغة: الخطبة ١، بحارالأنوار: ج ١١ ص ٦٠ ح ٧٠.

٣ . الكافي: ج ٨ ص ٣٨٦ ح ٥٨٦ عن محمّد بن الحسين عن أبيه عن جدّه عن أبيه، بحارالأنوار: ج ٧٧ ص ٣٦٥ ح ٣٤ وراجع: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ: ص ٥٩٩.

٤ . نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧، بحارالأنوار: ج ١٨ ص ٢٢١ ح ٥٥.

٥ . الكافي: ج ١ ص ١٦٨ ح ١، التوحيد: ص ٢٤٩ ح ١، علل الشرائع: ص ١٢٠ ح ٣ كلها عن هشام بن الحكم، الاحتجاج: ج ٢ ص ٢١٣ ح ٢٢٣، بحار الأنوار: ج ١١ ص ٢٩ ح ٢٠.

٣٣٧٣. الإمام الكاظم عليه السلام: ما بَعَثَ اللهُ أنبِياءَهُ ورُسُلَهُ إلىٰ عِبادِهِ إلّا لِيَعقِلوا عَنِ اللهِ.[1]

٣ / ٢
أهلُ البَيتِ

٣٣٧٤. رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعَلِيٌّ أبَوا هٰذِهِ الاُمَّةِ، مَن عَرَفَنا فَقَد عَرَفَ اللهَ عز وجل، ومَن أنكَرَنا فَقَد أنكَرَ اللهَ عز وجل.[2]

٣٣٧٥. عنه صلى الله عليه وآله: يا عَلِيُّ، ما عُرِفَ اللهُ إلّا بي ثُمَّ بِكَ، مَن جَحَدَ وِلايَتَكَ جَحَدَ اللهَ رُبوبِيَّتَهُ.[3]

٣٣٧٦. الإمام عليّ عليه السلام: إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ لَو شاءَ لَعَرَّفَ العِبادَ نَفسَهُ، ولٰكِن جَعَلَنا أبوابَهُ وصِراطَهُ وسَبيلَهُ وَالوَجهَ الَّذي يُؤتىٰ مِنهُ؛ فَمَن عَدَلَ عَن وِلايَتِنا أو فَضَّلَ عَلَينا غَيرَنا فَإِنَّهُم عَنِ الصِّراطِ لَناكِبونَ، فَلا سَواءٌ مَنِ اعتَصَمَ النّاسُ بِهِ ولا سَواءٌ[4] حَيثُ ذَهَبَ النّاسُ إلىٰ عُيونٍ كَدِرَةٍ يَفرَغُ بَعضُها في بَعضٍ، وذَهَبَ مَن ذَهَبَ إلَينا إلىٰ عُيونٍ صافِيَةٍ تَجري بِأَمرِ رَبِّها، لا نَفادَ لَها ولَا انقِطاعَ.[5]

٣٣٧٧. عنه عليه السلام: أنَا بابُ حِطَّةٍ، مَن عَرَفَني وعَرَفَ حَقّي فَقَد عَرَفَ رَبَّهُ؛ لِأَنّي وَصِيُّ نَبِيِّهِ في أرضِهِ.[6]

---

١. الكافي: ج ١ ص ١٦ ح ١٢ عن هشام بن الحكم، تحف العقول: ص ٣٨٦، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ٣٠٠ ح ١.

٢. كمال الدين: ص ٢٦١ ح ٧ عن الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام، الأمالي للصدوق: ص ٧٥٥ ح ١٠١٥ عن سليمان بن مهران عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام عنه صلى الله عليه وآله، بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٦٤ ح ٦٦.

٣. كتاب سليم بن قيس: ج ٢ ص ٨٥٥ ح ٤٤ عن سلمان وأبي ذرّ والمقداد، بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٤٨ ح ١٤١.

٤. في بصائر الدرجات ومختصره: «ولا سواء من ذهب حيث ذهب الناس، ذهب الناس...».

٥. الكافي: ج ١ ص ١٨٤ ح ٩، مختصر بصائر الدرجات: ص ٥٥، بصائر الدرجات: ص ٤٩٧ ح ٨ كلّها عن مقرن عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٢٥٣ وراجع تفسير فرات: ص ١٤٣ ح ١٧٤.

٦. التوحيد: ص ١٦٥ ح ٢، معاني الأخبار: ص ١٨ ح ١٤، الاختصاص: ص ٢٤٨ كلّها عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٩ ح ١٨.

٣٣٧٨ . عنه ﷺ : مَعرِفَتي بِالنّورانِيَّةِ مَعرِفَةُ اللهِ ﷻ، ومَعرِفَةُ اللهِ ﷻ مَعرِفَتي بِالنّورانِيَّةِ، وهُوَ الدّينُ الخالِصُ الَّذي قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[1].[2]

٣٣٧٩ . الإمام الباقر ﷺ : بِنا عُبِدَ اللهُ، وبِنا عُرِفَ اللهُ، وبِنا وُحِّدَ اللهُ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ.[3]

٣٣٨٠ . تفسير العيّاشي عن أبي حمزة الثمالي: قالَ أبو جَعفَرٍ ﷺ : يا أبا حَمزَةَ، إنَّما يَعبُدُ اللهَ مَن عَرَفَ اللهَ، فَأَمّا مَن لا يَعرِفُ اللهَ كَأَنَّما يَعبُدُ غَيرَهُ هٰكَذا ضالّاً. قُلتُ: أصلَحَكَ اللهُ، وما مَعرِفَةُ اللهِ؟

قالَ: يُصَدِّقُ اللهَ ويُصَدِّقُ مُحَمَّداً رَسولَ اللهِ ﷺ في مُوالاةِ عَلِيٍّ وَالائتِمامِ بِهِ، وبِأَئِمَّةِ الهُدىٰ مِن بَعدِهِ، وَالبَراءَةِ إلَى اللهِ مِن عَدُوِّهِم، وكَذٰلِكَ عِرفانُ اللهِ.[4]

٣٣٨١ . الإمام الصادق ﷺ : جاءَ ابنُ الكَوّاءِ إلىٰ أميرِ المُؤمِنينَ ﷺ فَقالَ: يا أميرَ المُؤمِنينَ، ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَٰهُمْ﴾[5].

فَقالَ: نَحنُ عَلَى الأَعرافِ، نَعرِفُ أنصارَنا بِسيماهُم، ونَحنُ الأَعرافُ الَّذي لا يُعرَفُ اللهُ ﷻ إلّا بَسبيلِ مَعرِفَتِنا.[6]

---

١ . البيّنة: ٥.

٢ . بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ١ ح ١ نقلاً عن كتاب عتيق، مشارق أنوار اليقين: ص ١٦٠ نحوه وكلاهما عن سلمان وأبي ذرّ.

٣ . الكافي: ج ١ ص ١٤٥ ح ١٠، بصائر الدرجات: ص ٦٤ ح ١٦ وفيه «وعد» بدل «وحّد» وكلاهما عن بريد العجلي، التوحيد: ص ١٥٢ ح ٩ عن ابن أبي يعفور عن الإمام الصادق ﷺ نحوه و ليس فيه ذيله، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١٠٢ ح ٨.

٤ . تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ١١٦ ح ١٥٥، بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٥٧ ح ١٦.

٥ . الأعراف: ٤٦.

٦ . الكافي: ج ١ ص ١٨٤ ح ٩ عن مقرن، مختصر بصائر الدرجات: ص ٥٢، بصائر الدرجات: ص ٤٩٧ ح ٦، تفسير فرات: ص ١٤٣ ح ١٧٤ كلّها عن الأصبغ بن نباتة عن الإمام عليّ ﷺ نحوه، بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٣٨ ح ١٤.

٣٣٨٢. عنه ﷺ: الأَوصِياءُ هُم أَبوابُ اللهِ ﷻ الَّتي يُؤتىٰ مِنها، ولَولاهُم ما عُرِفَ اللهُ ﷻ، وبِهِم احتَجَّ اللهُ ـ تبارَكَ وتَعالىٰ عَلىٰ ـ خَلقِهِ.[1]

٣٣٨٣. عنه ﷺ: إنَّ اللهَ خَلَقَنا فَأَحسَنَ خَلقَنا، وصوَّرَنا فَأَحسَنَ صُوَرَنا، فَجَعَلَنا خُزّانَهُ في سَماواتِهِ وأَرضِهِ، ولَولانا ما عُرِفَ اللهُ.[2]

٣٣٨٤. الإمام الكاظم ﷺ ـ في زِيارَةِ الأَئِمَّةِ ﷺ ـ: السَّلامُ عَلىٰ مَحالِّ مَعرِفَةِ اللهِ... مَن عَرَفَهُم فَقَد عَرَفَ اللهَ، ومَن جَهِلَهُم فَقَد جَهِلَ اللهَ.[3]

راجع: أهل البيت في الكتاب والسنّة: القسم الثالث / الفصل الأوّل / أبواب الله.

٢ / ٤
أتباع الأنبياء

الكتاب

﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾.[4]

الحديث

٣٣٨٥. الكافي عن الزّهريّ: دَخَلَ رِجالٌ مِن قُرَيشٍ عَلىٰ عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ ـ صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِما ـ فَسَأَلوهُ: كَيفَ الدَّعوَةُ إِلَى الدِّينِ؟

---

١. الكافي: ج ١ ص ١٩٣ ح ٢ عن أبي بصير.

٢. مسائل عليّ بن جعفر: ص ٣١٩ ح ٨٠١، بصائر الدرجات: ص ١٠٥ ح ٩ كلاهما عن عليّ بن جعفر عن أخيه الإمام الكاظم ﷺ، بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ١٠٧ ح ١٠ وراجع: بصائر الدرجات: ص ١٠٥ ح ١١.

٣. الكافي: ج ٤ ص ٥٧٩ ح ٢ عن عليّ بن حسّان عن الإمام الرضا ﷺ، تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٠٢ ح ١٧٨، كتاب من لايحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٠٨ ح ٣٢١٢، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٢٧١ ح ١ كلّها عن عليّ بن حسّان عن الإمام الرضا ﷺ، بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٢٢٢ ح ٢٠.

٤. يوسف: ١٠٨.

قالَ: تَقولُ: بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ، أَدعوكُم إِلَى اللهِﷻ، وإِلىٰ دينِهِ. وجِماعُهُ أَمرانِ: أَحَدُهُما: مَعرِفَةُ اللهِﷻ، وَالآخَرُ: العَمَلُ بِرِضوانِهِ.

وإِنَّ مَعرِفَةَ اللهِﷻ: أن يُعرَفَ بِالوَحدانِيَّةِ، وَالرَّأفَةِ، وَالرَّحمَةِ، وَالعِزَّةِ، وَالعِلمِ، وَالقُدرَةِ، وَالعُلُوِّ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ، وأَنَّهُ النّافِعُ الضّارُّ، القاهِرُ لِكُلِّ شَيءٍ، الَّذي لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ، وهُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ، وهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ. وأَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، وأَنَّ ما جاءَ بِهِ هُوَ الحَقُّ مِن عِندِ اللهِﷻ، وما سِواهُ هُوَ الباطِلُ.

فَإِذا أَجابوا إِلىٰ ذٰلِكَ فَلَهُم ما لِلمُسلِمينَ، وعَلَيهِم ما عَلَى المُسلِمينَ.[١]

---

١. الكافي: ج ٥ ص ٣٦ ح ١، تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٤١ ح ٢٣٩.

الفصل الثالث

مبادئ معرفة الله

٣ / ١

الفطرة

الكتاب

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[١]

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ﴾.[٢]

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.[٣]

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.[٤]

راجع: العنكبوت: ٦١، الزخرف: ٩.

---

١. الروم: ٣٠.

٢. البقرة: ١٣٨.

٣. الحجّ: ٣١.

٤. لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨.

الحديث

٣٣٨٦ . الكافي عن زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام ، قال : سَأَلتُهُ عَن قَولِ اللهِ عزّ وجلّ: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ ؟

قالَ : الحَنيفِيَّةُ مِنَ الفِطرَةِ الَّتي فَطَرَ اللهُ النّاسَ عَلَيها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّـهِ﴾ قالَ: فَطَرَهُم عَلَى المَعرِفَةِ بِهِ.[1]

٣٣٨٧ . التوحيد عن زرارة : قُلتُ لِأَبي جَعفَرٍ عليه السلام : ـ أَصلَحَكَ اللهُ ـ قَولُ اللهِ عزّ وجلّ في كِتابِهِ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ؟ قالَ: فَطَرَهُم عَلَى التَّوحيدِ عِندَ الميثاقِ عَلىٰ مَعرِفَتِهِ أَنَّهُ رَبُّهُم.

قُلتُ: وخاطَبوهُ؟ قالَ: فَطَأطَأَ رَأسَهُ، ثُمَّ قالَ: لَولا ذٰلِكَ لَم يَعلَموا مَن رَبُّهُم ولا مَن رازِقُهُم.[2]

٣٣٨٨ . معاني الأخبار عن زرارة : سَأَلتُ أبا جَعفَرٍ عليه السلام عَن قَولِ اللهِ عزّ وجلّ: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ وقُلتُ: مَا الحَنيفِيَّةُ ؟[3]

قالَ : هِيَ الفِطرَةُ.[4]

٣٣٨٩ . المحاسن عن زرارة : سَأَلتُ أبا جَعفَرٍ عليه السلام عَن قَولِ اللهِ تَعالىٰ : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

---

١ . الكافي: ج ٢ ص ١٢ ح ٤، التوحيد: ص ٣٣٠ ح ٩، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٦٠ وفيهما «هي الفطرة» بدل «من الفطرة»، بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٣٥ ح ٧.

٢ . التوحيد: ص ٣٣٠ ح ٨، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٦٠ وفيه «عاينوه» بدل «خاطبوه»، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٨ ح ١٠.

٣ . في المصدر: «الحنفيّة»، والتصويب من بحار الأنوار و المحاسن.

٤ . معاني الأخبار: ص ٣٥٠ ح ١، المحاسن: ج ١ ص ٣٧٥ ح ٨٢٤ وزاد فيه «التي فطر الناس عليها، فطر الله الخلق على معرفته»، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٦ ح ١.

قالَ: فَطَرَهُم عَلىٰ مَعرِفَتِهِ أنَّهُ رَبُّهُم، ولَو لا ذٰلِكَ لَم يَعلَموا إذا سُئِلوا مَن رَبُّهُم ولا مَن رازِقُهُم.[١]

٣٣٩٠. الإمام الباقر عليه السلام: قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: كُلُّ مَولودٍ يولَدُ عَلَى الفِطرَةِ؛ يَعني عَلَى المَعرِفَةِ بِأَنَّ اللهَ عز وجل خالِقُهُ، كَذٰلِكَ قَولُهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.[٢]

٣٣٩١. الكافي عن زرارة: سَأَلتُ أبا عَبدِ اللهِ عليه السلام عَن قَولِ اللهِ عز وجل: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

قالَ: فَطَرَهُم جَميعاً عَلَى التَّوحيدِ.[٣]

٣٣٩٢. الكافي عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: قُلتُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾؟

قالَ: التَّوحيدُ.[٤]

٣٣٩٣. الإمام الصادق عليه السلام ـ في قَولِ اللهِ عز وجل: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ ـ: الإسلامُ.[٥]

---

١. المحاسن: ج ١ ص ٣٧٥ ح ٨٢٥، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٩ ح ١٣ وراجع مختصر بصائر الدرجات: ص ١٦٠.

٢. الكافي: ج ٢ ص ١٣ ح ٤، التوحيد: ص ٣٣١ ح ٩، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٦١ كلّها عن زرارة، بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٣٥ ح ٧.

٣. الكافي: ج ٢ ص ١٢ ح ٣ وص ١٣ ح ٥ عن محمّد الحلبي، التوحيد: ص ٣٢٩ ح ٦ وح ٤ و ٥ عن محمّد الحلبي، المحاسن: ج ١ ص ٣٧٥ ح ٨٢٣، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٨ ح ٨.

٤. الكافي: ج ٢ ص ١٢ ح ١، التوحيد: ص ٣٢٨ ح ٢ وح ١ عن العلاء بن فضيل، الأمالي للطوسي: ص ٦٦٠ ح ١٣٦٦ عن زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٧ ح ٤.

٥. الكافي: ج ٢ ص ١٤ ح ١ عن عبد الله بن سنان وح ٢ عن حمران وح ٣ عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام، معاني الأخبار: ص ١٨٨ ح ١ عن أبان، تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٦٢ ح ١٠٨ عن زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام وعن حمران عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٦٧ ح ١٣٢ ح ٢ وراجع: المحاسن: ج ١ ص ٣٧٥ ح ٨٢٢.

٣٣٩٤. تفسير الطبري عن قتادة ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ ـ: إنَّ اليَهودَ تَصبغُ أبناءَها يَهودَ، وَالنَّصارىٰ تَصبغُ أبناءَها نَصارىٰ، وإنَّ صِبغَةَ اللهِ الإسلامُ، فَلا صِبغَةَ أَحسَنُ مِنَ الإِسلامِ ولا أَطهَرُ، وهُوَ دينُ اللهِ الَّذي بَعَثَ بِهِ نوحاً وَالأَنبِياءَ بَعدَهُ.[1]

٣٣٩٥. رسول الله ﷺ: كُلُّ مَولودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطرَةِ حَتّىٰ يُعرِبَ[2] عَنهُ لِسانُهُ، فإذا أعرَبَ عَنهُ لِسانُهُ إمّا شاكِراً وإمّا كَفوراً.[3]

٣٣٩٦. عنه ﷺ: كُلُّ نَسَمَةٍ تولَدُ عَلَى الفِطرَةِ حَتّىٰ يُعرِبَ عَنها لِسانُها، فَأَبَواها يُهَوِّدانِها ويُنَصِّرانِها.[4]

٣٣٩٧. مسند ابن حنبل عن الأسود بن سريع: إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً يَومَ حُنَينَ فَقاتَلُوا المُشرِكينَ، فَأَفضىٰ بِهِمُ القَتلُ إِلَى الذُّرِّيَّةِ، فَلَمّا جاؤوا قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ما حَمَلَكُم عَلىٰ قَتلِ الذُّرِّيَّةِ؟

قالوا: يا رَسولَ اللهِ، إنَّما كانوا أَولادَ المُشرِكينَ.

قال: أَوَهَل خِيارُكُم إِلّا أَولادُ المُشرِكينَ؟! وَالَّذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ما مِن نَسَمَةٍ

---

١. تفسير الطبري: ج ١ الجزء الأوّل ص ٥٧٠، فتح الباري: ج ٨ ص ١٦١ نحوه، الدرّ المنثور: ج ١ ص ٣٤٠ نقلاً عن عبد بن حميد وابن المنذر.

٢. أعْرَبَ الرَّجُلُ عن نَفْسِه، إذا بَيَّنَ وأوضَحَ (مقاييس اللغة: ج ٤ ص ٢٩٩). والظّاهِر أنّ الإعراب في هذا المَوضِع كناية عن تمييز الحقّ والباطل.

٣. مسند ابن حنبل: ج ٥ ص ١٢٩ ح ١٤٨١١ عن جابر بن عبد الله، المصنّف لعبد الرزّاق: ج ٥ ص ٢٠٣ ح ٩٣٨٦ وليس فيه ذيله من «فإذا أعرب»، تفسير ابن كثير: ج ٦ ص ٣٢١.

٤. مسند ابن حنبل: ج ٥ ص ٣٠٣ ح ١٥٥٨٩، السنن الكبرى: ج ٩ ص ١٣٢ ح ١٨٠٨٩، المعجم الكبير: ج ١ ص ٢٨٤ ح ٨٢٩، مسند أبي يعلى: ج ١ ص ٤٤٤ ح ٩٣٨ وفيه «مولود» بدل «نسمة» وكلّها عن الأسود بن سريع، كنز العمّال: ج ٤ ص ٣٨٢ ح ١١٠١٤.

تولَدُ إلّا عَلَى الفِطرَةِ حَتّىٰ يُعرِبَ عَنها لِسانُها.[١]

٣٣٩٨. رسول الله ﷺ: ما مِن مَولودٍ إلّا يولَدُ عَلَى الفِطرَةِ، فَأَبَواهُ يُهَوِّدانِهِ أو يُنَصِّرانِهِ أو يُمَجِّسانِهِ. كَما تُنتَجُ البَهيمَةُ بَهيمَةً جَمعاءَ هَل تُحِسّونَ فيها مِن جَدعاءَ؟[٢]

٣٣٩٩. سنن الترمذي عن أبي هريرة: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: كُلُّ مَولودٍ يُولَدُ عَلَى المِلَّةِ، فَأَبَواهُ يُهَوِّدانِهِ أو يُنَصِّرانِهِ أو يُشَرِّكانِهِ.

قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، فَمَن هَلَكَ قَبلَ ذٰلِكَ؟

قالَ: اللهُ أعلَمُ بِما كانوا عامِلينَ بِهِ.[٣]

٣٤٠٠. رسول الله ﷺ: كُلُّ مَولودٍ يولَدُ مِن والِدٍ[٤] كافِرٍ أو مُسلِمٍ فَإِنَّما يولَدون عَلَى الفِطرَةِ عَلَى الإِسلامِ كُلُّهُم، ولٰكِنَّ الشَّياطينَ أتَتهُم فَاجتالَتهُم[٥] عَن دينِهِم فَهَوَّدَتهُم ونَصَّرَتهُم ومَجَّسَتهُم، وأَمَرَتهُم أن يُشرِكوا بِاللهِ ما لم يُنَزِّل بِهِ سُلطاناً.[٦]

---

١. مسند ابن حنبل: ج ٥ ص ٣٠٣ ح ١٥٥٨٨، السنن الكبرى: ج ٩ ص ٢١٩ ح ١٨٣٣٤، المستدرك على الصحيحين: ج ٢ ص ١٣٤ ح ٢٥٦٦ وفيه «يوم خيبر» بدل «يوم حنين»، المصنّف لعبد الرزّاق: ج ١١ ص ١٢٢ ح ٢٠٠٩٠ نحوه.

٢. صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٧٩٢ ح ٤٤٩٧ وج ١ ص ٤٥٦ ح ١٢٩٣، صحيح مسلم: ج ٤ ص ٢٠٤٧ ح ٢٢، سنن أبي داوود: ج ٤ ص ٢٢٩ ح ٤٧١٤، الموطّأ: ج ١ ص ٢٤١ ح ٥٢، مسند ابن حنبل: ج ٣ ص ١٤ ح ٧١٨٤ وص ١٠٨ ح ٧٧١٦، السنن الكبرى: ج ٦ ص ٣٣٣ ح ١٢١٣٨ كلّها عن أبي هريرة، كنز العمّال: ج ١ ص ٢٦١ ح ١٣٠٨.

٣. سنن الترمذي: ج ٤ ص ٤٤٧ ح ٢١٣٨ وراجع صحيح مسلم: ج ٤ ص ٢٠٤٨ ح ٢٣ والسنن الكبرى: ج ٦ ص ٣٣٤ ح ١٢١٤١.

٤. في المصدر: «ولد»، والتصويب من كنز العمّال.

٥. أي استخفّتهم فجالوا معهم في الضّلال. يقال: جالَ و اجتالَ: إذا ذهب وجاء. واجتالَ الشيء: إذا ذهب به وساقه. والجائل: الزائل عن مكانه (النهاية: ج ١ ص ٣١٧).

٦. نوادر الأصول: ج ١ ص ١٩٧ عن أنس، كنز العمّال: ج ١ ص ٢٦٦ ح ١٣٣٦.

٣٤٠١. عنه ﷺ: ألا إنَّ رَبّي أمَرَني أن أُعَلِّمَكُم ما جَهِلتُم مِمّا عَلَّمَني يَومي هٰذا... إنّي خَلَقتُ[1] عِبادي حُنَفاءَ كُلَّهُم، وإنَّهُم أتَتهُمُ الشَّياطينُ فَاجتالَتهُم عَن دينِهِم.[2]

٣٤٠٢. عنه ﷺ ـ فِي الدُّعاءِ ـ: يا مَن فَتَقَ العُقولَ بِمَعرِفَتِهِ.[3]

٣٤٠٣. الإمام عليّ ؑ: اللّٰهُمَّ خَلَقتَ القُلوبَ عَلىٰ إرادَتِكَ، وفَطَرتَ العُقولَ عَلىٰ مَعرِفَتِكَ، فَتَمَلمَلَتِ[4] الأَفئِدَةُ مِن مَخافَتِكَ، وصَرَخَتِ القُلوبُ بِالوَلَهِ، وتَقاصَرَ وُسعُ قَدرِ العُقولِ عَنِ الثَّناءِ عَلَيكَ، وَانقَطَعَتِ الأَلفاظُ عَن مِقدارِ مَحاسِنِكَ، وكَلَّتِ الأَلسُنُ عَن إحصاءِ نِعَمِكَ، فَإِذا وَلَجَت بِطُرُقِ البَحثِ عَن نَعتِكَ بَهَرَتها حَيرَةُ العَجزِ عَن إدراكِ وَصفِكَ، فَهِيَ تَرَدَّدُ فِي التَّقصيرِ عَن مُجاوَزَةِ ما حَدَّدتَ لَها؛ إذ لَيسَ لَها أن تَتَجاوَزَ ما أمَرتَها.[5]

٣٤٠٤. تفسير العيّاشي عن زرارة: سَأَلتُ أبا عَبدِ اللهِ ؑ عَن قَولِ اللهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ إلىٰ قَولِهِ: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾.

قالَ: كانَ مُحَمَّدٌ عَلَيهِ وآلِهِ السَّلامُ أوَّلَ مَن قالَ: بَلىٰ.

قُلتُ: كانَت رُؤيَةً مُعايَنَةً؟

قالَ: فَأَثبَتَ المَعرِفَةَ في قُلوبِهِم.[6]

---

١. في الكلام حذف؛ أي: قال الله تعالى ... (هامش المصدر).

٢. صحيح مسلم: ج ٤ ص ٢١٩٧ ح ٦٣، المعجم الكبير: ج ١٧ ص ٣٥٨ ح ٩٨٧ وص ٣٦٢ ح ٩٩٦، تلبيس إبليس: ص ٢٤، مسند ابن حنبل: ج ٦ ص ١٥٦ ح ١٧٤٩١ وفيه «فأضلّتهم» بدل «فاجتالتهم» وكلّها عن عياض بن حمار وراجع: الفردوس: ج ٣ ص ١٧٨ ح ٤٤٨٣ و كنز العمّال: ج ٤ ص ٤٣٨ ح ١١٣٠٦ و نثر الدرّ: ج ١ ص ٢٤٥.

٣. بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٢٠٤ ح ٣٧ نقلاً عن جنّة الأمان، مصباح المتهجّد: ص ١٥٦ ح ٢٤٩ وص ٢٨٠ ح ٣٨٧ كلاهما من دون إسنادٍ إلى المعصوم.

٤. تَمَلْمَل: تقلّبَ (القاموس المحيط: ج ٤ ص ٥٢).

٥. مهج الدعوات: ص ١٥٤، بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٤٠٣ ح ٣٤.

٦. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٣٩ ح ١٠٨، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٥٧ ح ٥٨.

٣٤٠٥ . الإمام عليّ ﷺ : الحَمدُ للهِ المُلهِمِ عِبادَهُ حَمدَهُ ، وفاطِرِهِم عَلىٰ مَعرِفَةِ رُبوبِيَّتِهِ، الدّالِّ عَلىٰ وُجودِهِ بِخَلقِهِ... لا تَحجُبُهُ الحُجُبُ، وَالحِجابُ بَينَهُ وبَينَ خَلقِهِ خَلقُهُ إيّاهُم ؛ لِامتِناعِهِ مِمّا يُمكِنُ في ذَواتِهِم، ولِإِمكانٍ[1] مِمّا يَمتَنِعُ مَنهُ، ولِافتِراقِ الصّانِعِ مِنَ المَصنوعِ، وَالحادِّ مِنَ المَحدودِ، وَالرَّبِّ مِنَ المَربوبِ.[2]

٣٤٠٦ . عنه ﷺ : إنَّ أفضَلَ ما يَتَوَسَّلُ بِهِ المُتَوَسِّلونَ: الإِيمانُ بِاللهِ ورَسولِهِ ، وَالجِهادُ في سَبيلِ اللهِ ، وكَلِمَةُ الإِخلاصِ ؛ فَإِنَّها الفِطرَةُ.[3]

٣٤٠٧ . الكافي عن بكير بن أعين : كانَ أبو جَعفَرٍ ﷺ يَقولُ: إنَّ اللهَ أخَذَ ميثاقَ شيعَتِنا بِالوِلايَةِ وهُم ذَرٌّ يَومَ أخَذَ الميثاقَ عَلَى الذَّرِّ، وَالإِقرارَ لَهُ بِالرُّبوبِيَّةِ ولِمُحَمَّدٍ ﷺ بِالنُّبُوَّةِ.[4]

٣٤٠٨ . الإمام الباقر ﷺ : كانَت شَريعَةُ نوحٍ ﷺ أن يُعبَدَ اللهُ بِالتَّوحيدِ وَالإِخلاصِ وخَلعِ الأَندادِ، وهِيَ الفِطرَةُ الَّتي فُطِرَ النّاسُ عَلَيها ، وأخَذَ اللهُ ميثاقَهُ عَلىٰ نوحٍ ﷺ وعَلَى النَّبِيّينَ ﷺ أن يَعبُدُوا اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ ولا يُشرِكوا بِهِ شَيئاً.[5]

---

١ . «ولإمكانٍ» بالتنوين بحذف المضاف إليه؛ أي: ولإمكان ذواتهم. وفي توحيد الصدوق ﷺ هكذا: «ولإمكان ذواتهم ممّا يمتنع منه ذاته» وهو الصواب وكأنّ اللفظتين سقطتا من قلم النسّاخ (الوافي : ج ١ ص ٤٣٧).

٢ . الكافي: ج ١ ص ١٣٩ ح ٥ عن إسماعيل بن قتيبة عن الإمام الصادق ﷺ ، التوحيد: ص ٥٦ ح ١٤ عن فتح بن يزيد الجرجانيّ عن الإمام الرضا ﷺ .

٣ . كتاب من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٠٥ ح ٦١٣، نهج البلاغة: الخطبة ١١٠، علل الشرائع : ص ٢٤٧ ح ١، الزهد للحسين بن سعيد: ص ١٣ ح ٢٧، تحف العقول: ص ١٤٩، المحاسن: ج ١ ص ٤٥١ ح ١٠٤٠، الأمالي للطوسي: ص ٢١٦ ح ٣٨٠ عن أبي بصير عن الإمام الباقر عنه ﷺ ، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٣٩٨ ح ٢١ وراجع: كنز العمّال: ج ١٦ ص ٢٣١ ح ٤٤٢٧٦.

٤ . الكافي: ج ١ ص ٤٣٦ ح ١، المحاسن: ج ١ ص ٢٢٨ ح ٤١١، تفسير العيّاشي: ج ١ ص ١٨٠ ح ٧٣، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٥٠ ح ٤٣.

٥ . الكافي: ج ٨ ص ٢٨٢ ح ٤٢٤، تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ١٤٤ ح ١٨ كلاهما عن إسماعيل الجعفي، بحار الأنوار: ج ١١ ص ٣٣١ ح ٥٣.

٣٤٠٩. الإمام الحسين عليه السلام ـ مِن دُعائِهِ يَومَ عَرَفَةَ ـ: لٰكِنَّكَ أخرَجتَني رَأفَةً مِنكَ وتَحَنُّناً عَلَيَّ، لِلَّذي سَبَقَ لي مِنَ الهُدَى الَّذي فيهِ يَسَّرتَني، وفيهِ أنشَأتَني، ومَن قَبلِ ذٰلِكَ رَؤُفتَ بي بِجَميلِ صُنعِكَ وسَوابِغِ نِعمَتِكَ... فَرَبَّيتَني زائِداً في كُلِّ عامٍ، حَتّىٰ إذا كَمُلَت فِطرَتي وَاعتَدَلَت سَريرَتي أوجَبتَ عَلَيَّ حُجَّتَكَ؛ بِأَن أَلهَمتَني مَعرِفَتَك، ورَوَّعتَني بِعَجائِبِ فِطرَتِكَ، وأَنطَقتَني لِما ذَرَأتَ في سَمائِكَ وأَرضِكَ مِن بَدائِعِ خَلقِكَ، ونَبَّهتَني لِذِكرِكَ وشُكرِكَ وواجِبِ طاعَتِكَ وعِبادَتِكَ، وفَهَّمتَني ما جاءَت بِهِ رُسُلُكَ، ويَسَّرتَ لي تَقَبُّلَ مَرضاتِكَ، ومَنَنتَ عَلَيَّ في جَميعِ ذٰلِكَ بِعَونِكَ ولُطفِكَ.[1]

٣٤١٠. الإمام الصادق عليه السلام: إنَّ اللهَ عزّ وجلّ خَلَقَ النّاسَ كُلَّهُم عَلَى الفِطرَةِ الَّتي فَطَرَهُم عَلَيها، لا يَعرِفُونَ إيماناً بِشَريعَةٍ، ولا كُفراً بِجُحودٍ، ثُمَّ بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ تَدعو العِبادَ إلَى الإِيمانِ بِهِ؛ فَمِنهُم مَن هَدَى اللهُ، ومِنهُم مَن لَم يَهدِهِ اللهُ.[2]

٣٤١١. عنه عليه السلام: كانَ إبراهيمُ عليه السلام في شَبيبَتِهِ[3] عَلَى الفِطرَةِ الَّتي فَطَرَ اللهُ عزّ وجلّ الخَلقَ عَلَيها، حَتّىٰ هَداهُ اللهُ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ إلى دينِهِ وَاجتَباهُ.[4]

٣٤١٢. عنه عليه السلام ـ في صِفَةِ اللهِ سُبحانَهُ ـ: عارِفٌ بِالمَجهولِ، مَعروفٌ عِندَ كُلِّ جاهِلٍ.[5]

٣٤١٣. عنه عليه السلام ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: فَكِّر يا مُفَضَّلُ فيما أُعطِيَ الإِنسانُ عِلمَهُ وما مُنِعَ؛ فَإِنَّهُ أُعطِيَ عِلمَ جَميعِ ما فيهِ صَلاحُ دينِهِ ودُنياهُ؛ فَمِمّا فيهِ صَلاحُ دينِهِ مَعرِفَةُ الخالِقِ

---

١. الإقبال: ج ٢ ص ٧٥، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٧٢ ح ٨١.

٢. الكافي: ج ٢ ص ٤١٧ ح ١، علل الشرائع: ص ١٢١ ح ٥ كلاهما عن حسين بن نعيم الصحّاف، بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢١٣ ح ١.

٣. الشبيبة: الحداثة، وهو خلاف الشَّيب (الصحاح: ج ١ ص ١٥١).

٤. الكافي: ج ٨ ص ٣٧٠ ح ٥٦٠ عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي، بحار الأنوار: ج ١٢ ص ٤٤ ح ٣٨.

٥. الكافي: ج ١ ص ٩١ ح ٢، التوحيد: ص ٥٨ ح ١٥ كلاهما عن حمّاد بن عمرو النصيبي، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٨٦ ح ١٨.

ـ تبارَكَ وتَعالىٰ ـ بِالدَّلائِلِ وَالشَّواهِدِ القائِمَةِ فِي الخَلقِ، ومَعرِفَةُ الواجِبِ عَلَيهِ مِنَ العَدلِ عَلَى النّاسِ كافَّةً، وبِرِّ الوالِدَينِ، وأَداءِ الأَمانَةِ، ومُؤاساةِ أهلِ الخَلَّةِ[1]، وأَشباهِ ذٰلِكَ مِمّا قَد توجَدُ مَعرِفَتُهُ وَالإِقرارُ وَالاِعتِرافُ بِهِ فِي الطَّبعِ وَالفِطرَةِ مِن كُلِّ أُمَّةٍ مُوافِقَةٍ أو مُخالِفَةٍ.[2]

٣٤١٤. عنه عليه السلام: قالَ موسىٰ بنُ عِمرانَ عليه السلام: يا رَبِّ، أيُّ الأَعمالِ أفضَلُ عِندَكَ؟

فَقالَ: حُبُّ الأَطفالِ؛ فَإِنّي فَطَرتُهُم عَلىٰ تَوحيدي؛ فَإِن أَمَتُّهُم أَدخَلتُهُم بِرَحمَتي جَنَّتي.[3]

٣٤١٥. الإمام الرضا عليه السلام: بِصُنعِ اللهِ يُستَدَلُّ عَلَيهِ، وبِالعُقولِ تُعتَقَدُ مَعرِفَتُهُ، وبِالفِطرَةِ تَثبُتُ حُجَّتُهُ.[4]

راجع: ص٢١ (اللهُ عزّ وجلّ)
و٥٩ (الميثاقُ الفِطريُّ)
و٦٢ (تجلّي الفطرة عند الشّدائِد).

---

١. الخَلَّة: الحاجة والفقر والخصاصة (القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٧٠).

٢. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٨٢ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٣. المحاسن: ج ١ ص ٤٥٧ ح ١٠٥٧ عن المساور، بحار الأنوار: ج ١٠٤ ص ٩٧ ح ٥٧.

٤. التوحيد: ص ٣٥ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥١ ح ٥١ كلاهما عن القاسم بن أيّوب العلوي، الأمالي للمفيد: ص ٢٥٤ ح ٤ عن محمّد بن زيد الطبري، الأمالي للطوسي: ص ٢٢ ح ٢٨ عن محمّد بن يزيد الطبري، تحف العقول: ص ٦٢ عن الإمام علي عليه السلام وفيه «وبالفكرة» بدل «وبالفطرة»، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٦٠ ح ٢٨٣، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٨ ح ٣.

توضيح حول فطرة معرفة الله

إنّ أوّل مبدأ لمعرفة الله هو فطرة الإنسان وجبلّته. وتنقسم الآيات والأَحاديث التي تدلّ على هذا المفهوم ـ كما لوحظ في الفصل الثالث ـ إلىٰ ثلاثة طوائف، هي:

الطائفة الأُولى: الآيات والأَحاديث الدالّة على أنّ معرفة الله أُودعت في سرائر الناس جميعاً بشكل شعور فطريّ. وقد وردت صفوة هذه الآيات والأحاديث في الحديث النبويّ الشريف:

«كُلُّ مَولودٍ يولَدُ عَلَى الفِطرَةِ، يَعني عَلَى المَعرِفَةِ بِأَنَّ اللهَ ﷻ خالِقُهُ»[1].

الطائفة الثانية: النصوص الدالّة على أنّ الله سبحانه أخذ الميثاق من الناس قاطبةً علىٰ ربوبيّته قبل ولادتهم، كقوله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾[2].

سأَل زُرارةُ ـ وهو من أجلّاء أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ـ الإمامَ عن كيفيّة أخذ

---

١. راجع: ص ٤٧ ح ٣٣٩٠.

٢. الأعراف: ١٧٢.

الله الإقرارَ بربوبيّته من جميع الناس، فقالعليه السلام:

«ثَبَتَتِ المَعرِفَةُ في قُلوبِهِم».

وقد جاء في بعض الأَخبار:

«أثبَتَ المَعرِفَةَ في قُلوبِهِم»[1].

و عن ابن مسكان عن أَبي عبد اللهعليه السلام في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ قال: قُلتُ: مُعايَنَةً كانَ هٰذا؟

قالَعليه السلام: نَعَم، فَثَبَتَتِ المَعرِفَةُ ونَسُوا المَوقِفَ وسَيَذكُرونَهُ، ولَولا ذٰلِك لَم يَدرِ أَحَدٌ مَن خالِقُهُ ورازِقُهُ، فَمِنهُم مَن أَقَرَّ بِلِسانِهِ فِي الذَّرِّ ولَم يُؤمِن بِقَلبِهِ، فَقالَ اللهُ: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾[2].[3]

الجدير بالذكر أنّه يمكن تفسير الآيات والأَحاديث التي تناولت بيان الميثاق الفطريّ بتفسيرين:

١. أن يكون ظاهر هذه الآيات والأَحاديث مشيراً إِلىٰ مرحلةٍ من حياة البشر قبل نشأة الدنيا إِذ عرّف الله فيها نفسه لجميع الناس وخاطبهم: ﴿ألستُ بربّكم﴾؟، فأجابوا كلّهم: ﴿بلَىٰ﴾، واعترفوا بربوبيّته.

هكذا انعقد ميثاق بين الإنسان وربّه يُدعىٰ الميثاق الفطريّ، ويتمثّل أثر هذا الميثاق في المعرفة القلبيّة للإنسان بالله، وتتجلّىٰ هذه المعرفة في ظروف خاصّة،

---

١. راجع: ص ٦١ ح ٣٤٢٢.

٢. الأعراف: ١٠١.

٣. راجع: ص ٦٠ ح ٣٤٢١.

وإن لم يذكر أحد خصوصيات موقف الميثاق، كما قال الإمام الصادقعليه السلام في تبيان آية الميثاق:

«ثَبَتَت المَعرِفَةُ ونَسُوا المَوقِفَ وسَيَذكُرونَهُ، ولَولا ذٰلِكَ لَم يَدرِ أحَدٌ مَن خالِقُهُ ورازِقُهُ»[١].

٢. أنّ المقصود من السؤال والجواب والميثاق هو غير المتداوَل منها، وإنّما هو ميثاق فطرة الإنسان مع الله تعالى، واعترافه بربوبيّة الله الأَحد هو تلك المعرفة التي أَودعها الله في فطرة البشر وثبّتها.

الطائفة الثالثة: النصوص التي تدلّ علىٰ أنّ طبيعة الإنسان بنحو أنّه إذا مُنيَ بربقة المصائب والشدائد زالت موانع المعرفة من بصيرته وفي هذه الحالة يشعر بكلّ وجوده حقيقة الله سبحانه وتعالىٰ، ويمدّ يد الفاقة إلىٰ ذلك الغنيّ. ومحصّلة الآيات القرآنيّة في هذا المجال وردت في كلام نورانيّ للإمام العسكريّعليه السلام، فقد قال سلام الله عليه:

«اللهُ، هُوَ الَّذي يَتَأَلَّهُ إلَيهِ عِندَ الحَوائِجِ والشَّدائِدِ كُلُّ مَخلوقٍ عِندَ انقِطاعِ الرَّجاءِ مِن كُلِّ مَن هُوَ دونَهُ، وتَقَطُّعِ الأَسبابِ مِنَ جَميعِ ما سِواهُ»[٢].

معنىٰ فطرة معرفة الله

لهذه الفطرة معنيان: الفطرة العقليّة، والفطرة القلبيّة.

إنّ القصد من فطرة معرفة الله العقليّة هو: أنّ الله سبحانه خلق عقل الإنسان بشكل يكون التوجّه إلىٰ الوجود والنظام المسيطر عليه باعثاً علىٰ إيجاد الاعتقاد بوجود الله ذاتيّاً وبلا حاجة إلىٰ الاستدلال.

---

١. راجع: ص ٥٩ ح ٣٤١٨.

٢. راجع: ص ٦٣ ح ٣٤٢٦.

أمّا الفطرة القلبية لمعرفة الله تعني: أنّ الله سبحانه قد جعل معرفته في قلب الإنسان وروحه بحيث لو ارتفعت الحجب وأُزيلت الحواجز، تجلّت تلك المعرفة الأصيلة، فيجد الإنسان نفسه في رحاب الخالق.

بناءً على هذا، فإنّ التفاوت بين المعرفة الفطريّة العقليّة والقلبيّة، كالفرق بين العلم والوجدان، أو بتعبير نصّ الروايات كالفرق بين الإيمان واليقين.

أَوضح براهين التوحيد الفطريّ

إنّ القسم الثالث من النصوص التي أُشير إليها تبيّن أَوضح البراهين التجربيّة علىٰ التوحيد الفطريّ، وقد استند إليها القرآن مراراً لتعريف الله تعالىٰ كحقيقة يعرفها الإنسان ذاتيّاً ويجد نفسه محتاجاً إليها.

إنّ التجربة تدلّ على أنّ مشكلات الحياة إذا ألمّت بالإنسان، وعجزت كلّ السبل والحِيَل عن حلّها وعلاجها، أزالت يد البلاء القويّة حجب المعرفة، وحينئذٍ يغدو الناس جميعاً حتّى المنكرون لله عارفين بالله مستمدّينه في أُمورهم.

٣ / ١ ـ ١
الميثاقُ الفِطرِيُّ

الكتاب

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾.[١]

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.[٢]

الحديث

٣٤١٦. تفسير العيّاشي عن زرارة: سَأَلتُ أبا جَعفرٍ عليه السلام عَن قَولِ اللهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ إلى قوله: ﴿أَنفُسِهِمْ﴾.

قالَ: أخرَجَ اللهُ مِن ظَهرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ إلىٰ يومِ القِيامَةِ، فَخَرَجوا وهُم كَالذَّرِّ[٣]، فَعَرَّفَهُم نَفسَهُ وأراهُم نَفسَهُ، ولَولا ذٰلِكَ ما عَرَفَ أحَدٌ رَبَّهُ، وذٰلِكَ قَولُهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٤].[٥]

٣٤١٧. الإمام الباقر عليه السلام ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ إلىٰ قَولِهِ: ﴿شَهِدْنَآ﴾ ـ: ثَبَتَتِ المَعرِفَةُ ونَسُوا المَوقِفَ وسَيَذكُرونَهُ، ولَولا ذٰلِكَ لَم يَدرِ أحَدٌ مَن خالِقُهُ ولا مَن رازِقُهُ.[٦]

---

١. الأعراف: ١٧٢.

٢. يس: ٦٠ و ٦١.

٣. في بيان معنى عالَم الذّر وتفسير الآية الكريمة راجع الميزان في تفسير القرآن: ج ٨ ص ٣٠٦ ـ ٣٣٠.

٤. لقمان: ٢٥.

٥. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٤٠ ح ١١١، التوحيد: ص ٣٣٠ ح ٩ نحوه، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٩ ح ١١.

٦. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٤٠ ح ١١٢، علل الشرايع: ص ١١٧ ح ١ وفيه «الموقت» بدل «الموقف» والظاهر أنّه تصحيف وكلاهما عن زرارة، الثاقب في المناقب: ص ٥٦٧ ح ٥٠٨، كشف الغمّة: ج ٣ ص ٢٠٩، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٦١ والثلاثة الأخيرة عن أبي هاشم عن الإمام العسكري عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٤٣ ح ٣٢.

٣٤١٨. تفسير العيّاشي عن أبي بصير: قُلتُ لِأَبي عَبدِ اللهِ ﷺ: أَخبِرني عَنِ الذَّرِّ حَيثُ أَشهَدَهُم عَلىٰ أَنفُسِهِم، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾، وأَسَرَّ بَعضُهُم خِلافَ ما أَظهَرَ، فَقُلتُ: كَيفَ عَلِمُوا القَولَ حَيثُ قيلَ لَهُم: أَلَستُ بِرَبِّكُم؟

قالَ: إِنَّ اللهَ جَعَلَ فيهِم ما إِذا سَأَلَهُم أَجابوهُ.[1]

٣٤١٩. تفسير العيّاشي عن أبي بصير عن الإمام الصادق ﷺ ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ـ: قالوا بِأَلسِنَتِهِم؟

قالَ: نَعَم، وقالوا بِقُلوبِهِم.

فَقُلتُ: وأَيُّ شَيءٍ كانوا يَومَئِذٍ؟

قالَ: صَنَعَ مِنهُم ما اكتَفىٰ بِهِ.[2]

٣٤٢٠. الإمام الصادق ﷺ ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ـ: كانَ ذٰلِكَ مُعايَنَةً للهِ، فَأَنساهُمُ المُعايَنَةَ وأَثبَتَ الإِقرارَ في صُدورِهِم، ولَولا ذٰلِكَ ما عَرَفَ أَحَدٌ خالِقَهُ ولا رازِقَهُ، وهُوَ قَولُ اللهِ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3].[4]

٣٤٢١. تفسير القمّي عن ابن مسكان عن الإمام الصادق ﷺ ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ قال: قُلتُ: مُعايَنَةً كانَ هٰذا؟

---

١. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٤٢ ح ١١٧، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٥٨ ح ٦٣.

٢. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٤٠ ح ١١٠، بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٠٢ ح ٢٠.

٣. الزخرف: ٨٧.

٤. المحاسن: ج ١ ص ٤٣٨ ح ١٠١٥ عن زرارة، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٢٣ ح ١٣.

قالَ: نَعَم، فَثَبَتَتِ المَعرِفَةُ ونَسُوا المَوقِفَ وسَيَذكُرونَهُ، ولَولا ذٰلِكَ لَم يَدرِ أحَدٌ مَن خالِقُهُ ورازِقُهُ، فَمِنهُم مَن أقَرَّ بِلِسانِهِ فِي الذَّرِّ ولَم يُؤمِن بِقَلبِهِ، فَقالَ اللهُ: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾[1].[2]

٣٤٢٢. تفسير العيّاشي عن زرارة: سَأَلتُ أبا عَبدِ اللهِ عليه السلام عَن قَولِ اللهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ إلىٰ قَولِهِ: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾.

قالَ: كانَ مُحَمَّدٌ عَلَيهِ وآلِهِ السَّلامُ أوَّلَ مَن قالَ: بَلىٰ.

قُلتُ: كانَت رُؤيَةً مُعايَنَةً؟

قالَ: فَأَثبَتَ المَعرِفَةَ في قُلوبِهِم ونَسوا ذٰلِكَ الميثاقَ، وسَيَذكُرونَهُ بَعدُ، ولَولا ذٰلِكَ لَم يَدرِ أحَدٌ مَن خالِقُهُ ولا مَن رازِقُهُ.[3]

٣٤٢٣. المحاسن عن زرارة: سَأَلتُ أبا عَبدِاللهِ عليه السلام عَن قَولِ اللهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾.

قالَ: ثَبَتَتِ المَعرِفَةُ في قُلوبِهِم، ونَسُوا المَوقِفَ، وسَيَذكُرونَهُ يَوماً مّا، ولَولا ذٰلِكَ لَم يَدرِ أحَدٌ مَن خالِقُهُ ولا مَن رازِقُهُ[4].

٣٤٢٤. الإمام الصادق عليه السلام: نَحنُ نَحمَدُ اللهَ عَلَى النِّعَمِ السّابِغَةِ وَالحُجَجِ البالِغَةِ، وَالبَلاءِ المَحمودِ عِندَ الخاصَّةِ وَالعامَّةِ، فَكانَ مِن نِعَمِهِ العِظامِ وآلائِهِ الجِسامِ الَّتي أنعَمَ بِها تَقريرُهُ قُلوبَهُم بِرُبوبِيَّتِهِ، وأَخذُهُ ميثاقَهُم بِمَعرِفَتِهِ.[5]

---

١. الأعراف: ١٠١.

٢. تفسير القمّي: ج ١ ص ٢٤٨، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٦٨، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٣٧ ح ١٤.

٣. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٣٩ ح ١٠٨، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٥٧ ح ٥٨.

٤. المحاسن: ج ١ ص ٣٧٦ ح ٨٢٦، بحارالأنوار: ج ٣ ص ٢٨٠ ح ١٦.

٥. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥٢ عن المفضّل بن عمر.

٣ / ١ ـ ٢
تَجَلّي الفِطرَةِ عِندَ الشَّدائِدِ

الكتاب

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.[١]

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.[٢]

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.[٣]

راجع: الزمر: ٨، ٤٩، يونس: ١٢، ٢٢، الإسراء: ٦٧، العنكبوت: ٦٥، الأنعام: ٤٠، ٤١.

الحديث

٣٤٢٥. ربيع الأبرار: قالَ رَجُلٌ لِجَعفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام: مَا الدَّليلُ عَلَى اللهِ؟ ولا تَذكُر لِيَ العالَمَ وَالعَرَضَ وَالجَوهَرَ.

فَقالَ لَهُ: هَل رَكِبتَ البَحرَ؟ قالَ: نَعَم.

قالَ: هَل عَصَفَت بِكُمُ الرّيحُ حَتّىٰ خِفتُمُ الغَرقَ؟ قالَ: نَعَم.

قالَ: فَهَلِ انقَطَعَ رَجاؤُكَ مِنَ المَركَبِ وَالمَلّاحينَ؟ قالَ: نَعَم.

قالَ: فَهَل تَتَبَّعَت نَفسُكَ أنَّ ثَمَّ مَن يُنجيكَ؟ قالَ: نَعَم.

---

١. الروم: ٣٣.

٢. يونس: ٩٠.

٣. النحل: ٥٣ و ٥٤.

قالَ: فَإِنَّ ذاكَ هُوَ اللهُ، قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾[١]، ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ﴾.[٢]

راجع: ص٢١ (الله عزّوجلّ)

و٤٥ (الفِطرَة)

و٥٩ (الميثاق الفِطريّ).

٣٤٢٦. الإمام العسكريّ عليه السلام ـ في قَولِ اللهِ عزّوجلّ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ـ: «اللهُ» هُوَ الَّذي يَتأَلَّهُ إِلَيهِ عِندَ الحَوائِجِ وَالشَّدائِدِ كُلُّ مَخلوقٍ عِندَ انقِطاعِ الرَّجاءِ مِن كُلِّ مَن هُوَ دونَهُ، وتَقَطُّعِ الأَسبابِ مِن جَميعِ ما سِواهُ. يَقولُ: بِاسمِ اللهِ أي: أَستَعينُ عَلىٰ أُموري كُلِّها بِاللهِ الَّذي لا تَحِقُّ العِبادَةُ إِلّا لَهُ، المُغيثِ إِذَا استُغيثَ، وَالمُجيبِ إِذا دُعِيَ. وهُوَ ما قالَ رَجُلٌ لِلصّادِقِ عليه السلام: يابنَ رَسولِ اللهِ، دُلَّني عَلَى اللهِ ما هُوَ؟ فَقَد أَكثَرَ عَلَيَّ المُجادِلونَ وحَيَّروني.

فَقالَ لَهُ: يا عَبدَ اللهِ، هَل رَكِبتَ سَفينَةً قَطُّ؟ قالَ: نَعَم.

قالَ: فَهَل كُسِرَ بِكَ حَيثُ لا سَفينَةَ تُنجيكَ ولا سِباحَةَ تُغنيكَ؟ قالَ: نَعَم.

قالَ: فَهَل تَعَلَّقَ قَلبُكَ هُنالِكَ أَنَّ شَيئاً مِنَ الأَشياءِ قادِرٌ عَلىٰ أن يُخَلِّصَكَ مِن وَرطَتِكَ؟ فَقالَ: نَعَم.

قالَ الصّادِقُ عليه السلام: فَذٰلِكَ الشَّيءُ هُوَ اللهُ القادِرُ عَلَى الإِنجاءِ حَيثُ لا مُنجِيَ، وعَلَى الإِغاثَةِ حَيثُ لا مُغيثَ. ثُمَّ قالَ الصّادِقُ عليه السلام: ولَرُبَّما تَرَكَ بَعضُ شيعَتِنا فِي افتِتاحِ أمرِهِ بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ، فَيَمتَحِنُهُ اللهُ بِمَكروهٍ لِيُنَبِّهَهُ عَلىٰ شُكرِ اللهِ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ وَالثَّناءِ عَلَيهِ، ويَمحَقَ عَنهُ وَصمَةَ تَقصيرِهِ عِندَ تَركِهِ قَولَ: بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ.

---

١. الإسراء: ٦٧.

٢. ربيع الأبرار: ج ١ ص ٦٦٣.

قالَ: وقامَ رَجُلٌ إلىٰ عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ عليه السلام فَقالَ: أخبِرني عَن مَعنىٰ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

فَقالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ عليه السلام: حَدَّثَني أبي عَن أخيهِ الحَسَنِ عَن أبيهِ أميرِ المُؤمِنينَ عليه السلام: أنَّ رَجُلاً قامَ إلَيهِ فَقالَ: يا أميرَ المُؤمِنينَ، أخبِرني عَن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ما مَعناهُ؟ فَقالَ: إنَّ قَولَكَ: «الله» أعظَمُ اسمٍ مِن أسماءِ اللهِ عزّ وجلّ، وهُوَ الاِسمُ الَّذي لا يَنبَغي أن يُسَمّىٰ بِهِ غَيرُ اللهِ، ولَم يَتَسَمَّ بِهِ مَخلوقٌ.

فَقالَ الرَّجُلُ: فَما تَفسيرُ قَولِهِ: «الله»؟

قالَ: هُوَ الَّذي يَتَألَّهُ إلَيهِ عِندَ الحَوائِجِ وَالشَّدائِدِ كُلُّ مَخلوقٍ عِندَ انقِطاعِ الرَّجاءِ مِن جَميعِ مَن هُوَ دونَهُ، وتَقَطُّعِ الأَسبابِ مِن كُلِّ مَن سِواهُ، وذٰلِكَ أنَّ كُلَّ مُتَرَئِّسٍ في هٰذِهِ الدُّنيا ومُتَعَظِّمٍ فيها وإن عَظُمَ غِناؤُهُ وطُغيانُهُ وكَثُرَت حَوائِجُ مَن دونَهُ إلَيهِ؛ فَإِنَّهُم سَيَحتاجونَ حَوائِجَ لا يَقدِرُ عَلَيها هٰذَا المُتَعاظِمُ، وكَذٰلِكَ هٰذَا المُتَعاظِمُ يَحتاجُ حَوائِجَ لا يَقدِرُ عَلَيها، فَيَنقَطِعُ إلَى اللهِ عِندَ ضَرورَتِهِ وفاقَتِهِ، حَتّىٰ إذا كَفىٰ هَمَّهُ عادَ إلىٰ شِركِهِ، أما تَسمَعُ اللهَ عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.[1]

فَقالَ اللهُ عزّ وجلّ لِعِبادِهِ: أيُّهَا الفُقَراءُ إلىٰ رَحمَتي، إنّي قَد ألزَمتُكُمُ الحاجَةَ إلَيَّ في كُلِّ حالٍ، وذِلَّةَ العُبودِيَّةِ في كُلِّ وَقتٍ، فَإِلَيَّ فَافزَعوا في كُلِّ أمرٍ تَأخُذونَ فيهِ، وتَرجونَ تَمامَهُ وبُلوغَ غايَتِهِ؛ فَإِنّي إن أرَدتُ أن اُعطِيَكُم لَم يَقدِر غَيري عَلىٰ مَنعِكُم، وإن أرَدتُ أن أمنَعَكُم لَم يَقدِر غَيري عَلىٰ إعطائِكُم؛ فَأَنا أحَقُّ مَن سُئِلَ، وأولىٰ مَن

---

١. الأنعام: ٤٠، ٤١.

تُضَرِّعَ إِلَيهِ، فَقولوا عِندَ افتِتاحِ كُلِّ أَمرٍ صَغيرٍ أو عَظيمٍ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، أي أَستَعينُ عَلىٰ هٰذَا الأَمرِ بِاللهِ الَّذي لا يَحِقُّ العِبادَةُ لِغَيرِهِ، المُغيثِ إِذَا استُغيثَ، المُجيبِ إِذا دُعي.[1]

٣ / ٢

اَلعَقلُ

٣ / ٢ ـ ١

العَقلُ أَوَّلُ الأُمورِ ومَبدَؤُها

٣٤٢٧. **الكافي عن الحسن بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام**: إِنَّ أَوَّلَ الأُمورِ ومَبدَأَها وقُوَّتَها وعِمارَتَهَا الَّتي لا يَنتَفِعُ شَيءٌ إِلّا بِهِ العَقلُ الَّذي جَعَلَهُ اللهُ زينَةً لِخَلقِهِ ونوراً لَهُم، فَبِالعَقلِ عَرَفَ العِبادُ خالِقَهُم وأَنَّهُم مَخلوقونَ، وأَنَّهُ المُدَبِّرُ لَهُم وأَنَّهُمُ المُدَبَّرونَ، وأَنَّهُ الباقي وهُمُ الفانونَ، وَاستَدَلّوا بِعُقولِهِم عَلىٰ ما رَأَوا مِن خَلقِهِ؛ مِن سَمائِهِ وأَرضِهِ، وشَمسِهِ وقَمَرِهِ، ولَيلِهِ ونَهارِهِ، وبِأَنَّ لَهُ ولَهُم خالِقاً ومُدَبِّراً لَم يَزَل ولا يَزولُ، وعَرَفوا بِهِ الحَسَنَ مِنَ القَبيحِ، وأَنَّ الظُّلمَةَ فِي الجَهلِ، وأَنَّ النّورَ فِي العِلمِ، فَهٰذا ما دَلَّهُم عَلَيهِ العَقلُ.

قيلَ لَهُ: فَهَل يَكتَفِي العِبادُ بِالعَقلِ دونَ غَيرِهِ؟

قالَ: إِنَّ العاقِلَ ـ لِدَلالَةِ عَقلِهِ الَّذي جَعَلَهُ اللهُ قِوامَهُ وزينَتَهُ وهِدايَتَهُ ـ عَلِمَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ، وأَنَّهُ هُوَ رَبُّهُ، وعَلِمَ أَنَّ لِخالِقِهِ مَحَبَّةً، وأَنَّ لَهُ كَراهِيَةً، وأَنَّ لَهُ طاعَةً، وأَنَّ لَهُ مَعصِيَةً، فَلَم يَجِد عَقلَهُ يَدُلُّهُ عَلىٰ ذٰلِكَ، وعَلِمَ أَنَّهُ لا يوصَلُ إِلَيهِ إِلّا بِالعِلمِ وطَلَبِهِ،

---

١. التوحيد: ص ٢٣٠ ح ٥، معاني الأخبار: ص ٤ ح ٢ وفيه إلى: «حَيثُ لا مغيث» وكلاهما عن يوسف بن محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن سيّار، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٤١ ح ١٦ وراجع: إرشاد القلوب: ص ١٦٨.

وأَنَّهُ لا يَنتَفِعُ بِعقلِهِ، إن لَم يُصِب ذٰلِكَ بِعلمِهِ، فَوَجَبَ عَلَى العاقِلِ طَلَبُ العِلمِ وَالأَدَبِ الَّذي لا قِوامَ لَهُ إلّا بِهِ.[1]

٣٤٢٨. الإمام الرضا عليه السلام: بِالعُقولِ يُعتَقَدُ التَّصديقُ بِاللهِ.[2]

٣ / ٢ ـ ٢

العاقِلُ لا يَستَطيعُ جَحدَ ما لا يَعرِفُ

٣٤٢٩. الكافي عن هشام بن الحكم: كانَ بِمِصرَ زِنديقٌ تَبلُغُهُ عَن أَبي عَبدِ اللهِ عليه السلام أشياءُ، فَخَرَجَ إلَى المَدينَةِ لِيُناظِرَهُ، فَلَم يُصادِفهُ بِها، وقيلَ لَهُ: إنَّهُ خارِجٌ بِمَكَّةَ، فَخَرَجَ إلىٰ مَكَّةَ ونَحنُ مَعَ أَبي عَبدِ اللهِ، فَصادَفَنا ونَحنُ مَعَ أَبي عَبدِ اللهِ عليه السلام فِي الطَّوافِ ـ وكانَ اسمَهُ عَبدُ المَلِكِ وكُنيَتَهُ أَبو عَبدِ اللهِ ـ فَضَرَبَ كِتفَهُ كِتفَ أَبي عَبدِ اللهِ عليه السلام، فَقالَ لَهُ أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: مَا اسمُكَ؟ فَقالَ: اسمي عَبدُ المَلِكِ.

قالَ: فَما كُنيَتُكَ؟ قالَ: كُنيَتي أَبو عَبدِ اللهِ.

فَقالَ لَهُ أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: فَمَن هٰذَا المَلِكُ الَّذي أنتَ عَبدُهُ؟ أمِن مُلوكِ الأَرضِ أم مِن مُلوكِ السَّماءِ؟ وأَخبِرني عَنِ ابنِكَ عَبدُ إلٰهِ السَّماءِ أم عَبدُ إلٰهِ الأَرضِ؟ قُل ما شِئتَ تُخصَمُ!

قالَ هِشامُ بنُ الحَكَمِ: فَقُلتُ لِلزِّنديقِ: أما تَرُدُّ عَلَيهِ؟ قالَ: فَقَبَّحَ قَولي. فَقالَ أبو عَبدِ اللهِ: إذا فَرَغتُ مِنَ الطَّوافِ فَأتِنا. فَلَمّا فَرَغَ أبو عَبدِ اللهِ أتاهُ الزِّنديقُ فَقَعَدَ بَينَ يَدَي أَبي عَبدِ اللهِ ونَحنُ مُجتَمِعونَ عِندَهُ، فَقالَ أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام لِلزِّنديقِ: أتَعلَمُ أنَّ لِلأَرضِ تَحتاً وفَوقاً؟ قالَ: نَعَم.

---

١. الكافي: ج ١ ص ٢٩ ح ٣٤.

٢. التوحيد: ص ٤٠ ح ٢ عن القاسم بن أيّوب العلوي، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٣٠ ح ٣.

قالَ: فَدَخَلتَ تَحتَها؟ قالَ: لا.

قالَ: فَما يُدريكَ ما تَحتُها؟ قالَ: لا أَدري إِلّا أَنّي أَظُنُّ أن لَيسَ تَحتَها شَيءٌ.

فَقالَ أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: فَالظَّنُّ عَجزٌ، لِما لا تَستَيقِنُ؟

ثُمَّ قالَ أَبو عَبدِ اللهِ: أَفَصَعِدتَ السَّماءَ؟ قالَ: لا.

قال: أَفَتَدري ما فيها؟ قالَ: لا.

قالَ: عَجَباً لَكَ! لَم تَبلُغِ المَشرِقَ، ولَم تَبلُغِ المَغرِبَ، ولَم تَنزِلِ الأَرضَ، ولَم تَصعَدِ السَّماءَ، ولَم تَجُز هُناكَ فَتَعرِفَ ما خَلفَهُنَّ، وأَنتَ جاحِدٌ بِما فيهِنَّ، وهَل يَجحَدُ العاقِلُ ما لا يَعرِفُ؟!

قالَ الزِّنديقُ: ما كَلَّمَني بِهٰذا أَحَدٌ غَيرُكَ!

فَقالَ أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: فَأَنتَ مِن ذٰلِكَ في شَكٍّ؛ فَلَعَلَّهُ هُوَ، ولَعَلَّهُ لَيسَ هُوَ؟

فَقالَ الزِّنديقُ: ولَعَلَّ ذٰلِكَ.

فَقالَ أَبو عَبدِاللهِ عليه السلام: أَيُّهَا الرَّجُلُ، لَيسَ لِمَن لا يَعلَمُ حُجَّةٌ عَلىٰ مَن يَعلَمُ، ولا حُجَّةَ لِلجاهِلِ. يا أَخا أَهلِ مِصرَ تَفَهَّم عَنّي، فَإِنّا لا نَشُكُّ فِي اللهِ أَبداً. أَما تَرَى الشَّمسَ وَالقَمَرَ وَاللَّيلَ وَالنَّهارَ يَلِجانِ فَلا يَشتَبِهانِ، ويَرجِعانِ قَدِ اضطُرّا لَيسَ لَهُما مَكانٌ إِلّا مَكانَهُما، فَإِن كانا يَقدِرانِ عَلىٰ أن يَذهَبا فَلِمَ يَرجِعانِ؟ وإِن كانا غَيرَ مُضطَرَّينِ فَلِمَ لا يَصيرُ اللَّيلُ نَهاراً وَالنَّهارُ لَيلاً؟ أُضطُرّا وَاللهِ يا أَخا أَهلِ مِصرَ إِلىٰ دَوامِهِما، وَالَّذِي اضطَرَّهُما أَحكَمُ مِنهُما وأَكبَرُ.

فَقالَ الزِّنديقُ: صَدَقتَ.[1]

---

١. الكافي: ج ١ ص ٧٢ ح ١، التوحيد: ص ٢٩٣ ح ٤ نحوه، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٥١ ح ٢٥.

٣ / ٢ ـ ٣

الاِحتِياطُ العَقليُّ فِي العَقائِدِ

٣٤٣٠. الإمام عليّ عليه السلام ـ مِمّا نُقِلَ عَنهُ عليه السلام، وقيلَ: هُما لِغَيرِهِ ـ:

زَعَمَ المُنَجِّمُ وَالطَّبيبُ كِلاهُما ... أن لا مَعادَ فَقُلتُ ذاكَ إلَيكُما

إن صَحَّ قَولُكُما فَلَستُ بِخاسِرٍ ... أو صَحَّ قَولي فَالوَبالُ عَلَيكُما[1]

٣٤٣١. عنه عليه السلام ـ فِي الدّيوانِ المَنسوبِ إلَيهِ ـ:

قالَ المُنَجِّمُ وَالطَّبيبُ كِلاهُما ... لَن يُحشَرَ الأَمواتُ قُلتُ إلَيكُما[2]

إن صَحَّ قَولُكُما فَلَستُ بِخاسِرٍ ... إن صَحَّ قَولي فَالخَسارُ إلَيكُما[3]

٣٤٣٢. الإمام الصادق عليه السلام ـ في مُناظَرَتِهِ لِلطَّبيبِ الهِندِيِّ ـ: قُلتُ: أرَأَيتَ إن كانَ القَولُ قَولَكَ، فَهَل يُخافُ عَلَيَّ شَيءٌ مِمّا أُخَوِّفُكَ بِهِ مِن عِقابِ اللهِ؟ قالَ: لا.

قُلتُ: أفَرَأَيتَ إن كانَ كَما أقولُ ـ وَالحَقُّ في يَدي ـ ألَستُ قَد أخَذتُ فيما كُنتُ أُحاذِرَ مِن عِقابِ الخالِقِ بِالثِّقَةِ، وأنَّكَ قَد وَقَعتَ بِجُحودِكَ وإنكارِكَ فِي الهَلَكَةِ؟ قالَ: بَلىٰ.

قُلتُ: فَأَيُّنا أولىٰ بِالحَزمِ وأقرَبُ مِنَ النَّجاةِ؟ قالَ: أنتَ.[4]

٣٤٣٣. الكافي عن أبي منصور المتطبّب: أخبَرَني رَجُلٌ مِن أصحابي، قالَ: كُنتُ أنَا وابنُ أبِي العَوجاءِ وعَبدُ اللهِ بنُ المُقَفَّعِ فِي المَسجِدِ الحَرامِ، فَقالَ ابنُ المُقَفَّعِ: تَرَونَ

---

١. مطالب السؤول: ص ٦٢، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ٨٧ ح ٩٢.

٢. في الطبعة المعتمدة: «إليهما»، والتصويب من طبعة أُخرى.

٣. الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ عليه السلام: ص ٥٢٠ الرقم ٣٩٣.

٤. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥٤ عن المفضّل بن عمر.

هٰذَا الخَلقَ ـ وأومَأَ بِيَدِهِ إِلىٰ مَوضِعِ الطَّوافِ ـ ما مِنهُم أحَدٌ أُوجِبُ لَهُ اسمَ الإِنسانِيَّةِ إِلّا ذٰلِكَ الشَّيخَ الجالِسَ ـ يَعني أبا عَبدِ اللهِ جَعفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ ـ فَأَمَّا الباقونَ فَرَعاعٌ[1] وبَهائِمُ.

فَقالَ لَهُ ابنُ أَبِي العَوجاءِ: وكَيفَ أَوجَبتَ هٰذَا الاِسمَ لِهٰذَا الشَّيخِ دونَ هٰؤُلاءِ؟

قالَ: لِأَنّي رَأَيتُ عِندَهُ ما لَم أرَهُ عِندَهُم.

فَقالَ لَهُ ابنُ أَبِي العَوجاءِ: لابُدَّ مِنِ اختِبارِ ما قُلتَ فيهِ مِنهُ.

قالَ: فَقالَ لَهُ ابنُ المُقَفَّعِ: لا تَفعَل؛ فَإِنّي أَخافُ أن يُفسِدَ عَلَيكَ ما في يَدِكَ.

فَقالَ: لَيسَ ذا رَأيَكَ، ولٰكِنَّكَ تَخافُ أن يَضعُفَ رأيُكَ عِندي في إِحلالِكَ إِيّاهُ المَحَلَّ الَّذي وَصَفتَ.

فَقالَ ابنُ المُقَفَّعِ: أمّا إِذا تَوَهَّمتَ عَلَيَّ هٰذا فَقُم إِلَيهِ، وتَحَفَّظ ما استَطَعتَ مِنَ الزَّلَلِ، ولا تَثنِ عِنانَكَ إِلَى استِرسالٍ فَيُسَلِّمَكَ إِلىٰ عِقالٍ، وسِمهُ ما لَكَ أو عَلَيكَ.

قالَ: فَقامَ ابنُ أَبِي العَوجاءِ، وبَقيتُ أنَا وَابنُ المُقَفَّعِ جالِسَينِ، فَلَمّا رَجَعَ إِلَينا ابنُ أَبِي العَوجاءِ، قالَ: وَيلَكَ يَابنَ المُقَفَّعِ، ما هٰذا بِبَشَرٍ! وإِن كانَ فِي الدُّنيا روحانِيٌّ يَتَجَسَّدُ إِذا شاءَ ظاهِراً ويَتَرَوَّحُ إِذا شاءَ باطِناً فَهُوَ هٰذا!

فَقالَ لَهُ: وكَيفَ ذٰلِكَ؟

قالَ: جَلَستُ إِلَيهِ، فَلَمّا لَم يَبقَ عِندَهُ غَيري ابتَدَأَني. فَقالَ: إِن يَكُنِ الأَمرُ عَلىٰ ما يَقولُ هٰؤُلاءِ ـ وهُوَ عَلىٰ ما يَقولونَ؛ يَعني أهلَ الطَّوافِ ـ فَقَد سَلِموا وعَطِبتُم، وإِن يَكُنِ الأَمرُ عَلىٰ ما تَقولونَ ـ ولَيسَ كَما تَقولونَ ـ فَقَدِ استَوَيتُم وهُم.

---

١. رَعاع الناس: غوغاؤهم وسقّاطهم و أخلاطهم، الواحد: رَعاعة (النهاية: ج ٢ ص ٢٣٥).

فَقُلتُ لَهُ: يَرحَمُكَ اللهُ! وأيَّ شَيءٍ نَقولُ؟ وأيَّ شَيءٍ يَقولونَ؟ ما قَولي وقولُهُم إلّا واحِداً.

فَقالَ: وكَيفَ يَكونُ قَولُكَ وقَولُهُم واحِداً وهُم يَقولونَ: إنَّ لَهُم مَعاداً وثَواباً وعِقاباً، ويَدينونَ بِأَنَّ فِي السَّماءِ إلٰهاً وأنَّها عُمرانٌ، وأنتُم تَزعُمونَ أنَّ السَّماءَ خَرابٌ لَيسَ فيها أحَدٌ؟[1]

٣٤٣٤. الكافي عن بعض أصحابنا رفعه ـ في مُناظَرَةِ الإمامِ الصّادِقِ عليه السلام مَعَ ابنِ أبِي العَوجاءِ، قالَ عليه السلام ـ: أرَأَيتَ لَو كانَ مَعَكَ كيسٌ فيهِ جَواهِرُ، فَقالَ لَكَ قائِلٌ: هَل فِي الكيسِ دينارٌ؟ فَنَفَيتَ كَونَ الدّينارِ فِي الكيسِ، فَقالَ لَكَ: صِف لِيَ الدّينارَ وكُنتَ غَيرَ عالِمٍ بِصِفَتِهِ، هَل كانَ لَكَ أن تَنفِيَ كَونَ الدّينارِ عَنِ الكيسِ وأنتَ لا تَعلَمُ؟ قالَ: لا.

فَقالَ أبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: فَالعالَمُ أكبَرُ وأطوَلُ وأعرَضُ مِنَ الكيسِ، فَلَعَلَّ فِي العالَمِ صَنعَةً مِن حَيثُ لا تَعلَمُ صِفَةَ الصَّنعَةِ مِن غَيرِ الصَّنعَةِ! فَانقَطَعَ عَبدُ الكَريمِ وأجابَ إلَى الإِسلامِ بَعضُ أصحابِهِ، وبَقِيَ مَعَهُ بَعضٌ.[2]

٣٤٣٥. الكافي عن محمّد بن عبد الله الخراسانيّ خادم الرضا عليه السلام: دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الزَّنادِقَةِ عَلىٰ أبِي الحَسَنِ عليه السلام وعِندَهُ جَماعَةٌ، فَقالَ أبو الحَسَنِ عليه السلام: أيُّهَا الرَّجُلُ، أرَأَيتَ إن كانَ القَولُ قَولَكُم ـ ولَيس هُوَ كَما تَقولونَ ـ ألَسنا وإيّاكُم شَرَعاً سَواءً، لا يَضُرُّنا ما صَلَّينا وصُمنا وزَكَّينا وأقرَرنا؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ، ثُمَّ قالَ أبُو الحَسَنِ عليه السلام: وإن كانَ القَولُ قَولَنا ـ وهُوَ قَولُنا ـ ألَستُم قَد هَلَكتُم ونَجَونا؟[3]

---

١. الكافي: ج ١ ص ٧٤ ح ٢، التوحيد: ص ١٢٦ ح ٤، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٤٢ ح ١٨.

٢. الكافي: ج ١ ص ٧٧ ذيل ح ٢، التوحيد: ص ٢٩٧ ح ٦، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٤٦ ح ٢٠.

٣. الكافي: ج ١ ص ٧٨ ح ٣، التوحيد: ص ٢٥٠ ح ٣، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣١ ح ٢٨، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٥٤ ح ٢٨١، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٦ ح ١٢.

٣ / ٢ _ ٤

العَقلُ لا يَستَطيعُ جَحدَ اللهِ

٣٤٣٦. الإمام عليّ عليه السلام : الحَمدُ للهِ... الَّذي بَطَنَ مِن خَفِيّاتِ الأُمورِ، وظَهَرَ فِي العُقولِ بِما يُرىٰ في خَلقِهِ مِن عَلاماتِ التَّدبيرِ، الَّذي سُئِلَتِ الأَنبياءُ عَنهُ، فَلَم تَصِفهُ بِحَدٍّ ولا بِبَعضٍ، بَل وَصَفَتهُ بِفِعالِهِ ودَلَّت عَلَيهِ بِآياتِهِ، لا تَستَطيعُ عُقولُ المُتَفَكِّرينَ جَحدَهُ؛ لِأَنَّ مَن كانَتِ السَّماواتُ وَالأَرضُ فِطرَتَهُ وما فيهِنَّ وما بَينَهُنَّ، وهُوَ الصّانِعُ لَهُنَّ؛ فَلا مَدفَعَ لِقُدرَتِهِ.[1]

٣٤٣٧. عنه عليه السلام ـ في بَيانِ عَظَمَةِ اللهِ جَلَّ و عَلا ـ : وأرانا مِن مَلَكوتِ قُدرَتِهِ، وعَجائِبِ ما نَطَقَت بِهِ آثارُ حِكمَتِهِ، وَاعتِرافِ الحاجَةِ مِنَ الخَلقِ إلىٰ أن يُقيمَها بِمِساكِ[2] قُوَّتِهِ، ما دَلَّنا بِاضطِرارِ قِيامِ الحُجَّةِ لَهُ عَلىٰ مَعرِفَتِهِ. فَظَهَرَتِ البَدائِعُ الَّتي أحدَثَتها آثارُ صَنعَتِهِ وأَعلامُ حِكمَتِهِ، فَصارَ كُلُّ ما خَلَقَ حُجَّةً لَهُ ودَليلاً عَلَيهِ؛ وإن كانَ خَلقاً صامِتاً، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدبيرِ ناطِقَةٌ، ودَلالَتُهُ عَلَى المُبدِعِ قائِمَةٌ.[3]

٣٤٣٨. عنه عليه السلام : الحَمدُ للهِ الَّذي بَطَنَ خَفِيّاتِ الأُمورِ، ودَلَّت عَلَيهِ أَعلامُ الظُّهورِ، وَامتَنَعَ عَلىٰ عَينِ البَصيرِ؛ فَلا عَينُ مَن لَم يَرَهُ تُنكِرُهُ، ولا قَلبُ مَن أثبَتَهُ يُبصِرُهُ... فَهُوَ الَّذي تَشهَدُ لَهُ أَعلامُ الوُجودِ عَلىٰ إقرارِ قَلبِ ذِي الجُحودِ.[4]

٣٤٣٩. الإمام زين العابدين عليه السلام : الحَمدُ للهِ... ذِي المِنَنِ الَّتي لا يُحصيهَا العادّونَ، وَالنِّعَمِ

---

١. الكافي: ج ١ ص ١٤١ ح ٧، التوحيد: ص ٣١ ح ١ وفيه «بنقص» بدل «ببعض» وكلاهما عن الحارث الأعور، بحارالأنوار: ج ٤ ص ٢٦٥ ح ١٤.

٢. مِساك ـ بالكسر ـ: ما يُمسك ويعصَم به (شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ٤١١).

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٩١ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٠٧ ح ٩٠.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ٤٩، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٠٨ ح ٣٦.

الَّتي لا يُجازيهَا المُجتَهِدونَ، وَالصَّنائِعِ الَّتي لا يَستَطيعُ دَفعَها الجاحِدونَ، وَالدَّلائِلِ الَّتي يَستَبصِرُ بِنورِهَا المَوجودونَ.[1]

راجع: ص١١٧ (الباب الأوّل: جوامع آيات معرفة الله في الخلقة).

٣ / ٣

اَلقَلبُ

٣ / ٣ ـ ١

رُؤيَةُ اللهِ بِالقَلبِ

الكتاب

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾.[2]

الحديث

٣٤٤٠. **مجمع البيان عن أبي ذرّ وأبي سعيد الخدري:** إنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله سُئِلَ عَن قَولِهِ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾.

قالَ: رَأَيتُ نوراً.[3]

٣٤٤١. **التوحيد عن محمّد بن الفضيل:** سَأَلتُ أَبَا الحَسَنِ عليه السلام: هَل رَأىٰ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله رَبَّهُ عزّ وجلّ؟ فَقالَ: نَعَم بِقَلبِهِ رَآهُ، أما سَمِعتَ اللهَ عزّ وجلّ يَقولُ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ أي لَم يَرَهُ بِالبَصَرِ، ولٰكِن رَآهُ بِالفُؤادِ.[4]

---

١. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٥٣ ح ٢٢ نقلاً عن كتاب أنيس العابدين.

٢. النجم: ١١.

٣. مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٦٥، بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٨٨.

٤. التوحيد: ص ١١٦ ح ١٧، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤٣ ح ١٩ وراجع: الأمالي للسيّد المرتضى: ج ١ ص ١٠٣ و روضة الواعظين: ص ٤١.

٣٤٤٢. رسول الله ﷺ: أسأَلُكَ بِالاِسمِ الَّذي فَتَقتَ بِهِ رَتقَ عَظيمِ جُفونِ عُيونِ النّاظِرينَ، الَّذي بِهِ تَدبيرُ حِكمَتِكَ وشَواهِدُ حُجَجِ أَنبِيائِكَ، يَعرِفونَكَ بِفِطَنِ القُلوبِ، وأَنتَ في غَوامِضِ مُسَرّاتِ سَريراتِ الغُيوبِ.[1]

٣٤٤٣. عنه ﷺ: يا مَن لا يَبعُدُ عَن قُلوبِ العارِفينَ.[2]

٣٤٤٤. السنن الكبرى عن أبي ذرّ: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ تَبارَكَ وتَعالىٰ بِقَلبِهِ ولَم يَرَهُ بِبَصَرِهِ.[3]

٣٤٤٥. رسول الله ﷺ: رَأَيتُ رَبّي ﷻ لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ.[4]

٣٤٤٦. عنه ﷺ: رَأَيتُ رَبّي ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ.[5]

٣٤٤٧. صحيح مسلم عن أبي ذرّ: سَأَلتُ رَسولَ اللهِ ﷺ: هَل رَأَيتَ رَبَّكَ؟

قالَ: نورٌ، أَنّىٰ[6] أَراهُ؟[7]

---

١. مهج الدعوات: ص ١٠٣ عن محمّد بن عليّ بن أبي طالب ﷺ، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٤٠٤ ح ٥.

٢. البلد الأمين: ص ٤٠٧، المصباح للكفعمي: ص ٣٤٣، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٣٩٢.

٣. السنن الكبرى للنسائي: ج ٦ ص ٤٧٢ ح ١١٥٣٦.

٤. الفردوس: ج ٢ ص ٢٥٤ ح ٣١٨٣ عن ابن عبّاس.

٥. مسند ابن حنبل: ج ١ ص ٦١١ ح ٢٥٨٠ وص ٦٢١ ح ٢٦٣٤، السنّة لابن أبي عاصم: ص ١٨٨ ح ٤٣٢ كلّها عن ابن عبّاس، كنز العمّال: ج ١٤ ص ٤٤٨ ح ٣٩٢٠٩.

٦. قوله: «نور أنّى أراه» هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأُصول والروايات. ومعناه: حجابه النور فكيف أراه. قال الإمام أبو عبد الله المازري: الضمير في «أراه» عائد على الله سبحانه وتعالى، ومعناه أنّ النور منعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه (هامش المصدر). ويحتمل أن يقرأ هكذا: «إنّي أراه» وبه ينسجم مع الرواية الأُولى من الباب والرواية اللاحقة بل مع جميع روايات الباب.

٧. صحيح مسلم: ج ١ ص ١٦١ ح ٢٩١، سنن الترمذي: ج ٥ ص ٣٩٦ ح ٣٢٨٢ وفيه «هل سألته فقال: نورانيٌّ أراه»، مسند ابن حنبل: ج ٨ ص ٩٠ ح ٢١٤٥٠ وص ٧١ ح ٢١٣٧١ وفيه «قد رأيته نوراً أنّى أراه»، مسند الطيالسي: ص ٦٤ ح ٤٧٤، كنز العمّال: ج ١١ ص ٤٠٠ ح ٣١٨٦٤.

٣٤٤٨. صحيح مسلم عن عبد الله بن شقيق: قُلتُ لِأَبي ذَرٍّ: لَو رَأَيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ لَسَأَلتُهُ.

فَقالَ: عَن أيِّ شَيءٍ كُنتَ تَسأَلُهُ؟

قالَ: كُنتُ أسأَلُهُ: هَل رَأَيتَ رَبَّكَ؟

قالَ أَبو ذَرٍّ: قَد سَأَلتُ، فَقالَ: رَأَيتُ نوراً.[١]

٣٤٤٩. مجمع البيان عن أبي العالية: سُئِلَ رَسولُ اللهِ ﷺ هَل رَأَيتَ رَبَّكَ لَيلَةَ المِعراجِ؟ قالَ: رَأَيتُ نَهراً، ورَأَيتُ وَراءَ النَّهرِ حِجاباً، ورَأَيتُ وَراءَ الحِجابِ نوراً لَم أرَ غَيرَ ذٰلِكَ.[٢]

٣٤٥٠. الإمام الرضا عليه السلام: قالَ: رَسولُ اللهِ ﷺ: لَمّا أُسرِيَ بي إلَى السَّماءِ، بَلَغَ بي جَبرَئيلُ مَكاناً لَم يَطَأهُ قَطُّ جَبرَئيلُ. فَكُشِفَ لَهُ، فَأَراهُ اللهُ مِن نورِ عَظَمَتِهِ ما أَحَبَّ.[٣]

٣٤٥١. التوحيد عن مرازم عن الإمام الصادق عليه السلام: سَمِعتُهُ يَقولُ: رَأىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ رَبَّهُ عزّ وجلّ. يَعني بِقَلبِهِ.[٤]

٣٤٥٢. الإمام عليّ عليه السلام: ما رَأَيتُ شَيئاً إلّا وقَد رَأَيتُ اللهَ قَبلَهُ[٥].

٣٤٥٣. عنه عليه السلام: لَم أَعبُد رَبّاً لَم أَرَهُ، ما رَأَيتُ شَيئاً إلّا ورَأَيتُ اللهَ فيهِ أو قَبلَهُ أو مَعَهُ[٦].

٣٤٥٤. عنه عليه السلام ـ في مُناظَرَتِهِ لِليَهودِيِّ الشّامِيِّ، وقَد قالَ لَهُ: فَإِنَّ هٰذا سُلَيمانُ أُعطِيَ مُلكاً

---

١. صحيح مسلم: ج ١ ص ١٦١ ح ٢٩٢، السنّة لابن أبي عاصم: ص ١٩٢ ح ٤٤١.

٢. مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٦٤، بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٨٨؛ الدرّ المنثور: ج ٧ ص ٦٤٨ نقلاً عن ابن المنذر وابن أبي حاتم.

٣. الكافي: ج ١ ص ٩٨ ح ٨، التوحيد: ص ١٠٨ ح ٤ وفيه «فأراني الله» بدل «فأراه الله»، قرب الإسناد: ص ٣٥٧ ح ١٢٧٥ نحوه وكلّها عن ابن أبي نصر، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٨ ح ١٥.

٤. التوحيد: ص ١١٦ ح ١٦، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤٣ ح ١٩.

٥. الأسفار الأربعة: ج ٥ ص ٢٧، تفسير كنزالدقائق: ج ١٤ ص ٤٧٩، شرح أُصول الكافي (ملّا محمّد صالح مازندراني): ج ٣ ص ٨٣ ح ١ عن الفضل بن سكن عن الإمام الصادق عنه عليه السلام، و ص ٩٨ ح ١، الميزان في تفسير القرآن: ج ٨ ص ٢٦٦.

٦. شرح الأسماء الحسنى للسبزواري: ص ١٨٩، الأسفار الأربعة: ج ١ ص ١١٧ نحوه.

لا يَنبَغي لِأَحَدٍ مِن بَعدِهِ! ـ: لَقد كانَ كَذٰلِكَ، ومُحَمَّدٌ ﷺ أُعطِيَ ما هُوَ أفضَلُ مِن هٰذا؛ إنَّهُ أُسرِيَ بِهِ مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ إلَى المَسجِدِ الأَقصىٰ مَسيرَةَ شَهرٍ، وعُرِجَ بِهِ فِي مَلَكوتِ السَّماواتِ مَسيرَةَ خَمسينَ ألفَ عامٍ، في أقَلَّ مِن ثُلثِ لَيلَةٍ، حَتَّى انتَهىٰ إلىٰ ساقِ العَرشِ، فَدَنا بِالعِلمِ فَتَدَلّىٰ فَدُلِّيَ لَهُ مِنَ الجَنَّةِ رَفرَفٌ أخضَرُ، وغَشِيَ النُّورُ بَصَرَهُ، فَرَأىٰ عَظَمَةَ رَبِّهِ ﷻ بِفُؤادِهِ ولَم يَرَها بِعَينِهِ، فَكانَ كَقابِ قَوسَينِ بَينَهُ وبَينَها أو أدنىٰ.[1]

٣٤٥٥. عنه ﷺ ـ مِن دُعاءٍ عَلَّمَهُ نوفاً البِكالِيَّ ـ: إلٰهي تَناهَت أبصارُ النّاظِرينَ إلَيكَ بِسَرائِرِ القُلوبِ، وطالَعَت أصغَى السّامِعينَ لَكَ نَجِيّاتِ الصُّدورِ، فَلَم يَلقَ أبصارُهُم رَدّاً دونَ ما يُريدونَ، هَتَكتَ بَينَكَ وبَينَهُم حُجُبَ الغَفلَةِ، فَسَكَنوا في نورِكَ، وتَنَفَّسوا بِروحِكَ.[2]

٣٤٥٦. الإمام الحسين ﷺ ـ مِن دُعائِهِ يَومَ عَرَفَةَ ـ: أنتَ الَّذي أشرَقتَ الأَنوارَ في قُلوبِ أولِيائِكَ، حَتّىٰ عَرَفوكَ ووَحَّدوكَ.[3]

٣٤٥٧. عنه ﷺ ـ مِن دُعائِهِ يَومَ عَرَفَةَ ـ: كَيفَ يُستَدَلُّ عَلَيكَ بِما هُوَ في وُجودِهِ مُفتَقِرٌ إلَيكَ، أيَكونُ لِغَيرِكَ مِنَ الظُّهورِ ما لَيسَ لَكَ حَتّىٰ يَكونَ هُوَ المُظهِرُ لَكَ؟ مَتىٰ غِبتَ حَتّىٰ تَحتاجَ إلىٰ دَليلٍ يَدُلُّ عَلَيكَ؟! ومَتىٰ بَعُدتَ حَتّىٰ تَكونَ الآثارُ هِيَ الَّتي توصِلُ إلَيكَ؟! عَمِيَت عَينٌ لا تَراكَ عَلَيها رَقيباً، وخَسِرَت[4] صَفقَةُ عَبدٍ لَم تَجعَل لَهُ مِن حُبِّكَ نَصيباً.

إلٰهي أمَرتَ بِالرُّجوعِ إلَى الآثارِ فَأَرجِعني إلَيكَ بِكِسوَةِ الأَنوارِ وهِدايَةِ

---

١. الاحتجاج: ج ١ ص ٥٢١ ح ١٢٧ عن الإمام الكاظم عن آبائه ﷺ، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٢٠ ح ١٦.

٢. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٩٥ ح ١٢ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي عن نوف البكالي.

٣. الإقبال (الطبعة الحجريّة): ص ٣٤٩، بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٢٢٦.

٤. كما في بحار الأنوار، وفي المصدر: «حسرت»، والظاهر أنّه تصحيف.

الاِستِبصارِ، حَتّىٰ أَرجِعَ إلَيكَ مِنها كَما دَخَلتُ إلَيكَ مِنها، مَصونَ السِّرِّ عَنِ النَّظَرِ إلَيها، ومَرفوعَ الهِمَّةِ عَنِ الاِعتِمادِ عَلَيها، إنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.[١]

٣٤٥٨. **الإمام زين العابدين** عليه السلام: لَيسَ بَينَ اللهِ وبَينَ حُجَّتِهِ حِجابٌ، فَلا[٢] للهِ دونَ حُجَّتِهِ سِترٌ.[٣]

٣٤٥٩. **الكافي عن يعقوب بن إسحاق**: كَتَبتُ إلىٰ أبي مُحَمَّدٍ عليه السلام... وسَأَلتُهُ: هَل رَأىٰ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله رَبَّهُ؟

فَوَقَّعَ عليه السلام: إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ أرىٰ رَسولَهُ بِقَلبِهِ مِن نورِ عَظَمَتِهِ ما أحَبَّ.[٤]

٣ / ٣ ـ ٢

مَعنىٰ رُؤيَةِ اللهِ بِالقَلبِ

٣٤٦٠. **الإمام الصادق** عليه السلام: بَينا أميرُ المُؤمِنينَ عليه السلام يَخطُبُ عَلىٰ مِنبَرِ الكوفَةِ، إذ قامَ إلَيهِ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ ذِعلِبٌ، ذو لِسانٍ بَليغٍ فِي الخُطَبِ شُجاعُ القَلبِ، فَقالَ: يا أميرَ المُؤمِنينَ هَل رَأَيتَ رَبَّكَ؟

قالَ: وَيلَكَ يا ذِعلِبُ، ما كُنتُ أعبُدُ رَبّاً لَم أرَهُ.

فَقالَ: يا أميرَ المُؤمِنينَ كَيفَ رَأَيتَهُ؟

قالَ: وَيلَكَ يا ذِعلِبُ، لَم تَرَهُ العُيونُ بِمُشاهَدَةِ الأَبصارِ ولٰكِن رَأَتهُ القُلوبُ بِحَقائِقِ الإِيمانِ، وَيلَكَ يا ذِعلِبُ، إنَّ رَبّي لَطيفُ اللَّطافَةِ لا يوصَفُ بِاللُّطفِ، عَظيمُ العَظَمَةِ لا يوصَفُ بِالعِظَمِ، كَبيرُ الكِبرِياءِ لا يوصَفُ بِالكِبَرِ، جَليلُ الجَلالَةِ لا يوصَفُ بِالغِلَظِ،

---

١. الإقبال (الطبعة الحجريّة): ص ٣٤٨، بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٤٢ وفيه صدره إلى «نصيباً».

٢. في بعض النسخ: «ولا» (هامش المصدر).

٣. معاني الأخبار: ص ٣٥ ح ٥ عن ثابت الثمالي، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١٢ ح ٥.

٤. الكافي: ج ١ ص ٩٥ ح ١، التوحيد: ص ١٠٨ ح ٢، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤٣ ح ٢١.

قَبلَ كُلِّ شَيءٍ لا يُقالُ شَيءٌ قَبلَهُ، وبَعدَ كُلِّ شَيءٍ لا يُقالُ لَهُ بَعدُ، شاءَ الأَشياءَ لا بِهِمَّةٍ، دَرّاكٌ[1] لا بِخَديعَةٍ فِي الأَشياءِ كُلِّها، غَيرُ مُتَمازِجٍ بِها ولا بائِنٌ مِنها، ظاهِرٌ لا بِتَأويلِ المُباشَرَةِ، مُتَجَلٍّ[2] لا بِاستِهلالِ رُؤيَةٍ، ناءٍ لا بِمَسافَةٍ، قَريبٌ لا بِمُداناةٍ.[3]

٣٤٦١. عنه عليه السلام: إنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهودِ أتىٰ أميرَ المُؤمِنينَ عليه السلام فَقالَ: يا عَلِيُّ، هَل رَأَيتَ رَبَّكَ؟

فَقالَ: ما كُنتُ بِالَّذي أعبُدُ إلٰهاً لَم أرَهُ. ثُمَّ قالَ: لَم تَرَهُ العُيونُ في مُشاهَدَةِ الأَبصارِ، غَيرَ أنَّ الإِيمانَ بِالغَيبِ بَينَ عَقدِ القُلوبِ.[4]

٣٤٦٢. الكافي عن سنان: حَضَرتُ أبا جَعفَرٍ عليه السلام، فَدَخَلَ عَلَيهِ رَجُلٌ مِنَ الخَوارِجِ، فَقالَ لَهُ: يا أبا جَعفَرٍ، أيَّ شَيءٍ تَعبُدُ؟

قالَ: اللهَ تَعالىٰ.

قالَ: رَأَيتَهُ؟

قالَ: بَل لَم تَرَهُ العُيونُ بِمُشاهَدَةِ الأَبصارِ، ولٰكِن رَأَتهُ القُلوبُ بِحَقائِقِ الإِيمانِ.[5]

٣٤٦٣. تاريخ دمشق عن المدائني: بَينَما مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ في فِناءِ الكَعبَةِ، فَإِذا أعرابِيٌّ فَقالَ لَهُ: هَل رَأَيتَ اللهَ حَيثُ عَبَدتَهُ؟

---

١. الدَّرْكُ: اللَّحاق والوصول إلى الشيء (النهاية: ج ٢ ص ١١٤).

٢. الجَليّ: نقيض الخفيّ، وتجلّى الشيء: انكشف (الصحاح: ج ٦ ص ٢٣٠٣).

٣. الكافي: ج ١ ص ١٣٨ ح ٤، التوحيد: ص ٣٠٨ ح ٢، عن عبدالله بن يونس، الأمالي للصدوق: ص ٤٢٣ ح ٥٦٠ عن الأصبغ بن نباتة عن الإمام عليّ عليه السلام نحوه، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٧ ح ٢.

٤. المحاسن: ج ١ ص ٣٧٣ ح ٨١٧، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٥٣ ح ٣٠.

٥. الكافي: ج ١ ص ٩٧ ح ٥، التوحيد: ص ١٠٨ ح ٥، الاحتجاج: ج ٢ ص ١٦٦ ح ١٩٥ وص ٢١١ ح ٢٢١ عن يونس بن ظبيان عن الإمام الصادق عليه السلام، الأمالي للصدوق: ص ٣٥٢ ح ٤٢٧، إرشاد القلوب: ص ١٦٧ عن الإمام الصادق عليه السلام وفي الثلاثة الأخيرة «العيان» بدل «الأبصار»، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٦ ح ١.

فَأَطرَقَ وأَطرَقَ مَن كانَ حَولَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ إلَيهِ فَقالَ: ما كُنتُ لِأَعبُدَ شَيئاً لَم أرَهُ.

فَقالَ: وكَيفَ رَأَيتَهُ؟

قالَ: لَم تَرَهُ الأَبصارُ بِمُشاهَدَةِ العِيانِ، ولٰكِن رَأَتهُ القُلوبُ بِحَقائِقِ الإِيمانِ، لا يُدرَكُ بِالحَواسِّ، ولا يُقاسُ بِالنّاسِ، مَعروفٌ بِالآياتِ، مَنعوتٌ بِالعَلاماتِ، لا يَجورُ في قَضِيَّتِهِ، بانَ مِنَ الأَشياءِ وبانَتِ الأَشياءُ مِنهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ذٰلِكَ اللهُ لا إلٰهَ إلّا هُوَ.

فَقالَ الأَعرابِيُّ: اللهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالاتِهِ.[١]

٣٤٦٤. كفاية الأثر عن هشام: كُنتُ عِندَ الصّادِقِ جَعفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام إذ دَخَلَ عَلَيهِ مُعاوِيَةُ بنُ وَهَبٍ، وعَبدُ المَلِكِ بنُ أَعيَنَ، فَقالَ لَهُ مُعاوِيَةُ بنُ وَهَبٍ: يَابنَ رَسولِ اللهِ، ما تَقولُ فِي الخَبَرِ الَّذي رُوِيَ أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله رَأىٰ رَبَّهُ، عَلىٰ أيِّ صورَةٍ رَآهُ؟ وعَنِ الحَديثِ الَّذي رَوَوهُ أنَّ المُؤمِنينَ يَرَونَ رَبَّهُم فِي الجَنَّةِ، عَلىٰ أيِّ صورَةٍ يَرَونَهُ؟

فَتَبَسَّمَ عَلَيهِ السَّلامُ، ثُمَّ قالَ: يا فُلانُ، ما أقبَحَ بِالرَّجُلِ يَأتي عَلَيهِ سَبعونَ سَنَةً، أو ثَمانونَ سَنَةً، يَعيشُ في مِلكِ اللهِ، ويَأكُلُ مِن نِعَمِهِ، لا يَعرِفُ اللهَ حَقَّ مَعرِفَتِهِ.

ثُمَّ قالَ عليه السلام: يا مُعاوِيَةُ، إنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لَم يَرَ رَبَّهُ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ بِمُشاهَدَةِ العِيانِ، وإنَّ الرُّؤيَةَ عَلىٰ وَجهَينِ: رُؤيَةَ القَلبِ ورُؤيَةَ البَصَرِ؛ فَمَن عَنىٰ بِرُؤيَةِ القَلبِ فَهُوَ مُصيبٌ، ومَن عَنىٰ بِرُؤيَةِ البَصَرِ فَقَد كَفَرَ بِاللهِ وبِآياتِهِ؛ لِقَولِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله: مَن شَبَّهَ اللهَ بِخَلقِهِ فَقَد كَفَرَ.[٢]

---

١. تاريخ دمشق: ج ٥٤ ص ٢٨٢؛ الإرشاد: ج ١ ص ٢٢٤، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٩٣ ح ١٢٣ كلاهما عن الإمام علي عليه السلام، الأمالي للسيّد المرتضى: ج ١ ص ١٠٤، كشف الغمّة: ج ٢ ص ٤١٨، روضة الواعظين: ص ٤١ عن الإمام الصادق عليه السلام وكلّها نحوه، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٢ ح ٨.

٢. كفاية الأثر: ص ٢٥٦، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٥٤ ح ٣٤.

٣٤٦٥. التوحيد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: قُلتُ لَهُ: أَخبِرني عَنِ اللهِ عز و جل هَل يَراهُ المُؤمِنونَ يَومَ القِيامَةِ؟

قالَ: نَعَم، وقَد رَأَوهُ قَبلَ يَومَ القِيامَةِ.

فَقُلتُ: مَتىٰ؟

قالَ: حينَ قالَ لَهُم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[1]، ثُمَّ سَكَتَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: وإِنَّ المُؤمِنينَ لَيَرَونَهُ فِي الدُّنيا قَبلَ يَومِ القِيامَةِ، أَلَستَ تَراهُ في وَقتِكَ هٰذا؟

قالَ أبو بَصيرٍ: فَقُلتُ لَهُ: جُعِلتُ فِداكَ! فَأُحَدِّثُ بِهٰذا عَنكَ؟

فَقالَ: لا، فَإِنَّكَ إِذا حَدَّثتَ بِهِ فَأَنكَرَهُ مُنكِرٌ جاهِلٌ بِمَعنىٰ ما تَقولُهُ، ثُمَّ قَدَّرَ أَنَّ ذٰلِكَ تَشبيهٌ كَفَرَ، ولَيسَتِ الرُّؤيَةُ بِالقَلبِ كَالرُّؤيَةِ بِالعَينِ، تَعالَى اللهُ عَمّا يَصِفُهُ المُشَبِّهونَ وَالمُلحِدونَ.[2]

٣٤٦٦. الإمام الصادق عليه السلام ـ لِزِنديقٍ سَأَلَهُ كَيفَ يَعبُدُ اللهَ الخَلقُ ولَم يَرَوهُ؟ ـ: رَأَتهُ القُلوبُ بِنورِ الإِيمانِ، وأَثبَتَتهُ العُقولُ بِيَقظَتِها إِثباتَ العِيانِ، وأَبصَرَتهُ الأَبصارُ بِما رَأَتهُ مِن حُسنِ التَّركيبِ، وإِحكامِ التَّأليفِ، ثُمَّ الرُّسُلُ وآياتُها، وَالكُتُبُ ومُحكَماتُها، وَاقتَصَرَتِ العُلَماءُ عَلىٰ ما رَأَت مِن عَظَمَتِهِ دونَ رُؤيَتِهِ.[3]

٣٤٦٧. عنه عليه السلام ـ حينَ سَأَلَهُ مُحَمَّدٌ الحَلَبِيُّ: هَل رَأىٰ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه و آله رَبَّهُ؟ ـ:

نَعَم، رَآهُ بِقَلبِهِ. فَأَمّا رَبُّنا ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ فَلا تُدرِكُهُ أبصارُ النّاظِرينَ، وَلا تُحيطُ بِهِ أسماعُ السّامِعينَ.[4]

---

١. الأعراف: ١٧٢.

٢. التوحيد: ص ١١٧ ح ٢٠، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤٤ ح ٢٤.

٣. الاحتجاج: ج ٢ ص ٢١٢ ح ٢٢٣، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١٦٤ ح ٢.

٤. الأمالي للسيّد المرتضى: ج ١ ص ١٠٣، روضة الواعظين: ص ٤١، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٥٤ ح ٣٢.

دِراسَةٌ حَولَ رُؤيَةِ اللهِ القَلبِيَّةِ

القلب أحد طرق معرفة الله بناءً على ما ورد في أحاديث هذا الباب. فليس بإمكاننا رؤية الله بالقلب فحسب، بل صرّح عظماء المسلمين عن تجربتهم في رؤيته القلبية.

والسؤال هنا: ما المقصود برؤية الله القلبية؟ ألا يمكننا القول بتعذّر رؤية الله بالقلب بنفس السبب الّذي امتنعت رؤيته بالبصر؟!

أقسام الرؤية القلبية

الجواب هو أنّ هناك معنيين لرؤية الله القلبية، أحدهما ممكن، والآخر ممتنع:

١. إحاطة القلب بالله

المعنى الأوّل للرؤية القلبية هو: أن يحيط القلب بالذّات المقدّسة لله سبحانه، ويدركه الإنسان ببصيرة قلبه. وهذا الصنف من الرؤية القلبية لله مستحيلة كالرؤية الحسية. فليس بإمكان المحدود أن يحيط باللامحدود. ولا فرق في هذا بين البصيرة والباصرة، وكما يقول الإمام علي عليه السلام:

لا تُحيطُ بِهِ الأَبصارُ وَالقُلوبُ.[١]

وأيضاً ممّا قالهﷺ:

عَظُمَ أن تَثبُتَ رُبوبِيَّتُهُ بِإحاطَةِ قَلبٍ أو بَصَرٍ.[٢]

٢. المعرفة الشهودية لله

المعنى الآخر للرؤية القلبية هو: شكل من التجارب الباطنية الّتي تنكشف بموجبها الحُجب المظلمة والنورانية، وتتجلّى أنوار جلال الحقّ ﷻ وجماله للسالك. وتسمّى هذه الحالة بالمعرفة الشهودية، وأيّ بيان لهذه الحالة للمحجوبة قلوبهم، كوصف الجمال لشخص أعمى.

وقد وصف مَن حاز شرف المعرفة الشهودية حالته الباطنية بعبارات كـ«تجلّى الله للقلب»، و«رؤية أنوار العظمة الإلهية»، و«الاتصال بمعدن العظمة». لكن الحقيقة أنّ المعنى الحقيقي لهذه الجمل غير قابل للاستيعاب أيضاً للقلوب المحجوبة.

---

١. راجع: ص ٣١٩ ح ٣٨٠٣.

٢. راجع: ص ٣١٨ ح ٣٨٠٢.

الفصل الرّابع

طُرُقُ مَعرِفَةِ اللهِ

٤ / ١
مَعرِفَةُ النَّفسِ

الكتاب

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.[1]

الحديث

٣٤٦٨. الإمام الصادق عليه السلام ـ في قَولِهِ سُبحانَهُ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ـ: إنَّهُ خَلَقَكَ سَميعاً بَصيراً، تَغضَبُ وتَرضىٰ، وتَجوعُ وتَشبَعُ؛ وذٰلِكَ كُلُّهُ مِن آياتِ اللهِ تَعالىٰ.[2]

٣٤٦٩. التوحيد عن هشام بن سالم[3]: حَضَرتُ مُحَمَّدَ بنَ النُّعمانِ الأَحوَلَ، فَقامَ إلَيهِ رَجُلٌ فَقالَ لَهُ: بِمَ عَرَفتَ رَبَّكَ؟

---

١. الذاريات: ٢٠ و٢١.

٢. مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٣٥، تفسير القمّي: ج ٢ ص ٣٣٠ من دون إسنادٍ إلى المعصوم وفيه «تغضب مرّة وترضى مرّة».

٣. هذا النصّ وإن لم يكن عن المعصوم عليه السلام إلّا أنّه ينتهي إلى هشام بن الحكم وهو من أجلّاء أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وأفضلهم في علم الكلام، فالذي يقوى في النظر أنّه مؤيّد من الإمام عليه السلام فلذلك أوردناه هنا.

قالَ: بِتَوفيقِهِ وإرشادِهِ وتَعريفِهِ وهِدايَتِهِ.

قالَ: فَخَرَجتُ مِن عِندِهِ، فَلَقيتُ هِشامَ بنَ الحَكَمِ، فَقُلتُ لَهُ: ما أقولُ لِمَن يَسألُني فَيَقولُ لي: بِمَ عَرَفتَ رَبَّكَ؟

فَقالَ: إن سَألَ سائِلٌ فَقالَ: بِمَ عَرَفتَ رَبَّكَ؟ قُلتَ: عَرَفتُ اللهَ ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ بِنَفسي؛ لِأَنَّها أقرَبُ الأَشياءِ إلَيَّ، وذٰلِكَ أنّي أجِدُها أبعاضاً مُجتَمِعَةً وأجزاءً مُؤتَلِفَةً، ظاهِرَةَ التَّركيبِ، مُتَبَيِّنَةَ الصَّنعَةِ، مَبنِيَّةً عَلىٰ ضُروبٍ مِنَ التَّخطيطِ وَالتَّصويرِ، زائِدَةً مِن بَعدِ نُقصانٍ، وناقِصَةً مِن بَعدِ زِيادَةٍ، قَد أُنشِئَ لَها حَواسُّ مُختَلِفَةٌ وجَوارِحُ مُتَبايِنَةٌ؛ مِن بَصَرٍ وَسمعٍ وشَامٍّ وذائِقٍ ولامِسٍ، مَجبولَةً عَلَى الضَّعفِ وَالنَّقصِ وَالمَهانَةِ، لا تُدرِكُ واحِدَةٌ مِنها مُدرَكَ صاحِبَتِها ولا تَقوىٰ عَلىٰ ذٰلِكَ، عاجِزَةً عِندَ اجتِلابِ المَنافِعِ إلَيها ودَفعِ المَضارِّ عَنها، وَاستَحالَ فِي العُقولِ وُجودُ تَأليفٍ لا مُؤَلِّفَ لَهُ، وثَباتُ صورَةٍ لا مُصَوِّرَ لَها، فَعَلِمتُ أنَّ لَها خالِقاً خَلَقَها، ومُصَوِّراً صَوَّرَها، مُخالِفاً لَها عَلىٰ جَميعِ جِهاتِها، قالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.[1]

٣٤٧٠. **رسول الله** ﷺ: مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَقَد عَرَفَ رَبَّهُ.[2]

٣٤٧١. **الأمالي**: رُوِيَ أنَّ بَعضَ أزواجِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلَتهُ: مَتىٰ يَعرِفُ الإِنسانُ رَبَّهُ؟ فَقالَ: إذا عَرَفَ نَفسَهُ.[3]

٣٤٧٢. **رسول الله** ﷺ: أعرَفُكُم بِنَفسِهِ أعرَفُكُم بِرَبِّهِ.[4]

---

١. التوحيد: ص ٢٨٩ ح ٩، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٤٩ ح ٢٢.

٢. عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٠٢ ح ١٤٩، مصباح الشريعة: ص ٣٤٣، غرر الحكم: ح ٧٩٤٦ عن الإمام عليّ عليه السلام وليس فيه «فقد»، بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٢ ح ٢٢؛ شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٩٢ ح ٣٣٩، المئة كلمة للجاحظ: ص ٢٢ ح ٦ كلاهما عن الإمام عليّ عليه السلام.

٣. الأمالي للسيّد المرتضى: ج ١ ص ١٩٨.

٤. جامع الأخبار: ص ٣٥ ح ١٢، روضة الواعظين: ص ٢٥.

٣٤٧٣ . عوالي اللآلي: رُوِيَ في بَعضِ الأَخبارِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ اسمُهُ مُجاشِعٌ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ كَيفَ الطَّريقُ إِلىٰ مَعرِفَةِ الحَقِّ؟

فَقالَ ﷺ: مَعرِفَةُ النَّفسِ.

فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، كَيفَ الطَّريقُ إِلىٰ مُوافَقَةِ الحَقِّ؟

قالَ: مُخالَفَةُ النَّفسِ.

قالَ: يا رَسولَ اللهِ، فَكَيفَ الطَّريقُ إِلىٰ رِضاءِ الحَقِّ؟

قالَ: سُخطُ النَّفسِ.

فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، فَكَيفَ الطَّريقُ إِلىٰ وَصلِ الحَقِّ؟

قالَ: هَجرُ النَّفسِ.

فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، فَكَيفَ الطَّريقُ إِلىٰ طاعَةِ الحَقِّ؟

قالَ: عِصيانُ النَّفسِ.

فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، فَكَيفَ الطَّريقُ إِلىٰ ذِكرِ الحَقِّ؟

قالَ: نِسيانُ النَّفسِ.

فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، فَكَيفَ الطَّريقُ إِلىٰ قُربِ الحَقِّ؟

قالَ: التَّباعُدُ عَنِ النَّفسِ.

فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، فَكَيفَ الطَّريقُ إِلىٰ أُنسِ الحَقِّ؟

قالَ: الوَحشَةُ مِنَ النَّفسِ.

فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، كَيفَ الطَّريقُ إِلىٰ ذٰلِكَ؟

قالَ: الاستِعانَةُ بِالحَقِّ عَلَى النَّفسِ[١].

٣٤٧٤. مصباح الشريعة ـ فيما نسبه إلى الإمام الصادق عليه السلام ـ: قالَ صلى الله عليه وآله: أُطلُبُوا العِلمَ ولَو بِالصّينِ. وهُوَ عِلمُ مَعرِفَةِ النَّفسِ، وفيهِ مَعرِفَةُ الرَّبِّ.[٢]

٣٤٧٥. الإمام عليّ عليه السلام: عَجِبتُ لِمَن يَجهَلُ نَفسَهُ، كَيفَ يَعرِفُ رَبَّهُ؟![٣]

٣٤٧٦. عنه عليه السلام: أَكثَرُ النّاسِ مَعرِفَةً لِنَفسِهِ أَخوَفُهُم لِرَبِّهِ.[٤]

٣٤٧٧. عنه عليه السلام ـ فِي الحِكَمِ المَنسوبَةِ إلَيهِ ـ: مَن عَجَزَ عَن مَعرِفَةِ نَفسِهِ فَهُوَ عَن مَعرِفَةِ خالِقِهِ أَعجَزُ.[٥]

٣٤٧٨. الإمام الصادق عليه السلام: العَجَبُ مِن مَخلوقٍ يَزعُمُ أنَّ اللهَ يَخفىٰ عَلىٰ عِبادِهِ وهُوَ يَرىٰ أثَرَ الصُّنعِ في نَفسِهِ، بِتَركيبٍ يُبهِرُ عَقلَهُ، وتَأليفٍ يُبطِلُ جُحودَه[٦]![٧]

٣٤٧٩. عنه عليه السلام: إنَّ الصّورَةَ الإِنسانِيَّةَ أكبَرُ حُجَّةِ اللهِ عَلىٰ خَلقِهِ، وهِيَ الكِتابُ الَّذي كَتَبَهُ بِيَدِهِ، وهِيَ الهَيكَلُ الَّذي بَناهُ بِحِكمَتِهِ، وهِيَ مَجموعُ صُوَرِ العالَمينَ، وهِيَ المُختَصَرُ مِنَ العُلومِ فِي اللَّوحِ المَحفوظِ، وهِيَ الشّاهِدُ عَلىٰ كُلِّ غائِبٍ، وهِيَ الحُجَّةُ عَلىٰ كُلِّ جاحِدٍ، وهِيَ الطَّريقُ المُستَقيمُ إلىٰ كُلِّ خَيرٍ، وهِيَ الصِّراطُ

---

١. عوالي اللآلي: ج ١ ص ٢٤٦ ح ١، بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ٧٢ ح ٢٣.

٢. مصباح الشريعة: ص ٣٤٢، بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٢ ح ٢١.

٣. غرر الحكم: ح ٦٢٧٠، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٢٩ ح ٥٦٣٩.

٤. غرر الحكم: ح ٣١٢٦، عيون الحكم والمواعظ: ص ١١٢ ح ٢٤٣٨ وفيه «أكبر» بدل «أكثر».

٥. شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٩٢ ح ٣٤٠.

٦. في بحارالأنوار «حجّته» وما أوردناه كما في نسخة أُخرى ذكرت في هامشه.

٧. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥٢ نقلاً عن الخبر المشتهر بتوحيد المفضل.

المَمدودُ بَينَ الجَنَّةِ وَالنّارِ.[1]

٣٤٨٠ . بحار الأنوار عن صُحف إدريس عليه السلام : مَن عَرَفَ الخَلقَ عَرَفَ الخالِقَ ، ومَن عَرَفَ الرِّزقَ عَرَفَ الرّازِقَ ، ومَن عَرَفَ نَفسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ.[2]

راجع : ص ٩٩ (التَّجرِبَة)

و ١٢٩ (الباب الثاني: خلق الإنسان).

---

١ . الكلمات المكنونة: ص ١١١ ، الأسفار الأربعة: ج ٨ ص ٣٥٦ عن الإمام عليّ عليه السلام وليس فيه «وهي الهيكل الذي بناه بحكمته» و «هي الحجّة على كلّ جاحد» ، جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ص ٣٨٣ ح ٧٦٥ ، نصّ النصوص: ص ٣٠٦ وص ٤٤١ ، كشف الأسرار: ص ١٦٠ .

٢ . بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٤٥٦ نقلاً عن ابن متّويه.

تحليل حول دور معرفة النفس في معرفة الله

إنّ في خلق الإنسان علامات و دلالات واضحة علىٰ معرفة الله من منظور القرآن الكريم، وكلّ من لم يكن لجوجاً وأراد أن يقرّ بحقائق الوجود معتمداً علىٰ الدليل والبرهان؛ فإنّه يستطيع أن يتعرّف علىٰ خالق العالم وحقيقة الحقائق إذا أمعن النظر في حِكَم وجوده، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ* وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَاتُبْصِرُونَ﴾[2].

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ...﴾[3].

تصرّح الآيات المذكورة بأنّ الدليل في وجود الإنسان لمعرفة خالق العالم ليس واحداً بل توجد أدلّة كثيرة، ولهذا عبّرت الآيات الكريمة بلفظ الجمع، بل لا يستطيع الإنسان أن يكون عارفاً بنفسه حقّاً وغير عارف بالله.

---

١. الجاثية: ٤.

٢. الذاريات: ٢٠ و ٢١.

٣. فصّلت: ٥٣.

أَقسام أحاديث الدعوة إلىٰ معرفة النفس

إِنّ الأحاديث الإسلاميّة مستلهمةً من القرآن الكريم، تؤكّد معرفة النفس كثيراً، ويمكن أن نقسّمها أَربعة أَقسام:

١. قيمة معرفة النفس

القسم الأوّل: إنّ الأحاديث التي تعدّ معرفة النفس أكثر المعارف قيمةً كالّتي رُوِيَت عن أَمير المؤمنين عليّ‏ عليه السلام إِذ قال:

«أَفضَلُ المَعرِفَةِ مَعرِفَةُ الإِنسانِ نَفسَهُ»[١].

«المَعرِفَةُ بِالنَّفسِ أَنفَعُ المَعرِفَتَينِ»[٢].

«أَفضَلُ الحِكمَةِ مَعرِفَةُ الإِنسانِ نَفسَهُ»[٣].

«غايَةُ المَعرِفَةِ أَن يَعرِفَ المَرءُ نَفسَهُ»[٤].

«مَعرِفَةُ النَّفسِ أنفَعُ المَعارِفِ»[٥].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «لا مَعرِفَةَ كَمَعرِفَتِكَ بِنَفسِكَ»[٦].

٢. مضارّ الجهل بالنفس

القسم الثاني: الأحاديث التي تناولت المضارّ الناشئة عن جهل الإنسان نفسه، فقد أَكّدت هذه الأحاديث أنّ الإنسان لا يستطيع أن يمتلك رؤية كَونيّة صحيحة ولا

---

١. غرر الحكم: ح ٢٩٣٥.

٢. غرر الحكم: ح ١٦٧٥.

٣. غرر الحكم: ح ٣١٠٥.

٤. غرر الحكم: ح ٦٣٦٥، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٤٨ ح ٥٩١١.

٥. غرر الحكم: ح ٩٨٦٥.

٦. تحف العقول: ص ٢٨٦ عن جابر الجعفي، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ١٦٥ ح ١.

يظفر بطريق الفلاح والنجاة في الحياة ما لم يعرف نفسه.

فيما يأتي قسم من كلمات الإمام عليّ عليه السلام في هذا الموضوع:

«مَن جَهِلَ نَفسَهُ كانَ بِغَيرِ نَفسِهِ أجهَلَ»[١].

«كَيفَ يَعرِفُ غَيرَهُ مَن يَجهَلُ نَفسَهُ»[٢].

«لا تَجهَل نَفسَكَ فَإِنَّ الجاهِلَ مَعرِفَةَ نَفسِهِ جاهِلٌ بِكُلِّ شَيءٍ»[٣].

«مَن لَم يَعرِف نَفسَهُ بَعُدَ عَن سَبيلِ النَّجاةِ، وخَبَطَ فِي الضَّلالِ وَالجَهالاتِ»[٤].

٣. مفتاح معرفة الوجود

القسم الثالث: الأحاديث التي تنصّ علىٰ أنّ معرفة النفس مقدّمة لمعرفة الوجود ومفتاح لها، كما نُقل عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: «مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَهُوَ لِغَيرِهِ أعرَفُ»[٥].

وقوله:

«مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَقَدِ انتَهىٰ إلىٰ غايَةِ كُلِّ مَعرِفَةٍ وعِلمٍ»[٦].

٤. مفتاح معرفة الله

القسم الرابع: الأحاديث التي تجعل معرفة النفس مفتاحاً لمعرفة الله سبحانه، بل مساويةً لها، وقد لوحظت في الفصل الرابع، أشهرها الحديث الشريف الذي رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وآله، والإمام عليّ عليه السلام، قالا:

---

١. غرر الحكم: ح ٨٦٢٤.

٢. عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٨٣ ح ٦٤٦٧.

٣. غرر الحكم: ح ١٠٣٣٧، عيون الحكم والمواعظ: ص ٥٢٤ ح ٩٥٤٧.

٤. غرر الحكم: ح ٩٠٣٤.

٥. غرر الحكم: ح ٨٧٥٨.

٦. غرر الحكم: ح ٨٩٤٩.

«مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَقَد عَرَفَ رَبَّهُ»[١].

٥. القصد من معرفة النفس

القسم الخامس: الأحاديث التي تبيّن القصد من معرفة النفس وتفسّر ذلك، كالتي وردت في الفصل الرابع، وجميع الأحاديث التي ستأتي في الباب الثاني حول خلق الإنسان.

والآن لمّا كان الحديث الشريف «مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَقَد عَرَفَ رَبَّهُ» قد نال اهتمام العلماء ولاسيّما أُولي الحكمة والعرفان من بين جميع الآيات والأَحاديث التي دعت الناس إلىٰ معرفة النفس، فمن الضروريّ الالتفات كما يبدو إلىٰ عدد من الموضوعات في هذا المجال:

وقفة عند حديث «مَن عَرَفَ نَفسَه...»

الأوّل: سند الحديث

نقل هذا الحديث الشريف «مَن عَرَفَ نَفسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» في مختلف المصادر الروائيّة ـ كما لوحظ في الفصل الرابع ـ لكنّه يخلو من سند متّصل بأهل البيت عليهم السلام.

إنّ هذا الحديث واحد من مئة كلمة اختارها أَبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفّىٰ سنة ٢٥٥ هـ من قصار كلمات أَمير المؤمنين عليه السلام. وسمّاها «مطلوب كلّ طالب من كلام أَمير المؤمنين عليّ بن أَبي طالب»، وقال في وصفها:

«كلّ كلمة تفي بألف من محاسن كلام العرب»[٢].

وتذهب بعض الروايات إلىٰ أنّ مضمون هذا الحديث كان قبل الإسلام أَيضاً فقد

---

١. عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٠٢ ح ١٤٩، غرر الحكم: ح ٧٩٤٦.

٢. هذه المئة كلمة شرحها ابن ميثم البحرانيّ، ورشيد الدين الوطواط و عبد الوهاب. وطُبعت كلّها في مجلّد واحد بتصحيح المحدّث الأُرمويّ. راجع: هزار و يک کلمه (بالفارسية): ج ٣ ص ١٩٤.

ورد في صحف إدريسعليه السلام[١]، وقد نُقل عن الراغب الاصفهانيّ أنّه قال في رسالة «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين»:

«قد رُوي إنّه ما أَنزل الله من كتاب إلّا وفيه: اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربّك»[٢].

أَجل، يُصطلح علىٰ الحديث المذكور عنوان المُرسَل، وإسناده غير واضح، بَيْدَ أنّ مضمونه قد ورد في الآيات المشار إليها، وهو في الحقيقة شرح و تفسير لتلك الآيات، فلا حاجة إلىٰ جرح السند وتعديله، من هنا أَيّده كثير من المحدّثين والمحقّقين واستندوا إليه.

الثاني: شروح الحديث

كان هذا الحديث الشريف منذ أمدٍ بعيد مَثار اهتمام العلماء بخاصّة الحكماء وأُولي العرفان، وقد صُنِّفت رسالات ومقالات كثيرة فيه، فيما يأتي بعض شروحه المستقلّة:[٣]

١. الرسالة الوجوديّة في معنىٰ قولهصلى الله عليه و آله: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه». طبعة القاهرة.

٢. رسالة «بالفارسيّة» في شرح حديث: «من عرف نفسه» لعماد الدين بن يونس بَنجْهِزاري. طبعها الأُستاذ حسن زاده آمُلي[٤].

٣. رسالة «بالفارسيّة» في شرح حديث: «من عرف نفسه» للعارف عبد الله بليانيّ. وطُبعت مع رسائل أُخرىٰ سنة ١٣٩٤ هـ.[٥]

---

١. راجع: ص ٨٧ ح ٣٤٨٠.

٢. هزار و يک كلمه (بالفارسية): ج ٣ ص ١٩٩.

٣. راجع: ميراث حديث شيعه (بالفارسية): الدفتر الأوّل ص ١٤٤ ـ ص ١٤٦.

٤. هزار و يک كلمه (بالفارسيّة): ج ٣ ص ١٩٧ وص ٢١٧ ـ ٢٢٨.

٥. فهرست نسخ خطى كتابخانه آيت الله مرعشى (بالفارسية): ج ١٨ ص ٦٢.

٤ . رسالة في شرح حديث: «من عرف نفسه» للأُستاذ حسن زاده آملي، وطُبعت باللغة الفارسية بعنوان «هزار و يک كلمه» يعني باللغة العربية: ألف كلمة وكلمة.[١]

وقد أَورد العلّامة الطهراني في الذريعة خمس رسائل في شرح هذا الحديث.[٢]

٥ . عدّة رسائل بالفارسيّة في شرح حديث: «من عرف نفسه» إحداها للأُستاذ حسن زاده آملي. وهي مخطوطة[٣].

٦ . والأُخرى لأحمد بن زين الدين الإحسائيّ[٤]، والثالثة لأحمد بن صالح بن طوق القطيفيّ، والرابعة لصدر الدين الكاشف الدزفوليّ (١١٧٤ ـ ١٢٥٦هـ)، والخامسة لعماد الدين المازندرانيّ، والسادسة لعلي بن أَحمد بن الحسين آل عبد الجبّار القطيفيّ (١٢٨٧ هـ).

كما يوجد شرحان للحديث المذكور مجهولي المؤلف.[٥]

٧ . والسابعة لمولانا برهان البغداديّ.[٦]

٨ . شرح حديث: «أعلمكم بنفسه أعلمكم بربّه»، الملّا إِسماعيل الخواجوئي المازندرانيّ.[٧]

---

١ . هزار و يک كلمه (بالفارسية): ج ٣ ص ١٨٩ ـ ٢٢٧.

٢ . الذريعة: ج ١٣ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

٣ . هزار و يک كلمه (بالفارسية): ج ٣ ص ١٩٨.

٤ . فهرست كتب مشايخ (بالفارسية): ص ١٥، مكتبة آية الله الگلپايگاني، مجموعة رقم ٤ / ٧١٤.

٥ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آيةالله مرعشي (بالفارسية): ج ٣ ص ٣٣٦. فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ مسجد أعظم (بالفارسية): ص ٥٨٩.

٦ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آية الله مرعشي (بالفارسية): ج ٣ ص ٣٣٥.

٧ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آية الله مرعشي (بالفارسية): ج ١٤ ص ٣٢٩.

٩ . مرآة المحقّقين في معنىٰ من عرف نفسه، الشيخ محمود الشبستريّ. (فارسي).[١]

١٠ . زبدة الطريق في معنىٰ من عرف نفسه، درويش علي بن يوسف كوكدي (فارسي).[٢]

١١ . معنىٰ من عرف نفسه، الشيخ حبيب العجميّ.[٣]

١٢ . الغوثيّة شرح من عرف نفسه، عبد القادر الجيلانيّ.[٤]

١٣ . الفصوص في قول من عرف نفسه، محيي الدين بن عربي.[٥]

١٤ . النوريّة في حديث من عرف نفسه، آغا شمس الدين.[٦]

١٥ . أسرار الدقائق، شرح حديث «من عرف نفسه»، الشيخ بدر الدين السماويّ.[٧]

١٦ . شرح حديث من عرف نفسه، الإمام محمّد الغزاليّ.[٨]

١٧ . القول الأشبه في حديث من عرف نفسه، جلال الدين أبو بكر السيوطيّ.[٩]

١٨ . نقطة الوحدة في معنىٰ من عرف نفسه، الشيخ أبو إسحاق (تركي).[١٠]

١٩ . معنىٰ من عرف نفسه، الإمام محمّد الغزاليّ (تركي).[١١]

---

١ . أُعيد طبعه غير مرّةٍ.

٢ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آية الله مرعشي (بالفارسية): ج ٣ ص ١٤٨.

٣ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آية الله مرعشي (بالفارسية): ج ٣ ص ١٣٩.

٤ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آية الله مرعشي (بالفارسية): ج ٣ ص ١٤٦.

٥ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آية الله مرعشي (بالفارسية): ج ٣ ص ١٤٦.

٦ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آية الله مرعشي (بالفارسية): ج ٣ ص ١٤٧.

٧ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آية الله مرعشي (بالفارسية): ج ٣ ص ١٤٧.

٨ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آية الله مرعشي (بالفارسية): ج ٣ ص ١٤٦.

٩ . طبعت هذه الرسالة في «الحاوي للفتاوي» مراراً.

١٠ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آية الله مرعشي (بالفارسية): ج ٣ ص ١٥٠.

١١ . فهرست نسخ خطى كتابخانهٔ آية الله مرعشي (بالفارسية): ج ٣ ص ١٤٩.

٢٠ . رسالة قبس المقتبس، الملّا حبيب شريف الكاشانيّ (فارسي).[١]

٢١ . الغوثيّة شرح من عرف نفسه فقد عرف ربّه، السيّد محمّد مهدي التنكابني (فارسي).[٢]

يضاف إلىٰ هذه الرسائل المستقلّة وجود شروح ضمنيّة كثيرة أيضاً علىٰ هذا الحديث، نشير فيما يأتي إلىٰ بعضها:

١ . صَدْ كلمه «بالفارسية»، رشيد الدين وطواط، الكلمة السادسة، ص ٥ ـ ٦.

٢ . الميزان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ١٦٩ ـ ١٧٦.

٣ . صَدْ كلمه «بالفارسية»، الأُستاذ حسن زاده، الكلمة ٢٦.

٤ . هزار و يک نکته «بالفارسية»، النّكات: ١٠٥، ١٢٨، ٥٤١.

الثالث: معاني الحديث

قيل فيه معان كثيرة ذكر منها الأُستاذ حسن زاده آملي اثنين وتسعين معنىً تحت عنوان: بعض المعاني الواردة في الحديث الشريف: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[٣].

يعتقد البعض أنّ في هذا الحديث إشاراتٍ لطيفة وإرشادات بيّنة لأُصول الدين: معرفة الله، والصفات الثبوتيّة والسلبيّة، والعدل، والنبوّة، والإمامة، والمعاد[٤].

ويرىٰ بعض آخر أنّ جميع القضايا الفلسفيّة الأصيلة ومطالب الحكمة المتعالية

---

١ . طبعت هذه الرسالة في مجلّة علوم حديث (بالفارسيّة)، العدد ٤، ص ١٣٢.

٢ . طبعت هذه الرسالة في كتاب ميراث حديث شيعه (بالفارسية)، الدفتر الأوّل، ص ١٥٠ ـ ١٧٢.

٣ . هزار و يک کلمه (بالفارسية): ج ٣ ص ٢٠٠، ص ٢١٦.

٤ . هزار و يک کلمه (بالفارسية): ج ٣ ص ٢١٧.

القويمة والحقائق العرفانيّة الرصينة يمكن استنباطها منه[١].

ويذهب فريق ثالث إلىٰ أنّ جميع أُصول الدين وفروعه، وكافّة الأحكام الدنيويّة والأُخرويّة، وأحكام الربوبيّة والعبوديّة كلّها تلخّصت في هذا الحديث[٢].

إنّ تقويم ما قيل في شرح هذا الحديث يتطلّب فرصة أُخرىٰ، لكن يبدو أنّ الالتفات إلىٰ ثلاث نقاط ضروريّ من أَجل تبيان القصد منه بدقّة، هي:

١. التأمّل في الآيات الكريمة التي يتعلّق بها هذا الحديث الشريف.

٢. ملاحظة الروايات التي تعدّ بمنزلة الشرح لهذا الحديث.

٣. الرجوع إلىٰ ما فهمه أَصحاب الأئمّة من معرفة النفس.

ويدلّ تحليل لما قيل في معاني الحديث المذكور على أنّ النقاط التي أُشير إليها إمّا لم تنل نصيبها من الاهتمام أو قَلّ الاهتمام بها.

الرابع: أَوضح معاني الحديث

إنّ مقتضىٰ الدقّة في الآيات التي تدعو الإنسان إلىٰ معرفة الله بمعرفة نفسه، ومجموع الأَحاديث التي تبيّنها وتفسّرها، وكذلك الرجوع إلىٰ فهم المتكلّمين من أَصحاب أَهل البيت، كلّ ذلك يُفضي إلىٰ أنّ أَوضح معاني الحديث الدعوة إلىٰ معرفة النفس، والتدبّر في الحِكَم التي مضت في خلق الإنسان، وتُعبّر عن العلم والقدرة المطلقة لخالقه، وهذه الحِكَم التي شُرحت في متن القرآن والأَحاديث هي كيفيّة خلق الإنسان من تراب، وكيفيّة نشأته من نطفة، وتصوير الجنين في الرحم، ونفخ

---

١. هزار و يک کلمه (بالفارسية): ج ٣ ص ١٩١.

٢. ميراث حديث شيعه (بالفارسية): الدفتر الأوّل ص ١٥٧.

الروح في الجنين، واختلاف الألسن والألوان، وتأمين الأطعمة المطلوبة... إلخ. وقد فُصّلت في الباب الثاني وهي من أيسر السبل إلىٰ معرفة الله[١]، وقد أوجز الإمام الصادق عليه السلام آيات الحكمة وآثار الصنع في وجود الإنسان بقوله:

«وَالعَجَبُ مِن مَخلوقٍ يَزعُمُ أَنَّ اللهَ يَخفىٰ عَلىٰ عِبادِهِ وهُوَ يَرىٰ أَثَرَ الصُّنعِ في نَفسِهِ بِتَركيبٍ يُبهِرُ عَقلَهُ وتَأليفٍ يُبطِلُ حُجَّتَهُ»[٢].

وقوله عليه السلام في بيان الآية ٥٣ من سورة فصّلت: ﴿وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَاتُبْصِرُونَ﴾:

«إنَّهُ خَلَقَكَ سَميعاً بَصيراً، تَغضَبُ وتَرضىٰ، وتَجوعُ وتَشبَعُ، وذٰلِكَ كُلُّهُ مِن آياتِ اللهِ»[٣].

من اللافت للنظر أنّ هشام بن الحكم ـ وهو من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام وأصحابه المتكلّمين ـ استنبط نفس المعنىٰ من الآيات والأحاديث الواردة في معرفة النفس، فقد قال في صدد معرفة الله عن طريق معرفة النفس:

عَرَفتُ اللهَ ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ بِنَفسي لِأَنَّها أقرَبُ الأَشياءِ إلَيَّ، وذٰلِكَ أنّي أجِدُها أبعاضاً مُجتَمِعَةً وأجزاءً مُؤتَلِفَةً ...[٤].

ويشير في الختام إلىٰ أنّ القصد من قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَاتُبْصِرُونَ﴾ هو هذا المعنىٰ نفسه.

لكنّنا نأسف شديد الأسف على أنّ المعنىٰ الواضح الذي أكّده القرآن الكريم والأحاديث في تبيين حديث معرفة النفس قد غُفِلَ عنه تماماً ولم يذكر في عداد الشروح الملحوظة حتّىٰ بوصفه معنىً كسائر المعاني ـ التي فُرض بعضها علىٰ

---

١. راجع: ص ١٢٩ «الباب الثاني: خلق الإنسان».

٢. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥٢ عن المفضّل بن عمر.

٣. راجع: ص ٨٣ ح ٣٤٦٨.

٤. راجع: ص ٨٣ ح ٣٤٦٩.

الحديث الشريف ـ ولو أنّ علماء المسلمين أَخذوا برسالة القرآن في معرفة النفس لفاقوا جميع علماء العالم في العلوم المرتبطة بعلم معرفة الإنسان.

الخامس: مراتب معرفة النفس

لا شكّ في أنّ لمعرفة النفس مراتب كمعرفة الله، لذا نقرأ في الحديث العَلَويّ قوله عليه السلام:

«أعرَفُكُم بِنَفسِهِ أعرَفُكُم بِرَبِّهِ»[١].

إنّ أوطأ المراتب في معرفة النفس ميسّرة لعامّة الناس، بيد أنّه كلّما زادت معلومات الإنسان بنفسه، زادت معرفته بالله سبحانه، إلىٰ أن يظفر بالمعرفة الشهوديّة للنّفس، وهناك يفوز بالمعرفة الشهوديّة للحقّ تعالىٰ، ويشهد وحدانيّته إلىٰ جانب الملائكة وأُولي العلم:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[٢].

ولا يتيسّر بلوغ هذه المرتبة من المعرفة إلّا عن طريق المجاهدة التي سيأتي الحديث عنها في الفصل السادس.

---

١. راجع: ص ٨٤ ح ٣٤٧٢.

٢. آل عمران: ١٨.

٤ / ٢
التَّجرِبَة

٣٤٨١. الإمام عليّ عليه السلام: عُرِفَ اللهُ سُبحانَهُ بَفَسخِ العَزائِمِ، وحَلِّ العُقودِ، وكَشفِ الضُّرِّ وَالبَلِيَّةِ عَمَّن أَخلَصَ لَهُ النِّيَّةَ.[١]

٣٤٨٢. عنه عليه السلام: عَرَفتُ اللهَ سُبحانَهُ بِفَسخِ العَزائِمِ، وحَلِّ العُقودِ، ونَقضِ الهِمَمِ.[٢]

٣٤٨٣. جامع الأخبار: سُئِلَ أَميرُ المُؤمِنينَ عليه السلام: مَا الدَّليلُ عَلىٰ إثباتِ الصّانِعِ؟

قالَ: ثَلاثَةُ أشياءَ: تَحويلُ الحالِ، وضَعفُ الأَركانِ، ونَقضُ الهِمَّةِ.[٣]

٣٤٨٤. الإمام الحسين عليه السلام: إنَّ رَجُلاً قامَ إلىٰ أميرِ المُؤمِنينَ، فَقالَ: يا أَميرَ المُؤمِنينَ، بِماذا عَرَفتَ رَبَّكَ؟

قالَ: بِفَسخِ العَزمِ، ونَقضِ الهَمِّ، لَمّا هَمَمتُ فَحيلَ بَيني وبَينَ هَمّي، وعَزَمتُ فَخالَفَ القَضاءُ عَزمي؛ عَلِمتُ أنَّ المُدَبِّرَ غَيري.[٤]

٣٤٨٥. التوحيد عن هشام بن سالم: سُئِلَ أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: فَقيلَ لَهُ: بِما عَرَفتَ رَبَّكَ؟

قالَ: بِفَسخِ العَزمِ، ونَقضِ الهَمِّ؛ عَزَمتُ فَفَسَخَ عَزمي، وهَمَمتُ فَنَقَضَ هَمّي.[٥]

---

١. غرر الحكم: ح ٦٣١٥، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٣٩ ح ٥٧٧٨.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٠، روضة الواعظين: ص ٣٨ وليس فيه «نقض الهمم».

٣. جامع الأخبار: ص ٣٩ ح ٢٨، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٥٥ ح ٢٩.

٤. التوحيد: ص ٢٨٨ ح ٦ عن زياد بن المنذر عن الإمام الباقر عن أبيه عليهما السلام، الخصال: ص ٣٣ ح ١، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٣١ كلاهما عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه عليهم السلام، روضة الواعظين: ص ٣٨ عن الإمام الباقر عنه عليه السلام، إرشاد القلوب: ص ١٦٨ من دون إسنادٍ إلى المعصوم وفيه «الهمم» بدل «الهمّ»، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٤٢ ح ١٧.

٥. التوحيد: ص ٢٨٩ ح ٨، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٤٩ ح ٢١.

٣٤٨٦. الإمام الصادق عليه السلام ـ لِابنِ أَبِي العَوجاءِ لَمّا قالَ: ما مَنَعَهُ إن كان الأَمرُ كَما يَقولونَ أن يَظهَرَ لِخَلقِهِ ويَدعوهُم إلىٰ عِبادَتِهِ حَتّىٰ لا يَختَلِفَ مِنهُمُ اثنانِ، ولِمَ احتَجَبَ عَنهُم وأرسَلَ إلَيهِمُ الرُّسُلَ؟ ولو باشَرَهُم بِنَفسِهِ كانَ أَقرَبَ إلَى الإيمانِ بِهِ ـ: وَيلَكَ وكَيفَ احتَجَبَ عَنكَ مَن أَراكَ قُدرَتَهُ في نَفسِكَ؛ نُشوءَكَ ولَم تَكُن، وكِبَرَكَ بَعدَ صِغَرِكَ، وقُوَّتَكَ بَعدَ ضَعفِكَ وضَعفَكَ بَعدَ قُوَّتِكَ، وسُقمَكَ بَعدَ صِحَّتِكِ وصِحَّتَكَ بَعدَ سُقمِكَ، ورِضاكَ بَعدَ غَضَبِكَ وغَضَبَكَ بَعدَ رِضاكَ، وحُزنَكَ بَعدَ فَرَحِكَ وفَرَحَكَ بَعدَ حُزنِكَ، وحُبَّكَ بَعدَ بُغضِكَ وبُغضَكَ بَعدَ حُبِّكَ، وعَزمَكَ بَعدَ أَناتِكَ وأَناتَكَ بَعدَ عَزمِكَ، وشَهوَتَكَ بَعدَ كَراهَتِكَ وكَراهَتَكَ بَعدَ شَهوَتِكَ، ورَغبَتَكَ بَعدَ رَهبَتِكَ ورَهبَتَكَ بَعدَ رَغبَتِكَ، ورَجاءَكَ بَعدَ يَأسِكَ ويَأسَكَ بَعدَ رَجائِكَ، وخاطِرَكَ بِما لَم يَكُن في وَهمِك، وعُزوبَ ما أنتَ مُعتَقِدُهُ عَن ذِهنِكَ.[1]

راجع: ص ٨٣ (معرفة النفس) و ١٣٥ ح ٣٥٤٥.

---

١. الكافي: ج ١ ص ٧٥ ح ٢، التوحيد: ص ١٢٧ ح ٤ وفيه «إيابك» بدل «أناتك» وكلاهما عن ابن أبي العوجاء.

توضيح حول تأثير التجربة في معرفة الله

يمكن أن نفسّر معرفة الله عن طريق التجربة بنمطين، وهما كما يأتي:

الأوّل: تطرأ في الحياة الخاصّة لكلّ إنسان حالات وحوادث متنوّعة، وهي تعبّر عن تدبير المدبّر من جهة، وأن لا تأثير للإنسان نفسه في إيجادها من جهة أُخرىٰ، كأنّه يعتزم بجزمٍ علىٰ القيام بعملٍ ينتهي بضرره في الحقيقة لكنّه ينصرف عنه بلا دليل عقليّ خاصّ يمتلكه، ثمّ يتبيّن بعد ذلك أنّه لو كان فَعَلَهُ لضرّه وأَخسره، فمن ذا الذي حال بينه وبين عزمه القاطع وأَنقذه من الخطر؟

إنّ التأمّل في هذه التجربة كما لوحظ في الكلام العلويّ يوصل الإنسان إلىٰ نتيجة، هي أنّ مدبّر حياة الإنسان غيره، وما هو إلّا الله الحكيم العليم القدير، كما نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[1]. أَجل، فالله سبحانه هو الذي يحول بين الإنسان وقلبه، ويسبّب فسخ عزيمته ونقض همّته.

علىٰ هذا المنوال نلاحظ أنّ الطفولة، والشباب، والشيخوخة، والضعف، والقوّة،

---

١. الأنفال: ٢٤.

والصحّة، والمرض، وسائر الحالات التي تعرض للإنسان، ـ وهي خارجة عن إرادته وتدبيره ـ تعبّر عن حكم مدبّر سواه.

وهذا التفسير للتجربة فرع من معرفة الله عن طريق معرفة النفس حقّاً، من هنا يتسنّىٰ لنا أن نعدّ هذه الأحاديث من الأحاديث الشارحة للحديث المأثور: «مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَقَد عَرَفَ رَبَّهُ».

الثاني: معنىٰ معرفة الله عن طريق التجربة تجربة تتجلّىٰ للموحّدين المتّقين المخلَصين: «عُرِفَ اللهُ سُبحانَهُ بِفَسخِ العَزائِمِ، وحَلِّ العُقودِ، وكَشفِ الضُّرِّ وَالبَلِيَّةِ عَمَّن أخلَصَ لَهُ النِّيَّةَ»[١].

ولحلّ مشكلات الحياة ودفع بليّاتها طريق آخر غير الطرق العاديّة والمادّيّة المعروفة، وذلك هو التّقوىٰ، والتوكّل، والإخلاص، وينصّ القرآن الكريم علىٰ هذا في قوله عزّ من قائل:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٢].

ويؤكّد أيضاً:

﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٣].

ولكلّ باحثٍ أن يجرّب التوحيد، بل النبوّة عبر الاختبار العمليّ للآيات المذكورة في حياة الموحّدين المتّقين المخلصين.

---

١. راجع: ص ٩٩ ح ٣٤٨١.

٢. الطلاق: ٢ و ٣.

٣. العنكبوت: ٦٩.

٤ / ٣
التَّفَكُّرُ في حُدوثِ العالَمِ

الكتاب

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾.[١]

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.[٢]

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾.[٣]

راجع: الأنعام: ١٤، يوسف: ١٠١، فاطر: ١، الزمر: ٤٦، الشورى: ١١.

الحديث

٣٤٨٧. الإمام عليّ عليه السلام: الحَمدُ للهِ... الدّالِّ عَلىٰ قِدَمِهِ بِحُدوثِ خَلقِهِ، وبِحُدوثِ خَلقِهِ عَلىٰ وُجودِهِ... مُستَشهِدٌ بِحُدوثِ الأَشياءِ عَلىٰ أزَلِيَّتِهِ، وبِما وَسَمَها بِهِ مِنَ العَجزِ عَلىٰ قُدرَتِهِ، وبِمَا اضطَرَّها إلَيهِ مِنَ الفَناءِ عَلىٰ دَوامِهِ.[٤]

٣٤٨٨. عنه عليه السلام: الحَمدُ للهِ المُلهِمِ عِبادَهُ حَمدَهُ، وفاطِرِهِم عَلىٰ مَعرِفَةِ رُبوبِيَّتِهِ، الدّالِّ عَلىٰ وُجودِهِ بِخَلقِهِ، وبِحُدوثِ خَلقِهِ عَلىٰ أزَلِهِ.[٥]

٣٤٨٩. عنه عليه السلام: أمَّا الاِحتِجاجُ عَلىٰ مَن أنكَرَ الحُدوثَ مَعَ ما تَقَدَّمَ، فَهُوَ أنّا لَمّا رَأَينا هٰذا

---

١. الطور: ٣٥ و ٣٦.

٢. الزمر: ٦٢.

٣. الأنبياء: ٥٦.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥، التوحيد: ص ٦٩ ح ٢٦ عن الهيثم بن عبد الله الرمّاني عن الإمام الرضا عن آبائه عنه عليهم السلام، البلد الأمين: ص ٩٢ وفيهما ذيله من «مستشهد بحدوث»، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٨٠ ح ١١٧، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢١ ح ٢.

٥. الكافي: ج ١ ص ١٣٩ ح ٥ عن إسماعيل بن قتيبة عن الإمام الصادق عليه السلام، التوحيد: ص ٥٦ ح ١٤ عن فتح بن يزيد عن الإمام الرضا عليه السلام، نهج البلاغة: الخطبة ١٥٢ نحوه، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٦٦ ح ١٠٥.

العالَمَ المُتَحَرِّكَ مُتَناهِيَةً أزمانُهُ وأعيانُهُ وحَرَكاتُهُ وأكوانُهُ، وجَميعُ ما فيهِ، ووَجَدنا ما غابَ عَنّا مِن ذٰلِكَ يَلحَقُهُ النِّهايَةُ، ووَجَد[نا] العَقلَ يَتَعَلَّقُ بِما لا نِهايَةَ، و لَولا ذٰلِكَ لَم يَجِدِ العَقلُ دَليلاً يُفَرِّقُ ما بَينَهُما، ولَم يَكُن لَنا بُدٌّ مِن إثباتِ ما لا نِهايَةَ لَهُ مَعلوماً مَعقولاً أبَدِيّاً سَرمَدِيّاً، لَيسَ بِمَعلومٍ أنَّهُ مَقصورُ القُوىٰ، ولا مَقدورٌ ولا مُتَجَزِّئٌ ولا مُنقَسِمٌ، فَوَجَبَ عِندَ ذٰلِكَ أن يَكونَ ما لا يَتَناهىٰ مِثلَ ما يَتَناهىٰ.

وإذ قَد ثَبَتَ لَنا ذٰلِكَ، فَقَد ثَبَتَ في عُقولِنا أنَّ ما لا يَتَناهىٰ هُوَ القَديمُ الأَزَلِيُّ، وإذا ثَبَتَ شَيءٌ قَديمٌ وشَيءٌ مُحدَثٌ، فَقَدِ استَغنَى القَديمُ الباري لِلأَشياءِ عَنِ المُحدَثِ الَّذي أنشَأَهُ وبَرَأَهُ وأحدَثَهُ، وصَحَّ عِندَنا بِالحُجَّةِ العَقلِيَّةِ أنَّهُ المُحدِثُ لِلأَشياءِ، وأنَّهُ لا خالِقَ إلّا هُوَ، فَتَبارَكَ اللهُ المُحدِثُ لِكُلِّ مُحدَثٍ، الصّانِعُ لِكُلِّ مَصنوعٍ، المُبتَدِعُ لِلأَشياءِ مِن غَيرِ شَيءٍ.

وإذا صَحَّ أنّي لا أقدِرُ أن اُحدِثَ مِثلي استَحال أن يُحدِثَني مِثلي، فَتَعالَى المُحدِثُ لِلأَشياءِ عَمّا يَقولُ المُلحِدونَ عُلُوّاً كَبيراً.[١]

٣٤٩٠. الإمام الصادق عليه السلام ـ لَمّا سُئِلَ: مَا الدَّليلُ عَلىٰ أنَّ لِلعالَمِ صانِعاً؟ : أكثَرُ الأَدِلَّةِ في نَفسي؛ لِأَنّي وَجَدتُها لا تَعدو أحَدَ أمرَينِ:

إمّا أن أكونَ خَلَقتُها وأنَا مَوجودٌ، وإيجادُ المَوجودِ مُحالٌ، وإمّا أن أكونَ خَلَقتُها وأنَا مَعدومٌ؛ فَكَيفَ يَخلُقُ لا شَيءٌ؟ فَلَمّا رَأَيتُهُما فاسِدَتَينِ مِنَ الجِهَتَينِ جَميعاً عَلِمتُ أنَّ لي صانِعاً ومُدَبِّراً.[٢]

٣٤٩١. عنه عليه السلام ـ لَمّا سَأَلَهُ أبو شاكِرٍ الدَّيصانِيُّ: مَا الدَّليلُ عَلىٰ أنَّ لَكَ صانِعاً؟ ـ: وَجَدتُ نَفسي

---

١. بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٩٠ نقلاً عن رسالة النعماني.

٢. روضة الواعظين: ص ٣٩.

لا تَخلو مِن إحدىٰ جِهتَينِ: إمّا أن أكونَ صَنَعتُها أنا أو صَنَعَها غَيري؛ فَإِن كُنتُ صَنَعتُها أنا فَلا أخلو مِن أَحَدِ مَعنَيَينِ: إمّا أن أكونَ صَنَعتُها وكانَت مَوجودَةً، أو صَنَعتُها وكانَت مَعدومَةً؛ فَإِن كُنتُ صَنَعتُها وكانَت مَوجودَةً فَقَدِ استَغنَت بِوُجودِها عَن صَنعَتِها، وإن كانَت مَعدومَةً فَإِنَّكَ تَعلَمُ أنَّ المَعدومَ لا يُحدِثُ شَيئاً، فَقَد ثَبَتَ المَعنَى الثّالِثُ أنَّ لي صانِعاً؛ وهُوَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ. فَقامَ وما أحارَ جَواباً[1].[2]

٣٤٩٢. عنه عليه السلام ـ لَمّا سَأَلَهُ ابنُ أبِي العَوجاءِ: مَا الدَّليلُ عَلىٰ حَدَثِ الأَجسامِ؟ ـ:

إنّي ما وَجَدتُ شَيئاً صَغيراً ولا كَبيراً إلّا وإذا ضُمَّ إلَيهِ مِثلُهُ صارَ أكبَرَ، وفي ذٰلِكَ زَوالٌ وَانتِقالٌ عَنِ الحالَةِ الأُولىٰ، ولَو كانَ قَديماً ما زالَ ولا حالَ؛ لِأَنَّ الَّذي يَزولُ ويَحولُ يَجوزُ أن يوجَدَ ويَبطُلَ، فَيَكونُ بِوُجودِهِ بَعدَ عَدَمِهِ دُخولٌ فِي الحَدَثِ، وفي كَونِهِ فِي الأَزَلِ دُخولُهُ فِي العَدَمِ، ولَن تَجتَمِعَ صِفَةُ الأَزَلِ وَالعَدَمِ وَالحُدوثِ وَالقِدَمِ في شَيءٍ واحِدٍ.

فَقالَ عَبدُ الكَريمِ: هَبكَ عَلِمتَ في جَريِ الحالَتَينِ وَالزَّمانَينِ عَلىٰ ما ذَكَرتَ، وَاستَدلَلتَ بِذٰلِكَ عَلىٰ حُدوثِها، فَلَو بَقِيَتِ الأَشياءُ عَلىٰ صِغَرِها، مِن أينَ كانَ لَكَ أن تَستَدِلَّ عَلىٰ حُدوثِهِنَّ؟

فَقالَ العالِمُ عليه السلام: إنَّما نَتَكَلَّمُ عَلىٰ هٰذَا العالَمِ المَوضوعِ، فَلَو رَفَعناهُ ووَضَعنا عالَماً آخَرَ كانَ لا شَيءَ أدَلَّ عَلَى الحَدَثِ مِن رَفعِنا إيّاهُ ووَضعِنا غَيرَهُ، ولٰكِن أُجيبُكَ مِن حَيثُ قَدَرتَ أن تُلزِمَنا، فَنَقولُ: إنَّ الأَشياءَ لَو دامَت عَلىٰ صِغَرِها لَكانَ فِي الوَهمِ أنَّهُ مَتىٰ ضُمَّ شَيءٌ إلىٰ مِثلِهِ كانَ أكبَرَ، وفي جَوازِ التَّغييرِ عَلَيهِ خُروجُهُ مِنَ القِدَمِ، كَما أنَّ

---

١. ما أحارَ جواباً: أي ما ردَّ (القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٦).

٢. التوحيد: ص ٢٩٠ ح ١٠ عن هشام بن الحكم، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٥٠ ح ٢٣.

في تَغييرِهِ دُخولَهُ فِي الحَدَثِ، لَيسَ لَكَ وَراءَهُ شَيءٌ يا عَبدَ الكَريمِ، فَانقَطَعَ وخَزِيَ.[١]

٣٤٩٣. التوحيد عن هشام بن الحكم: دَخَلَ أَبو شاكِرٍ الدَّيصانِيٌّ عَلىٰ أَبي عَبدِ اللهِ الصّادِقِ عليه السلام فَقالَ لَهُ: إِنَّكَ أَحَدُ النُّجومِ الزَّواهِرِ، وكانَ آباؤُكَ بُدوراً بَواهِرَ، وأُمَّهاتُكَ عَقيلاتٍ عَباهِرَ، وعُنصُرُكَ مِن أَكرَمِ العَناصِرِ، وإِذا ذُكِرَ العُلَماءُ فَبِكَ تُثَنَّى الخَناصِرُ، فَخَبِّرني أَيُّهَا البَحرُ الخِضَمُّ الزّاخِرُ، مَا الدَّليلُ عَلىٰ حُدوثِ العالَمِ؟

فَقالَ أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: نَستَدِلُّ عَلَيهِ بِأَقرَبِ الأَشياءِ.

قال: وما هُوَ؟

فَدَعا أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام بِبَيضَةٍ فَوَضَعَها عَلىٰ راحَتِهِ، فَقالَ: هٰذا حِصنٌ مَلمومٌ، داخِلُهُ غِرقِئٌ[٢] رَقيقٌ لَطيفٌ، بِهِ فِضَّةٌ سائِلَةٌ وذَهَبَةٌ مائِعَةٌ، ثُمَّ تَنفَلِقُ عَن مِثلِ الطّاووسِ، أ دَخَلَها شَيءٌ؟ فَقالَ: لا. قالَ: فَهٰذَا الدَّليلُ عَلىٰ حُدوثِ العالَمِ.

قالَ: أَخبَرتَ فَأَوجَزتَ، وقُلتَ فَأَحسَنتَ، وقَد عَلِمتَ أَنّا لا نَقبَلُ إِلّا ما أَدرَكناهُ بِأَبصارِنا، أو سَمِعناهُ بِآذانِنا، أو شَمَمناه بِمَناخِرِنا، أو ذُقناهُ بِأَفواهِنا، أو لَمَسناهُ بِأَكُفِّنا، أو تُصوِّرَ فِي القُلوبِ بَياناً، أوِ استَنبَطَهُ الرَّوِيّاتُ[٣] إِيقاناً.

فَقالَ أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: ذَكَرتَ الحَواسَّ الخَمسَ، وهِيَ لا تَنفَعُ شَيئاً بِغَيرِ دَليلٍ، كَما لا يُقطَعُ الظُّلمَةُ بِغَيرِ مِصباحٍ.[٤]

---

١. الكافي: ج ١ ص ٧٧، التوحيد: ص ٢٩٧ ح ٦، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٦٢ ح ٣٢.

٢. الغِرقِئ: القِشرة الملتزقة ببياض البيض (القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٢).

٣. الرَّوِيّات: جمع رويّة؛ وهي التفكّر في الأمر (لسان العرب: ج ١٤ ص ٣٥٠ «روى»).

٤. التوحيد: ص ٢٩٢ ح ١، الأمالي للصدوق: ص ٤٣٢ ح ٥٧١، الإرشاد: ج ٢ ص ٢٠١، إعلام الورى: ج ١ ص ٥٤٣، روضة الواعظين: ص ٢٨، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٢١١ ح ١٢.

٣٤٩٤. **الإمام الصادق** عليه السلام: إنَّ الأَشياءَ تَدُلُّ عَلىٰ حُدوثِها مِن... تَحَرُّكِ الأَرضِ ومَن عَلَيها، وَانقِلابِ الأَزمِنَةِ، وَاختِلافِ الوَقتِ، وَالحَوادِثِ الَّتي تَحدُثُ فِي العالَمِ، مِن زِيادَةٍ ونُقصانٍ، ومَوتٍ وبَلاءٍ، وَاضطِرارِ النَّفسِ إلَى الإِقرارِ بِأَنَّ لَها صانِعاً ومُدَبِّراً. أما تَرَى الحُلوَ يَصيرُ حامِضاً، وَالعَذبَ مُرّاً، والجَديدَ بالِياً، وكُلٌّ إلىٰ تَغَيُّرٍ وفَناءٍ؟![1]

٣٤٩٥. **الكافي** ـ في خَبَرِ مُناظَرَةِ الإِمامِ الصّادِقِ عليه السلام لِابنِ أَبِي العَوجاءِ ـ: فَقالَ[عليه السلام] لَهُ: أ مَصنوعٌ أنتَ أو غَيرُ مَصنوعٍ؟

فَقالَ عَبدُ الكَريمِ بنُ أَبِي العَوجاءِ: بَل، أنَا غَيرُ مَصنوعٍ.

فَقالَ لَهُ العالِمُ عليه السلام: فَصِف لي لَو كُنتَ مَصنوعاً كَيفَ كُنتَ تَكونُ؟

فَبَقِيَ عَبدُ الكَريمِ مَلِيّاً لا يُحيرُ جَواباً، ووَلِعَ بِخَشَبَةٍ كانَت بَينَ يَدَيهِ، وهُوَ يَقولُ: طَويلٌ عَريضٌ عَميقٌ قَصيرٌ مُتَحَرِّكٌ ساكِنٌ، كُلُّ ذٰلِكَ صِفَةُ خَلقِهِ.

فَقالَ لَهُ العالِمُ: فَإِن كُنتَ لَم تَعلَم صِفَةَ الصَّنعَةِ غَيرَها فَاجعَل نَفسَكَ مَصنوعاً لِما تَجِدُ في نَفسِكَ مِمّا يَحدُثُ مِن هٰذِهِ الأُمورِ.[2]

٣٤٩٦. **التوحيد عن أبي الصلت الهروي**: سَأَلَ المَأمونُ أبَا الحَسَنِ عَلِيَّ بنَ موسَى الرِّضا عليه السلام عَن قَولِ اللهِ عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3].

فَقالَ: إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ... خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ وهُوَ

---

١. الاحتجاج: ج ٢ ص ٢١٦ ح ٢٢٣، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٧٨ ح ٥٣.

٢. الكافي: ج ١ ص ٧٦، التوحيد: ص ٢٩٦ ح ٦، الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٠٠ ح ٢١٤، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣١ ح ٤ وراجع التوحيد: ص ٢٩٣ ح ٢.

٣. هود: ٧.

مُستَولٍ عَلىٰ عَرشِهِ، وكانَ قادِراً عَلىٰ أن يَخلُقَها في طَرفَةِ عَينٍ، ولٰكِنَّهُ ﷻ خَلَقَها في سِتَّةِ أيّامٍ؛ لِيُظهِرَ لِلمَلائِكَةِ ما يَخلُقُهُ مِنها شَيئاً بَعدَ شَيءٍ، وتَستَدِلَّ بِحُدوثِ ما يُحدَثُ عَلىٰ اللهِ تَعالىٰ ذِكرُهُ مَرَّةً بَعدَ مَرَّةٍ.[1]

٣٤٩٧. التوحيد عن الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عليه السلام: أنَّهُ دَخَلَ عَلَيهِ رَجُلٌ، فَقالَ لَهُ: يَا ابنَ رَسولِ اللهِ، مَا الدَّليلُ عَلىٰ حَدَثِ العالَمِ؟

قال: أنتَ لَم تَكُن ثُمَّ كُنتَ، وقَد عَلِمتَ أنَّكَ لَم تُكَوِّن نَفسَكَ، ولا كَوَّنَكَ مَن هُوَ مِثلُكَ.[2]

---

١. التوحيد: ص ٣٢٠ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣٤ ح ٣٣، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٩٣ ح ٣٠٢، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣١٨ ح ١٤.

٢. التوحيد: ص ٢٩٣ ح ٣، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣٤ ح ٣٢، الأمالي للصدوق: ص ٤٣٣ ح ٥٧٢، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٥٣ ح ٢٨٠، روضة الواعظين: ص ٢٦، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٦ ح ١١.

بحث حول تعدد الطرق إلى الله

إذا تأمّلنا في الآيات والأَحاديث الملحوظة في الفصول الثلاثة المتقدّمة حول طرق معرفة الله أمكننا أن ندرك أنّ لمعرفة الله من منظور القرآن والحديث ثلاثة طرق أصليّة تعود إِليها الطرق الأُخرى. وهي:

١. معرفة النفس.

٢. معرفة العالم.

٣. المجاهدة.

إِنّ الطريق الأَوّل والثاني علميّان، والطريق الثالث عمليّ، فقد أُشير إِلىٰ هذه الطرق في الآية الكريمة الآتية:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

والطريق الثالث ـ أي: تسخير الجهود كلّها من أجل تطبيق الأَوامر والتعاليم الإلهيّة في الحياة ـ هو طريق الوصول إِلىٰ أعلىٰ درجات معرفة الله، أي: المعرفة

---

١. فصّلت: ٥٣.

الشهوديّة، والطريقان الأَوّل والثاني يمثّلان إراءة الطريق فحسب، أمّا الطريق الثالث فإنّه يضمن بلوغ الهدف.

﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[١].

وبطيّ هذا الطريق لا يبلغ الإنسان أعلىٰ مراتب معرفة الله فحسب، بل يظفر بأعلىٰ درجات معرفة النفس، ومعرفة العالم أيضاً.

في ضوء ذلك يتسنّىٰ لنا أن نقول: إنّ الصراط الإلهيّ المستقيم واحد لا أكثر، وهو الدِّين الذي أراه الأنبياء لتكامل الإنسان. والطرق الأُخرىٰ ليست سُبلاً إلى الله إلّا إذا انتهت إلىٰ هذا الطريق الرئيس.

الطرق إلىٰ الله عدد أنفاس الخلائق

ثمة تساؤل جدير بالإثارة، وهو: إذا كانت «الطرق إلىٰ الله عدد أنفاس الخلائق» الواردة في كلام عدد من المحدّثين والحكماء كمبدأ ثابت، وتارةً تطرح كحديث نبويّ، فهل ينافي هذا الأَمر وحدة الصراط الإلهيّ المستقيم؟

إنّ الجواب هو أنّ هذا الكلام لم يرد في أيّ مصدر من المصادر الحديثيّة المعتمدة، وقد تفرّد المرحوم الملّا أَحمد النراقي ـ رضوان الله تعالىٰ عليه ـ بذكره في كتاب «مَثْنَوي طاقْديس» كحديث من الأَحاديث[٢].

سواءٌ أَكان هذا الكلام حديثاً أم لم يكن، فإنّه لا يعني ما أُستند إليه بعض أَدعياء الثّقافة في عصرنا من التعدّديّة الدينيّة، بل يعني أنّ الطرق الفرعيّة المتّصلة بالطريق الأصليّ للدِّين المسمّىٰ الصراط المستقيم كثيرة، وكلّ شخص يستطيع أن يبلغه من

---

١. العنكبوت: ٦٩.

٢. راجع: مثْنوِيْ طاقديس: ص ٢٠٦. بيان حديث «الطرق إلىٰ الله عدد أنفاس الخلائق».

الطريق الذي يناسب قابليّته واستعداده. يقول العلّامة المجلسيّ قدس الله سرّه في هذا الشأن:

«ثمّ إنّ أفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان، وتحصيل الاطمئنان، كمّاً وكيفاً، شدّةً وضعفاً، سرعةً وبطئاً، حالاً وعلماً، وكشفاً وعياناً وإن كان أصل المعرفة فطرياً، إمّا ضروري أو يهتدى إليه بأدنى تنبيه، فلكلّ طريقة هداه الله ﷻ إليها إن كان من أهل الهداية، والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، وهم درجات عند الله ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾»[١].[٢]

١. بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٣٧ و راجع: مثنوي طاقديس: ص ٢٠٦.

٢. المجادلة: ١١.

الفصل الخامس

دور معرفة الخلق في معرفة الخالق

يعتبر القرآن الكريم جميع ما في عالم الوجود آياتٍ واضحة وعلائم بينة ودلالات قاطعة على وجود خالق الكون، يعني أنّ الموجودات جميعاً من أَصغر الذرّات إِلى أَكبر المجرّات ومن النواة إِلى أَكبر الأَجرام السماوية ومن المخلوقات المرئية وغير المرئية، كلّها خلقت لتكون آيةً واضحةً ومرآةً صادقةً ودليلاً قاطعاً على وجود خالقها.

وإذا لم يكن ثمّة حجاب علىٰ نظر الإنسان، ولم تُغلِق موانعُ المعرفة القلبية والعقلية مسامعَ قلبه وعقله، فإنّه حيثما يتطلع في مرآة الموجودات الكونيّة من الأَرض والجبال والصحاري والبحار والأَشجار وغيرها، يتجلّىٰ له الخالق ـ جلّ وعلا ـ فالكون كلّه شاهد عليه، وكلّ ما في الآفاق دليلٌ عليه، فما أَروعَ قول الشاعر:

فيا عجباً كيف يُعصىٰ الإله ... أم كيف يجحده الجاحدُ

وفي كلّ شيء له آيةٌ ... تدلّ على أنّه واحدُ

ومن وجهة النظر القرآنية لا يمكن أن يكون الإنسان عارفاً بالعالم وغير عارفٍ بالله، أي أنّه يرىٰ المخلوقات ولا يرى خالقها، ولا يمكن أن يتطلّع في مرآة

الوجود فلا يتجلّىٰ له خالق الوجود، إلّا أن يكون هناك نقصٌ في نظره.

إنّ هذه الحقيقة القرآنية طرحها أَميرالمؤمنين عليّ عليه السلام في مواضع مختلفة بعبارات متعدّدة وبشكلٍ ساحرٍ يستهوي القلوب، وحديثه عليه السلام في هذا المجال يعدّ من أَبلغ البيان لمعرفة الله تعالىٰ عن طريق الآيات والدلالات، ومنها قوله عليه السلام:

«الحَمدُ لِلّٰهِ المُتَجَلّي لِخَلقِهِ بِخَلقِهِ، وَالظّاهِرِ لِقُلوبِهِم بِحُجَّتِهِ»[1].

قد تمرّون على هذه العبارة مرّ الكرام، وفي الواقع أنّ روعتها وعمقها في غِنىً عن الشرح والتوضيح، فإنّ تجلّي الخالق للإنسان ليس بالأَمر الذي يمكن وصفه بالكتابة والكلام، إنّه أَمرٌ ذوقيٌّ نظريّ، ومن الطبيعي أنّ من سلمت ذائقة روحه وثقبت عين بصيرته مثل أَمير المؤمنين عليّ عليه السلام؛ فإنّه يعتبر الخلق كلّه مرآة لجمال الخالق وجلاله.

تجلّي الخالق في مرآة الخلق

إنّ إدراك تجلّي الخالق في مرآة الخلق يتناسب شدّةً وضعفاً مع ميزان قوّة رؤية الإنسان، فكلّما كانت موانع المعرفة عنده أقلّ وقوّة الرؤية العقلية والقلبية أكثر، فإنّ تجلّي الخالق ـ تبارك وتعالى ـ في مرآة الخلق بالنسبة له أكثر إحساساً وأشدّ إدراكاً.

إنّ المحقّق البحراني، في بيانه لأَنواع الادراكات الإنسانية لتجلّيات الخالق في الخلق، يُصنّف النّاسَ إلى أَربعة أَصناف فيقول:

«إنّ تجلّيه يعود إلى إجلاء معرفته من مصنوعاته لقلوب عباده، حتىٰ أَشبهت كلّ ذرةٍ من مخلوقاته مرآةً ظهر فيها لهم، فهم يشاهدونه على قدر قبولهم لمشاهدته وتفاوت تلك المشاهدة بحسب تفاوت أَشعّة أَبصار بصائرهم؛ فمنهم: من يرى

---

١. راجع: ص ١٢١ ح ٣٥١٣.

الصنيعة أَولاً والصانع ثانياً. ومنهم: من يراهما معاً. ومنهم: من يرى الصانع أولاً. ومنهم: من لا يرى مع الصّانع غيره»[١].

ولأَجل توضيح هذا التقسيم فإنّنا نذكر مثالاً يوضّح إلى حدّ ما هذا المطلب؛ لو كانت لديك مرآة وتريد أن تنظر إلىٰ صورة شيء معيّن فيها، فإنّك تارة ترى المرآة أَوّلاً ثمّ ترى الصورة، وتارة ترى المرآة والصورة معاً، أي عند رؤية الصورة تنتبه إلى المرآة أيضاً، وتارة ترى الصورة أَوّلاً ثُمّ تنتبه إلى المرآة، وتارة تُمعِن النّظر في الصورة إلى الحدّ الذي لا تنتبه إلّا إلى الصورة التي في المرآة، فلا ترى شيئاً آخر غيرها.

ومع الاعتناء بهذا المثال فإنّه يمكن تقسيم الناس، الذين يتمتّعون بالبصيرة العقلية من حيث إدراك تجلّي الخالق في مرآة الخلق، إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: أُولئك الذين يراجعون مرآة الخلق، فيشاهدون تلك المرآة أَوّلاً، ثُمّ يتجلّى الخالق ثانياً لعقولهم من خلال مطالعة مرآة الخلق وملاحظتها.

القسم الثاني: الذين يتمتعون بقوّة رؤية أَدقّ، فيعرفون الخالق قبل معرفة القسم الأَوّل، حيث يرون مرآة الخلق والخالق في آنٍ واحد، وبعبارة أُخرىٰ: إنّهم يرون الخالق في هذه المرآة وبواسطتها، أي في الوقت الذي ترىٰ عيونهم الجبل والبحر والشجر وغيرها من الموجودات، فإنّهم يرون الخالق ـ جلّ وعلا ـ بالبصيرة العقلية.

القسم الثالث: أُولئك الّذين تعشّقوا الخالق وتولّهوا به إلى درجة، حينما ينظرون إلى مرآة الخلق، يرون الخالق أَوّلاً، ثُمّ ينتبهون إلى الخلق، فهم يتوصّلون إلى

---

١. شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج ٣ ص ٣٨.

الخلق عن طريق الخالق، ولا يتوصّلون إِلى الخالق عن طريق الخلق.

القسم الرابع: هم الذين في أَوج المعرفة الإلهية، وإِنّ معرفتهم ومحبّتهم لله سبحانه بلغت حدّاً بحيث لا يرون شيئاً إِلّا هو تعالىٰ، وهذه المرتبة لا يبلغها إِلّا الأَنبياء عليهم السلام ومن بلغ الكمال من البشر الذين يرون أنّ الوجود الحقيقي منحصر بالله تعالىٰ وحدَه، ووجود ما عداه سبحانه اعتباريّ كالظلّ[١].

---

١. هؤلاء الذين يقولون عند مناجاة الخالق ـ جلّ وعلا ـ ما ورد في دعاء عرفة المنسوب إلى الإمام الحسين عليه السلام، والذي جاء فيه: «كيف يُستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقرٌ إليك، أ لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّىٰ يكون هو المُظهِر لك؟ متى غِبتَ حتّىٰ تحتاجَ إلى دليلٍ يدلُّ عليك؟ ومتىٰ بَعُدتَ حتّىٰ تَكونَ الآثارُ هي التي تـوصِل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيباً ...».

الباب الأول

جوامع آيات معرفة الله في الخلقة

الكتاب

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۞ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.[1]

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[2]

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾.[3]

---

١. آل عمران: ١٩٠ و ١٩١.

٢. البقرة: ١٦٤.

٣. الجاثية: ٣ـ٦.

﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.[١]

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْآيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.[٢]

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.[٣]

الحديث

٣٤٩٨. رسول الله ﷺ ـ في بَيانِ صِفاتِ الباري جَلَّ و عَلا ـ: فَوقَ كُلِّ شَيءٍ عَلا، ومِن كُلِّ شَيءٍ دَنا، فَتَجَلّىٰ لِخَلقِهِ مِن غَيرِ أن يَكونَ يُرىٰ.[٤]

٣٤٩٩. عنه ﷺ: يا مَن فِي السَّماءِ عَظَمَتُهُ، يا مَن فِي الأَرضِ آياتُهُ، يا مَن في كُلِّ شَيءٍ دَلائِلُهُ، يا مَن فِي البِحارِ عَجائِبُهُ، يا مَن فِي الجِبالِ خَزائِنُهُ، يا مَن يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ، يا مَن إلَيهِ يَرجِعُ الأَمرُ كُلُّهُ، يا مَن أظهَرَ في كُلِّ شَيءٍ لُطفَهُ، يا مَن أحسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ، يا مَن تَصَرَّفَ فِي الخَلائِقِ قُدرَتُهُ.[٥]

٣٥٠٠. الإمام عليّ عليه السلام: إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أتاهُ ناسٌ مِن أيادٍ، فَقالَ لَهُم: وَيحَكُم! ما فَعَلَ قُسُّ بنُ ساعِدَةَ؟

قالوا: ماتَ يا رَسولَ اللهِ.

---

١. يونس: ٦.

٢. يونس: ١٠٠ و ١٠١.

٣. إبراهيم: ١٠.

٤. التوحيد: ص ٤٥ ح ٤ عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام، علل الشرائع: ص ١١٩ ح ١ عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عليه السلام، كفاية الأثر: ص ١٦١ عن هشام بن محمّد عن أبيه عن الإمام الحسن عليه السلام، بحار الأنوار: ج ١١ ص ٣٨ ح ٣٥.

٥. البلد الأمين: ص ٤٠٧، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٣٩١.

فَقالَ عليه السلام: ما أَحَدٌ كانَ مِن أَهلِ الجاهِلِيَّةِ كانَ أَحَبَّ إِلَيَّ أن أَلقاهُ مِنهُ لِشَيءٍ سَمِعتُهُ مِنهُ فِي سوقٍ، وأنَا مَعَ عَمّي أَبي طالِبٍ غُلامٌ، سَمِعتُهُ وَالنّاسُ حَولَهُ، وهُوَ يَقولُ: أَيُّهَا النّاسُ، إِنّي قد بَلَغتُ سِنّاً، فَاسمَعوا مَقالَتي: أَرىٰ سَماءً مَبنِيَّةً، وأَرىٰ شَمساً مَضحِيَّةً، وأَرىٰ قَمَراً بَدرِيّاً، وأَرىٰ نُجوماً تَسري، وأَرىٰ جِبالاً مَرسِيَّةً، وأَرىٰ أَرضاً مَدحُوَّةً، وأَرىٰ لَيلاً ونَهاراً ومَطَراً وشِتاءً وصَيفاً ونَباتاً، وأَرىٰ مَن ماتَ لا يَرجِعُ، فَلا أَدري رَضوا فَقاموا، أم سَخَطوا فَناموا! أَمّا بَعدُ؛ فَإِنّ لِهٰذِهِ الأَشياءِ رَبّاً يُدَبِّرُها لِمَن عَقِلَ فِي اختِلافِ هٰذِهِ الأَشياءِ.[1]

٣٥٠١. عنه عليه السلام: كَفىٰ بِإِتقانِ الصُّنعِ لَها [أي المَخلوقاتِ] آيَةً، وبِمُرَكَّبِ الطَّبعِ عَلَيها دَلالَةً، وبِحُدوثِ الفِطَرِ عَلَيها قِدمَةً، وبِإِحكامِ الصَّنعَةِ لَها عِبرَةً.[2]

٣٥٠٢. عنه عليه السلام: بِصُنعِ اللهِ يُستَدَلُّ عَلَيهِ، وبِالعُقولِ تُعتَقَدُ مَعرِفَتُهُ، وبِالفِكرَةِ تَثبُتُ حُجَّتُهُ، وبِآياتِهِ احتَجَّ عَلىٰ خَلقِهِ.[3]

٣٥٠٣. عنه عليه السلام: بِصُنعِ اللهِ يُستَدَلُّ عَلَيهِ، وبِالعُقولِ تُعتَقَدُ مَعرِفَتُهُ، وبِالنَّظَرِ تَثبُتُ حُجَّتُهُ.[4]

٣٥٠٤. عنه عليه السلام: بِصُنعِ اللهِ يُستَدَلُّ عَلَيهِ، وبِالعُقولِ تُعتَقَدُ مَعرِفَتُهُ، وبِالتَّفَكُّرِ تَثبُتُ حُجَّتُهُ، مَعروفٌ بِالدَّلالاتِ، مَشهودٌ بِالبَيِّناتِ.[5]

---

١. الجعفريّات: ص ١٧٤ عن الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام.

٢. التوحيد: ص ٧١ ح ٢٦ عن الهيثم بن عبد الله الرمّاني عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام، البلد الأمين: ص ٩٢، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٢.

٣. تحف العقول: ص ٦٢، التوحيد: ص ٣٥ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥١ ح ٥١ كلاهما عن القاسم بن أيّوب العلوي عن الإمام الرضا عليه السلام، الأمالي للمفيد: ص ٢٥٤ ح ٤ عن محمّد بن زيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام، الأمالي للطوسي: ص ٢٢ ح ٢٨ عن محمّد بن يزيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٦٠ ح ٢٨٣ عن الإمام الرضا عليه السلام وكلّها نحوه، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٨ ح ٣.

٤. الإرشاد: ج ١ ص ٢٢٣ عن صالح بن كيسان، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٥ ح ١١٤ وفيه «بالفكر» بدل «بالنظر».

٥. جامع الأخبار: ص ٣٥ ح ١٤، روضة الواعظين: ص ٢٥، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٥٥ ح ٢٨.

٣٥٠٥. عنه عليه السلام: ظَهَرَ للعُقولِ بِما أرانا مِن عَلاماتِ التَّدبيرِ المُتقَنِ، وَالقَضاءِ المُبرَمِ.[١]

٣٥٠٦. عنه عليه السلام: ظَهَرَ فِي العُقولِ بِما يُرىٰ في خَلقِهِ مِن عَلاماتِ التَّدبيرِ... وهُوَ الحَكيمُ العَليمُ، أَتقَنَ ما أَرادَ مِن خَلقِهِ مِنَ الأَشباحِ كُلِّها، لا بِمِثالٍ سَبَقَ إِلَيهِ، ولا لُغوبٍ دَخَلَ عَلَيهِ في خَلقِ ما خَلَقَ لَدَيهِ.[٢]

٣٥٠٧. عنه عليه السلام: ظَهَرَت فِي بَدائِعِ الَّذي أَحدَثَها آثارُ حِكمَتِهِ، وصارَ كُلُّ شَيءٍ خَلَقَ حُجَّةً لَهُ ومُنتَسِباً إِلَيهِ؛ فَإِن كانَ خَلقاً صامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدبيرِ ناطِقَةٌ فيهِ.[٣]

٣٥٠٨. عنه عليه السلام: عَجِبتُ لِمَن شَكَّ فِي اللهِ وهُوَ يَرىٰ خَلقَ اللهِ.[٤]

٣٥٠٩. عنه عليه السلام ـ لَمّا سُئِلَ عَن إِثباتِ الصّانِعِ ـ: البَعرَةُ تَدُلُّ عَلَى البَعيرِ، وَالرَّوثَةُ تَدُلُّ عَلَى الحَميرِ، وآثارُ القَدَمِ تَدُلُّ عَلَى المَسيرِ، فَهَيكَلٌ عِلوِيٌّ بِهٰذِهِ اللَّطافَةِ، ومَركَزٌ سِفلِيٌّ بِهٰذِهِ الكَثافَةِ، كَيفَ لا يَدُلّانِ عَلَى اللَّطيفِ الخَبيرِ؟![٥]

٣٥١٠. عنه عليه السلام ـ فيما نُسِبَ إِلَيهِ أَنَّهُ كانَ كَثيراً ما يَقولُ إِذا فَرَغَ مِن صَلاةِ اللَّيلِ ـ: أَشهَدُ أَنَّ السَّماواتِ وَالأَرضَ وما بَينَهُما آياتٌ تَدُلُّ عَلَيكَ، وشَواهِدُ تَشهَدُ بِما إِلَيهِ دَعَوتَ. كُلُّ ما يُؤَدّي عَنكَ الحُجَّةَ، ويَشهَدُ لَكَ بِالرُّبوبِيَّةِ، مَوسومٌ بِآثارِ نِعمَتِكَ ومَعالِمِ تَدبيرِكَ. عَلَوتَ بِها عَن خَلقِكَ، فَأَوصَلتَ إِلَى القُلوبِ مِن مَعرِفَتِكَ ما آنَسَها مِن وَحشَةِ الفِكرِ، وكَفاها رَجمَ الاِحتِجاجِ؛ فَهِيَ مَعَ مَعرِفَتِها بِكَ ووَلَهِها إِلَيكَ شاهِدَةٌ بِأَنَّكَ لا تَأخُذُكَ

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢ عن نوف البكالي، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٣٠٨ ح ١٣.

٢. الكافي: ج ١ ص ١٤١ ح ٧، التوحيد: ص ٣١ ح ١ وفيه «الأشياء» بدل «الأشباح» وكلاهما عن الحارث الأعور، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٦٧ ح ١٠٧.

٣. التوحيد: ص ٥٢ ح ١٣، نهج البلاغة: الخطبة ٩١ نحوه وكلاهما عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٧٦ ح ١٦.

٤. نهج البلاغة: الحكمة ١٢٦، خصائص الأئمّة عليهم السلام: ص ١٠١، الأمالي للطوسي: ص ٦٦٣ ح ١٣٨٧، المحاسن: ج ١ ص ٣٧٨ ح ٨٣٢ كلاهما عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدين عليه السلام نحوه، بحار الأنوار: ج ٧ ص ٤٢ ح ١٤.

٥. جامع الأخبار: ص ٣٥ ح ١٣، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٥٥ ح ٢٧ وراجع روضة الواعظين: ص ٣٩.

الأَوهامُ، ولا تُدرِكُكَ العُقولُ وَلَا الأَبصارُ.[١]

٣٥١١. عنه ﷺ: بِها [أي بِالمَخلوقَاتِ] تَجَلّىٰ صانِعُها لِلعُقولِ.[٢]

٣٥١٢. عنه ﷺ: الحَمدُ للهِ الَّذي... تَتَلَقّاهُ الأَذهانُ لا بِمُشاعَرَةٍ، وتَشهَدُ لَهُ المَرائي لا بِمُحاضَرَةٍ. لَم تُحِط بِهِ الأَوهامُ، بَل تَجَلّىٰ لَها بِها.[٣]

٣٥١٣. عنه ﷺ: الحَمدُ للهِ المُتَجَلّي لِخَلقِهِ بِخَلقِهِ، وَالظّاهِرِ لِقُلوبِهِم بِحُجَّتِهِ.[٤]

٣٥١٤. عنه ﷺ: أَقامَ مِن شَواهِدِ البَيِّناتِ عَلىٰ لَطيفِ صَنعَتِهِ، وعَظيمِ قُدرَتِهِ، مَا انقادَت لَهُ العُقولُ مُعتَرِفَةً بِهِ، ومُسَلِّمَةً لَهُ، ونَعَقَت في أَسماعِنا دَلائِلُهُ عَلىٰ وَحدانِيَّتِهِ.[٥]

٣٥١٥. عنه ﷺ ـ لَمّا قالَ لَهُ الجاثَليقُ في مُناظَرَتِهِ: خَبِّرني عَنهُ تَعالىٰ، أ مُدرَكٌ بِالحَواسِّ عِندَكَ فَيَسلُكَ المُستَرشِدُ في طَلَبِهِ استِعمالَ الحَواسِّ، أم كَيفَ طَريقُ المَعرِفَةِ بِهِ إن لَم يَكُنِ الأَمرُ كَذٰلِكَ؟ فَقالَ ـ: تَعالَى المَلِكُ الجَبّارُ أن يُوصَفَ بِمِقدارٍ، أو تُدرِكَهُ الحَواسُّ أو يُقاسَ بِالنّاسِ، وَالطَّريقُ إلىٰ مَعرِفَتِهِ صَنائِعُهُ الباهِرَةُ لِلعُقولِ، الدّالَّةُ ذَوِي الاِعتِبارِ بِما هُوَ عِندَهُ مَشهودٌ ومَعقولٌ.[٦]

٣٥١٦. عنه ﷺ ـ في خَلقِ السَّماءِ وَالكَونِ ـ: وكَذٰلِكَ السَّماءُ وَالهَواءُ، وَالرِّياحُ وَالماءُ، فَانظُر

---

١. شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٥٥ ح ١.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦، تحف العقول: ص ٦٦، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٦ ح ١١٦ وج ٢ ص ٣٦٤ ح ٢٨٣ عن الإمام الرضا ﷺ، التوحيد: ص ٣٩ ح ٢ عن محمّد بن يحيىٰ وأحمد بن عبد الله العلوي عن الإمام الرضا ﷺ نحوه، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٣٠ ح ٣.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٨٠ ح ١١٧، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٦١ ح ٩.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨، بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٢٣٩ ح ٩٩٩.

٥. نهج البلاغة: الخطبة ١٦٥، بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٣٠ ح ١.

٦. الأمالي للطوسي: ص ٢٢٠ ح ٣٨٢، الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥٥٥ ح ١٤، المناقب لابن شهرآشوب: ج ٢ ص ٢٥٨ كلّها عن سلمان الفارسي، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٥٦ ح ٢.

إِلَى الشَّمسِ وَالقَمَرِ، وَالنَّباتِ وَالشَّجَرِ، وَالماءِ وَالحَجَرِ، وَاختِلافِ هٰذَا اللَّيلِ وَالنَّهارِ، وتَفَجُّرِ هٰذِهِ البِحارِ، وكَثرَةِ هٰذِهِ الجِبالِ، وطولِ هٰذِهِ القِلالِ[1]، وتَفرُّقِ هٰذِهِ اللُّغاتِ، وَالأَلسُنِ المُختَلِفاتِ.

فَالوَيلُ لِمَن أنكَرَ المُقَدِّرَ، وجَحَدَ المُدَبِّرَ! زَعَموا أنَّهُم كَالنَّباتِ ما لَهُم زارِعٌ، ولا لِاختِلافِ صُوَرِهِم صانِعٌ؛ ولَم يَلجَؤوا إلىٰ حُجَّةٍ فيمَا ادَّعَوا، ولا تَحقيقٍ لِما أوعَوا. وهَل يَكونُ بِناءٌ مِن غَيرِ بانٍ، أو جِنايَةٌ مِن غَيرِ جانٍ؟![2]

٣٥١٧. عنه عليه السلام ـ في ذِكرِ الدُّنيا وَ المَخلوقاتِ ـ: ولَوِ اجتَمَعَ جَميعُ حَيَوانِها؛ مِن طَيرِها وبَهائِمِها، وما كانَ مِن مُراحِها وسائِمِها، وأَصنافِ أَسناخِها وأَجناسِها، ومُتَبَلِّدَةِ أُمَمِها وأَكياسِها، عَلىٰ إحداثِ بَعوضَةٍ، ما قَدَرَت عَلىٰ إحداثِها، ولا عَرَفَت كَيفَ السَّبيلُ إلىٰ إيجادِها، ولَتَحَيَّرَت عُقولُها في عِلمِ ذٰلِكَ وتاهَت، وعَجَزَت قُواها وتَناهَت، ورَجَعَت خاسِئَةً حَسيرَةً، عارِفَةً بِأَنَّها مَقهورَةٌ، مُقِرَّةً بِالعَجزِ عَن إنشائِها، مُذعِنَةً بِالضَّعفِ عَن إفنائِها![3]

٣٥١٨. الإمام الحسين عليه السلام ـ فيما نُسِبَ إلَيهِ مِن دُعاءِ عَرَفَةَ ـ: أنتَ الَّذي تَعَرَّفتَ إلَيَّ في كُلِّ شَيءٍ، فَرَأَيتُكَ ظاهِراً في كُلِّ شَيءٍ، وأنتَ الظّاهِرُ لِكُلِّ شَيءٍ.[4]

٣٥١٩. الإمام الباقر عليه السلام ـ في قَولِ اللهِ عزّ وجلّ: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[5] ـ: مَن لَم يَدُلَّهُ خَلقُ السَّماواتِ وَالأَرضِ، وَاختِلافُ اللَّيلِ وَالنَّهارِ، ودَوَرانُ الفَلَكِ وَالشَّمسِ وَالقَمَرِ، وَالآياتُ العَجيباتُ عَلىٰ أنَّ وَراءَ ذٰلِكَ أمراً أعظَمَ

---

١. هي جمع القُلَّة: أعلى الجبل (القاموس المحيط: ج ٤ ص ٤٠ «قلل»).

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٨٢ ح ١١٧، بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٣٩ ح ١٩.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٨ ح ١١٦، بحار الأنوار: ج ٦ ص ٣٣٠ ح ١٦.

٤. الإقبال (طبعة دار الكتب الإسلاميّة): ص ٣٥٠، بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٤٢.

٥. الإسراء: ٧٢.

مِنهُ ﴿فَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾، فَهُوَ عَمّا لَم يُعايِن أَعمىٰ وأَضَلُّ.[١]

٣٥٢٠. عنه ﷺ: كَفىٰ لِأُولِي الأَلبابِ بِخَلقِ الرَّبِّ المُسَخِّرِ، ومُلكِ الرَّبِّ القاهِرِ، وجَلالِ الرَّبِّ الظّاهِرِ، ونورِ الرَّبِّ الباهِرِ، وبُرهانِ الرَّبِّ الصّادِقِ، وما أَنطَقَ بِهِ أَلسُنَ العِبادِ، وما أَرسَلَ بِهِ الرُّسُلَ، وما أَنزَلَ عَلَى العِبادِ؛ دَليلاً عَلَى الرَّبِّ.[٢]

٣٥٢١. الإمام الصادق ﷺ ـ لَمّا سَأَلَهُ الزِّنديقُ: مَا الدَّليلُ عَلَيهِ؟ قالَ ـ: وُجودُ الأَفاعيلِ دَلَّت عَلَى أنَّ صانِعاً صَنَعَها. ألا تَرىٰ أَنَّكَ إذا نَظَرتَ إلىٰ بِناءٍ مُشَيَّدٍ مَبنِيٍّ عَلِمتَ أنَّ لَهُ بانِياً وإن كُنتَ لَم تَرَ البانِيَ ولَم تُشاهِدهُ؟![٣]

٣٥٢٢. عنه ﷺ: لَو لَم يَكُنِ الشّاهِدُ دَليلاً عَلَى الغائِبِ، لَما كانَ لِلخَلقِ طَريقٌ إلىٰ إثباتِهِ تَعالىٰ.[٤]

٣٥٢٣. عنه ﷺ ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: يا مُفَضَّلُ، أَوَّلُ العِبَرِ وَالأَدِلَّةِ عَلَى الباري ـ جَلَّ قُدسُهُ ـ تَهيِئَةُ هٰذَا العالَمِ، وتَأليفُ أَجزائِهِ ونَظمُها عَلىٰ ما هِيَ عَلَيهِ؛ فَإِنَّكَ إذا تَأَمَّلتَ العالَمَ بِفِكرِكَ ومَيَّزتَهُ بِعَقلِكَ وَجَدتَهُ كَالبَيتِ المَبنِيِّ، المُعَدِّ فيهِ جَميعُ ما يَحتاجُ إلَيهِ عِبادُهُ، فَالسَّماءُ مَرفوعَةٌ كَالسَّقفِ، وَالأَرضُ مَمدودَةٌ كَالبِساطِ، وَالنُّجومُ مَنضودَةٌ كَالمَصابيحِ، وَالجَواهِرُ مَخزونَةٌ كَالذَّخائِرِ، وكُلُّ شَيءٍ فيها لِشَأنِهِ مُعَدٌّ، وَالإِنسانُ كَالمُمَلَّكِ ذٰلِكَ البَيتِ، وَالمُخَوَّلِ جَميعَ ما فيهِ، وضُروبُ النَّباتِ مُهَيَّأَةٌ لِمَآرِبِهِ، وصُنوفُ الحَيَوانِ مَصروفَةٌ في مَصالِحِهِ ومَنافِعِهِ. فَفي هٰذا دَلالَةٌ واضِحَةٌ عَلىٰ أنَّ العالَمَ مَخلوقٌ بِتَقديرٍ وحِكمَةٍ، ونِظامٍ ومُلاءَمَةٍ، وأنَّ الخالِقَ لَهُ واحِدٌ، وهُوَ الَّذي

---

١. التوحيد: ص ٤٥٥ ح ٦، الاحتجاج: ج ٢ ص ١٦٥ ح ١٩٣ كلاهما عن محمّد بن مسلم، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٨ ح ٢.

٢. الكافي: ج ١ ص ٨٢ ح ٦ عن أبي سعيد الزهري.

٣. الكافي: ج ١ ص ٨١ ح ٥، التوحيد: ص ٢٤٤ ح ١، الاحتجاج: ج ٢ ص ١٩٧ ح ٢١٣ كلّها عن هشام بن الحكم، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١٩٥ ح ٣.

٤. عوالي اللآلي: ج ٣ ص ٢٨٦ ح ٢٨.

أَلَّفَهُ ونَظَمَهُ بَعضاً إِلىٰ بَعضٍ.[1]

٣٥٢٤. عنه عليه السلام ـ أَيضاً ـ: اِعلَم ـ يا مُفَضَّلُ ـ أَنَّ اسمَ هٰذَا العالَم بِلِسانِ اليونانِيَّةِ الجارِيَ المَعروفَ عِندَهُم «قوسموس» وتَفسيرُهُ «الزّينَةُ» وكَذٰلِكَ سَمَّتهُ الفَلاسِفَةُ ومَنِ ادَّعَى الحِكمَةَ، أفَكانوا يُسَمّونَهُ بِهٰذَا الاِسمِ إلّا لِما رَأَوا فيهِ مِنَ التَّقديرِ وَالنِّظامِ؟ فَلَم يَرضَوا أن يُسَمّوهُ تَقديراً ونِظاماً حَتّىٰ سَمَّوهُ زينَةً؛ لِيُخبِروا أَنَّهُ ـ مَعَ ما هُوَ عَلَيهِ مِنَ الصَّوابِ وَالإِتقانِ ـ عَلىٰ غايَةِ الحُسنِ وَالبَهاءِ.

أَعجَبُ ـ يا مُفَضَّلُ ـ مِن قَومٍ لا يَقضونَ صَناعَةَ الطِّبِّ بِالخَطَأِ وهُم يَرَونَ الطَّبيبَ يُخطِئُ، ويَقضونَ عَلَى العالَمِ بِالإِهمالِ ولا يَرَون شَيئاً مِنهُ مُهمَلاً!

بَل أعجَبُ مِن أَخلاقِ مَن ادَّعَى الحِكمَةَ حَتّىٰ جَهِلوا مَواضِعَها فِي الخَلقِ، فَأَرسَلوا أَلسِنَتَهُم بِالذَّمِّ لِلخالِقِ ـ جَلَّ وعَلا ـ!

بَلِ العَجَبُ مِنَ المَخذولِ «مانِيّ» حينَ ادَّعىٰ عِلمَ الأَسرارِ، وعَمِيَ عَن دَلائِلِ الحِكمَةِ فِي الخَلقِ، حَتّىٰ نَسَبَهُ إِلَى الخَطَأِ، ونَسَبَ خالِقَهُ إِلَى الجَهلِ، تَبارَكَ الحَليمُ الكَريمُ!

وأَعجَبُ مِنهُم جَميعاً المُعَطِّلَةُ الَّذين راموا أن يُدرَكَ بِالحِسِّ ما لا يُدرَكُ بِالعَقلِ، فَلَمّا أَعوَزَهُم ذٰلِكَ خَرَجوا إِلَى الجُحودِ وَالتَّكذيبِ فَقالوا: ولِمَ لا يُدرَكُ بِالعَقلِ؟

قيلَ: لِأَنَّهُ فَوقَ مَرتَبَةِ العَقلِ كَما لا يُدرِكُ البَصَرُ ما هُوَ فَوقَ مَرتَبَتِهِ؛ فَإِنَّكَ لَو رَأَيتَ حَجَراً يَرتَفِعُ فِي الهَواءِ عَلِمتَ أَنَّ رامِياً رَمىٰ بِهِ، فَلَيسَ هٰذَا العِلمُ مِن قِبَلِ البَصَرِ، بَل مِن قِبَلِ العَقلِ؛ لِأَنَّ العَقلَ هُوَ الَّذي يُمَيِّزُهُ، فَيَعلَمُ أَنَّ الحَجَرَ لا يَذهَبُ عُلواً مِن تِلقاءِ نَفسِهِ. أفَلا تَرىٰ كَيفَ وَقَفَ البَصَرُ عَلىٰ حَدِّهِ فَلَم يَتَجاوَزهُ؟ فَكَذٰلِكَ يَقِفُ العَقلُ عَلىٰ

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٦١ نقلاً عن الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

حَدِّهِ مِن مَعرِفَةِ الخالِقِ فَلا يَعدوهُ، ولٰكِن يَعقِلُهُ بِعَقلٍ أقَرَّ أنَّ فيهِ نَفساً ولَم يُعايِنها ولَم يُدرِكها بِحاسَّةٍ مِنَ الحَواسِّ.

وعَلىٰ حَسَبِ هٰذا أيضاً نَقولُ: إنَّ العَقلَ يَعرِفُ الخالِقَ مِن جِهَةٍ توجِبُ عَلَيهِ الإِقرارَ، ولا يَعرِفُهُ بِما يوجِبُ لَهُ الإِحاطَةَ بِصِفَتِهِ...

فَأَمّا أصحابُ الطَّبائِعِ فَقالوا: إنَّ الطَّبيعَةَ لا تَفعَلُ شَيئاً لِغَيرِ مَعنىً، ولا تَتَجاوَزُ عَمّا فيهِ تَمامُ الشَّيءِ في طَبيعَتِهِ، وزَعَموا أنَّ الحِكمَةَ تَشهَدُ بِذٰلِكَ. فَقيلَ لَهُم: فَمَن أعطَى الطَّبيعَةَ هٰذِهِ الحِكمَةَ وَالوُقوفَ عَلىٰ حُدودِ الأَشياءِ بِلا مُجاوَزَةٍ لَها، وهٰذا قَد تَعجِزُ عَنهُ العُقولُ بَعدَ طولِ التَّجارِبِ، فَإِن أوجَبوا لِلطَّبيعَةِ الحِكمَةَ وَالقُدرَةَ عَلىٰ مِثلِ هٰذِهِ الأَفعالِ فَقَد أقَرّوا بِما أنكَروا؛ لِأَنَّ هٰذِهِ هِيَ صِفاتُ الخالِقِ، وإن أنكَروا أن يَكونَ هٰذا لِلطَّبيعَةِ فَهٰذا وَجهُ الخَلقِ يَهتِفُ بِأَنَّ الفِعلَ لِلخالِقِ الحَكيمِ.[1]

٣٥٢٥. عنه ﷺ: فَنَظَرَتِ العَينُ إلىٰ خَلقٍ مُختَلِفٍ مُتَّصِلٍ بَعضُهُ بِبَعضٍ، ودَلَّها القَلبُ عَلىٰ أنَّ لِذٰلِكَ خالِقاً، وذٰلِكَ أنَّهُ فَكَّرَ حَيثُ دَلَّتهُ العَينُ عَلىٰ ما عايَنَت مِن عِظَمِ السَّماءِ وَارتِفاعِها فِي الهَواءِ، بِغَيرِ عَمَدٍ ولا دِعامَةٍ تُمسِكُها، وأنَّها لا تَتَأَخَّرُ فَتَنكَشِطَ، ولا تَتَقَدَّمُ فَتَزولَ، ولا تَهبِطُ مَرَّةً فَتَدنُوَ، ولا تَرتَفِعُ فَلا تُرىٰ.[2]

٣٥٢٦. عنه ﷺ ـ لِزِنديقٍ قالَ لَهُ: أخبِرني أيُّهَا الحَكيمُ، ما بالُ السَّماءِ لا يَنزِلُ مِنها إلَى الأَرضِ أحَدٌ، ولا يَصعَدُ مِنَ الأَرضِ إلَيها بَشَرٌ، ولا طَريقَ إلَيها ولا مَسلَكَ، فَلَو نَظَرَ العِبادُ في كُلِّ دَهرٍ مَرَّةً مَن يَصعَدُ إلَيها ويَنزِلُ لَكانَ ذٰلِكَ أثبَتَ فِي الرُّبوبِيَّةِ، وأنفىٰ لِلشَّكِّ وأقوىٰ لِليَقينِ، وأجدَرُ أن يَعلَمَ العِبادُ أنَّ هُناكَ مُدَبِّراً إلَيهِ يَصعَدُ الصّاعِدُ، ومِن عِندِهِ يَهبِطُ الهابِطُ؟ ـ: إنَّ كُلَّ ما تَرىٰ فِي الأَرضِ مِنَ التَّدبيرِ إنَّما هُوَ يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ، ومِنها

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٤٦ نقلاً عن الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٢. تفسير نور الثقلين: ج ٤ ص ١٩٥ ح ١٦ نقلاً عن كتاب الإهليلجة وراجع بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٦٢.

يَظهَرُ، أما تَرَى الشَّمسَ مِنها تَطلَعُ، وهِيَ نورُ النَّهارِ، وفيها قِوامُ الدُّنيا، ولَو حُبِسَت حارَ مَن عَلَيها وهَلَكَ، وَالقَمرَ مِنها يَطلَعُ، وهُوَ نورُ اللَّيلِ، وبِهِ يُعلَمُ عَـدَدُ السِّـنينَ وَالحِسابُ وَالشُّهورُ والأَيّامُ، ولَو حُبِسَ لَحارَ مَن عَلَيها وفَسَدَ التَّدبيرُ، وفِي السَّماءِ النُّجومُ الَّتي يُهتَدىٰ بِها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ، ومِنَ السَّماءِ يَنزِلُ الغَيثُ الَّذي فيهِ حَياةُ كُلِّ شَيءٍ؛ مِنَ الزَّرعِ وَالنَّباتِ وَالأَنعامِ، وكُلِّ الخَلقِ لَو حُبِسَ عَنهُم لَما عاشوا. وَالرِّيحَ لَو حُبِسَت أيّاماً لَفَسَدَتِ الأَشياءُ جَميعاً وتَغَيَّرَت، ثُمَّ الغَيمَ وَالرَّعدَ وَالبَـرقَ وَالصَّواعِقَ، كُلُّ ذٰلِكَ إنَّما هُوَ دَليلٌ عَلىٰ أنَّ هُناكَ مُدَبِّراً يُدَبِّرُ كُلَّ شَيءٍ، ومِن عِندِهِ يَنزِلُ، وقَد كَلَّمَ اللهُ موسىٰ وناجاهُ، ورَفَعَ اللهُ عيسَىٰ بنَ مَريَمَ، وَالمَلائِكَةُ تَنزِلُ مِن عِندِهِ، غَيرَ أنَّكَ لا تُؤمِنُ بِما لَم تَرَهُ بِعَينِكَ، وفيما تَراهُ بِعَينِكَ كِفايَةٌ أن تَفهَمَ وتَعقِلَ.[١]

٣٥٢٧. عنه عليه السلام: ولَعَمري لَو تَفَكَّروا في هٰذِهِ الأُمورِ العِظامِ لَعايَنوا مِن أمرِ التَّركيبِ البَيِّنِ، ولُطفِ التَّدبيرِ الظّاهِرِ، ووُجودِ الأَشياءِ مَخلوقَةً بَعدَ أن لَم تَكُن، ثُمَّ تَحَوُّلِها مِن طَبيعَةٍ إلىٰ طَبيعَةٍ، وصَنيعَةٍ بَعدَ صَنيعَةٍ، ما يَدُلُّهُم ذٰلِكَ عَلَى الصّانِعِ؛ فَإِنَّهُ لا يَخلو شَيءٌ مِنها مِن أن يَكونَ فيهِ أثَرُ تَدبيرٍ وتَركيبٍ يَدُلُّ عَلىٰ أنَّ لَهُ خالِقاً مُدَبِّراً، وتَأليفٍ بِتَدبيرٍ يَهدي إلىٰ واحِدٍ حَكيمٍ.[٢]

٣٥٢٨. الإمام الرضا عليه السلام ـ لَمّا سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الزَّنادِقَةِ: فَمَا الدَّليلُ عَلَيهِ؟ ـ: إنّي لَمّا نَظَرتُ إلىٰ جَسَدي ولَم يُمكِنّي فيهِ زِيادَةٌ ولا نُقصانٌ فِي العَرضِ وَالطّولِ ودَفعِ المَكـارِهِ عَـنهُ وجَرِّ المَنفَعَةِ إلَيهِ، عَلِمتُ أنَّ لِهٰذَا البُنيانِ بانِياً، فَأَقرَرتُ بِهِ مَعَ ما أرىٰ مِـن دَورانِ الفَلَكِ بِقُدرَتِهِ، وإنشاءِ السَّحابِ وتَصريفِ الرِّياحِ ومَجرَى الشَّمسِ وَالقَمَرِ وَالنُّجومِ،

---

١. الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٢٩ ح ٢٢٣، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١٧٤.

٢. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥٢ نقلاً عن الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

وغَيرِ ذٰلِكَ مِنَ الآياتِ العَجيباتِ المُبَيِّناتِ، عَلِمتُ أنَّ لِهٰذا مُقَدِّراً ومُنشِئاً.[١]

٣٥٢٩. عيون أخبار الرضا عن الحسن بن عليّ بن فضّال: قُلتُ لَهُ [الإمامِ الرِّضاؑ]: يَا ابنَ رَسولِ اللهِ، لِمَ خَلَقَ اللهُ‌ﷻ الخَلقَ عَلىٰ أنواعٍ شَتّىٰ ولَم يَخلُقهُ نَوعاً واحِداً؟

فَقالَ: لِئَلّا يَقَعَ فِي الأَوهامِ أنَّهُ عاجِزٌ، فَلا تَقَعُ صورَةٌ في وَهمِ مُلحِدٍ إلّا وقَد خَلَقَ اللهُ‌ﷻ عَلَيها خَلقاً، ولا يَقولُ قائِلٌ: هَل يَقدِرُ اللهُ‌ﷻ عَلىٰ أن يَخلُقَ عَلىٰ صُورَةِ كَذا وكَذا إلّا وَجَدَ ذٰلِكَ في خَلقِهِ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ فَيَعلَمُ بِالنَّظَرِ إلىٰ أنواعِ خَلقِهِ أنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.[٢]

٣٥٣٠. الإمام الرضا ؑ: يُدَلُّ عَلَى اللهِ‌ﷻ بِصِفاتِهِ، ويُدرَكُ بِأَسمائِهِ، ويُستَدَلُّ عَلَيهِ بِخَلقِهِ.[٣]

٣٥٣١. عنه ؑ: نِظامُ تَوحيدِ اللهِ نَفيُ الصِّفاتِ عَنهُ؛ لِشَهادَةِ العُقولِ أنَّ كُلَّ صِفَةٍ ومَوصوفٍ مَخلوقٌ، وشَهادَةِ كُلِّ مَخلوقٍ أنَّ لَهُ خالِقاً لَيسَ بِصِفَةٍ ولا مَوصوفٍ، وشَهادَةِ كُلِّ صِفَةٍ ومَوصوفٍ بِالاِقتِرانِ، وشَهادَةِ الاِقتِرانِ بِالحَدَثِ، وشَهادَةِ الحَدَثِ بِالامتِناعِ مِنَ الأَزَلِ المُمتَنِعِ مِنَ الحَدَثِ.[٤]

٣٥٣٢. عنه ؑ ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ ـ: يَعني أعمىٰ عَنِ الحَقائِقِ المَوجودَةِ.[٥]

---

١. الكافي: ج ١ ص ٧٨ ح ٣، التوحيد: ص ٢٥١ ح ٣، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣٢ ح ٢٨، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٥٥ ح ٢٨١ كلّها عن محمّد بن عبد الله الخراساني، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٦ ح ١٢.

٢. عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٧٥ ح ١، علل الشرائع: ص ١٤ ح ١٣، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٤١ ح ١٥.

٣. التوحيد: ص ٤٣٧ ح ١، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٧٥ ح ١ كلاهما عن الحسن بن محمّد النوفلي، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣١٥.

٤. التوحيد: ص ٣٥ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥٠ ح ٥١ نحوه وكلاهما عن محمّد بن يحيى بن عمر بن عليّ بن أبي طالب ؑ والقاسم بن أيّوب العلوي، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٦٠ ح ٢٨٣، تحف العقول: ص ٦١ عن الإمام عليّ ؑ، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٤٣ ح ١٧.

٥. التوحيد: ص ٤٣٨ ح ١، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٧٥ ح ١ كلاهما عن الحسن بن محمّد النوفلي، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣١٦ ح ١.

٣٥٣٣ . الإمام الجواد عليه السلام : كُلُّ مُتَجَزِّئٍ أو مُتَوَهَّمٍ بِالقِلَّةِ وَالكَثرَةِ فَهُوَ مَخلوقٌ دالٌّ عَلىٰ خالِقٍ لَهُ.[١]

٣٥٣٤ . المزار الكبير ـ فِي الدُّعاءِ ـ: صارَ كُلُّ شَيءٍ خَلَقتَهُ حُجَّةً لَكَ ومُنتَسَباً إلىٰ فِعلِكَ، وصادِراً عَن صُنعِكَ، فَمِن بَينِ مُبتَدَعٍ يَدُلُّ عَلىٰ إبداعِكَ، ومُصَوَّرٍ يَشهَدُ بِتَصويرِكَ، ومُقَدَّرٍ يُنبِئُ عَن تَقديرِكَ، ومُدَبَّرٍ يَنطِقُ عَن تَدبيرِكَ، ومَصنوعٍ يومِئُ إلىٰ تَأثيرِكَ، وأنتَ لِكُلِّ جِنسٍ مِن مَصنوعاتِكَ ومَبروءاتِكَ[٢] ومَفطوراتِكَ صانِعٌ و بارِئٌ وفاطِرٌ.[٣]

٣٥٣٥ . بحار الأنوار عن المولى محمّد تقي المجلسي رحمه الله : قالَ سُبحانَهُ: كُنتُ كَنزاً مَخفِيّاً، فَأَحبَبتُ أن أُعرَفَ، فَخَلَقتُ الخَلقَ لِكَي أعرَفَ.[٤]

راجع: ص ٦٥ (العقل).

---

١ . الكافي: ج ١ ص ١١٦ ح ٧، التوحيد: ص ١٩٣ ح ٧، الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٦٨ ح ٣٢١ كلّها عن أبي هاشم الجعفري، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٥٣ ح ١ وراجع: الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٧٥ ح ٢٨٥.

٢ . في المصدر: «مبروراتك»، والتصويب من بحار الأنوار.

٣ . المزار الكبير: ص ٩٩، بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٢٢٣ ح ٢٠.

٤ . بحار الأنوار: ج ٨٧ ص ١٩٩، إحقاق الحقّ: ج ١ ص ٤٣١، رسائل الكركي: ج ٣ ص ١٥٩ وفيه «لأن أُعرف» بدل «لكي أُعرف»، شرح الأسماء للسبزواري: ج ١ ص ٦٤. ولم نعثر على هذا الحديث في المصادر الأصليّة.

الباب الثاني

خلق الإنسان

٢ / ١
جوامع آيات معرفة الله في خلق الإنسان

الكتاب

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.[1]

الحديث

٣٥٣٦ . الإمام عليّ ﷺ ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2] ـ: قالَ: سَبيلُ الغائِطِ وَالبَولِ.[3]

٣٥٣٧ . عنه ﷺ: أيُّهَا المَخلوقُ السَوِيُّ، وَالمُنشَأُ المَرعِيُّ في ظُلُماتِ الأَرحامِ، ومُضاعَفاتِ الأَستارِ، بُدِئتَ مِن سُلالَةٍ مِن طينٍ، ووُضِعتَ في قَرارٍ مَكينٍ، إلىٰ قَدَرٍ مَعلومٍ، وأَجَلٍ مَقسومٍ، تَمورُ[4] في بَطنِ أُمِّكَ جَنيناً لا تُحيرُ دُعاءً، ولا تَسمَعُ نِداءً.

---

١ ـ ٢ . الجاثية: ٤، الذاريات: ٢١.

٣ . فضيلة الشكر للخرائطي: ص ٤٠ ح ٢٢ عن أصبغ بن نباته، الدرّ المنثور: ج ٧ ص ٦١٩ نقلاً عن مساوئ الأخلاق للخرائطي.

٤ . مار الشيء موراً: اضطرب وتحرّك (تاج العروس: ج ٧ ص ٤٩٦ «مور»).

ثُمَّ أُخرِجتَ مِن مَقَرِّكَ إلىٰ دارٍ لَم تَشهَدها، ولَم تَعرِف سُبُلَ مَنافِعِها؛ فَمَن هَداكَ لِاجتِرارِ الغِذاءِ مِن ثَديِ أُمِّكَ، وعَرَّفَكَ عِندَ الحاجَةِ مَواضِعَ طَلَبِكَ وإرادَتِكَ؟[1]

٣٥٣٨. بحار الأنوار عن المفضّل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام: فَكِّر - يا مُفَضَّلُ - في أعضاءِ البَدَنِ أجمَعَ وتَدبيرِ كُلٍّ مِنها لِلإربِ[2]؛ فَاليَدانِ لِلعِلاجِ، وَالرِّجلانِ لِلسَّعيِ، وَالعَينانِ لِلاِهتِداءِ، وَالفَمُ لِلاِغتِذاءِ، وَالمِعدَةُ لِلهَضمِ، وَالكَبِدُ لِلتَّخليصِ، وَالمَنافِذُ لِتَنفيذِ الفُضولِ، وَالأَوعِيَةُ لِحَملِها، وَالفَرجُ لِإِقامَةِ النَّسلِ، وكَذٰلِكَ جَميعُ الأَعضاءِ إذا تَأَمَّلتَها وأَعمَلتَ فِكرَكَ فيها ونَظَرَكَ؛ وَجَدتَ كُلَّ شَيءٍ مِنها قَد قُدِّرَ لِشَيءٍ عَلىٰ صَوابٍ وحِكمَةٍ.

فَقُلتُ: يا مَولايَ، إنَّ قَوماً يَزعُمونَ أنَّ هٰذا مِن فِعلِ الطَّبيعَةِ!

فَقالَ: سَلهُم عَن هٰذِهِ الطَّبيعَةِ، أهِيَ شَيءٌ لَهُ عِلمٌ وقُدرَةٌ عَلىٰ مِثلِ هٰذِهِ الأَفعالِ، أم لَيسَت كَذٰلِكَ؟ فَإِن أوجَبوا لَهَا العِلمَ وَالقُدرَةَ فَما يَمنَعُهُم مِن إثباتِ الخالِقِ فَإِنَّ هٰذِهِ صَنعَتُهُ؟ وإن زَعَموا أنَّها تَفعَلُ هٰذِهِ الأَفعالَ بِغَيرِ عِلمٍ ولا عَمدٍ، وكانَ في أفعالِها ما قَد تَراهُ مِنَ الصَّوابِ وَالحِكمَةِ عُلِمَ أنَّ هٰذَا الفِعلَ لِلخالِقِ الحَكيمِ، وأنَّ الَّذي سَمَّوهُ طَبيعَةً هُوَ سُنَّةٌ في خَلقِهِ الجارِيَةِ عَلىٰ ما أجراها عَلَيهِ ... .

أُنظُرِ الآنَ - يا مُفَضَّلُ - إلىٰ هٰذِهِ الحَواسِّ الَّتي خُصَّ بِهَا الإِنسانُ في خَلقِهِ وشُرِّفَ بِها عَلىٰ غَيرِهِ، كَيفَ جُعِلَتِ العَينانُ فِي الرَّأسِ كَالمَصابيحِ فَوقَ المَنارَةِ لِيَتَمَكَّنَ مِن مُطالَعَةِ الأَشياءِ، ولَم تُجعَل فِي الأَعضاءِ الَّتي تَحتَهُنَّ كَاليَدَينِ وَالرِّجلَينِ فَتَعرِضَهَا الآفاتُ، وتُصيبَها مِن مُباشَرَةِ العَمَلِ وَالحَرَكَةِ ما يُعَلِّلُها ويُؤَثِّرُ فيها ويَنقُصُ مِنها، ولا

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٦٣، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٤٧ ح ٣٤.

٢. الإربُ: الحاجة (لسان العرب: ج ١ ص ٢٠٨).

فِي الأَعضاءِ الَّتي وَسَطَ البَدَنِ كَالبَطنِ وَالظَّهرِ فَيَعسُرَ تَقَلُّبُها وَاطِّلاعُها نَحوَ الأَشياءِ، فَلَمّا لَم يَكُن لَها في شَيءٍ مِن هٰذِهِ الأَعضاءِ مَوضِعٌ كانَ الرَّأسُ أَسنَى المَواضِعِ لِلحَواسِّ، وهُوَ بِمَنزِلَةِ الصَّومِعَةِ لَها.

فَجَعَلَ الحَواسَّ خَمساً تَلقىٰ خَمساً لِكَيلا يَفوتَها شَيءٌ مِنَ المَحسوساتِ، فَخَلَقَ البَصَرَ لِيُدرِكَ الأَلوانَ؛ فَلَو كانَتِ الأَلوانُ ولَم يَكُن بَصَرٌ يُدرِكُها لَم يَكُن مَنفَعَةٌ فيها، وخَلَقَ السَّمعَ لِيُدرِكَ الأَصواتَ؛ فَلَو كانَتِ الأَصواتُ ولَم يَكُن سَمعٌ يُدرِكُها لَم يَكُن فيها إربٌ، وكَذٰلِكَ سائِرُ الحَواسِّ. ثُمَّ هٰذا يَرجِعُ مُتَكافِئاً؛ فَلَو كانَ بَصَرٌ ولَم يَكُن أَلوانٌ لَما كانَ لِلبَصَرِ مَعنىً، ولَو كانَ سَمعٌ ولَم يَكُن أَصواتٌ لَم يَكُن لِلسَّمعِ مَوضِعٌ.

فَانظُر كَيفَ قَدَّرَ بَعضَها يَلقىٰ بَعضاً فَجَعَلَ لِكُلِّ حاسَّةٍ مَحسوساً يَعمَلُ فيهِ، ولِكُلِّ مَحسوسٍ حاسَّةً تُدرِكُهُ.

ومَعَ هٰذا فَقَد جُعِلَت أَشياءُ مُتَوَسِّطَةً بَينَ الحَواسِّ وَالمَحسوساتِ، لا يَتِمُّ الحَواسُّ إلّا بِها، كَمِثلِ الضِّياءِ وَالهَواءِ؛ فَإِنَّهُ لَو لَم يَكُن ضِياءٌ يُظهِرُ اللَّونَ لِلبَصَرِ لَم يَكُنِ البَصَرُ يُدرِكُ اللَّونَ، ولَو لَم يَكُن هَواءٌ يُؤَدّي الصَّوتَ إلَى السَّمعِ لَم يَكُنِ السَّمعُ يُدرِكُ الصَّوتَ، فَهَل يَخفىٰ عَلىٰ مَن صَحَّ نَظَرُهُ وأَعمَلَ فِكرَهُ أَنَّ مِثلَ هٰذَا الَّذي وَصَفتُ مِن تَهيِئَةِ الحَواسِّ وَالمَحسوساتِ بَعضُها يَلقىٰ بَعضاً، وتَهيِئَةِ أَشياءَ أُخَرَ بِها تَتِمُّ الحَواسُّ لا يَكونُ إلّا بِعَمدٍ وتَقديرٍ مِن لَطيفٍ خَبيرٍ؟[1]

٣٥٣٩. الإمام الصادق عليه السلام ـ في بَيانِ مَراحِلِ كَمالِ الطِّفلِ ـ: لَو كانَ المَولودُ يُولَدُ فَهِماً عاقِلاً لَأَنكَرَ العالَمَ عِندَ وِلادَتِهِ، ولَبَقِيَ حَيرانَ تائِهَ العَقلِ إذا رَأىٰ ما لَم يَعرِف ووَرَدَ عَلَيهِ ما لَم يَرَ مِثلَهُ مِنِ اختِلافِ صُوَرِ العالَمِ مِنَ البَهائِمِ وَالطَّيرِ إلىٰ غَيرِ ذٰلِكَ مِمّا يُشاهِدُهُ

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٦٩ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل.

ساعَةً بَعدَ ساعَةٍ ويَوماً بَعدَ يَومٍ، وَاعتَبَرَ ذٰلِكَ بِأَنَّ مَن سُبِيَ مِن بَلَدٍ إلىٰ بَلَدٍ وهُوَ عاقِلٌ يَكونُ كَالوالِهِ الحَيرانِ، فَلا يُسرِعُ في تَعَلُّمِ الكَلامِ وقَبولِ الأَدَبِ كَما يُسرِعُ الَّذي يُسبىٰ صَغيراً غَيرَ عاقِلٍ.

ثُمَّ لَو وُلِدَ عاقِلاً كانَ يَجِدُ غَضاضَةً[1] إذا رَأىٰ نَفسَهُ مَحمولاً مُرضَعاً مُعَصَّباً بِالخِرَقِ مُسَجّىً فِي المَهدِ؛ لِأَنَّهُ لا يَستَغني عَن هٰذا كُلِّهِ لِرِقَّةِ بَدَنِهِ ورُطوبَتِهِ حينَ يولَدُ، ثُمَّ كانَ لا يوجَدُ لَهُ مِنَ الحَلاوَةِ وَالوَقعِ مِنَ القُلوبِ ما يوجَدُ لِلطِّفلِ، فَصارَ يَخرُجُ إلَى الدُّنيا غَبِيّاً غافِلاً عَمّا فيهِ أهلُهُ فَيَلقَى الأَشياءَ بِذِهنٍ ضَعيفٍ ومَعرِفَةٍ ناقِصَةٍ، ثُمَّ لا يَزالُ يَتَزايَدُ فِي المَعرِفَةِ قَليلاً قَليلاً وشَيئاً بَعدَ شَيءٍ وحالاً بَعدَ حالٍ حَتّىٰ يَألَفَ الأَشياءَ ويَتَمَرَّنَ ويَستَمِرَّ عَلَيها، فَيَخرُجَ مِن حَدِّ التَّأَمُّلِ لَها وَالحَيرَةِ فيها إلَى التَّصَرُّفِ وَالاِضطِرابِ إلَى المَعاشِ بِعَقلِهِ وحيلَتِهِ، وإلَى الاِعتِبارِ وَالطّاعَةِ وَالسَّهوِ وَالغَفلَةِ وَالمَعصِيَةِ.

وفي هٰذا أَيضاً وُجوهٌ أُخَرُ: فَإِنَّهُ لَو كانَ يولَدُ تامَّ العَقلِ مُستَقِلّاً بِنَفسِهِ لَذَهَبَ مَوضِعُ حَلاوَةِ تَربِيَةِ الأَولادِ ، وما قَدَرَ أن يَكونَ لِلوالِدَينِ فِي الاِشتِغالِ بِالوَلَدِ مِنَ المَصلَحَةِ وما يوجِبُ التَّربِيَةَ لِلآباءِ عَلَى الأَبناءِ مِنَ المُكَلَّفاتِ بِالبِرِّ وَالعَطفِ عَلَيهِم عِندَ حاجَتِهِم إلىٰ ذٰلِكَ مِنهُم، ثُمَّ كانَ الأَولادُ لا يَألَفونَ آباءَهُم، ولا يَألَفُ الآباءُ أبناءَهُم؛ لِأَنَّ الأَولادَ كانوا يَستَغنونَ عَن تَربِيَةِ الآباءِ وحِياطَتِهِم فَيَتَفَرَّقونَ عَنهُم حينَ يولَدونَ، فَلا يَعرِفُ الرَّجُلُ أَباهُ وأُمَّهُ ولا يَمتَنِعُ مِن نِكاحِ أُمِّهِ وأُختِهِ وذَواتِ المَحارِمِ مِنهُ إذا كانَ لا يَعرِفُهُنَّ، وأَقَلُّ ما في ذٰلِكَ مِنَ القَباحَةِ، بَل هُوَ أَشنَعُ وأَعظَمُ وأَفظَعُ وأَقبَحُ وأَبشَعُ لَو خَرَجَ المَولودُ مِن بَطنِ أُمِّهِ وهُوَ يَعقِلُ أن يَرىٰ مِنها ما لا يَحِلُّ لَهُ ولا يَحسُنُ بِهِ أن يَراهُ. أفَلا تَرىٰ كَيفَ أُقيمَ كُلُّ شَيءٍ مِنَ الخِلقَةِ عَلىٰ غايَةِ الصَّوابِ

---

١. الغَضاضَةُ: الذِلّةُ والمَنقصة (الصحاح: ج ٣ ص ١٠٩٥ «غضض»).

وخَلا مِنَ الخَطَأ دَقيقَهُ وجَليلَهُ.[١]

راجع: ص ٨٣ (معرفة النَّفسِ)
و ٩٩ (التَّجرِبَة).

٢ / ٢
خَلقُ الإِنسانِ مِنَ التُّرابِ

الكتاب

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾.[٢]

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾.[٣]

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَالْفَخَّارِ﴾.[٤]

راجع: الحجّ: ٥، الأنعام: ٢، الحِجْر: ٢٦، المؤمنون: ١٢، غافر: ٦٧، فاطر: ١١.

الحديث

٣٥٤٠. علل الشرائع عن أبي عبد الله بن يزيد: حَدَّثَني يَزيدُ بنُ سَلّامٍ أنَّهُ سَأَلَ رَسولَ اللهِ ﷺ فَقالَ لَهُ...: فَأَخبِرني عَن آدَمَ لِمَ سُمِّيَ آدَمَ؟

قالَ: لِأَنَّهُ خُلِقَ مِن طينِ الأَرضِ وأَديمِها.

قالَ: فَآدَمُ خُلِقَ مِن طينٍ كُلِّهِ أو طينٍ واحِدٍ؟

قالَ: بَل مِنَ الطّينِ كُلِّهِ، ولَو خُلِقَ مِن طينٍ واحِدٍ لَما عَرَفَ النّاسُ بَعضُهُم بَعضاً، وكانوا عَلىٰ صورَةٍ واحِدَةٍ.

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٦٣ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٢. الروم: ٢٠.

٣. الصافّات: ١١.

٤. الرحمٰن: ١٤.

قالَ: فَلَهُم فِي الدُّنيا مَثَلٌ؟

قالَ: التُّرابُ فيهِ أَبيضُ وفيهِ أَخضَرُ وفيهِ أَشقَرُ وفيهِ أَغبَرُ وفيهِ أَحمَرُ وفيهِ أَزرَقُ، وفيهِ عَذبٌ وفيهِ مِلحٌ، وفيهِ خَشِنٌ وفيهِ لَيِّنٌ وفيهِ أَصهَبُ. فَلِذٰلِكَ صارَ النّاسُ فيهِم لَيِّنٌ وفيهِم خَشِنٌ، وفيهِم أَبيَضُ وفيهِم أَصفَرُ وأَحمَرُ وأَصهَبُ وأَسوَدُ عَلىٰ أَلوانِ التُّرابِ.[1]

٣٥٤١. الإمام الصادق عليه السلام: أَوَّلُ مَن قاسَ إِبليسُ؛ قالَ: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[2]، ولَو عَلِمَ إِبليسُ ما جَعَلَ اللهُ في آدَمَ لَم يَفتَخِر عَلَيهِ.

ثُمَّ قالَ: إِنَّ اللهَ عزّ وجلّ خَلَقَ المَلائِكَةَ مِنَ النّورِ، وخَلَقَ الجانَّ مِنَ النّارِ، وخَلَقَ الجِنَّ؛ صِنفاً مِنَ الجانِّ مِنَ الرِّيحِ، وخَلَقَ صِنفاً مِنَ الجِنِّ مِنَ الماءِ، وخَلَقَ آدَمَ مِن صَفحَةِ الطّينِ.[3]

٢ / ٣
خَلقُ الإِنسانِ مِنَ النُّطفَةِ

الكتاب

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.[4]

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾.[5]

---

١. علل الشرائع: ص ٤٧١ ح ٣٣، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٢٤٤ نقلاً عن بعض الكتب القديمة عن عبد الله بن سلام.

٢. الأعراف: ١٢، ص: ٧٦.

٣. الاختصاص: ص ١٠٩، بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٠٢ ح ٨.

٤. الفرقان: ٥٤.

٥. الطارق: ٥ ـ ٧.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.[١]

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.[٢]

راجع: النحل: ٤، القيامة: ٣٧، ٣٨، فاطر: ١١، غافر: ٦٧، المؤمنون: ١٤، يس: ٧٧.

الحديث

٣٥٤٢. الإمام عليّ عليه السلام ـ مِن خُطبَةٍ يَصِفُ فيها خَلقَ الإِنسانِ ـ: أم هٰذَا الَّذي أَنشَأَهُ في ظُلُماتِ الأَرحامِ وشُغُفِ الأَستارِ نُطفَةً دِهاقاً... ثُمَّ مَنَحَهُ قَلباً حافِظاً، ولِساناً لافِظاً، وبَصَراً لاحِظاً؛ لِيَفهَمَ مُعتَبِراً، ويُقَصِّرَ مُزدَجِراً، حَتّىٰ إذا قامَ اعتِدالُهُ، وَاستَوىٰ مِثالُهُ، نَفَرَ مُستَكبِراً.[٣]

٣٥٤٣. عنه عليه السلام ـ في تَقديسِ اللهِ جَلَّ و عَلا ـ: عالِمُ السِّرِّ مِن ضَمائِرِ المُضمِرينَ... ومَحَطِّ الأَمشاجِ[٤] مِن مَسارِبِ[٥] الأَصلابِ.[٦]

٣٥٤٤. الإمام الباقر عليه السلام ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ ـ: ماءُ الرَّجُلِ وماءُ المَرأَةِ اختَلَطا جَميعاً.[٧]

٣٥٤٥. بحار الأنوار عن صحُف إدريس عليه السلام: فازَ ـ يا أُخنوخُ ـ مَن عَرَفَني، وهَلَكَ مَن أنكَرَني. عَجَباً لِمَن ضَلَّ عَنّي ولَيسَ يَخلو في شَيءٍ مِنَ الأَوقاتِ مِنّي. كَيفَ يَخلو وأنا أَقرَبُ إلَيهِ مِن كُلِّ قَريبٍ، وأَدنىٰ إلَيهِ مِن حَبلِ الوَريدِ؟

---

١. المرسلات: ٢٠ و ٢١.

٢. الإنسان: ٢.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٨٣، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٤٩ ح ٣٥.

٤. الأمشاج: يريد المنيّ الذي يتولّد منه الجنين (النهاية: ج ٤ ص ٣٣٣).

٥. وفي نسخة: «مشارب».

٦. نهج البلاغة: الخطبة ٩١ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١١٣.

٧. تفسير القمّي: ج ٢ ص ٣٩٨ عن أبي الجارود وراجع بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٢٧.

أَلستَ أَيُّها الإنسانُ العَظيمُ عِندَ نفسِهِ في بُنيانِهِ، القَوِيُّ لَدىٰ هِمَّتِهِ في أَركانِهِ، مَخلوقاً مِنَ النُّطفَةِ المَذِرةِ، ومُخرَجاً مِنَ الأَماكِنِ القَذِرَةِ، تَنحَطُّ مِن أَصلابِ الآباءِ كَالنُّخاعَةِ إلىٰ أرحامِ النِّساءِ، ثُمَّ يَأتيكَ أمري فَتَصيرُ عَلَقَةً، لَو رَأتكَ العُيونُ لَاستَقذَرَتكَ، ولَو تَأَمَّلَتكَ النُّفوسُ لَعافَتكَ، ثُمَّ تَصيرُ بِقُدرَتي مُضغَةً لا حَسَنَةً فِي المَنظَرِ، ولا نافِعَةً فِي المَخبَرِ، ثُمَّ أبعَثُ إلَيكَ أمراً مِن أمري، فَتُخلَقُ عُضواً عُضواً، وتُقَدَّرُ مَفصِلاً مَفصِلاً، مِن عِظامٍ مَغشِيَّةٍ، وعُروقٍ مُلتَوِيَةٍ، وأعصابٍ مُتَناسِبَةٍ، ورِباطاتٍ ماسِكَةٍ، ثُمَّ يَكسوكَ لَحماً، ويُلبِسُكَ جِلداً، تُجامِعُ مِن أَشياءَ مُتَبايِنَةٍ، وتُخلَقُ مِن أصنافٍ مُختَلِفَةٍ، فَتَصيرُ بِقُدرَتي خَلقاً سَوِيّاً لا روحَ فيكَ تُحَرِّكُكَ، ولا قُوَّةَ لَكَ تُقِلُّكَ ... فَأَنفُخُ فيكَ الرّوحَ، وأَهَبُ لَكَ الحَياةَ، فَتَصيرُ بِإِذني إنساناً، لا تَملِكُ نَفعاً ولا ضَرّاً، ولا تَفعَلُ خَيراً ولا شَرّاً، مَكانُكَ مِن أُمِّكَ تَحتَ السُّرَّةِ، كَأَنَّكَ مَصرورٌ في صُرَّةٍ، إلىٰ أن يَلحَقَكَ ما سَبَقَ مِنّي مِنَ القَضاءِ، فَتَصيرَ مِن هُناكَ إلىٰ وَسعِ الفَضاءِ، فَتَلقىٰ ما قَدَّرَكَ مِنَ السَّعادَةِ أوِ الشَّقاءِ، إلىٰ أجَلٍ مِنَ البَقاءِ مُتَعَقِّبٌ لا شَكَّ بِالفَناءِ، أأَنتَ خَلَقتَ نَفسَكَ، وسَوَّيتَ جِسمَكَ، ونَفَختَ روحَكَ؟

إن كُنتَ فَعَلتَ ذٰلِكَ وأنتَ النُّطفَةُ المَهينَةُ، وَالعَلَقَةُ المُستَضعَفَةُ، وَالجَنينُ المَصرورُ في صُرَّةٍ، فَأَنتَ الآنَ في كَمالِ أعضائِكَ، وطَراءَةِ مائِكَ، وتَمامِ مَفاصِلِكَ، ورَيَعانِ شَبابِكَ، أقوىٰ وأَقدَرُ؛ فَاخلُق لِنَفسِكَ عُضواً آخَرَ، وَاستَجلِب قُوَّةً إلىٰ قُوَّتِكَ، وإن كُنتَ أنتَ دَفَعتَ عَن نَفسِكَ في تِلكَ الأَحوالِ طارِقاتِ الأَوجاعِ وَالأَعلالِ، فَادفَع عَن نَفسِكَ الآنَ أسقامَكَ، ونَزِّه عَن بَدَنِكَ آلامَكَ، وإن كُنتَ أنتَ نَفَختَ الرّوحَ في بَدَنِكَ وجَلَبتَ الحَياةَ الَّتي تُمسِكُكَ، فَادفَعِ المَوتَ إذا حَلَّ بِكَ، وأَبقِ يَوماً واحِداً عِندَ حُضورِ أجَلِكَ.

فَإِن لَم تَقدِر أيُّهَا الإنسانُ عَلىٰ شَيءٍ مِن ذٰلِكَ، وعَجَزتَ عَنهُ كُلِّهِ، فَاعلَم أنَّكَ

حَقّاً مَخلوقٌ، وأنّي أنَا الخالِقُ، وأنَّكَ أنتَ العاجِزُ، وأنّي أنَا القَوِيُّ القادِرُ، فَاعرِفني حينَئِذٍ وَاعبُدني حَقَّ عِبادَتي، وَاشكُر لي نِعمَتي أَزِدكَ مِنها، وَاستَعِذ بي مِن سُخطَتي أُعِذكَ مِنها؛ فَإِنّي أنَا اللهُ الَّذي لا أعبأُ بِما أَخلُقُ، ولا أَتعَبُ ولا أَنصَبُ فيما أرزُقُ، ولا أَلغَبُ، إِنَّما أَمري إِذا أَرَدتُ شَيئاً أن أَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ.[1]

٢ / ٤

تَصَوُّرُ الجَنينِ فِي الرَّحِمِ

الكتاب

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.[2]

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾.[3]

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.[4]

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.[5]

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.[6]

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾.[7]

---

١. بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٤٥٤ نقلاً عن ابن متّويه.

٢. آل عمران: ٦.

٣. الانفطار: ٦ و ٧.

٤. التغابن: ٣.

٥. غافر: ٦٤.

٦. الحشر: ٢٤.

٧. البلد: ٤.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.[١]

﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.[٢]

الحديث

٣٥٤٦. الإمام الباقر عليه السلام ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾[٣] ـ: أمّا ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾: فَنُطفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضغَةً، ثُمَّ عَظماً ثمَّ لَحماً، وأمّا ﴿صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾: فَالعَينَ وَالأَنفَ وَالأُذُنَينِ وَالفَمَ وَاليَدَينِ وَالرِّجلَينِ صَوَّرَ هٰذا ونَحوَهُ، ثُمَّ جَعَلَ الدَّميمَ وَالوَسيمَ وَالطَّويلَ وَالقَصيرَ وأَشباهَ هٰذا.[٤]

٣٥٤٧. الإمام الصادق عليه السلام: إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ يَقولُ في كِتابِهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ يَعني: مُنتَصِباً في بَطنِ أُمِّهِ، مَقاديمُهُ إلى مَقاديمِ أُمِّهِ، ومَآخيرُهُ إلىٰ مَآخيرِ أُمِّهِ، غِذاؤُهُ مِمّا تَأكُلُ أُمُّهُ، ويَشرَبُ مِمّا تَشرَبُ أُمُّهُ، تُنَسِّمُهُ[٥] تَنسيماً.[٦]

٣٥٤٨. علل الشرائع عن حمّاد بن عثمان: قُلتُ لِأَبي عَبدِ اللهِ عليه السلام: إنّا نَرَى الدَّوابَّ في بُطونِ أَيديهَا الرُّقعَتَينِ مِثلَ الكَيِّ؛ فَمِن أيِّ شَيءٍ ذٰلِكَ؟ فَقالَ: ذٰلِكَ مَوضِعُ مِنخَرَيهِ في بَطنِ أُمِّهِ وَابنُ آدَمَ مُنتَصِبٌ في بَطنِ أُمِّهِ، وذٰلِكَ قَولُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى

---

١. نوح: ١٣، ١٤.

٢. الزمر: ٦.

٣. الأعراف: ١١.

٤. تفسير القمّي: ج ١ ص ٢٢٤ عن أبي الجارود، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٦٥ ح ٦٠.

٥. تنسّم: تنفّس. وتنسّم النسيم: إذا تشمّمه (تاج العروس: ج ١٧ ص ٦٨٥).

٦. المحاسن: ج ٢ ص ١٤ ح ١٠٨٥ عن محمّد بن مسلم، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٤٢ ح ٢٣ وراجع: المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ٢٥٤.

كَبَدٍ﴾ وما سِوَى ابنِ آدَمَ فَرَأسُهُ في دُبُرِهِ ويَداهُ بَينَ يَدَيهِ.[١]

٣٥٤٩. تفسير القمّي: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ أي مُنتَصِباً ولَم يُخلَق مِثلُهُ شَيءٌ.[٢]

٣٥٥٠. تفسير ابن أبي حاتم عن أبي ذرّ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: إذا مَكَثَ المَنِيُّ فِي الرَّحِمِ أربَعينَ لَيلَةً أتاهُ مَلَكُ النُّفوسِ فَعَرَجَ بِهِ إلَى الرَّبِّ فَيَقولُ: يا رَبِّ أذَكَرٌ أم اُنثىٰ؟ فَيَقضِي اللهُ ما هُوَ قاضٍ فَيَقولُ: أشَقِيٌّ أم سَعيدٌ؟ فَيُكتَبُ ما هُوَ لاقٍ. وقَرَأَ أبو ذَرٍّ مِن فاتِحَةِ التَّغابُنِ خَمسَ آياتٍ[٣] إلىٰ قَولِهِ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.[٤]

٣٥٥١. الإمام الحسين عليه السلام: أقبَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلىٰ عَلِيٍّ عليه السلام فَقالَ: يا أبَا الحَسَنِ... ما أوَّلُ نِعمَةٍ بَلاكَ اللهُ عزّ وجلّ وأنعَمَ عَلَيكَ بِها؟

قالَ: أن خَلَقَني ـ جَلَّ ثَناؤُهُ ـ ولَم أكُ شَيئاً مَذكوراً.

قالَ: صَدَقتَ، فَمَا الثّانِيَةُ؟

قالَ: أن أحسَنَ بي إذ خَلَقَني فَجَعَلَني حَيّاً لا مَيِّتاً.

قالَ: صَدَقتَ، فَمَا الثّالِثَةُ؟

قالَ: أن أنشَأَني ـ فَلَهُ الحَمدُ ـ في أحسَنِ صورَةٍ وأعدَلِ تَركيبٍ.

---

١. علل الشرائع: ص ٤٩٥ ح ١، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٨٩ ح ٢٤٧٦ ليس فيه ذيله من «وابن آدم»، بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ١٢٦ ح ٨.

٢. تفسير القمّي: ج ٢ ص ٤٢٢، بحار الأنوار: ج ٩ ص ٢٥١ ح ١٥٧.

٣. ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۞ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٤. تفسير ابن أبي حاتم: ج ١٠ ص ٣٣٥٨ ح ١٨٩٠٢، تفسير الطبري: ج ١٤ الجزء ٢٨ ص ١١٩ من دون إسناد إلى المعصوم، الدر المنثور: ج ٨ ص ١٨٢ نقلاً عن عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه؛ بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٨٤ ح ١١٤.

قالَ: صَدَقتَ.[1]

٣٥٥٢. الإمام الباقر عليه السلام: إذا وَقَعَتِ النُّطفَةُ فِي الرَّحِمِ استَقَرَّت فيها أربَعينَ يَوماً، وتَكونُ عَلَقَةً أَربَعينَ يَوماً، وتَكونُ مُضغَةً أَربَعينَ يَوماً، ثُمَّ يَبعَثُ اللهُ مَلَكَينِ خَلّاقَينِ فَيُقالُ لَهُما: اُخلُقا كَما يُريدُ اللهُ ذَكَراً أو أُنثىٰ، صَوِّراهُ واكتُبا أَجَلَهُ ورِزقَهُ ومَنِيَّتَهُ وشَقِيّاً أو سَعيداً، وَاكتُبا للهِ الميثاقَ الَّذي أَخَذَهُ عَلَيهِ فِي الذَّرِّ بَينَ عَينَيهِ، فَإِذا دَنا خُروجُهُ مِن بَطنِ أُمِّهِ بَعَثَ اللهُ إلَيهِ مَلَكاً يُقالُ لَهُ زاجِرٌ فَيَزجُرُهُ، فَيَفزَعُ فَزَعاً فَيَنسَى الميثاقَ ويَقَعُ إلَى الأَرضِ يَبكي مِن زَجرَةِ المَلَكِ.[2]

٣٥٥٣. عنه عليه السلام ـ في ذِكرِ أطوارِ الخِلقَةِ ـ: ثُمَّ يَبعَثُ اللهُ مَلَكَينِ خَلّاقَينِ يَخلُقانِ فِي الأَرحامِ ما يَشاءُ اللهُ، فَيَقتَحِمانِ في بَطنِ المَرأَةِ مِن فَمِ المَرأَةِ فَيَصِلانِ إلَى الرَّحِمِ، وفيهَا الرّوحُ القَديمَةُ المَنقولَةُ في أَصلابِ الرِّجالِ وَأَرحامِ النِّساءِ، فَيَنفُخانِ فيها روحَ الحَياةِ وَالبَقاءِ، ويَشُقّانِ لَهُ السَّمعَ وَالبَصَرَ وجَميعَ الجَوارِحِ وجَميعَ ما فِي البَطنِ بِإِذنِ اللهِ، ثُمَّ يوحِي اللهُ إلَى المَلَكَينِ: اُكتُبا عَلَيهِ قَضائي وقَدَري ونافِذَ أمري، وَاشتَرِطا لِيَ البَداءَ فيما تَكتُبانِ، فَيَقولانِ: يا رَبِّ ما نَكتُبُ؟ فَيوحِي اللهُ إلَيهِما أنِ ارفَعا رُؤوسَكُما إلىٰ رَأسِ أُمِّهِ، فَيَرفَعانِ رُؤوسَهُما، فَإِذَا اللَّوحُ يَقرَعُ جَبهَةَ أُمِّهِ، فَيَنظُرانِ فيهِ، فَيَجِدانِ فِي اللَّوحِ صورَتَهُ وزينَتَهُ وأَجَلَهُ وميثاقَهُ شَقِيّاً أو سَعيداً وجَميعَ شَأنِهِ.

قالَ: فَيُملي أَحَدُهُما عَلىٰ صاحِبِهِ فَيَكتُبانِ جَميعَ ما فِي اللَّوحِ ويَشتَرِطانِ البَداءَ فيما يَكتُبانِ.[3]

٣٥٥٤. الإمام الصادق عليه السلام ـ في بَيانِ كَيفِيَّةِ نُشوءِ الأَبدانِ ـ: أَوَّلُ ذٰلِكَ تَصويرُ الجَنينِ فِي

---

١. الأمالي للطوسي: ص ٤٩٢ ح ١٠٧٧ عن عمر بن عليّ عن الإمام الباقر عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢١ ح ١٧.

٢. الكافي: ج ٦ ص ١٦ ح ٧ عن زرارة بن أعين، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٦٤ ح ٥٨.

٣. الكافي: ج ٦ ص ١٤ ح ٤ عن زرارة، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٤٤ ح ٣١.

الرَّحِمِ حَيثُ لا تَراهُ عَينٌ ولا تَنالُهُ يَدٌ، ويُدَبِّرُهُ حَتّىٰ يَخرُجَ سَوِيّاً مُستَوفِياً جَميعَ ما فيهِ قِوامُهُ وصَلاحُهُ مِنَ الأَحشاءِ وَالجَوارِحِ وَالعَوامِلِ، إلىٰ ما في تَركيبِ أعضائِهِ مِنَ العِظامِ وَاللَّحمِ وَالشَّحمِ وَالمُخِّ وَالعَصَبِ وَالعُروقِ وَالغَضاريفِ، فَإِذا خَرَجَ إِلَى العالَمِ تَراهُ كَيفَ يَنمي بِجَميعِ أَعضائِهِ، وهُوَ ثابِتٌ عَلىٰ شَكلٍ وهَيئَةٍ لا تَتَزايَدُ ولا تَنقُصُ، إلىٰ أن يَبلُغَ أشُدَّهُ، إن مُدَّ في عُمُرِهِ أو يَستَوفِيَ مُدَّتَهُ قَبلَ ذٰلِكَ. هَل هٰذا إلّا مِن لَطيفِ التَّدبيرِ وَالحِكمَةِ؟[1]

٣٥٥٥. عنه ﷺ: إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ إذا أرادَ أن يَخلُقَ خَلقاً جَمَعَ كُلَّ صورَةٍ بَينَهُ وبَينَ آدَمَ، ثُمَّ خَلَقَهُ عَلىٰ صورَةِ إحداهُنَّ، فَلا يَقولَنَّ أحَدٌ لِوَلَدِهِ هٰذا لا يُشبِهُني ولا يُشبِهُ شَيئاً مِن آبائي.[2]

٣٥٥٦. عنه ﷺ ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: نَبتَدِئُ ـ يا مُفَضَّلُ ـ بِذِكرِ خَلقِ الإِنسانِ فَاعتَبِر بِهِ؛ فَأَوَّلُ ذٰلِكَ ما يُدَبَّرُ بِهِ الجَنينُ فِي الرَّحِمِ، وهُوَ مَحجوبٌ في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ: ظُلمَةِ البَطنِ، وظُلمَةِ الرَّحِمِ، وظُلمَةِ المَشيمَةِ، حَيثُ لا حيلَةَ عِندَهُ في طَلَبِ غِذاءٍ ولادَفعِ أذىً، ولَا استِجلابِ مَنفَعَةٍ ولادَفعِ مَضَرَّةٍ؛ فَإِنَّهُ يَجري إلَيهِ مِن دَمِ الحَيضِ ما يَغذوهُ كَما يَغذُو الماءُ النَّباتَ، فَلا يَزالُ ذٰلِكَ غِذاؤُهُ حَتّىٰ إذا كَمُلَ خَلقُهُ، وَاستَحكَمَ بَدَنُهُ، وقَوِيَ أديمُهُ عَلىٰ مُباشَرَةِ الهَواءِ، وبَصَرُهُ عَلىٰ مُلاقاةِ الضِّياءِ، هاجَ الطَّلقُ بِأُمِّهِ فَأَزعَجَهُ أشَدَّ إزعاجٍ وأعنَفَهُ حَتّىٰ يولَدَ، وإذا وُلِدَ صُرِفَ ذٰلِكَ الدَّمُ الَّذي كانَ يَغذوهُ مِن دَمِ أُمِّهِ إلىٰ ثَديَيها، فَانقَلَبَ الطَّعمُ وَاللَّونُ إلىٰ ضَربٍ آخَرَ مِنَ الغِذاءِ، وهُوَ أشَدُّ مُوافَقَةً لِلمَولودِ مِنَ الدَّمِ، فَيُوافيهِ في وَقتِ حاجَتِهِ إلَيهِ، فَحينَ يولَدُ قَد تَلَمَّظَ وحَرَّكَ شَفَتَيهِ طَلَباً لِلرَّضاعِ فَهُوَ يَجِدُ ثَديَي أُمِّهِ كَالإِداوَتَينِ[3] المُعَلَّقَتَينِ

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٦٨ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٢. كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٨٤ ح ٤٧٠٩، علل الشرائع: ص ١٠٣ ح ١، مكارم الأخلاق: ج ١ ص ٤٧٥ ح ١٦٣٦، عوالي اللآلي: ج ٣ ص ٣٠٩ ح ١٣١، بحار الأنوار: ج ١٠٤ ص ٩٣ ح ٢٩.

٣. الإداوَتان: مثنّى إداوة؛ وهي ـ بالكسر ـ إناء صغير من جلد يتّخذ للماء (النهاية: ج ١ ص ٣٣).

لِحاجَتِهِ إلَيهِ، فَلا يَزالُ يَغتَذي بِاللَّبَنِ ما دامَ رَطبَ البَدَنِ، رَقيقَ الأَمعاءِ، لَيِّنَ الأَعضاءِ، حَتّىٰ إذا تَحَرَّكَ وَاحتاجَ إلَىٰ غِذاءٍ فيهِ صَلابَةٌ لِيَشتَدَّ ويَقوىٰ بَدَنُهُ طَلَعَت لَهُ الطَّواحِنُ مِنَ الأَسنانِ وَالأَضراسِ، لِيَمضَغَ بِهِ الطَّعامَ فَيَلينَ عَلَيهِ ويَسهُلَ لَهُ إساغَتُهُ، فَلا يَزالُ كَذٰلِكَ حَتّىٰ يُدرِكَ. فَإِذا أدرَكَ وكانَ ذَكَراً طَلَعَ الشَّعرُ في وَجهِهِ، فَكانَ ذٰلِكَ عَلامَةَ الذَّكَرِ وعِزَّ الرَّجُلِ الَّذي يَخرُجُ بِهِ مِن حَدِّ الصِّبا وشَبَهَ النِّساءِ، وإن كانَت اُنثىٰ يَبقىٰ وَجهُها نَقِيّاً مِنَ الشَّعرِ، لِتَبقىٰ لَهَا البَهجَةُ وَالنَّضارَةُ الَّتي تُحَرِّكُ الرِّجالَ لِما فيهِ دَوامُ النَّسلِ وبَقاؤُهُ.

اِعتَبِر ـ يا مُفَضَّلُ ـ فيما يُدَبَّرُ بِهِ الإِنسانُ في هٰذِهِ الأَحوالِ المُختَلِفَةِ، هَل تَرىٰ يُمكِنُ أن يَكونَ بِالإِهمالِ؟ أفَرَأَيتَ لَو لَم يَجرِ إلَيه ذٰلِكَ الدَّمُ وهُوَ فِي الرَّحِمِ؛ أَلَم يَكُن سَيَذوي[١] ويَجِفُّ كَما يَجِفُّ النَّباتُ إذا فَقَدَ الماءَ؟ ولَو لَم يُزعِجهُ المَخاضُ عِندَ استِحكامِهِ؛ أَلَم يَكُن سَيَبقىٰ فِي الرَّحِمِ كَالمَوؤودِ فِي الأَرضِ؟ ولَو لَم يُوافِقهُ اللَّبَنُ مَعَ وِلادَتِهِ؛ أَلَم يَكُن سَيَموتُ جوعاً، أو يَغتَذي بِغِذاءٍ لا يُلائِمُهُ ولا يَصلَحُ عَلَيهِ بَدَنُهُ؟ ولَو لَم تَطلَع عَلَيهِ الأَسنانُ في وَقتِها؛ أَلَم يَكُن سَيَمتَنِعُ عَلَيهِ مَضغُ الطَّعامِ وإساغَتُهُ، أو يُقيمُهُ عَلَى الرِّضاعِ فَلا يَشُدُّ بَدَنَهُ، ولا يَصلَحَ لِعَمَلٍ؟ ثُمَّ كانَ تَشتَغِلُ اُمُّهُ بِنَفسِهِ عَن تَربِيَةِ غَيرِهِ مِنَ الأَولادِ، ولَو لَم يَخرُجِ الشَّعرُ في وَجهِهِ في وَقتِهِ؛ أَلَم يَكُن سَيَبقىٰ في هَيئَةِ الصِّبيانِ وَالنِّساءِ؛ فَلا تَرىٰ لَهُ جَلالَةً ولا وَقاراً؟

فَإِن كانَ الإِهمالُ يَأتي بِمِثلِ هٰذَا التَّدبيرِ فَقَد يَجِبُ أن يَكونَ العَمدُ وَالتَّقديرُ يَأتِيانِ بِالخَطَأِ وَالمُحالِ؛ لِأَنَّهُما ضِدُّ الإِهمالِ، وهٰذا فَظيعٌ مِنَ القَولِ، وجَهلٌ مِن قائِلِهِ؛ لِأَنَّ الإِهمالَ لا يَأتي بِالصَّوابِ، وَالتَّضادَّ لا يَأتي بِالنِّظامِ. تَعالَى اللهُ عَمّا يَقولُ المُلحِدونَ عُلُوّاً كَبيراً.[٢]

---

١. ذوي يذوي ذياً: هو أن لا يصيب النبات والحشيش ريّه (العين: ٢٩٠).

٢. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٦٢ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٢ / ٥
نفخ الروح في الجنين

الكتاب

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾.[1]

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[2]

راجع: الحجّ: ٦٦، الجاثية: ٢٦، ٥٦.

الحديث

٣٥٥٧. الإمام الباقر عليه السلام ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ ـ: هُوَ نَفخُ الرّوحِ فيهِ.[3]

٣٥٥٨. عنه عليه السلام: إنَّ اللهَ تبارك وتعالى إذا أرادَ أن يَخلُقَ النُّطفَةَ الَّتي مِمّا أَخَذَ عَلَيها الميثاقَ في صُلبِ آدَمَ أو ما يَبدو لَهُ فيهِ ويَجعَلَها فِي الرَّحِمِ حَرَّكَ الرَّجُلَ لِلجِماعِ، وأَوحىٰ إلَى الرَّحِمِ أنِ افتَحي بابَكِ حَتّىٰ يَلِجَ فيكَ خَلقي وقَضائِيَ النّافِذُ وقَدَري، فَتَفتَحُ الرَّحِمُ بابَها، فَتَصِلُ النُّطفَةُ إلَى الرَّحِمِ، فَتَرَدَّدُ فيهِ أربَعينَ يوماً، ثُمَّ تَصيرُ عَلَقَةً أربَعينَ يَوماً، ثُمَّ تَصيرُ مُضغَةً أربَعينَ يَوماً، ثُمَّ تَصيرُ لَحماً تَجري فيهِ عُروقٌ مُشتَبِكَةٌ.

ثُمَّ يَبعَثُ اللهُ مَلَكَينِ خَلّاقَينِ يَخلُقانِ فِي الأَرحامِ ما يَشاءُ اللهُ، فَيَقتَحِمانِ في بَطنِ المَرأَةِ مِن فَمِ المَرأَةِ، فَيَصِلانِ إلَى الرَّحِمِ وفيهَا الرّوحُ القَديمَةُ المَنقولَةُ في أصلابِ

---

١. المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

٢. البقرة: ٢٨.

٣. تفسير القمّي: ج ٢ ص ٩١ عن أبي الجارود، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٦٩ ح ٧٥ وراجع الكافي: ج ٧ ص ٣٤٨ ح ١ وتهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٢٧١ ح ١٠٦٥.

الرِّجالِ وأَرحامِ النِّساءِ، فَيَنفُخانِ فيها روحَ الحَياةِ وَالبَقاءِ، ويَشُقّانِ لَهُ السَّمعَ وَالبَصَرَ وجَميعَ الجَوارِحِ وجَميعَ ما فِي البَطنِ بِإِذنِ اللهِ.[١]

٣٥٥٩. الإمام الصّادق عليه السلام ـ فِي الجَنينِ ـ: إذا بَلَغَ أَربَعَةَ أشهُرٍ فَقَد صارَت فيهِ الحَياةُ، وقَدِ استَوجَبَ الدِّيَةَ.[٢]

٢ / ٦
اِختِلافُ الأَلسِنَةِ وَالأَلوانِ

الكتاب

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾.[٣]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَابِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.[٤]

الحديث

٣٥٦٠. مجمع الزوائد عن ابن عبّاس: جاءَ رَجُلٌ إلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقالَ: أيَصبِغُ رَبُّكَ؟ فقالَ: نَعَم، صِباغاً لا يَنفَضُّ؛ أَحمَرَ وأَصفَرَ وأَبيَضَ.[٥]

٣٥٦١. الإمام الصادق عليه السلام ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: تَأَمَّل ـ يا مُفَضَّلُ ـ ما أَنعَمَ اللهُ تَقَدَّسَت أَسماؤُه

---

١. الكافي: ج ٦ ص ١٣ ح ٤ عن زرارة، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٤٤ ح ٣١.

٢. تفسير القمّي: ج ٢ ص ٩١ عن سليمان بن خالد وراجع الكافي: ج ٧ ص ٣٤٦ ح ١١ وتهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ٢٨٤ ح ١١٠٥ وبحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٥٥ ح ٣٩.

٣. الروم: ٢٢.

٤. فاطر: ٢٧، ٢٨.

٥. مجمع الزوائد: ج ٥ ص ٢٢٥ ح ٨٥٥٦، الدرّ المنثور: ج ٧ ص ١٩ كلاهما نقلاً عن البزّار.

بِهِ عَلَى الإنسانِ، مِن هٰذَا النُّطقِ الَّذي يُعَبِّرُ بِهِ عَمّا في ضَميرِهِ، وما يَخطُرُ بِقَلبِهِ، ونَتيجَةِ فِكرِهِ، وبِهِ يَفهَمُ عَن غَيرِهِ ما في نَفسِهِ، ولَو لا ذٰلِكَ كانَ بِمَنزِلَةِ البَهائِمِ المُهمَلَةِ، الَّتي لا تُخبِرُ عَن نَفسِها بِشَيءٍ، ولا تَفهَمُ عَن مُخبِرٍ شَيئاً.[1]

٢ / ٧
الرِّزقُ

الكتاب

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.[2]

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.[3]

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾.[4]

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.[5]

﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.[6]

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٨٢ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٢. فاطر: ٣.

٣. الروم: ٤٠.

٤. سبأ: ٢٤.

٥. يونس: ٣١.

٦. النمل: ٦٤.

﴿أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾.[١]

راجع: الأنفال: ٢٦، النحل: ٧٢، غافر: ٦٤، البقرة: ٢٢ و ١٧٢، الجاثية: ٥، إبراهيم: ٣٢، الذاريات: ٥٨.

الحديث

٣٥٦٢. **الإمام زين العابدين عليه السلام**: قالَ عزّ وجلّ: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يَعني: مِمّا يُخرِجُهُ مِنَ الأَرضِ رِزقاً لَكُم. ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: أَشباهاً وأَمثالاً مِنَ الأَصنامِ الَّتي لا تَعقِلُ ولا تَسمَعُ ولا تُبصِرُ ولا تَقدِرُ عَلىٰ شَيءٍ، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢] أَنَّها لا تَقدِرُ عَلىٰ شَيءٍ مِن هٰذِهِ النِّعَمِ الجَليلَةِ الَّتي أَنعَمَها عَلَيكُم رَبُّكُم ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ.[٣]

٣٥٦٣. **الإمام عليّ عليه السلام**: تَمورُ في بَطنِ أُمِّكَ جَنيناً، لا تُحيرُ دُعاءً ولا تَسمَعُ نِداءً، ثُمَّ أُخرِجتَ مِن مَقَرِّكَ إِلىٰ دارٍ لَم تَشهَدها، ولَم تَعرِف سُبُلَ مَنافِعِها؛ فَمَن هَداكَ لِاجتِرارِ الغِذاءِ مِن ثَديِ أُمِّكَ، وعَرَّفَكَ عِندَالحاجَةِ مَواضِعَ طَلَبِكَ وإِرادَتِكَ؟[٤]

٣٥٦٤. **الإمام الحسين عليه السلام** ـ مِن دُعائِهِ يَومَ عَرَفَةَ ـ: أنتَ الَّذي رَزَقتَ، أنتَ الَّذي أَعطَيتَ.[٥]

٣٥٦٥. **الإمام الصادق عليه السلام**: ما أَقبَحَ بِالرَّجُلِ يَأتي عَلَيهِ سَبعونَ سَنَةً، أو ثَمانونَ سَنَةً، يَعيشُ في مُلكِ اللهِ، ويَأكُلُ مِن نِعَمِهِ، لا يَعرِفُ اللهَ حَقَّ مَعرِفَتِهِ.[٦]

٣٥٦٦. **بحار الأنوار عن صُحف إدريس عليه السلام**: يا أَيُّهَا الإِنسانُ، اُنظُر وتَدَبَّر، وَاعقِل وتَفَكَّر، هَل

---

١. الملك: ٢١.

٢. البقرة: ٢٢.

٣. عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣٨ ح ٣٦، التوحيد: ص ٤٠٤ ح ١١ كلاهما عن محمّد بن زياد ومحمّد بن سيّار عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام، الاحتجاج: ج ٢ ص ٥٠٧ ح ٣٣٦ عن الإمام العسكري عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٥ ح ١٠.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ١٦٣، تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٧١ نحوه، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٤٧ ح ٣٤.

٥. الإقبال: ج ٢ ص ٨٢، البلد الأمين: ص ٢٥٥، بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٢٢١ ح ٣.

٦. كفاية الأثر: ص ٢٥٦ عن هشام، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٤٠٦ ح ١٦.

لَكَ رازِقٌ سِوايَ يَرزُقُكَ؟ أو مُنعِمٌ غَيري يُنعِمُ عَلَيكَ؟ أَلَم أُخرِجكَ مِن ضيقِ مَكانِكَ فِي الرَّحِمِ إِلىٰ أَنواعٍ مِنَ النِّعَمِ؟ أخرَجتُكَ مِنَ الضّيقِ إِلَى السَّعَةِ، ومِنَ التَّعَبِ إِلَى الدَّعَةِ، ومِنَ الظُّلمَةِ إِلَى النّورِ، ثُمَّ عَرَفتُ ضَعفَكَ عَمّا يُقيمُكَ، وعَجزَكَ عَمّا يَفوتُكَ، فَأَدرَرتُ لَكَ مِن صَدرِ أُمِّكَ عَينَينِ مِنهُما طَعامُكَ وشَرابُكَ، وفيهِما غِذاؤُكَ ونَماؤُكَ، ثُمَّ عَطَفتُ بِقَلبِها عَلَيكَ، وصَرَفتُ بِوُدِّها إِلَيكَ، كَي لا تَتَبَرَّمَ بِكَ مَعَ إِيذائِكَ لَها، ولا تَطرَحَكَ مَعَ إِضجارِكَ إِيّاها، ولا تَقَزَّزَكَ مَعَ كَثرَةِ عاهاتِكَ، ولا تَستَقذِرَكَ مَعَ تَوالي آفاتِكَ وقاذوراتِكَ، تَجوعُ لِتُشبِعَكَ، وتَظمَأُ لِتُروِيَكَ، وتَسهَرُ لِتُرقِدَكَ، وتَنصَبُ لِتُريحَكَ، وتَتعَبُ لِتُرفِدَكَ، وتَتَقَذَّرُ لِتُنظِّفَكَ، لَولا ما أَلقَيتُ عَلَيها مِنَ المَحَبَّةِ لَكَ لَأَلقَتكَ في أَوَّلِ أذىً يَلحَقُها مِنكَ، فَضلاً عَن أن تُؤثِرَكَ في كُلِّ حالٍ، ولا تُخلِّيكَ لَها مِن بالٍ، ولَو وَكَلتُكَ إِلىٰ وُكدِكَ[1]، وجَعَلتُ قُوَّتَكَ وقِوامَكَ مِن جُهدِكَ، لَمُتَّ سَريعاً، وفُتَّ ضائِعاً.

هٰذِهِ عادَتي فِي الإِحسانِ إِلَيكَ، وَالرَّحمَةِ لَكَ، إِلىٰ أن تَبلُغَ أَشُدَّكَ، وبَعدَ ذٰلِكَ إِلىٰ مُنتَهىٰ أَجلِكَ، أُهَيِّئُ لَكَ في كُلِّ وَقتٍ مِن عُمُرِكَ ما فيهِ صَلاحُ أَمرِكَ مِن زِيادَةٍ في خَلقِكَ، وتَيسيرٍ لِرِزقِكَ، أُقدِّرُ مُدَّةَ حَياتِكَ قَدرَ كِفايَتِكَ ما لا تَتَجاوَزُهُ وإِن أَكثَرتَ مِنَ التَّعَبِ، ولا يَفوتُكَ وإِن قَصُرتَ فِي الطَّلَبِ؛ فَإِن ظَنَنتَ أَنَّكَ الجالِبُ لِرِزقِكَ، فَما لَكَ تَرومُ أن تَزيدَ فيهِ ولا تَقدِرَ؟ أم ما لَكَ تَتعَبُ في طَلَبِ الشَّيءِ فَلَستَ تَنالُهُ، ويَأتيكَ غَيرُهُ عَفواً مِمّا لا تَتَفَكَّرُ فيهِ، ولا تَتَعَنّىٰ لَهُ، أم ما لَكَ تَرىٰ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنكَ عَقلاً وأَكثَرُ طَلَباً مَحروماً مَجذوذاً؟ ومَن هُوَ أَضعَفُ مِنكَ عَقلاً وأَقَلُّ طَلَباً مَحروزاً مَجدوداً؟ أَتَراكَ أنتَ الَّذي هَيَّأتَ لِمَشرَبِكِ ومَطعَمِكَ سِقاءَينِ في صَدرِ أُمِّكَ؟ أم

---

١. وكد فلان أمراً يكِده وكْداً: إذا قصده وطلبه. تقول: ما زال ذٰلِكَ وُكْدِي؛ أي دأبي وقصدي (النهاية: ج ٥ ص ٢١٩).

تَراكَ سَلَّطتَ عَلىٰ نَفسِكَ وَقتَ السَّلامَةِ الدّاءَ، أو جَلَبتَ لَها وَقتَ السُّقمِ الشِّفاءَ؟ ألا تَنظُرُ إلَى الطَّيرِ الَّتي تَغدو خِماصاً، وتَروحُ بِطاناً؟ أَلَـها زَرعٌ تَـزرَعُهُ، أو مـالٌ تَجمَعُهُ، أو كَسبٌ تَسعىٰ فيهِ، أوِ احتِيالٌ تَتَوَسَّمُ بِتَعاطيهِ؟

اِعلَم أيُّهَا الغافِلُ، أنَّ ذٰلِكَ كُلَّهُ بِتَقديري، لا أُنادُّ ولا أُضادُّ في تَدبيري، ولا يَنقُصُ ولا يَزادُ مِن تَقديري؛ ذٰلِكَ أنّي أنَا اللهُ الرَّحيمُ الحَكيمُ.[١]

٨ / ٢
الطَّيِّباتُ مِنَ الرِّزقِ

الكتاب

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.[٣]

راجع: البقرة: ٥٧، الأعراف: ٣٢ و ١٦٠، الأنفال: ٢٦، النحل: ٧٢، الإسراء: ٧٠، طه: ٨١، المؤمنون: ٥١.

الحديث

٣٥٦٧. الإمام زين العابدين عليه السلام ـ مِن دُعاءٍ لَهُ فِي التَّحميدِ للهِ عزّ وجلّ ـ: الحَمدُ للهِ الَّذِي اختارَ لَنا مَحاسِنَ الخَلقِ، وأجرىٰ عَلَينا طَيِّباتِ الرِّزقِ، وجَعَلَ لَنا الفَضيلَةَ بِالمَلَكَةِ عَلىٰ جَميعِ الخَلقِ، فَكُلُّ خَليقَتِهِ مُنقادَةٌ لَنا بِقُدرَتِهِ، وصائِرَةٌ إلىٰ طاعَتِنا بِعِزَّتِهِ.[٤]

---

١. بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٤٥٥ نقلاً عن ابن متّويه.

٢. غافر: ٦٤.

٣. البقرة: ١٧٢.

٤. الصحيفة السجّادية: ص ٢١ الدعاء ١.

٢ / ٩
شَهوَةُ الأَكلِ

٣٥٦٨ . الكافي عن عبد الله بن بكير عن رجل : أمَرَ أَبو عَبدِ اللهِ ﷺ بِلَحمٍ فَبُرِّدَ ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ مِن بَعدُ ، فَقالَ : الحَمدُ للهِ الَّذي جَعَلَني أَشتَهيهِ.[١]

٣٥٦٩ . الإمام الصادق ﷺ ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ : فَكِّر ـ يا مُفَضَّلُ ـ فِي الأَفعالِ الَّتي جُعِلَت فِي الإِنسانِ مِنَ الطَّعمِ وَالنَّومِ وَالجِماعِ وما دُبِّرَ فيها ؛ فَإِنَّهُ جُعِلَ لِكُلِّ واحِدٍ مِنها فِي الطِّباعِ نَفسِهِ مُحَرِّكٌ يَقتَضيهِ ويَستَحِثُّ بِهِ... ولَو كانَ الإِنسانُ إِنَّما يَصيرُ إِلىٰ أَكلِ الطَّعامِ لِمَعرِفَتِهِ بِحاجَةِ بَدَنِهِ إِلَيهِ ، ولَم يَجِد مِن طِباعِهِ شَيئاً يَضطَرُّهُ إِلىٰ ذٰلِكَ ؛ كانَ خَليقاً أن يَتَوانىٰ عَنهُ أَحياناً بِالتَّثَقُّلِ وَالكَسَلِ ، حَتّىٰ يَنحَلَّ بَدَنُهُ فَيَهلِكَ.[٢]

٢ / ١٠
وُصولُ الغِذاءِ إِلَى البَدَنِ

٣٥٧٠ . الإمام الصادق ﷺ ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ : فَكِّر ـ يا مُفَضَّلُ ـ في وُصولِ الغِذاءِ إِلَى البَدَنِ وما فيهِ مِنَ التَّدبيرِ ؛ فَإِنَّ الطَّعامَ يَصيرُ إِلَى المِعدَةِ فَتَطبَخُهُ ، وتَبعَثُ بِصَفوِهِ إِلَى الكَبِدِ في عُروقٍ رِقاقٍ واشِجَةٍ[٣] بَينَها ، قَد جُعِلَت كَالمُصفىٰ لِلغِذاءِ ، لِكَيلا يَصِلَ إِلَى الكَبِدِ مِنهُ شَيءٌ فَيَنكَأَها ، وذٰلِكَ أَنَّ الكَبِدَ رَقيقَةٌ لا تَحتَمِلُ العُنفَ ، ثُمَّ إِنَّ الكَبِدَ تَقبَلُهُ ، فَيَستَحيلُ بِلُطفِ التَّدبيرِ دَماً ، ويَنفُذُ إِلَى البَدَنِ كُلِّهِ في مَجاري مُهَيَّأَةٍ لِذٰلِكَ ، بِمَنزِلَةِ

---

١ . الكافي : ج ٦ ص ٢٩٦ ح ٢٤ ، المحاسن : ج ٢ ص ١٧٢ ح ١٤٧٩ عن عبد الله بن بكر ، بحار الأنوار : ج ٦٦ ص ٥٩ ح ١١.

٢ . بحار الأنوار : ج ٣ ص ٧٨ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل.

٣ . وَشَجَت العروقُ والأغصانُ : اشتبكت ، وكلّ شيء يشتبك فقد وَشَجَ ؛ أي تداخل و تشابك والتفّ (تاج العروس : ج ٣ ص ٥٠٩).

المَجارِي الَّتي تُهَيَّأُ لِلماءِ حَتّىٰ يَطَّرِدَ فِي الأَرضِ كُلِّها، ويَنفُذُ ما يَخرُجُ مِنهُ مِنَ الخَبَثِ وَالفُضولِ إلىٰ مَفائِضَ قَد أُعِدَّت لِذٰلِكَ، فَما كانَ مِنهُ مِن جِنسِ المِرَّةِ الصَّفراءِ جَرىٰ إلَى المَرارَةِ، وما كانَ مِن جِنسِ السَّوداءِ جَرىٰ إلَى الطِّحالِ، وما كانَ مِنَ البِلَّةِ وَالرُّطوبَةِ جَرىٰ إلَى المَثانَةِ.

فَتَأَمَّل حِكمَةَ التَّدبيرِ فِي تَركيبِ البَدَنِ، ووَضعِ هٰذِهِ الأَعضاءِ مِنهُ مَواضِعَها، وإعدادِ هٰذِهِ الأَوعِيَةِ فيهِ لِتَحمِلَ تِلكَ الفُضولَ، لِئَلّا تَنتَشِرَ فِي البَدَنِ فَتُسقِمَهُ وتَنهَكَهُ، فَتَبارَكَ مَن أَحسَنَ التَّقديرَ وأَحكَمَ التَّدبيرَ، ولَهُ الحَمدُ كَما هُوَ أَهلُهُ ومُستَحِقُّهُ.[١]

٢ / ١١
النَّوم

الكتاب

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ مَنَامُكُم بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.[٢]

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.[٣]

راجع: الفرقان: ٤٧، النبأ: ٩، الزمر: ٤٢.

الحديث

٣٥٧١. الإمام الصادق عليه السلام ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: فَكِّر ـ يا مُفَضَّلُ ـ فِي الأَفعالِ الَّتي جُعِلَت فِي الإِنسانِ مِنَ الطَّعمِ وَالنَّومِ... لَو كانَ إنَّما يَصيرُ إلَى النَّومِ بِالتَّفَكُّرِ في حاجَتِهِ إلىٰ راحَةِ البَدَنِ وإجمامِ قُواهُ كانَ عَسىٰ أن يَتَثاقَلَ عَن ذٰلِكَ فَيَدمَغَهُ حَتّىٰ يَنهَكَ بَدَنُهُ.[٤]

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٦٧ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٢. الروم: ٢٣.

٣. النمل: ٨٦.

٤. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٧٨ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

١٢/٢
اللّباس

الكتاب

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.[1]

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.[2]

﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾.[3]

راجع: فاطر: ١٢.

الحديث

٣٥٧٢. الإمام الباقر عليه السلام ـ في قَولِهِ تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا...﴾ ـ: فَأَمّا اللِّباسُ فَالثِّيابُ الَّتي يَلبَسونَ، وأمّا الرِّياشُ فَالمَتاعُ وَالمالُ، وأمّا لِباسُ التَّقوىٰ فَالعَفافُ؛ لِأَنَّ العَفيفَ لا تَبدو لَهُ عَورَةٌ وإن كانَ عارِياً مِنَ الثِّيابِ، وَالفاجِرُ بادِي العَورَةِ وإن كان كاسِياً مِنَ الثِّيابِ، يَقولُ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ يَقولُ: العَفافُ خَيرٌ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.[4]

---

١. الأعراف: ٢٦.

٢. النحل: ٨١.

٣. النحل: ١٤.

٤. تفسير القمّي: ج ١ ص ٢٢٥ عن أبي الجارود، بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٧١ ح ١٥.

٢ / ١٣
اَلبَيت

الكتاب

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.[١]

الحديث

٣٥٧٣. الإمامُ الباقرُ عليه السلام ـ في قولِ الله: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا كَذَٰلِكَ﴾ ـ: لَم يَعلَموا صَنعَةَ البُيوتِ.[٢]

٢ / ١٤
اَلزَّوج

الكتاب

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[٣]

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.[٤]

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.[٥]

راجع: الأعراف: ١٨٩، النحل: ٧٢، النجم: ٤٥، القيامة: ٣٩، النبأ: ٨، الليل: ٣.

---

١. النحل: ٨٠.

٢. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٣٥٠ ح ٨٤ عن أبي بصير، المحاسن: ج ٢ ص ٤٤٨ ح ٢٥٤٣ عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ١٢ ص ٢٠٦ ح ٣٢.

٣. الروم: ٢١.

٤. الشورىٰ: ١١.

٥. فاطر: ١١.

الحديث

٣٥٧٤. **الإمام الصادق** عليه السلام ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: لَو رَأَيتَ فَرداً مِن مِصراعَينِ فيهِ كَلُّوبٌ[1] أكُنتَ تَتَوَهَّمُ أنَّهُ جُعِلَ كَذٰلِكَ بِلا مَعنىً؟ بَل كُنتَ تَعلَمُ ضَرورَةً أنَّهُ مَصنوعٌ يَلقىٰ فَرداً آخَرَ، فَتَبَرُّزُهُ لِيَكونَ فِي اجتِماعِهِما ضَربٌ مِنَ المَصلَحَةِ، وهٰكَذا تَجِدُ الذَّكَرَ مِنَ الحَيَوانِ كَأَنَّهُ فَردٌ مِن زَوجٍ مُهَيَّأٌ مِن فَردٍ اُنثىٰ، فَيَلتَقِيانِ لِما فيهِ مِن دَوامِ النَّسلِ وبَقائِهِ، فَتَبّاً وخَيبَةً وتَعساً لِمُنتَحِلِي الفَلسَفَةِ! كَيفَ عَمِيَت قُلوبُهُم عَن هٰذِهِ الخِلقَةِ العَجيبَةِ حَتّىٰ أنكَرُوا التَّدبيرَ وَالعَمدَ فيها؟![2]

٢ / ١٥
أداةُ التَّعَلُّمِ

الكتاب

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.[3]

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[4]

الحديث

٣٥٧٥. **تفسير القمّيّ**: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ قالَ: عَلَّمَ الإِنسانَ الكِتابَةَ الَّتي بِها تَتِمُّ اُمورُ الدُّنيا في مَشارِقِ الأَرضِ ومَغارِبِها.[5]

---

١. الكَلُّوب ـ بالتشديد ـ: حديدة معوجّة الرأس (النهاية: ج ٤ ص ١٩٥). وفي بعض النسخ «كلون» وهو فارسي.

٢. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٧٥ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٣. العلق: ٤ و٥.

٤. النحل: ٧٨.

٥. تفسير القمّيّ: ج ٢ ص ٤٣٠، بحار الأنوار: ج ٩ ص ٢٥٢ ح ١٥٨.

تأمّلات حول آيات معرفة الله في خلق الإنسان

من وجهة النظر القرآنية في خلق الإنسان آيات بيّنات ودلالات واضحات تقوده إلى معرفة الله سبحانه، وهذا يعني أن الإنسان لا يمكن أن يرىٰ نفسه دون أن يرىٰ ربّه، أو يكون عارفاً بنفسه وغير عارفٍ بربّه، ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن هذا الموضوع، يمكن تقسيمها موضوعياً إلى تسعة أقسام، فيما يلي توضيح موجز[1] حول هذه الآيات:

١. خلق الإنسان من تراب

إنّ الباحث في كيفية السير التكاملي للتراب والتفاعلات الّتي تحدث في هذه المادة الجامدة حتّىٰ تصير إنساناً، يلاحظ مدى النظم والحكمة والتدبير، بالقدر الذي لو كان يتحلّىٰ بأدنى حدٍّ من الإنصاف فليس له إلّا الاعتراف بالخالق الحكيم والإذعان للمدبّر العالم القادر.

فالقرآن الكريم يتضمّن نظريات دقيقة تلفت النظر حول المواد الأَوليّة الّتي

---

١. لأجل المزيد من الاطلاع حول توضيح هذه الآيات، راجع كتابنا مبانى خداشناسى (بالفارسية) وسائر كتب التفسير.

تشكّل النواة الأُولىٰ لخلق الإنسان، وقد أذعن التطور العلمي بصحّتها وصحّة ارتباط هذا الكتاب السماوي بمصدر الوحي الإلهي.

إنّ التراب[١] من وجهة النظر القرآنية عبارة عن عصارة الطين[٢] والماء[٣] والعَلق[٤] والنطفة[٥]، وتلك مبادئ خلق الإنسان التي تجعل من العقل حين يتأمّلها ويتأمّل السير التكاملي للتراب حتّىٰ يصير إنساناً كاملاً، لا مناص له إلّا الاعتراف بالخالق القادر الحكيم، وممّا يجدر ذكره أنّه قبل أربعة عشر قرناً وفي الأجواء التي كان الناس يعتقدون فيها بأن المرأة هي مجرد وعاء لخلق الإنسان وليس لها أي دور في وجوده، إنّ القرآن الكريم يصرّح بواضح العبارة بأنّ النواة الأُولى في خلق الإنسان مَزيجٌ من نطفة الرجل والمرأة، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾[٦].[٧]

٢. تصوير الجنين

بعد تكميل المواد اللازمة لإنشاء البدن وتهيئتها لأَجل تصوير الجنين، يفصل الخالق العالم القادر خلايا الدماغ والعين والأُذن والقلب واليد والرِّجْل وسائر الأَعضاء بعضها عن بعض، وتتعرف كلّ واحدة على واجبها، ثُمّ يصوّره وفق ما توجبه حكمته البالغة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ

---

١. راجع: ص ١٣٣ «خلق الإنسان من التراب».

٢. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾. المؤمنون: ١٢.

٣. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾. الفرقان: ٥٤.

٤. ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾. العلق: ٢.

٥. راجع: ص ١٣٤ «خلق الإنسان من النطفة».

٦. الدهر: ٢.

٧. راجع: ص ١٣٩ ح ٣٥٥٠.

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١].

٣. إيجاد الحياة

إنّ القرآن الكريم يوعز في موارد متعددة[٢] ظاهرة الحياة العجيبة إلى خالق الكـون القادر على كلّ شيء، ويعتبر ذلك واحدة من الآيات الإلهية والأَدلة التي لا تـقبل الإنكار على وجود الله تعالىٰ، فبناءً على هذه الحقيقة يتوجه أَحـياناً بـاللوم إلى المنكرين، قال تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾[٣].

٤. النوم

النوم هو الأَساس لتجديد القوى المنهكة ورمزٌ للنشاط والحيوية، وهو يستهلك نحو ثلث عمر الإنسان، وقد ثبت أن قـلّة النـوم والأَرَق يـؤديان إلى سـلب النشـاط والحيوية، فضلاً عن تلف الأَعصاب وإنهاك القوى وضعف جهاز التـفكّر، كـما أنّ إدامة الأرق يؤدي إلى الموت المحقق، حتّىٰ أنّه قيل: «إنّه من الممكن بقاء الإنسان حيّاً بدون غذاء إلى ستّة أسابيع، ولكنه سيموت إذا لم ينم عشرة أَيام بـلياليها»[٤]، بناءً على ما تقدّم فإنّ تدبير النوم لحياة الإنسان واحدة من الدلالات التي تشير إلى معرفة الخالق ـ جل وعـلا ـ، قـال تـعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ مَنَامُكُم بِـالَّيْلِ وَٱلنَّـهَارِ وَٱبْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[٥].

---

١. راجع: ص ١٣٧ «تصوير الجنين في الرحم».

٢. راجع: البقرة: ٢٨، ٢٥٨، النجم: ٤٤، الحج: ٦٦، ق: ٤٣، الأعراف: ١٥٨، التـوبة: ١١٦، يـونس: ٣١، ٥٦، المؤمنون: ٨٠، غافر: ٦٨، الدخان: ٨، الحديد: ٢، الجاثية: ٢٦، الأنعام: ٩٥، آل عمران: ٢٧.

٣. راجع: ص ١٤٣ «نفخ الروح في الجنين».

٤. دانستنيهاى جهان علم (بالفارسية): ص ٢٥٠.

٥. راجع: ص ١٥٠ «النوم».

٥. الرزق

إنّ توفير مصادر التغذية التي يحتاج إليها الإنسان، وكلّ الأَحياء الأُخرى والتوفيق بين حاجات الإنسان الغذائية وبين سعيه وجهده الطبيعي، دليل آخر على التوحيد ومعرفة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[1]؟!

٦. الزوج

لو فرضنا جدلاً أنّ رجلاً قد خلق عن طريق الصّدَف المتوالية، فهل يمكن التصديق بخلق موجود آخر من نفس الجنس باسم المرأة وعن طريق الصدفة أَيضاً، وبعث الطمأنينة في الحياة المشتركة بينهما علىٰ أساس العشق والمحبة لأجل الحفاظ على النسل؟! أليس هذا البرهان كافياً لِئَن يُثبت أنّ وراء عالم الوجود خالقاً حكيماً وقادراً؟ بلىٰ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

٧. اللباس

إنّ وجود مصادر اللباس في الأَرض مثل وجود مصادر الغذاء والماء، يثبت أنّ العالم وُجِد وفق خطّة حكيمة وحسابات دقيقة لم تخفَ فيها عن النظر الثاقب لموجدها حتّىٰ أَبسط المسائل الجزئية مادامت ضرورية لإدامة الحياة، إنه يعلم أنّ الإنسان لا يمتلك المقاومة إزاء الحرّ والبرد مثل باقي الحيوانات، فضلاً عن أنّ رعاية شؤون العفّة والحفاظ على القيم الأَخلاقية لا يتيسران بدون وجود اللباس،

---

١. راجع: ص ١٤٥ «الرزق».

٢. راجع: ص ١٥٢ «الزوج».

من هنا وفّر الخالق للإنسان المصادر التي يحتاج إليها لأجل تهيئة اللباس والمسكن، كما وفّر له المواد اللازمة لصناعة الملابس التي يحتاج إليها للزينة أو تلك التي ضرورية في الحرب، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...﴾ وقال: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ وقال: ﴿تَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[1].

٨. أدوات استيعاب العلم

إنّ تدارك الأدوات الداخلية والخارجية لاستيعاب العلم آية أُخرى تضاف إلى آيات خلق الإنسان، ودليل آخر يضاف إلى إثبات التوحيد ومعرفة الخالق.

لقد وفّر الخالق الحكيم من ناحية أدوات استيعاب العلم في بواطن وجود الإنسان، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

ومن ناحية أُخرى وفّر له أنواع اللوازم والآلات الضرورية الخارجية للقراءة والكتابة ودراسة العلم.

إنّ النقطة التي تجدر الإشارة إليها هي أن القرآن الكريم أقسم بالقلم والكتاب من بين أدوات التعليم والتعلم، قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وذلك لأنّ القلم والكتاب يُعدّان مصدرين خارجيين لكلّ العلوم والمعارف الإنسانية، ومن هنا فإنّ هذا الكتاب السماوي يعتبر القلم والكتابة من الآيات الإلهية التي تشير إلى وجود الشعور والتدبير في نظام الوجود، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ

---

١. راجع: ص ١٥١ «اللباس».

٢. النحل: ٧٨.

يَعْلَمْ﴾[١].

٩. اختلاف اللغات والصور

إنّ اختلاف لغات الناس وصورهم وألوانهم واحدة أُخرى من دلائل معرفة الخالق ـ جلّ وعلا ـ، فإذا كان الصانع مجرداً من الشعور حاله حال المصانع الانتاجية الأُخرى فإنّ إنتاجه سيكون بلا شكّ علىٰ وتيرةٍ واحدةٍ ونمطٍ واحدٍ.

ومن جهة أُخرى فإنّ الحياة الاجتماعية لا يمكن أن تتيسّر دون تهيئة الأَسباب التي تؤدي إلى معرفة الناس بعضهم لبعض، فلو فرضنا أنّ كلَّ النَّاس في مجتمع ما قد خُلقوا علىٰ شكل واحد، وقيافة واحدة، ولون واحد، ونبرة صوتية واحدة بحيث لا يمكن التمييز بين شخص وآخر؛ الوالد عن الولد، والزوجة عن غيرها، والمجرم عن البريء، والآمر عن المأمور، والرئيس عن المرؤوس، الدائن عن المَدِين، والصديق عن العدو، فكيف يمكن تصوّر العيش في مثل مجتمع هكذا؟ وفي هذا الاتّجاه يؤكّد القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾[٢].

---

١. راجع: ص ١٥٣ «أداة التعلّم».

٢. راجع: ص ١٤٤ «اختلاف الأَلسنة والأَلوان». وقد فسّرت الأَلوان في الآية بمعنيين، الأَول: اختلاف الصور، والثاني: اختلاف الألوان، وكلاهما صحيحان، فإنّ اختلاف الأَلوان في كلا المعنيين من أدلة التوحيد ومعرفة الله سبحانه. راجع: مفردات الراغب، مادة «لون»، التفسير الكبير ج ٢٥: ص ٩٢، تفسير الجواهر ج ١٥: ص ٤٩٩، التفسير الأمثل (ذيل الآية) وغيرها.

الباب الثالث

خلق الحيوان

الكتاب

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.[1]

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.[2]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ۞ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.[3]

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.[4]

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۞ لِتَسْتَوُاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾.[5]

---

١ . الجاثية: ٤.

٢ . النحل: ٦٨.

٣ . يس: ٧١ ـ ٧٣.

٤ . المؤمنون: ٢١ و ٢٢.

٥ . الزخرف: ١٢ و ١٣.

﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.[1]

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾.[2]

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.[3]

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.[4]

الحديث

٣٥٧٦ . الإمام عليّ عليه السلام : لَو فَكَّروا في عَظِيمِ القُدرَةِ، وجَسيمِ النِّعمَةِ، لَرَجَعوا إِلَى الطَّريقِ، وخافوا عَذابَ الحَريقِ، ولٰكِنِ القُلوبُ عَليلَةٌ، وَالبَصائِرُ مَدخولَةٌ. ألا يَنظُرونَ إِلىٰ صَغيرِ ما خَلَقَ، كَيفَ أَحكَمَ خَلقَهُ، وأَتقَنَ تَركيبَهُ، وفَلَقَ لَهُ السَّمعَ وَالبَصَرَ، وسَوّىٰ لَهُ العَظمَ وَالبَشَرَ ؟!

أُنظُروا إِلَى النَّملَةِ في صِغَرِ جُثَّتِها، ولَطافَةِ هَيئَتِها، لا تَكادُ تُنالُ بِلَحظِ البَصَرِ، ولا بِمُستَدرَكِ الفِكرِ، كَيفَ دَبَّت عَلىٰ أَرضِها، وصُبَّت (ضُنَّت) على رِزقِها، تَنقُلُ الحَبَّةَ إِلىٰ جُحرِها، وتُعِدُّها في مُستَقَرِّها، تَجمَعُ في حَرِّها لِبَردِها، وفي وِردِها لِصَدرِها، مَكفولٌ بِرِزقِها، مَرزوقَةٌ بِوِفقِها، لا يُغفِلُهَا المَنّانُ، ولا يَحرِمُهَا الدَّيّانُ، ولَو فِي الصَّفَا اليابِسِ، وَالحَجَرِ الجامِسِ!

ولَو فَكَّرتَ في مَجاري أَكلِها، في عُلوِها وسُفلِها، وما فِي الجَوفِ مِن شَراسيفِ

---

١. النحل: ٥.

٢. النحل: ٦٦.

٣. النحل: ٧٩.

٤. طه: ٤٩ و ٥٠.

بَطنِها، وما فِي الرَّأسِ مِن عَينِها وأُذُنِها، لَقَضَيتَ مِن خَلقِها عَجَباً، ولَقيتَ من وَصفِها تَعَباً! فتَعالَى الَّذي أَقامَها عَلىٰ قَوائِمِها، وبَناها عَلىٰ دَعائِمِها لَم يَشرَكهُ في فِطرَتِها فاطِرٌ، ولَم يُعِنهُ عَلىٰ خَلقِها قادِرٌ. ولَو ضَرَبتَ في مَذاهِبِ فِكرِكَ لِتَبلُغَ غاياتِهِ، ما دَلَّتكَ الدَّلالَةُ إلّا عَلىٰ أنَّ فاطِرَ النَّملَةِ هُوَ فاطِرُ النَّخلَةِ (النَّحلَةِ)؛ لِدَقيقِ تفصيلِ كُلِّ شَيءٍ، وغامِضِ اختِلافِ كُلِّ حَيٍّ (شَيءٍ)، ومَا الجَليلُ وَاللَّطيفُ وَالثَّقيلُ وَالخَفيفُ وَالقَوِيُّ وَالضَّعيفُ في خَلقِهِ إلّا سَواءٌ....

فَالوَيلُ لِمَن أنكَرَ المُقَدِّرَ وَجَحَدَ المُدَبِّرَ! زَعَموا أنَّهُم كَالنَّباتِ ما لَهُم زارِعٌ، ولا لِاختِلافِ صُوَرِهِم صانِعٌ، ولَم يَلجَؤوا إلىٰ حُجَّةٍ فيمَا ادَّعَوا، ولا تَحقيقٍ لِما أوعَوا؛ وهَل يَكونُ بِناءٌ مِن غَيرِ بانٍ، أو جِنايَةٌ مِن غَيرِ جانٍ؟!

وإن شِئتَ قُلتَ فِي الجَرادَةِ، إذ خَلَقَ لَها عَينَينِ حَمراوَينِ، وأَسرَجَ لَها حَدَقَتَينِ قَمراوَينِ، وجَعَلَ لَهَا السَّمعَ الخَفِيَّ، وفَتَحَ لَهَا الفَمَ السَّوِيَّ، وجَعَلَ لَهَا الحِسَّ القَوِيَّ، ونابَينِ بِهِما تَقرِضُ، ومِنجَلَينِ بِهِما تَقبِضُ. يَرهَبُها الزُّرّاعُ في زَرعِهِم، ولا يَستَطيعونَ ذَبَّها ولَو أَجلَبوا بِجَمعِهِم، حَتّىٰ تَرِدَ الحَرثَ في نَزَواتِها، وتَقضي مِنهُ شَهَواتِها، وخَلقُها كُلُّهُ لا يُكَوِّنُ إصبَعاً مُستَدِقَّةً.

فَتَبارَكَ اللهُ الَّذي يَسجُدُ لَهُ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ طَوعاً وكَرهاً، ويُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً ووَجهاً، ويُلقي إلَيهِ بِالطّاعَةِ سِلماً وضَعفاً، ويُعطي لَهُ القِيادَ رَهبَةً وخَوفاً، فَالطَّيرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمرِهِ، أَحصىٰ عَدَدَ الرّيشِ مِنها وَالنَّفَسَ، وأَرسىٰ قَوائِمَها عَلَى النَّدىٰ وَاليَبَسِ، وقَدَّرَ أَقواتَها، وأَحصىٰ أَجناسَها؛ فَهٰذا غُرابٌ وهٰذا عُقابٌ، وهٰذا حَمامٌ وهٰذا نَعامٌ، دَعا كُلَّ طائِرٍ بِاسمِهِ، وكَفَلَ لَهُ بِرِزقِهِ.[1]

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٨١ ح ١١٧، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٦ ح ١.

٣٥٧٧. جامع الأخبار: سُئِلَ جَعفَرُ الصّادِقُ عليه السلام: مَا الدَّليلُ عَلىٰ صانِعِ العالَمِ. قالَ: لَقيتُ حِصناً مَزلَقاً أَملَسَ لا فُرجَةَ فيهِ ولا خِلَلَ، ظاهِرُهُ مِن فِضَّةٍ مائِعَةٍ، وباطِنُهُ مِن ذَهَبٍ مائِعٍ، اِنفَلَقَ مِنهُ طاووسٌ وغُرابٌ ونَسرٌ وعُصفورٌ، فَعَلِمتُ أنَّ لِلخَلقِ صانِعاً.[1]

٣٥٧٨. الكافي عن محمّد بن إسحاق: أَتىٰ [عَبدُ اللهِ الدَّيصانيُّ] بابَ أَبي عَبدِ اللهِ فَاستَأذَنَ عَلَيهِ فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمّا قَعَدَ، قالَ لَهُ: يا جَعفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ، دُلَّني عَلىٰ مَعبودي...

فَقالَ لَهُ أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: اِجلِس، وإِذا غُلامٌ لَهُ صَغيرٌ في كَفِّهِ بَيضَةٌ يَلعَبُ بِها، فَقالَ لَهُ أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: ناوِلني ـ يا غُلامُ ـ البَيضَةَ، فَناوَلَهُ إِيّاها، فَقالَ لَهُ أَبو عَبدِ اللهِ عليه السلام:

يا دَيصانيُّ، هٰذا حِصنٌ مَكنونٌ، لَهُ جِلدٌ غَليظٌ، وتَحتَ الجِلدِ الغَليظِ جِلدٌ رَقيقٌ، وتَحتَ الجِلدِ الرَّقيقِ ذَهَبَةٌ مائِعَةٌ وفِضَّةٌ ذائِبَةٌ، فَلاَ الذَّهَبَةُ المائِعَةُ تَختَلِطُ بِالفِضَّةِ الذّائِبَةِ، ولَا الفِضَّةُ الذّائِبَةُ تَختَلِطُ بِالذَّهَبَةِ المائِعَةِ، فَهِيَ عَلىٰ حالِها لَم يَخرُج مِنها خارِجٌ مُصلِحٌ فَيُخبِرَ عَن صَلاحِها، ولا دَخَلَ فيها مُفسِدٌ فَيُخبِرَ عَن فَسادِها، لا يُدرىٰ لِلذَّكَرِ خُلِقَت أم لِلأُنثىٰ، تَنفَلِقُ عَن مِثلِ أَلوانِ الطَّواويسِ، أتَرىٰ لَها مُدَبِّراً؟

قالَ: فَأَطرَقَ مَلِيّاً، ثُمَّ قالَ: أَشهَدُ أن لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ وأَنَّ مُحَمَداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، وأَنَّكَ إِمامٌ وحُجَّةٌ مِنَ اللهِ عَلىٰ خَلقِهِ، وأَنَا تائِبٌ مِمّا كُنتُ فيهِ.[2]

٣٥٧٩. الإمام الصادق عليه السلام ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: تَأَمَّل ـ يا مُفَضَّلُ ـ جِسمَ الطّائِرِ وخِلقَتَهُ؛ فَإِنَّهُ حينَ قُدِّرَ أن يَكونَ طائِراً فِي الجَوِّ خُفِّفَ جِسمُهُ وأُدمِجَ خَلقُهُ، فَاقتُصِرَ بِهِ مِنَ القَوائِمِ الأَربَعِ عَلَى اثنَتَينِ، ومِنَ الأَصابِعِ الخَمسِ عَلىٰ أَربَعٍ، ومِن مَنفَذَينِ لِلزِّبلِ وَالبَولِ عَلىٰ

---

١. جامع الأخبار: ص ٣٥ ح ١٥، روضة الواعظين: ص ٣٩ وفيه «بم عرفت ربّك» بدل «ما الدليل على صانع العالم».

٢. الكافي: ج ١ ص ٨٠ ح ٤، التوحيد: ص ١٢٤ ح ١، الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٠١ ح ٢١٥، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣١ ح ٥.

واحِدٍ يَجمَعُهُما، ثُمَّ خُلِقَ ذا جُؤجُؤٍ مُحَدَّدٍ لِيَسهُلَ عَلَيهِ أن يَخرِقَ الهَواءَ كَيفَ ما أَخَذَ فيهِ، كَما جُعِلَ السَّفينَةُ بِهٰذِهِ الهَيئَةِ لَتَشُقَّ الماءَ وتَنفذَ فيهِ، وجُعِلَ في جَناحَيهِ وذَنَبِهِ ريشاتٌ طُولٌ مِتانٌ لِيَنهَضَ بِها لِلطَّيَرانِ، وكُسِيَ كُلُّهُ الرّيشَ لِيُداخِلَهُ الهَواءُ فَيُقِلَّهُ.

ولَمّا قُدِّرَ أن يَكونَ طُعمُهُ الحَبَّ وَاللَّحمَ يَبلَعُهُ بَلعاً بِلا مَضغٍ؛ نُقِصَ مِن خَلقِهِ الأَسنانُ، وخُلِقَ لَهُ مِنقارٌ صُلبٌ جاسٍ يَتَناولُ بِهِ طُعمَهُ فَلا يَنسَحِجُ مِن لَقطِ الحَبِّ، ولا يَتَقَصَّفُ مِن نَهشِ اللَّحمِ.

ولَمّا عُدِمَ الأَسنانَ وصارَ يَزدَرِدُ الحَبَّ صَحيحاً وَاللَّحمَ غَريضاً، أُعينَ بِفَضلِ حَرارَةٍ فِي الجَوفِ تَطحَنُ لَهُ الطُّعمَ طَحناً يَستَغني بِهِ عَنِ المَضغِ؛ وَاعتَبِر ذٰلِكَ بِأَنَّ عَجَمَ العِنَبِ وغَيرِهِ يَخرُجُ مِن أَجوافِ الإِنسِ صَحيحاً، ويُطحَنُ في أَجوافِ الطَّيرِ لا يُرىٰ لَهُ أَثَرٌ!

ثُمَّ جُعِلَ مِمّا يَبيضُ بَيضاً ولا يَلِدُ وِلادَةً؛ لِكَيلا يَثقُلَ عَنِ الطَّيَرانِ، فَإِنَّهُ لَو كانَتِ الفِراخُ في جَوفِهِ تَمكُثُ حَتّىٰ تَستَحكِمَ لَأَثقَلَتهُ وعاقَتهُ عَنِ النُّهوضِ وَالطَّيَرانِ. فَجَعَلَ كُلَّ شَيءٍ مِن خَلقِهِ مُشاكِلاً لِلأَمرِ الَّذي قَدَّر أن يَكونَ عَلَيهِ[1].

٣٥٨٠. تفسير القمّي ـ في قَولِهِ تَعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَٰزِقِينَ﴾[2] ـ: قالَ: لِكُلِّ ضَربٍ مِنَ الحَيَوانِ قَدَّرنا شَيئاً مُقَدَّراً.[3]

راجع: بحار الأنوار: ج ٣ ص ٩٠ـ١٠٩.

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٠٣ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٢. الحجر: ١٩، ٢٠.

٣. تفسير القمّي: ج ١ ص ٣٧٤.

تأمّلات حول آيات معرفة الله في خلق الحيوان

إنّ الحكمة التي أُشير لها في صدد خلق الإنسان غالباً ما تصدق على خلق الحيوان كذلك، فضلاً عن أنّ هناك نصوص إسلامية خاصّة بخلق الحيوان تؤكّد ذكر الأَدلة والإشارات الخاصة بمعرفة الله تعالى، سنشير هنا باختصار إلى عدد منها:

١. أَنواع الحيوان

إنّ القرآن الكريم قد ذكر الدليل على معرفة الله سبحانه من خلال تنوع الحيوانات في أَربعة مواضع، وهي: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى

---

١. الشورى: ٢٩.

٢. الجاثية: ٤.

٣. لقمان: ١٠.

فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

يقول الأُستاذ «ميكستر» أُستاذ علم الحيوان في «كالج وتن»: إنّ أنواع الحيوانات كثيرة جدّاً، إذا أردنا إحصاءها فإنّها ستكون بعدد النجوم... ومع وجود هذا التنوع فإن هناك نظاماً وترتيباً خاصّاً لكلّ نوع من هذه الأنواع[2].

٢. حِكمة صغر الحَشرات

يقول العالم الرومي «بيني»: إذا كان للزنبور هيبة العقاب وللخُنفساء قوة الأسد، فإنّ عالمنا سيكون سوقاً للفوضى! لكن الحِكمة البالغة لخالق العالم جعلت كلّ شيء متناسباً مع النظام العام السّائد على العالم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾[3].

٣. ميزات كلّ حيوان

إنّ أحد الدلائل الإلهية الكبرىٰ في خلق الحيوانات هو أنّ لكلّ نوع منها ميزات معينة تنطبق علىٰ ظروف حياته، ولو فقدت تلك الميزات فلا يمكنها إدامة الحياة، والاستدلال بهذا البرهان كان واحداً من أدلة نبيّ الله موسىٰ عليه السلام لأجل إثبات التوحيد لفرعون حينما قال فرعون له ولأخيه هارون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا

---

١. البقرة: ١٦٤.

٢. راجع: اثبات وجود خدا (بالفارسية): ص ١١١.

٣. راجع: ص ١٦٢ ح ٣٥٧٦ وج ٥ ص ٤٣ «الفصل الثاني والخمسون: القادر، القدير» وج ٥ ص ٢١٥ «الفصل السابع والسبعون: المُقدِّر».

يَـٰمُوسَىٰ﴾[١] فقال موسىٰ مجيباً: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾[٢].[٣]

أي: أنّ لكلّ شيء في نظام الخلق ميزات متعلقة به تنطبق علىٰ حاجاته، وهذا التوافق دليل واضح على أنّ الخالق الحكيم القادر هو المدّبر لعالم الوجود.

يقول الإمام الصادقﷺ في بيانه للميزات التي تحتاج إليها الطيور مشيراً إلى هذه الحكمة المهمّة في نظام الخلق:

«فَجَعَلَ كُلَّ شَيءٍ مِن خَلقِهِ مُشاكِلاً لِلأَمرِ الَّذي قَدَّرَ أن يَكونَ عَلَيهِ»[٤].

٤. الشعور الفطري للحيوانات

يقول «كرسى موريسن» في أدلته السبعة علىٰ إثبات وجود الله تعالى:

إنّ دليلي الثالث هو سلوك الحيوانات الّذي يقودنا بكلّ صراحة إلىٰ وجود الخالق الرحيم، الله الّذي وهب لها الشعور الفطري، ولو كانت محرومة من مثل هذا الشعور لما استطاعت أداء أي دورٍ[٥].

إنّ الاستدلال بالشعور الفطري كان الدليل الثاني لنبيّ الله موسىٰﷺ علىٰ إثبات التوحيد لفرعون: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

٥. دور الحيوانات في حياة الإنسان

تعرّض القرآن الكريم إلى ذكر دور الحيوانات في حياة الإنسان في آيات عديدة،

---

١. طه: ٤٩.

٢. طه: ٥٠.

٣. راجع: ص ١٦١ «الباب الثالث: خلق الحيوان».

٤. راجع: ص ١٦٤ ح ٣٥٧٩.

٥. دانستنيهاى جهان علم (بالفارسية): ص ٤.

ويعتبر ذلك من أَدلّة التوحيد، لأنّه يحكي عن إِحاطة علم الخالق بحاجات الإنسان وضمانها له، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[1] إِلى آخر الآية.

٦. خضوع الحيوانات للإنسان

إِنّ الحيوانات وسائر الموجودات خاضعة للإنسان، كما أنّ عدداً منها مسخَّرٌ لخدمة البشر، هذا مع أنّها ليست أَقلّ من البشر من حيث العدد ولا هي عاجزة من حيث القوة، فمن ذلّلها إِذاً وجعلها خاضعة للإنسان وفي خدمته؟ يقول القرآن الكريم في جوابه على هذا السؤال: ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾[2]، كما يقول الإمام الصادقؑ في بيان سبب خضوع الحيوانات للإنسان:

«ثمّ مُنِعَت الذِّهنَ وَالعَقلَ لِتَذِلَّ لِلإنسانِ فَلا تَمتَنِعُ عَلَيهِ»[3].

افرض أنّ الحيوانات وسائر الموجودات إِذا كانت تتمتع بنعمة العقل واتخاذ القرار بالحرب والقتال ضد الإنسان، فكيف سيكون مصير المجتمع البشري؟!

---

١. النحل: ٦٨.

٢. يس: ٧٢.

٣. بحارالأنوار: ج ٣ ص ٩١.

الباب الرابع

خلق النبات

الكتاب

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.[1]

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.[2]

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾.[3]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.[4]

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ * لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾.[5]

---

١. الأنعام: ٩٩.

٢. فصّلت: ٣٩.

٣. الحجر: ١٩.

٤. الأنعام: ٩٥.

٥. الواقعة: ٦٣ ـ ٦٥.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ * ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾.[١]

راجع: إبراهيم: ٣٢، عبس: ٢٦ و ٢٧، النحل: ٦٥، يس: ٣٤.

الحديث

٣٥٨١. السنن الكبرىٰ عن أبي هريرة: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: لا يَقولَنَّ أَحَدُكُم: زَرَعتُ، ولٰكِن لِيَقُل: حَرَثتُ.

قالَ أَبو هُرَيرَةَ: أَلَم تَسمَعوا إِلىٰ قَولِ اللهِ ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾.[٢]

٣٥٨٢. المستدرك على الصحيحين عن حجر بن قيس المدريّ: بِتُّ عِندَ أَميرِ المُؤمِنينَ عَلِيِّ بنِ أَبي طالِبٍ ؑ فَسَمِعتُهُ وهُوَ يُصَلّي اللَّيلَ يَقرَأُ، فَمَرَّ بِهٰذِهِ الآيَةِ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾[٣]، قالَ: بَل أنتَ يا رَبِّ ـ ثَلاثاً ـ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾، قالَ: بَل أنتَ يا رَبِّ، بَل أنتَ يا رَبِّ، بَل أنتَ يا رَبِّ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾[٤]، قالَ: بَل أنتَ يا رَبِّ ـ ثَلاثاً ـ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ * ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ قالَ: بَل أنتَ يا رَبِّ ـ ثَلاثاً ـ.[٥]

---

١. الواقعة: ٧١ و ٧٢.

٢. السنن الكبرى: ج ٦ ص ٢٢٨ ح ١١٧٥٢، شُعَب الإيمان: ج ٤ ص ٣١١ ح ٥٢١٧، حلية الأولياء: ج ٨ ص ٢٦٧، تفسير الطبري: ج ١٣ / الجزء ٢٧ ص ١٩٨؛ مجمع البيان: ج ٩ ص ٣٣٧ وليس فيه ذيله من «قال أبو هريرة».

٣. الواقعة: ٥٨ و ٥٩.

٤. الواقعة: ٦٨ و ٦٩.

٥. المستدرك على الصحيحين: ج ٢ ص ٥١٨ ح ٣٧٨٠، السنن الكبرى: ج ٢ ص ٤٤٠ ح ٣٦٩٥، كنز العمّال: ج ٢ ص ٣١٨ ح ٤١١٨.

٣٥٨٣. الإمام الصادق عليه السلام ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: تَأَمَّلِ الحِكمَةَ في خَلقِ الشَّجَرِ وأَصنافِ النَّباتِ؛ فَإِنَّها لَمّا كانَت تَحتاجُ إلَى الغِذاءِ الدّائِمِ كَحاجَةِ الحَيَوانِ، ولَم يَكُن لَها أَفواهُ كَأَفواهِ الحَيَوانِ، ولا حَرَكَةٌ تَنبَعِثُ بِها لِتَناوُلِ الغِذاءِ، جُعِلَت أُصولُها مَركوزَةً فِي الأَرضِ لِتَنزِعَ مِنهَا الغِذاءَ فَتُؤَدِّيَهُ إلَى الأَغصانِ وما عَلَيها مِنَ الوَرَقِ وَالثَّمَرِ، فَصارَتِ الأَرضُ كَالأُمِّ المُرَبِّيَةِ لَها. وصارَت أُصولُها الَّتي هِيَ كَالأَفواهِ مُلتَقِمَةً لِلأَرضِ لِتَنزِعَ مِنهَا الغِذاءَ كَما يُرضِعُ أَصنافَ الحَيَوانِ أُمَّهاتُها.[1]

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٣٠ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

تأمّلات حول آيات معرفة الله في خلق النبات

لقد لوحظ فيما مضىٰ، أنّ القرآن والأَحاديث الإسلامية يدعوان الإنسان إلى التأمل والمطالعة في خلق شتّى النّباتات والحِكَم الّتي أُخذت بعين الاعتبار فيها في طريق معرفة الله، ومن وجهة نظر القرآن الكريم أنّ حياة النباتات من جهات مختلفة يمكن أن تقود المفكرين إلى خالق العالم الحكيم، فيما يلي نشير إلى عددٍ منها:

١. بعث الحياة في المواد الميتة

إنّ النقطة الأُولى الجديرة بالبحث هي التحقيق في كيفية بعث الحياة والنضارة في البذور الميتة والفروع الذابلة من النبات، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

٢. التنظيم الدقيق الموزون للنباتات

إنّ التنظيم الدقيق والتّعقيد والجمال والتوازن العجيب في حياة عالم النبات، حين يلاحظه العقل لا يتردّد في الاعتراف والإذعان للخالق المدبر القادر الحكيم، قال

---

١. راجع: ص ١٧١ «الباب الرابع: خلق النّبات».

تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[١].

٣. أَنواع النباتات

إِنّ النباتات كالحيوانات من حيث تعدّد أَنواعها التي يصعب احصاؤها، ولكلٍّ نوع من أَنواع النبات مقررات وخصائص معينة في نظام الخلق، وكلّ منها يعدّ آية علىٰ وجود الخالق المدبر، قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾[٢].

٤. نظام الزوجية في النباتات

عندما أعلن شارل لينه في أَواسط القرن الثامن عشر عن اكتشاف كون النباتات تشتمل على الجنسين الذكر والأُنثىٰ أَيضاً، أَثار هذا الموضوع غضب الجهاز الدِّيني المسيحي، فعدّوا مؤلفاته من كتب الضلال، إِلّا أنّ القرآن الكريم صرّح بهذه الحقيقة قبل أَربعة عشر قرناً معلناً قانون الزوجية في عالم النبات، وداعياً النّاس إِلى التفكّر بهذه الدلالة التوحيدية علىٰ طريق السير إِلىٰ معرفة الله سبحانه. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣] وسيأتي[٤] أنه يظهر من القرآن والأَحاديث أنّ قانون الزوجية عامّ لكل موجودات العالم ولا يخصّ عالم النبات وحدَه.

---

١. الحِجر: ١٩.

٢. الحجّ: ٥، ٦. راجع الشعراء: ٧، ٨، لقمان: ١٠، ق: ٧.

٣. راجع: ص ١٧٧ «الباب الخامس: خلق الأَزواج».

٤. راجع: ص ١٨١ «تأمّلات حول آيات معرفة الله في خلق الأَزواج».

الباب الخامس

خلق الأزواج

الكتاب

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[1]

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.[2]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.[3]

راجع: الرعد: ٣، النحل: ٧٢، طه: ٥٣، الروم: ٢١، لقمان: ١٠، فاطر: ١١، الزخرف: ١٢، الشورى: ١١، ق: ٧، الذاريات: ٤٩، النجم: ٤٥، الرحمن: ٥٢، القيامة: ٣٩، النبأ: ٨، الليل: ٣.

الحديث

٣٥٨٤. الإمام عليّ عليه السلام: مُؤَلِّفُ بَينَ مُتَعادِياتِها، ومُفَرِّقٌ بَينَ مُتَدانِياتِها، دالَّةٌ بِتَفريقِها عَلىٰ مُفَرِّقِها، وبِتَأليفِها عَلىٰ مُؤَلِّفِها، وذٰلِكَ قَولُهُ تَعالىٰ: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ

---

١. الذاريات: ٤٩.

٢. يس: ٣٦.

٣. الشعراء: ٧، ٨.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١].[٢]

٣٥٨٥. رسول الله ﷺ ـ في ردّه على الدهرية الذين يقولون أنّ العالم قديم غير محدث ـ: هٰذَا الَّذي تُشاهِدونَهُ مِنَ الأَشياءِ بَعضُها إلىٰ بَعضٍ يَفتَقِرُ؛ لِأَنَّهُ لا قِوامَ لِلبَعضِ إلّا بِما يَتَّصِلُ بِهِ، ألا تَرَى البِناءَ مُحتاجاً بَعضُ أجزائِهِ إلىٰ بَعضٍ، وإلّا لَم يَتَّسِق ولَم يَستَحكِم، وكَذٰلِكَ سائِرُ ما تَرَونَ.[٣]

٣٥٨٦. الإمام عليّ عليه السلام: ... وأمَّا الجَماداتُ فَهُوَ يُمسِكُها بِقُدرَتِهِ، ويُمسِكُ المُتَّصِلَ مِنها أن يَتَهافَتَ، ويُمسِكُ المُتَهافِتَ مِنها أن يَتَلاصَقَ.[٤]

٣٥٨٧. عنه عليه السلام: أَحالَ الأَشياءَ لِأَوقاتِها، ولَأَمَ[٥] بَينَ مُختَلِفاتِها، وغَرَّزَ غَرائِزَها، وأَلزَمَها أَشباحَها.[٦]

٣٥٨٨. عنه عليه السلام: فَأَقامَ مِنَ الأَشياءِ أَوَدَها[٧]، ونَهَجَ حُدودَها، ولاءَمَ بِقُدرَتِهِ بَينَ مُتَضادِّها،

---

١. الذاريات: ٤٩.

٢. الكافي: ج ١ ص ١٣٩ ح ٤ عن الإمام الصادق عليه السلام، التوحيد: ص ٣٠٨ ح ٢ عن عبد الله بن يونس عن الإمام الصادق عنه عليه السلام وص ٣٧ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥٢ ح ٥١ كلاهما عن محمّد بن يحيىٰ بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام والقاسم بن أيّوب العلوي عن الإمام الرضا عليه السلام، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٦٣ ح ٢٨٣ عن الإمام الرضا عليه السلام، الأمالي للمفيد: ص ٢٥٦ ح ٤ عن محمّد بن زيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام، الأمالي للطوسي: ص ٢٣ ح ٢٨ عن محمّد بن يزيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام وكلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٩ ح ٣.

٣. الاحتجاج: ج ١ ص ٣٧ ح ٢٠، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٣٧ ح ٣٢٣ كلاهما عن الإمام العسكري عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ٢٦٢ ح ١.

٤. عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٨٢ ح ٣٠، علل الشرائع: ص ٤١٦ ح ٣، بشارة المصطفى: ص ٢١٣ كلّها عن محمّد بن زياد ومحمّد بن سيّار عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٠ ح ١١، بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٢٢٤ ح ٢.

٥. يقال: لأم ولائم بين الشيئين: إذا جمع بينهما (النهاية: ج ٤ ص ٢٢٠).

٦. نهج البلاغة: الخطبة ١، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٤ ح ١١٣، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٧٧ ح ١٣٦.

٧. الأَوَد: العِوَج (لسان العرب: ج ٣ ص ٧٥).

ووَصَلَ أَسبابَ قَرائِنِها.[١]

٣٥٨٩. **الإمام الرضا** عليه السلام: ولَم يَخلُق شَيئاً فَرداً قائِماً بِنَفسِه دونَ غَيرِهِ لِلَّذي أَرادَ مِنَ الدَّلالَةِ عَلىٰ نَفسِهِ، وإِثباتِ وُجودِهِ، وَاللهُ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ فَردٌ واحِدٌ، لا ثانِيَ مَعَهُ يُقيمُهُ، ولا يَعضُدُهُ ولا يُمسِكُهُ، وَالخَلقُ يُمسِكُ بَعضُهُ بَعضاً بِإِذنِ اللهِ ومَشِيئَتِهِ.[٢]

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٩١ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٣١٩ ح ١٧.

٢. التوحيد: ص ٤٣٩ ح ١، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٧٦ ح ١ كلاهما عن الحسن بن محمّد النوفلي وفيه «ولا يكنّه» بدل «ولا يمسكه»، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٥٢ ح ٢٧.

تأمّلات حول آيات معرفة الله في خلق الأزواج

إنّ قانون الزوجية العامّة الذي يحكم عالم المادة، هو أَهمّ القوانـين التكـوينية لخلق العالم؛ لأنّ وجود عالم المادة وبقاءه رهنٌ بهذا القانون، وممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ اكتشاف هذا القانون في الوقت الحاضر حصيلة لمساعٍ علـميّة حـثيثة استمرت لعدّة قرون، فحسباً لقول انشتاين:

لقد أَدرك البشر بعد مضي ٢٥٠٠ سنة من البحث والدراسة أَسرار قـلعة الذرّة، فتوصّل إلى أنّ جميع العالم المادي يتكون من الذرّة، وأنّ الذرّة تتكوّن من اتحاد الألكترون والبروتون، وأنّ وجود المادة وبقاءها رهنٌ بحالة الاتـصال والتـجاذب القائمة بين نوعين متضادين، الأَول موجب، والآخر سالب، بينما يظهر من القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً بأنّ خلق العالم قائم علىٰ أساس الزّوجيّة.

وأنّ حكمة قانون الزوجية العامة وفلسفته هو تذكير الإنسان ولفت انتباهه إلى الخالق الحكيم جلّت قدرته، والتحرك في الاتجاه الذي رسمه لضمان سعادة البشر، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

---

١. راجع: ص ١٧٧ «الباب الخامس: خلق الأزواج».

وقد أكّد الإمام الرضاعليه السلام على أنّ الحكمة من نظام الزوجية العامة هـو إثـبات وجود الله تعالى والدلالة على وحدانيته، قال عليه السلام:

«ولَم يَخلُق شَيئاً فَرداً قائِماً بِنَفسِهِ دونَ غَيرِهِ لِلَّذي أرادَ مِنَ الدَّلالَةِ عَلىٰ نَفسِهِ وإثباتِ وُجودِهِ، فَاللهُ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ فَردٌ واحِدٌ لا ثانِيَ مَعَهُ يُقيمُهُ ولا يَعضُدُهُ ولا يُمسِكُهُ، وَالخَلقُ يُمسِكُ بَعضُهُ بَعضاً بِإِذنِ اللهِ ومَشيئَتِهِ»[١].

بناءً على هذه التأملات في قانون الزوجية العامّة الذي يحكم هذا العالم، وعلى ضوء ما جاء عن هذا القانون في القرآن والسُّنّة، يتبيّن لنـا أنّـه ليس دليـلاً عـلى التوحيد وحسب، ولكنه برهان على النبوة والإمامة أيضاً.

---

١. راجع: ص ١٧٩ ح ٣٥٨٩.

الباب السادس

خلق الأرض

الكتاب

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾.[1]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.[2]

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.[3]

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾.[4]

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾.[5]

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.[6]

---

١. الذاريات: ٢٠.

٢. الروم: ٢٥.

٣. فاطر: ٤١.

٤. فصّلت: ٩ و١٠.

٥. النبأ: ٦ـ٨.

٦. النحل: ١٣.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَٰتًا﴾.[١]

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.[٢]

راجع: البقرة: ٢٢، آل عمران: ١٩٠، يونس: ٦، الحجر: ١٩، طه: ٥٣، الأنبياء: ٣١، الرعد: ٣ و ٤، إبراهيم: ٣٢، النحل: ١٠ و ١٨، الكهف: ٧، الشعراء: ٧ و ٨ و ١٤٩، النمل: ٦٠ و ٦١، لقمان: ١٠ و ١١، فاطر: ٢٧ و ٢٨، يس: ٣٣ و ٣٦، غافر: ٥٧، فصّلت: ٣٩، الشورىٰ: ٢٩، الزخرف: ١٠، الجاثية: ١٣، ق: ٧ و ٨، الذاريات: ٤٨ و ٤٩، الرحمٰن: ١٠ و ١٣، الحديد: ١٧، الطلاق : ١٢ ، الملك : ١٥ ، نوح : ١٩ و ٢٠ ، المرسلات : ٢٧ ، الطارق : ١٢ ، الغاشية: ٢٠، الشمس: ٦.

الحديث

٣٥٩٠. تفسير القمّي: نَظَرَ أَميرُ المُؤمِنينَ عليه السلام في رُجوعِهِ مِن صِفّينَ إلَى المَقابِرِ فَقالَ: هٰذِهِ كِفاتُ الأَمواتِ، أي مَساكِنُهُم، ثُمَّ نَظَرَ إلىٰ بُيوتِ الكوفَةِ فَقالَ: هٰذِهِ كِفاتُ الأَحياءِ، ثُمَّ تَلا قَولَهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَٰتًا﴾.[٣]

٣٥٩١. الإمام زين العابدين عليه السلام ـ في قَولِ اللّهِ عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾[٤] ـ: جَعَلَها مُلائِمَةً لِطَبائِعِكُم، مُوافِقَةً لِأَجسادِكُم، لَم يَجعَلها شَديدَةَ الحَميِ وَالحَرارَةِ فَتُحرِقَكُم، ولا شَديدَةَ البَردِ فَتُجمِدَكُم، ولا شَديدَةَ طيبِ الرّيحِ فَتَصدَعَ هاماتِكُم، ولا شَديدَةَ النَّتنِ فَتُعطِبَكُم، ولا شَديدَةَ اللّينِ كَالماءِ فَتُغرِقَكُم، ولا شَديدَةَ الصَّلابَةِ فَتَمتَنِعَ عَلَيكُم في دورِكُم وأَبنِيَتِكُم وقُبورِ مَوتاكُم، ولٰكِنَّهُ عزّ وجلّ جَعَلَ فيها مِنَ المَتانَةِ ما تَنتَفِعونَ بِهِ، وتَتَماسَكونَ وتَتَماسَكُ عَلَيها أَبدانُكُم وبُنيانُكُم، وجَعَلَ فيها ما تَنقادُ بِهِ لِدورِكُم

---

١. المرسلات: ٢٥ و ٢٦.

٢. غافر: ٦٤.

٣. تفسير القمّي: ج ٢ ص ٤٠٠، معاني الأخبار: ص ٣٤٢ ح ١ عن حمّاد بن عيسى عن الإمام الصادق عليه السلام نحوه، بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ٣٤ ح ٢٢.

٤. البقرة: ٢٢.

وقُبورِكُم وكَثيرٍ مِن مَنافِعِكُم. فَلِذٰلِكَ جَعَلَ الأَرضَ فِراشاً لَكُم.[١]

٣٥٩٢. تفسير القمّي: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ ومَعنىٰ يَومَينِ، أي وَقتَينِ، اِبتِداءُ الخَلقِ وَانقِضاؤُهُ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَٰتَهَا﴾ أي لا يَزولُ ويَبقىٰ ﴿فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ يَعني في أَربَعَةِ أوقاتٍ.[٢]

٣٥٩٣. رسول الله ﷺ ـ في دُعاءِ الجَوشَنِ الكَبيرِ ـ: يا مَن فِي السَّماءِ عَظَمَتُهُ، يا مَن فِي الأَرضِ آياتُهُ، يا مَن في كُلِّ شَيءٍ دَلائِلُهُ... يا مَن جَعَلَ الأَرضَ مِهاداً.[٣]

٣٥٩٤. عنه ﷺ: إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ فَرَغَ مِن خَلقِهِ في سِتَّةِ أَيّامٍ: أَوَّلُهُنَّ يَومُ الأَحَدِ، والاِثنَينِ، وَالثُّلاثاءِ، وَالأَربِعاءِ، وَالخَميسِ، وَالجُمُعَةِ؛ خَلَقَ يَومَ الأَحَدِ السَّماواتِ، وخَلَقَ يَومَ الاِثنَينِ الشَّمسَ وَالقَمَرَ، وخَلَقَ يَومَ الثُّلاثاءِ دَوابَّ البَحرِ ودَوابَّ البَرِّ، وفَجَّرَ الأَنهارَ وقَوَّتَ الأَقواتَ وخَلَقَ الأَشجارَ يَومَ الأَربِعاءِ، وخَلَقَ يَومَ الخَميسِ الجَنَّةَ وَالنّارَ، وخَلَقَ آدَمَ ﷺ يَومَ الجُمُعَةِ، ثُمَّ أَقبَلَ عَلَى الأَمرِ يَومَ السَّبتِ.[٤]

٣٥٩٥. عنه ﷺ: إنَّ الأَرضَ بِكُم بَرَّةٌ؛ تَتَيَمَّمونَ مِنها، وتُصَلّونَ عَلَيها فِي الحَياةِ الدُّنيا، وهِيَ لَكُم كِفاتٌ فِي المَماتِ، وذٰلِكَ مِن نِعمَةِ اللهِ.[٥]

---

١. التوحيد: ص ٤٠٣ ح ١١، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣٧ ح ٣٦ كلاهما عن محمّد بن زياد ومحمّد بن سيّار عن الإمام العسكري عن آبائه ﷺ، الاحتجاج: ج ٢ ص ٥٠٦ ح ٣٣٦ عن الإمام العسكري ﷺ وفيه «حرثكم» بدل «دوركم»، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٨٢ ح ٩.

٢. تفسير القمّي: ج ٢ ص ٢٦٢، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٦٠ ح ٣١.

٣. البلد الأمين: ص ٤٠٧، المصباح للكفعمي: ص ٣٤٢، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٣٩١.

٤. العظمة: ص ٣٠٠ ح ٨٩٤ عن ابن عمر؛ بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٢١٢ ح ١٨١ وفيه صدره إلى «والجمعة».

٥. دعائم الإسلام: ج ١ ص ١٧٨ عن الإمام الصادق عن آبائه ﷺ، بحار الأنوار: ج ٨٥ ص ١٥٦ ح ٢٠.

٣٥٩٦. الإمام عليّ عليه السلام: اللّهُمَّ رَبَّ السَّقفِ المَرفوعِ... ورَبَّ هٰذِهِ الأَرضِ الَّتي جَعَلتَها قَراراً لِلأَنامِ، ومَدرَجاً لِلهَوامِّ وَالأَنعامِ، وما لا يُحصىٰ مِمّا يُرىٰ وما لا يُرىٰ.[١]

٣٥٩٧. عنه عليه السلام ـ فِي الدُّعاءِ ـ: سُبحانَكَ ما أَعظَمَ شَأنَكَ، وأَعلىٰ مَكانَكَ، وأَنطَقَ بِالصِّدقِ بُرهانَكَ، وأَنفَذَ أَمرَكَ، وأَحسَنَ تَقديرَكَ، سَمَكتَ السَّماءَ فَرَفَعتَها، ومَهَّدتَ الأَرضَ فَفَرَشتَها، وأَخرَجتَ مِنها ماءً ثَجّاجاً[٢]، ونَباتاً رَجراجاً، فَسَبَّحَكَ نَباتُها، وجَرَت بِأَمرِكَ مِياهُها، وقاما عَلىٰ مُستَقَرِّ المَشيئَةِ كَما أَمَرتَهُما.[٣]

٣٥٩٨. عنه عليه السلام ـ أَيضاً ـ: أنتَ الَّذي فِي السَّماءِ عَظَمَتُكَ، وفِي الأَرضِ قُدرَتُكَ وعَجائِبُكَ.[٤]

٣٥٩٩. عنه عليه السلام ـ في تَعظيمِ اللهِ جَلَّ و عَلا ـ: فَمَن فَرَّغَ قَلبَهُ وأَعمَلَ فِكرَهُ لِيَعلَمَ كَيفَ أَقَمتَ عَرشَكَ، وكَيفَ ذَرَأتَ خَلقَكَ، وكَيفَ عَلَّقتَ فِي الهَواءِ سَماواتِكَ، وكَيفَ مَدَدتَ عَلىٰ مَورِ الماءِ أَرضَكَ، رَجَعَ طَرفُهُ حَسيراً، وعَقلُهُ مَبهوراً، وسَمعُهُ والِهاً، وفِكرُهُ حائِراً.[٥]

٣٦٠٠. عنه عليه السلام ـ في عَجيبِ صَنعَةِ الكَونِ ـ: وأَرسىٰ أَرضاً يَحمِلُهَا الأَخضَرُ المُثعَنجِرُ[٦] وَالقَمقامُ[٧] المُسَخَّرُ (المُسَجَّرُ)، قَد ذَلَّ لِأَمرِهِ، وأَذعَنَ لِهَيبَتِهِ، ووَقَفَ الجارِي مِنهُ

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٧١، وقعة صفّين: ص ٢٣٢ عن زيد بن وهب وفيه «المحفوظ» بدل «المرفوع»، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٦٢ ح ٤٠٢.

٢. ماءٌ ثجّاج: مصبوب، ومطرٌ ثجّاج: شديد الانصباب جدّاً (تاج العروس: ج ٣ ص ٣٠٨).

٣. البلد الأمين: ص ٩٤، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ١٤١ ح ٧.

٤. الدروع الواقية: ص ٢٠٢، بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٢٠٢.

٥. نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.

٦. المُثعَنجِر: السَّيل الكثير. والمُثعَنجَر ـ بفتح الجيم ـ: وسط البحر، وليس في البحر ما يشبهه كثرةً (تاج العروس: ج ٦ ص ١٤٥).

٧. القمقام: البحر كلّه (تاج العروس: ج ١٧ ص ٥٨٨).

لِخَشيَتِهِ، وجَبَلَ جَلاميدَها ونُشوزَ مُتونِها وأطوادِها، فَأَرساها في مَراسيها، وأَلزَمَها قَراراتِها، فَمَضَت رُؤوسُها فِي الهَواءِ، ورَسَت أُصولُها فِي الماءِ، فَأَنهَدَ جِبالَها عَن سُهولِها، وأَساخَ قواعِدَها في مُتونِ أَقطارِها ومَواضِعِ أَنصابِها، فَأَشهَقَ قِلالَها، وأَطالَ أَنشازَها، وجَعَلَها لِلأَرضِ عِماداً، وأَرَّزَها فيها أَوتاداً، فَسَكَنَت عَلىٰ حَرَكَتِها مِن أن تَميدَ بِأَهلِها، أو تَسيخَ بِحَملِها، أو تَزولَ عَن مَواضِعِها.

فَسُبحانَ مَن أَمسَكَها بَعدَ مَوَجانِ مِياهِها، وأَجمَدَها بَعدَ رُطوبَةِ أَكنافِها، فَجَعَلَها لِخَلقِهِ مِهاداً، وبَسَطَها لَهُم فِراشاً، فَوقَ بَحرٍ لُجِّيٍّ، راكِدٍ لا يَجري، وقائِمٍ لا يَسري، تُكَركِرُه[1] الرِّياحُ العَواصِفُ وتَمخُضُهُ الغَمامُ الذَّوارِفُ، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾[2].[3]

٣٦٠١. عنه ﷺ ـ في صِفَةِ الأَرضِ ودَحوِها عَلَى الماءِ ـ: كَبَسَ الأَرضَ عَلىٰ مَورِ أَمواجٍ مُستَفحِلَةٍ، ولُجَجِ بِحارٍ زاخِرَةٍ، تَلتَطِمُ أَواذِيُّ أَمواجِها، وتَصطَفِقُ مُتَقاذِفاتُ أَثباجِها، وتَرغو زَبَداً كَالفُحولِ عِندَ هِياجِها، فَخَضَعَ جِماحُ الماءِ المُتَلاطِمِ لِثِقَلِ حَملِها، وسَكَنَ هَيجُ ارتِمائِهِ إذ وَطِئَتهُ بِكَلكَلِها وذَلَّ (ظَلَّ) مُستَخذِياً إذ تَمَعَّكَت عَلَيهِ بِكَواهِلِها، فَأَصبَحَ بَعدَ اصطِخابِ أَمواجِهِ ساجِياً مَقهوراً، وفي حِكمَةِ الذُّلِّ مُنقاداً أَسيراً. وسَكَنَتِ الأَرضُ مَدحُوَّةً في لُجَّةِ تَيّارِهِ، ورَدَّت مِن نَخوَةِ بَأوِهِ وَاعتِلائِهِ، وشُموخِ أَنفِهِ وسُمُوِّ غُلوائِهِ، وكَعَمَتهُ عَلىٰ كِظَّةِ جَريَتِهِ، فَهَمَدَ بَعدَ نَزَقاتِهِ، ولَبَدَ بَعدَ زَيَفانِ وَثَباتِهِ.

فَلَمّا سَكَنَ هَيجُ الماءِ مِن تَحتِ أَكنافِها، وحَملِ شَواهِقِ الجِبالِ الشُّمَّخِ البُذَّخِ

---

١. كَرْكَرَ الشيء: جمعهُ وردّه وحبسه (تاج العروس: ج ٧ ص ٤٤٢).

٢. النازعات: ٢٦.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٢١١، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٨ ح ١٥.

عَلىٰ أَكتافِها، فَجَّرَ يَنابيعَ العُيونِ مِن عَرانينِ أُنوفِها، وفَرَّقَها في سُهوبِ بيدِها وأَخاديدِها، وعَدَّلَ حَرَكاتِها بِالرّاسِياتِ مِن جَلاميدِها، وذَواتِ الشَّناخيبِ الشُّمِّ مِن صَياخيدِها، فَسَكَنَت مِنَ المَيَدانِ لِرَسوبِ الجِبالِ في قِطَعِ أَديمِها، وتَغَلغُلِها مُتَسَرِّبَةً في جَوباتِ خَياشيمِها، ورُكوبِها أَعناقَ سُهولِ الأَرَضينَ وجَراثيمِها.

وفَسَحَ بَينَ الجَوِّ وبَينَها، وأَعَدَّ الهَواءَ مُتَنَسَّماً لِساكِنِها، وأَخرَجَ إِلَيها أَهلَها عَلىٰ تَمامِ مَرافِقِها، ثُمَّ لَم يَدَع جُرُزَ الأَرضِ الَّتي تَقصُرُ مِياهُ العُيونِ عَن رَوابيها، ولا تَجِدُ جَداوِلُ الأَنهارِ ذَريعَةً إِلىٰ بُلوغِها، حَتّىٰ أَنشَأَ لَها ناشِئَةَ سَحابٍ تُحيي مَواتَها، وتَستَخرِجُ نَباتَها.

أَلَّفَ غَمامَها بَعدَ افتِراقِ لُمَعِهِ، وتَبايُنِ قَزَعِهِ، حَتّىٰ إِذا تَمَخَّضَت لُجَّةُ المُزنِ فيهِ، وَالتَمَعَ بَرقُهُ في كُفَفِهِ، ولَم يَنَم وَميضُهُ في كَنَهوَرِ رَبابِهِ[1]، ومُتَراكِمِ سَحابِهِ، أَرسَلَهُ سَحّاً مُتَدارِكاً، قَد أَسَفَّ هَيدَبُهُ، تَمريهِ الجَنوبُ دِرَرَ أَهاضيبِهِ ودُفَعَ شَابيبِهِ.

فَلَمّا أَلقَتِ السَّحابُ بَركَ بِوانَيها، وبَعاعَ مَا استَقَلَّت بِهِ مِنَ العِبءِ المَحمولِ عَلَيها، أَخرَجَ بِهِ مِن هَوامِدِ الأَرضِ النَّباتَ، ومِن زُعرِ الجِبالِ الأَعشابَ، فَهِيَ تَبهَجُ بِزينَةِ رِياضِها، وتَزدَهي بِما أُلبِسَتهُ مِن رَيطِ أَزاهيرِها، وحِليَةِ ما سُمِطَت بِهِ مِن ناضِرِ أَنوارِها، وجَعَلَ ذٰلِكَ بَلاغاً لِلأَنامِ، ورِزقاً لِلأَنعامِ، وخَرَقَ الفِجاجَ في آفاقِها، وأَقامَ المَنارَ لِلسّالِكينَ عَلىٰ جَوادِّ طُرُقِها.[2]

٣٦٠٢ . **الإمام زين العابدين** عليه السلام ـ فِي الدُّعاءِ ـ: خَلَقتَنا بِقُدرَتِكَ ولَم نَكُ شَيئاً، وصَوَّرتَنا فِي الظَّلماءِ بِكُنهِ لُطفِكَ، وأَنهَضتَنا إِلىٰ نَسيمِ رَوحِكَ، وغَذَوتَنا بِطيبِ رِزقِكَ، ومَكَّنتَ لَنا

---

١ . الكَنَهْوَر: العظيم من السحاب. والرباب: الأبيض منه (النهاية: ج ٤ ص ٢٠٧).

٢ . نهج البلاغة: الخطبة ٩١ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١١١ ح ٩٠.

في مِهادِ أَرضِكَ، ودَعَوتَنا إِلىٰ طاعَتِكَ.[1]

٣٦٠٣. **الإمام الصادق** ﷺ ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: فَكِّر ـ يا مُفَضَّلُ ـ فيما خَلَقَ اللهُ ﷻ عِليةَ هٰذِهِ الجَواهِرِ الأَربَعَةِ لِيَتَّسِعَ ما يُحتاجُ إِلَيهِ مِنها، فَمِن ذٰلِكَ سَعَةُ هٰذِهِ الأَرضِ وَامتِدادُها. فَلَولا ذٰلِكَ كَيفَ كانَت تَتَّسِعُ لِمَساكِنِ النّاسِ ومَزارِعِهِم ومَراعيهِم ومَنابِتِ أخشابِهِم وأَحطابِهِم، وَالعَقاقيرِ العَظيمَةِ، وَالمَعادِنِ الجَسيمَةِ غِناؤُها؟

ولَعَلَّ مَن يُنكِرُ هٰذِهِ الفَلَواتِ الخاوِيَةَ وَالقِفارَ الموحِشَةَ فَيَقولُ: ما المَنفَعَةُ فِيها؟ فَهِيَ مَأوىٰ هٰذِهِ الوُحوشِ ومَحالُّها ومَرعاها، ثُمَّ فيها بَعدُ مُتَنَفَّسٌ ومُضطَرَبٌ لِلنّاسِ إِذَا احتاجوا إِلَى الاِستِبدالِ بِأَوطانِهِم؛ فَكَم بَيداءَ وكَم فَدفَدٍ[2] حالَت قُصوراً وجِناناً بِانتِقالِ النّاسِ إِلَيها وحُلولِهِم فيها، ولَولا سَعَةُ الأَرضِ وفُسحَتُها لَكانَ النّاسُ كَمَن هُوَ في حِصارٍ ضَيِّقٍ لا يَجِدُ مَندوحَةً عَن وَطَنِهِ إِذا حَزَبَهُ أَمرٌ يَضطَرُّهُ إِلَى الاِنتِقالِ عَنهُ.

ثُمَّ فَكِّر في خَلقِ هٰذِهِ الأَرضِ ـ عَلىٰ ما هِيَ عَلَيهِ ـ حينَ خُلِقَت راتِبَةً راكِنَةً، فَتَكونَ مَوطِناً مُستَقَرّاً لِلأَشياءِ، فَيَتَمَكَّنُ النّاسُ مِنَ السَّعيِ عَلَيها في مَآرِبِهِم، وَالجُلوسِ عَلَيها لِراحَتِهِم، وَالنَّومِ لِهَدئِهِم، وَالإِتقانِ لِأَعمالِهِم؛ فَإِنَّها لَو كانَت رَجراجَةً مُتَكَفِّئَةً لَم يَكونوا يَستَطيعونَ أن يُتقِنُوا البِناءَ وَالتِّجارَةَ وَالصِّناعَةَ وما أشبَهَ ذٰلِكَ، بَل كانوا لا يَتَهَنَّؤونَ بِالعَيشِ وَالأَرضُ تَرتَجُّ مِن تَحتِهِم. وَاعتَبِر ذٰلِكَ بِما يُصيبُ النّاسَ حينَ الزَّلازِلِ عَلىٰ قِلَّةِ مَكثِها حَتّىٰ يَصيروا إِلىٰ تَركِ مَنازِلِهِم وَالهَرَبِ عَنها...

ثُمَّ إِنَّ الأَرضَ في طِباعِها الَّذي طَبَعَهَا اللهُ عَلَيهِ بارِدَةٌ يابِسَةٌ وكَذٰلِكَ الحِجارَةُ،

---

١. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٢٤ ح ١٩ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي وراجع بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٥١ و كنز العمّال: ج ٦ ص ١٥٧ ـ ١٧٥.

٢. القَدفَد: الفلاة التي لا شيء بها وقيل: هي الأرض الغليظة ذات الحصى. وقيل: المكان الصلب (لسان العرب: ج ٣ ص ٦٧٥).

وإِنَّمَا الفَرقُ بَينَها وبَينَ الحِجارَةِ فَضلُ يُبسٍ فِي الحِجارَةِ، أفَرَأَيتَ لَو أنَّ اليُبسَ أَفرَطَ عَلَى الأَرضِ قَليلاً حَتّىٰ تَكونَ حَجَراً صَلداً أكانَت تُنبِتُ هٰذَا النَّباتَ الَّذي بِهِ حَياةُ الحَيَوانِ؟ وكانَ يُمكِنُ بِها حَرثٌ أو بِناءٌ؟ أفَلا تَرىٰ كَيفَ تَنصب[1] مِن يُبسِ الحِجارَةِ وجُعِلَت عَلىٰ ما هِيَ عَلَيهِ مِنَ اللّينِ وَالرَّخاوَةِ ولِتُهَيَّأَ لِلاِعتِمادِ؟

ومِن تَدبيرِ الحَكيمِ ـ جَلَّ وعَلا ـ في خِلقَةِ الأَرضِ أنَّ مَهَبَّ الشِّمالِ أَرفَعُ مِن مَهَبِّ الجَنوبِ، فَلِمَ جَعَلَ اللهُ‏ﷻ كَذٰلِكَ إلّا لِيَنحَدِرَ المِياهُ عَلىٰ وَجهِ الأَرضِ فَتَسقِيَها وتُروِيَها؟ ثُمَّ تَفيضَ آخِرَ ذٰلِكَ إلَى البَحرِ، فَكَأَنَّما يَرفَعُ أَحَدَ جانِبَيِ السَّطحِ ويَخفِضُ الآخَرَ لِيَنحَدِرَ الماءُ عَنهُ ولا يَقومَ عَلَيهِ، كَذٰلِكَ جَعَلَ مَهَبَّ الشِّمالِ أَرفَعَ مِن مَهَبِّ الجَنوبِ لِهٰذِهِ العِلَّةِ بِعَينِها، ولَولا ذٰلِكَ لَبَقِيَ الماءُ مُتَحَيِّراً عَلىٰ وَجهِ الأَرضِ، فَكانَ يَمنَعُ النّاسَ مِن إعمالِها، ويَقطَعُ الطُّرُقَ وَالمَسالِكَ.[2]

٣٦٠٤. عنه ﷺ ـ أيضاً ـ: فَكِّر ـ يا مُفَضَّلُ ـ في هٰذِهِ المَعادِنِ وما يَخرُجُ مِنها مِنَ الجَواهِرِ المُختَلِفَةِ، مِثلَ الجُصِّ وَالكِلسِ وَالجِبسِ والزَّرانيخِ والمَرتَك[3] وَالقونيا وَالزّيبَقِ وَالنُّحاسِ وَالرَّصاصِ وَالفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَالزَّبَرجَدِ وَالياقوتِ وَالزُّمُرُّدِ وضُروبِ الحِجارَةِ، وكَذٰلِكَ ما يَخرُجُ مِنها مِنَ القارِ وَالموميا[4] وَالكِبريتِ وَالنِّفطِ وغَيرِ ذٰلِكَ مِمّا يَستَعمِلُهُ النّاسُ في مَآرِبِهِم.

فَهَل يَخفىٰ عَلىٰ ذي عَقلٍ أنّ هٰذِهِ كُلَّها ذَخائِرُ ذُخِرَت لِلإِنسانِ في هٰذِهِ الأَرضِ

---

١. في نسخة: «نقصت» (هامش المصدر).

٢. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٢١ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٣. المَرتَك: الرصاص؛ أسوده أو أبيضه (لسان العرب: ج ١٠ ص ٤٨٦).

٤. المُوميا: اسم دواء أعجميّ نافع لوجع المفاصل والكبد... واللؤلؤ وحصى أبيض يقال له: بصاق القمر (تاج العروس: ج ١٠ ص ٣٥٢).

لِيَستَخرِجَها فَيَستَعمِلَها عِندَ الحاجَةِ إلَيها؟

ثُمَّ قَصُرَت حيلَةُ النّاسِ عَمّا حاوَلوا مِن صَنعَتِها عَلىٰ حَصرِهِم وَاجتِهادِهِم في ذٰلِكَ؛ فَإِنَّهُم لَو ظَفِروا بِما حاوَلوا مِن هٰذَا العِلمِ كانَ لا مَحالَةَ سَيَظهَرُ ويَستَفيضُ فِي العالَمِ حَتّىٰ تَكثُرَ الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ ويَسقُطا عِندَ النّاسِ فَلا يَكونَ لَهُما قيمَةٌ.[1]

٣٦٠٥. الكافي عن هشام بن الحكم ـ في خَبرِ مُحاجَّةِ الإمامِ الصّادِقِ عليه السلام لِزِنديقٍ مِن أهلِ مِصرَ ـ: قالَ أبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: يا أخا أهلِ مِصرَ، إنَّ الَّذي تَذهَبونَ إلَيهِ وتَظُنّونَ أنَّهُ الدَّهرُ إن كانَ الدَّهرُ يَذهَبُ بِهِم لِمَ لا يَرُدُّهُم؟ وإن كانَ يَرُدُّهُم لِمَ لا يَذهَبُ بِهِم؟ القَومُ مُضطَرّونَ.

يا أخا أهلِ مِصرَ، لِمَ السَّماءُ مَرفوعَةٌ، وَالأَرضُ مَوضوعَةٌ؟ لِمَ لا تَسقُطُ[2] السَّماءُ عَلَى الأَرضِ؟ لِمَ لا تَنحَدِرُ الأَرضُ فَوقَ طِباقِها ولا يَتَماسَكانِ ولا يَتَماسَكُ مَن عَلَيها؟

قالَ الزِّنديقُ: أمسَكَهُمَا اللهُ رَبُّهُما وسَيِّدُهُما.

قالَ: فَآمَنَ الزِّنديقُ عَلىٰ يَدَي أبي عَبدِ اللهِ عليه السلام.[3]

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٢٨ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٢. في الكافي «يسقط» والصحيح ما أثبتناه من التوحيد.

٣. الكافي: ج ١ ص ٧٣ ح ١، التوحيد: ص ٢٩٥ ح ٤، الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٠٦ ح ٢١٧ نحوه وليس فيه من «لم لا يردهم» إلىٰ «مضطرّون»، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٥٢ ح ٢٥.

تأمّلات حول آيات معرفة الله في خلق الأرض

تُعدُّ الأَرض واحدة أُخرى من الدلائل الواضحة على التوحيد ومعرفة الخـالق ـ جلّ وعلا ـ، وقد أَقسم الله تعالىٰ بها في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾[1] وأَشار القرآن الكريم في أَكثر من ثلاثين موضعاً إِلى الخلق والنظْم والتدبير السَّائد عـلى الأَرض، ودعا أَتباعه إِلىٰ دراسة علم طبقات الأَرض باعتباره أَحد الطرق الموصلة إِلى معرفة الله سبحانه. ومن وجهة نظر القرآن والأَحاديث الإسلامية، هناك المزيد من الدروس والعبر التي تدلّنا على التوحيد ومعرفة الله من خلال خـلق الأَرض، نشير إِلىٰ أَهمّها:

أَولاً: حجم الأَرض

إِنّ أَول ما يطالعنا من دلائل التوحيد عند تأَمّل خلق الأَرض، هو مقدار حـجمها الهائل، فلو كانت الأَرض بمقدار القمر، وكان قطرها يعادل ربع قطرها الحالي، فإِنّ قوة الجاذبية لا تكفي لحفظ الماء والهواء على الأَرض، فترتفع درجـات الحـرارة بشكل مهلك، وبخلاف ذلك، لو كان قطر الأَرض ضعف قطرها الحالي، فإِنّ سطح

---

١. الشمس: ٦.

الأَرض سيكون أَربعة أَضعاف سطحها الحالي، وترتفع قوة جذبها إِلىٰ ضعفين عمّا هي عليه الآن، كما تنخفض درجات الحرارة بشكل خطير، ويرتفع ضغط الهواء من كيلو غرام على السنتيمتر المربع الواحد إِلىٰ كيلو غرامين، وكلّ هذه العوامل لها ردود فعل شديدة على الحياة في الأَرض. إِنّ هذا لهو فعل الخالق الحكيم الذي جعل كلّ شيء في نظام الخلق بالمقدار الذي تقتضيه فلسفة خلقه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾[1].[2]

ثانياً: استقرار الأَرض في الفضاء

إِنّ الدرس الآخر المستفاد من تأَمّل خلق الأَرض، هو كون الأَرض عائمةً في الفضاء، والسيطرة عليها عن طريق أَعمدة غير مرئيّة تتمثّل بقوة الجاذبية، وهذا الأَمر العجيب الجدير بالتأَمل يعتبره القرآن الكريم إِحدىٰ آيات قدرة الخالق الحكيم وتدبيره، فيصرّح بالقول:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[3].

إِنّ لهذه الآية دلالة واضحة بأَنّ الأَرض وسائر الأَجرام السماوية قائمةٌ في الفضاء بدون أَعمدة وأُسس وروابط مادية محسوسة، وليس ثمة شيء يقيمها غير أَمر الله تعالىٰ[4]، وفي آية أُخرىٰ، يؤكّد القرآن الكريم بأَنّ الله تعالىٰ وحدَه هو الذي يحفظ السّماء والأَرض ويمنعهما من السقوط، حيث يقول:

---

١. القمر: ٤٩ وراجع: الطارق: ١٢.

٢. راجع: اثبات وجود خدا(بالفارسية)، ص ٢١.

٣. الروم: ٢٥.

٤. قال الشيخ الطوسي‌‌‌‌ في تفسير الآية: بلادعامة تدعمها ولا علاقة تُعلّق بها، بل لأنّ الله تعالىٰ يسكّنها حالاً بعد حالٍ، لأعظم دلالة على أنّه لا يقدر عليه سواه (التبيان في تفسير القرآن: ج ٨ ص ٢٤٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[١].

علىٰ ضوء آيات القرآن الكريم أشارت الأَحاديث الإسلامية أَيضاً إِلى مسأَلة كون الأَرض عائمة في الفضاء بعبارات واضحة، مثل:

«بَسَطَ الأَرضَ عَلَى الهَواءِ بِغَيرِ أَركانٍ».[٢]

و «أقامَها بِغَيرِ قَوائِمَ، ورَفَعَها بِغَيرِ دَعائِمَ»[٣]

و«أقامَ الأَرضَ بِغَيرِ سَنَدٍ»[٤]

و«اِستَقَرَّتِ الأَرَضونَ بِأَوتادِها فَوقَ الماءِ»[٥] وغيرها.

والنقطة المهمة الأُخرى الجديرة بالذكر هي كيفية إِجراء الأَمر الإلهي في إِقامة الأرض والأَجرام السَّماوية في الفضاء، وحفظها ضمن مداراتها الخاصة، وقد ذُكرت هذه المسأَلة بوضوح في آيتين أُخريين، هما قوله تعالىٰ:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٦].

وقوله:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٧].

إِنّ هاتين الآيتين توضّحان الأَمر والإمساك الإلهيين الواردين في الآيتين المتقدّمتين آنفاً، أي أنّ عدم سقوط السَّماوات والأَرض بأمر الله سبحانه، وبواسطة

---

١. فاطر: ٤١.

٢. راجع: ج ٤ ص ٥٤ ح ٤٢٠٤.

٣. راجع: ج ٥ ص ٣١١ ح ٥٤٩٧.

٤. مصباح المتهجد: ص ٣٠٧ ح ٤١٧، جمال الأُسبوع: ص ١٨٤، بحار الأنوار: ج ٩١ ص ١٩٦ ح ٣.

٥. بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٦ ح ٩ نقلاً عن مهج الدعوات.

٦. الرعد: ٢.

٧. لقمان: ١٠.

دعائم غير مرئية، تسمّىٰ علمياً اليوم قوة الجاذبية، من هنا فإنّ أَحد أَصحاب الإمام الرضاعليه السلام واسمه حسين بن خالد حينما سأَلهعليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾[1]، أَجاب الإمامعليه السلام:

«هِيَ مَحبوكَةٌ إِلَى الأَرضِ»

وشبّك بين أَصابعه، ثُمّ تابع حسين ابن خالد السؤال مجدداً: كيف هي محبوكة إِلى الأَرض، والله يقول: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؟

فقال الإمامعليه السلام: «سُبحانَ اللهِ! أَلَيسَ اللهُ يَقولُ: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؟!»

قال حسين بن خالد: بلى.

فقال الإمامعليه السلام: «ثَمَّ عَمَدٌ ولٰكِن لا تَرَونَها»[2].

ثالثاً: استقرار الأَرض بأَربع عشرة حركة

الدرس الآخر في خلق الأَرض هو كونها مستقرّةً بشكل تام بواسطة أَربعة عشر نوعاً من أَنواع الحركة[3]، بيد أَنّها تبدو لساكنيها كأَنّها ثابتة وليس ثمة أيّ حركة، وعندما نحاول إِدراك الأَهمية الفائقة لهذا الموضوع لابد أن نتصوّر بأَنّ هذه السفينة الفضائية العظيمة التي اسمها الأَرض، تحمل اليوم نحو ستّة مليارات مسافر، وتطير في الفضاء في حركتها الوضعية بسرعة تعادل «١٤٤٠» كيلومتر في الساعة، وفي حركتها التبعية بسرعة «٧٠/٠٠٠» كيلومتر، وفي حركتها الانتقالية بسرعة «١٠٧/٢٨٠» كيلومتر، وهي مع هذا الوصف مستقرة استقراراً تاماً، وقد أكد القرآن

---

١. الذاريات: ٧.

٢. راجع: تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي: ج ٢ ص ٣٢٨.

٣. الإسلام والهيئة: ص ٢١٨.

الكريم والحديث الشريف مكرراً هذا الدرس البليغ باعتباره أَحد الأدلة على معرفة الله سبحانه، ودعا النّاس إِلى التأمّل فيه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾[1]. وقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾[2].

رابعاً: توفير المعادن والفلزات

لقد أَودع الخالق الحكيم أَنواعاً متعددة من المعادن والفلزات في باطن الأَرض، كي يستفيد منها الإنسان ويوفّر حاجاته المختلفة، وفي ذلك دليلٌ آخر علىٰ معرفة الله سبحانه من خلال التأَمل في آفاق الأرض، ولا ريب في أنّ وجود هذه المعادن والفلزات يعتبر من العوامل الأَصيلة التي تسهم في تقدم الفنّ والعلم والحضارة البشريّة[3].

فضلاً عن جميع ما أَشرنا إِليه سابقاً، فإنّ كلّ التدابير المتّخذة في نظام الخلق لجعل الأَرض صالحةً لحياة الإنسان ـ وقد بحثنا بعضها في أَبواب أُخرى من هذه المجموعة ـ تعتبر من آيات معرفة الله سبحانه في خلق الأَرض.

راجع: موسوعة ميزان الحكمة: ج٢ (القسم الحادي عشر: الأرض).

---

١. غافر: ٦٤.

٢. النبأ: ٦.

٣. راجع: ص ١٨٩ ح ٣٦٠٣.

الباب السابع

خلق الجبال

الكتاب

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.[1]

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾.[2]

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا﴾.[3]

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾.[4]

الحديث

٣٦٠٦. الإمام عليّ ﷺ: الحَمدُ للهِ الَّذي... وَتَّدَ بِالصُّخورِ مَيدانَ[5] أَرضِهِ.[6]

---

١. النمل: ٨٨.

٢. النبأ: ٧.

٣. النحل: ٨١.

٤. لقمان: ١٠.

٥. المَيَدان: مصدر ماد يميدُ؛ إذا مالَ وتحرّكَ (النهاية: ج ٤ ص ٣٧٩).

٦. نهج البلاغة: الخطبة ١، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٣ ح ١١٣، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٧٦ ح ١٣٦.

٣٦٠٧. عنه ﷺ ـ فِي صِفَةِ الأَرضِ ـ: وعَدَّلَ حَرَكاتِها بِالرّاسِياتِ مِن جَلاميدِها، وذَواتِ الشَّناخيبِ الشُّمِّ مِن صَياخيدِها.[١]

٣٦٠٨. عنه ﷺ ـ أيضاً ـ: وأَرسىٰ أَرضاً يَحمِلُهَا الأَخضَرُ... وجَبَلَ جَلاميدَها ونُشوزَ مُتونِها وأَطوادِها، فَأَرساها في مَراسيها، وأَلزَمَها قَراراتِها، فَمَضَت رُؤوسُها فِي الهَواءِ، ورَسَتَ أُصولُها فِي الماءِ، فَأَنهَدَ جِبالَها عَن سُهولِها، وأَساخَ قَواعِدَها في مُتونِ أَقطارِها ومَواضِعِ أَنصابِها، فَأَشهَقَ قِلالَها، وأَطالَ أَنشازَها، وجَعَلَها لِلأَرضِ عِماداً، وأَرَّزَها فيها أَوتاداً، فَسَكَنَت عَلىٰ حَرَكَتِها من أن تَميدَ بِأَهلِها، أو تَسيخَ بِحَملِها، أو تَزولَ عَن مَواضِعِها، فَسُبحانَ مَن أَمسَكَها بَعدَ مَوَجانِ مِياهِها.[٢]

٣٦٠٩. عنه ﷺ: اللّهُمَّ رَبَّ السَّقفِ المَرفوعِ، وَالجَوِّ المَكفوفِ... ورَبَّ الجِبالِ الرَّواسِي الَّتي جَعَلتَها لِلأَرضِ أَوتاداً، ولِلخَلقِ اعتِماداً.[٣]

٣٦١٠. الإمام الصادق ﷺ ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: أُنظُر ـ يا مُفَضَّلُ ـ إِلىٰ هٰذِهِ الجِبالِ المَركومَةِ مِنَ الطّينِ وَالحِجارَةِ الَّتي يَحسَبُهَا الغافِلونَ فَضلاً لا حاجَةَ إِلَيها، وَالمَنافِعُ فيها كَثيرَةٌ؛ فَمِن ذٰلِكَ أن يَسقُطَ عَلَيها الثُّلوجُ فَيَبقىٰ[٤] في قِلالِها لِمَن يَحتاجُ إِلَيهِ، ويَذوبُ ما ذابَ مِنهُ فَتَجري مِنهُ العُيونُ الغَزيرَةُ الَّتي تَجتَمِعُ مِنها الأَنهارُ العِظامُ، ويَنبُتُ فيها ضُروبٌ مِنَ النَّباتِ وَالعَقاقيرِ الَّتي لا يَنبُتُ مِثلُها فِي السَّهلِ، ويَكونُ فيها كُهوفٌ ومَقايِلُ لِلوُحوشِ مِنَ السِّباعِ العادِيَةِ، ويُتَّخَذُ مِنهَا الحُصونُ وَالقِلاعُ المَنيعَةُ لِلتَّحَرُّزِ مِنَ الأَعداءِ، ويُنحَتُ مِنهَا الحِجارَةُ لِلبِناءِ وَالأَرحاءِ، ويوجَدُ فيها مَعادِنُ لِضُروبٍ مِنَ

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٩١ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق ﷺ، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١١٢ ح ٩٠.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٢١١، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٨ ح ١٥.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٧١، وقعة صفّين: ص ٢٣٢ نحوه، بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٩٤ ح ١٦.

٤. كذا في المتن والظاهر أنّ الصحيح: «فتبقى».

الجَواهِرِ، وفيها خِلالٌ أُخرىٰ لا يَعرِفُها إلّا المُقَدِّرُ لَها في سابِقِ عِلمِهِ.[١]

٣٦١١. تفسير القمّي: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ قالَ: فِعلَ اللهِ الَّذي أَحكَمَ كُلَّ شَيءٍ.[٢]

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٢٧ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٢. تفسير القمّي: ج ٢ ص ١٣١.

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الجبال

وأَخيراً بتقدّم علم طبقات الأَرض «الجيولوجيا» أَثبت هذا العلم ضرورة وجود الجبال لغرض ضمان استقرار الأَرض وصلاحيتها للحياة، لكن القرآن الكريم استطاع كشف هذا السّر العلمي قبل أَربعة عشر قرناً من الزمان، حيث بيّن بصراحة بعض الأَدوار التي تلعبها الجبال في حياة الإنسان، وقد استخدم هذا الكتاب السَّماوي اصطلاح «الجبال» تسعاً وثلاثين مرة، وعبّر عنها بكلمة «الرواسي» في تسع مرات، كما دعا النَّاس إلى التأَمل والمطالعة لهذه الظاهرة العجيبة للسير في معرفة الله تعالى، وفيما يلي أَهم الملاحظات المثيرة من خلال تأَمل خلق الجبال:

أولاً: نصب الجبال

إنّ الملاحظة الأُولىٰ الجديرة بالتأَمل التي دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التأَمّل فيها، هي كيفية نصب الجبال في الأَرض، قال تعالى: ﴿أَفَلَايَنظُرُونَ...إِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾[1]. حقاً من يستطيع أن ينصب هذه الجبال بهذا الحجم والوزن في قلب الأَرض، وأن يربط جذورها بعضها ببعض غير الخالق القادر الحكيم؟ هل مثل هذا

---

١. الغاشية: ١٧ ـ ١٩.

العمل العظيم من صنع الصدفة الصّماء العمياء؟!

ثانياً: دور الجبال في استقرار الأَرض

إنّ الأَرض تقع في معرض الاهتزاز والاضطراب الشديد والتلاشي من جهتين:

١ . الحركات السريعة المتعددة، الوضعية والتبعية، والانتقالية.

٢ . استعداد الغازات المتراكمة في أَعماق الأَرض للانفجار بشدة متناهية.

من هنا فإنّ الأَرض تحتاج إِلىٰ روابط محكمة دائمة وأَوتاد عظيمة تتناسب مع حجمها ووزنها، لكي تربط طبقاتها المختلفة بعضها ببعض، وتمنعها من الاهتزاز والتلاشي، وقد أَشارت التحقيقات العلمية إِلى أنّ الروابط الدائمة والأَوتاد المحكمة التي توجب استحكام الأَرض واستقرارها، هي الجبال بجذورها العميقة ووزنها الثقيل، وقد بيّن القرآن الكريم في ثلاثة موارد فائدة الجبال في الحدّ من اضطراب الأَرض وتزلزلها، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾[١].

وقال:

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[٢].

وقال:

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٣].

وفي موضع آخر ذكر الجبال باعتبارها أَوتاداً للأَرض حيث قال:

---

١ . الأنبياء: ٣١.

٢ . لقمان: ١٠.

٣ . النحل: ١٥.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۞ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[١].

وقد تقدّم كلام دقيق بديع لأَميرالمؤمنين عليّ عليه السلام في تفسير هذه الآيات وتبيينها في الباب السادس[٢].

ثالثاً: دور الجبال في حفظ الإنسان

إنّ الجبال تحافظ على الإنسان من جهات مختلفة ـ فهي تقف كالسدّ العظيم والجدران الشاهقة بوجه الرياح الباردة الّتي تهبّ من المحيط المنجمد الشمالي ـ ولولا تلك الأَسوار الشّوامخ والجدران الشواهق لاختلّت ظروف العيش في بيئة الحياة نتيجة تلك الرياح العاتية الباردة، ثمّ إنّ الجبال تقف حائلاً أمام الرياح البحرية الرطبة التي تحمل الغيوم، وبالنتيجة يتساقط المطر أو الثلج حول أَطرافها. فضلاً عن ذلك فإنّ الجبال الشاهقة تغيّر درجات حرارة المناطق المجاورة لها فتخفّف من وطأَة الحرارة الشديدة، يقول تعالىٰ في إشارة إلىٰ واحدة من حِكم خلق الجبال:

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا﴾[٣].

رابعاً: دور الجبال في تصفية المياه

إنّ إحدى طرق تصفية المياه كما يلي: حينما تمرّ المياه خلال الطبقات المختلفة المتراكمة بعضها فوق بعض، فإنّ الشّوائب والجراثيم تترسّب في ثنايا المنافذ، ومن ثمّ يتخلّل الماء من تحتها رقراقاً عذباً، كذلك تلعب الجبال دوراً مهماً في تصفية

---

١. النبأ: ٦ و ٧.

٢. راجع: ص ١٨٦ ح ٣٦٠٠.

٣. النحل: ٨١.

المياه الثلجية وعذوبتها؛ ذلك لأنّ الثلوج التي تُختزن في أَعالي الجبال عند فصل الشتاء تذوب بالتدريج، ويمرّ ماؤها متخلّلاً طبقات الجبال الصخرية، فيصفىٰ بشكل طبيعي، ويجري من تحت الجبال على شكل عيون وينابيع رَقراقةً عذبة، وكلّما ازداد ارتفاع الجبال ازدادت مياهها عذوبةً ونقاءً[١]. وقد أَشار القرآن الكريم إِلى هذا الأَمر باعتباره درساً في معرفة الله سبحانه، حيث يقول:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾[٢].

خامساً: فوائد أُخرى للجبال

لم تقتصر منافع الجبال وأَدوارها في حياة الإنسان علىٰ ما ذكرناه فحسب، لذا فإِنّ الإمام الصادق عليه السلام حينما يشير في حديثٍ له إِلى فوائد الجبال المتعددة ومنها: خزن الثلوج، وعيون الماء، وأَنواع الأَعشاب الطبيعيّة، وتوفير البيئة الصالحة لعيش الحيوانات البرية وغيرها، يقول عليه السلام:

«وفيها خِلالٌ أُخرىٰ لا يَعرِفُها إلّا المُقَدِّرُ لَها في سابِقِ عِلمِهِ»[٣].

---

١. اقتباس من كتاب أسرار الجبال.

٢. المرسلات: ٢٧.

٣. راجع: ص ٢٠٠ ح ٣٦١٠.

الباب الثامن

خلق الماء

الكتاب

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.[1]

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.[2]

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾.[3]

راجع: النحل: ١٠ و١١ و٦٥، البقرة: ١٦٤، الحجّ: ٦٣، النمل: ٦٠، إبراهيم: ٣٢، الفرقان: ٤٨، الأنفال: ١١، النور: ٤٥.

الحديث

٣٦١٢. الإمام زين العابدين عليه السلام ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ـ: يَعني المَطَرَ يُنزِلُهُ مِن عُلوٍ لِيَبلُغَ قُلَلَ جِبالِكُم وتِلالِكُم وهِضابَكُم وأَوهادَكُم[4]، ثُـمَّ فَـرَّقَهُ رَذاذاً

---

١. الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠.

٢. الأنبياء: ٣٠.

٣. طه: ٥٣.

٤. الوَهدَة: الأرض المنخفضة، والمطمئنّ من الأرض (تاج العروس: ج ٥ ص ٣٢٩).

ووابِلاً[1] وهَطلاً لِتَنشَفَهُ أَرَضوكُم، ولَم يَجعَل ذٰلِكَ المَطَرَ نازِلاً عَلَيكُم قِطعَةً واحِدَةً، فَيُفسِدَ أَرَضيكُم وأَشجارَكَم وزُروعَكُم وثِمارَكُم.[2]

٣٦١٣. رسول الله ﷺ: لا تَمنَعوا عِبادَ اللهِ فَضلَ الماءِ وَالكَلَأَ ولا ناراً؛ فَإِنَّ اللهَ جَعَلَها مَتاعاً[3] لِلمُقوينَ، وقُوَّةً لِلمُستَضعَفينَ.[4]

٣٦١٤. الإمام الصادق عليه السلام: كانَ رسول الله ﷺ إذا شَرِبَ الماءَ قالَ: الحَمدُ للهِ الَّذي سَقانا عَذباً زُلالاً، ولَم يَسقِنا مِلحاً أُجاجاً، ولَم يُؤاخِذنا بِذُنوبِنا.[5]

٣٦١٥. عنه عليه السلام ـ وسَأَلَهُ رَجُلٌ عَن طَعمِ الماءِ ـ: سَل تَفَقُّهاً ولا تَسأَل تَعَنُّتاً! طَعمُ الماءِ طَعمُ الحَياةِ.[6]

---

١. الوابل: المطر الشديد الضخم القطر (القاموس المحيط: ج ٤ ص ٦٣).

٢. عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣٧ ح ٣٦، التوحيد: ص ٤٠٤ ح ١١ كلاهما عن محمّد بن زياد ومحمّد بن سيّار عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام، الاحتجاج: ج ٢ ص ٥٠٧ ح ٣٣٦ عن الإمام العسكري عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٨٢ ح ٩ وراجع المحاسن: ج ٢ ص ٣٤ ح ١١٠٧.

٣. في المصدر: «مشاعاً»، وهو تصحيف ظاهر.

٤. المعجم الكبير: ج ٢٢ ص ٦١ ح ١٤٥، مسند الشاميين: ج ٤ ص ٣١٠ ح ٣٣٩٤، تاريخ دمشق: ج ٣٣ ص ٢٢١ ح ٦٨٣٢ كلّها عن واثلة بن الأسقع، كنز العمّال: ج ٣ ص ٩٠٠ ح ٩١٠٤.

٥. الكافي: ج ٦ ص ٣٨٤ ح ٢ عن ابن القدّاح، المحاسن: ج ٢ ص ٤٠٦ ح ٢٤٢٠ عن ابن القدّاح عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام، قرب الإسناد: ص ٢١ ح ٧١ عن عبد الله بن ميمون عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام، دعائم الإسلام: ج ٢ ص ١٣٠ ح ٤٥٦ وليس فيهما «ولم يؤاخذنا»، بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٦٨ ح ٧٨؛ شعب الإيمان: ج ٤ ص ١١٥ ح ٤٤٧٩ نحوه، حلية الأولياء: ج ٨ ص ١٣٧ كلاهما عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام.

٦. الكافي: ج ٦ ص ٣٨١ ح ٧، قرب الإسناد: ص ١١٦ ح ٤٠٥ وكلاهما عن الحسين بن علوان، مجمع البيان: ج ٧ ص ٧٢ عن الحسن بن علوان وكلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٥ وراجع تحف العقول: ص ٣٧٠ وتفسير القمّي: ج ٢ ص ٢٣٩.

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق الماء

إنّ القرآن الكريم يعتبر خلق الماء أحد الآيات والدلالات الكبرىٰ على معرفة الله سبحانه، وهو الآية التي يتمكن الباحثون عن طريق البحث والمطالعة فيها التعرّف على الخالق الحكيم، والنقاط التي أكّدها هذا الكتاب السماوي في هذا الخصوص عبارة عن:

١. رمز الحياة

يعدّ الماء من وجهة نظر القرآن الكريم رمزاً للحياة، ودوره في إيجاد الأحياء وديمومة الحياة دليل واضح قاطع على التوحيد، من هذه الناحية يتوجّه هذا الكتاب السّماوي إلى أُولئك الذين يصرّون على الكفر رغم مشاهدة هذا الدليل الواضح باللوم والتقريع. قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

ويقول أيضاً:

---

١. الأنبياء: ٣٠.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[1].

٢. زينة الأَرض

إنّ جمال الأَرض وطراوتها ونضارتها لهـا عـلاقة مـباشرة بـالتدبير الحكـيم فـي خلق الماء والسحاب والهواء والمطر، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[2].

وقد خاطب القرآن الكريم المشركين ودعاهم إلى التفكّر في هذا التدبير، وعبْر هذا السبيل دعاهم إلى التوحيد، قال تعالى:

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[3].

٣. ضمان مصادر الغذاء

إنّ التأمّل في دور الماء في ضمان مصادر الغذاء يجعل الإنسان أَيضاً يتعرف على الخالق الحكيم، قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾[4].

---

١. النحل: ٦٥.

٢. الحج: ٦٣.

٣. النمل: ٥٩ و ٦٠.

٤. إبراهيم: ٣٢، وراجع سورة عبس: ٢٦، ٢٧.

٤. ضمان حاجة الشرب

إنّ خلق الماء العذب السائغ إلى جانب الماء المالح الأُجاج لضمان حاجات شرب الكائنات الحيّة يعتبر واحداً من دلائل التوحيد ومعرفة الله سبحانه، وإذا لم يكن للماء أيّ دور سوى هذا فهو كافٍ لإثبات الحكمة والتدبير في الخلق، وقد جاء في القرآن الكريم حول آية التوحيد هذه قوله:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[1] وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[2].

٥. أساس النظافة والطهارة

إنّ النظافة تعتبر واحدة من حِكَم خلق الماء، وفي هذا المجال لا يمكن أن يحلّ محلّه أيّ شيء، وهذه الحكمة لوحدها كافية لئن تضع هذا الأَصل الحيويّ في صفّ الآيات الإلهيّة العظمىٰ والدلائل الكبرى لمعرفة الله تعالىٰ، وقد أَشار القرآن الكريم إلى هذه الحكمة في موضعين كما يلي؛ قال تعالىٰ:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾.[3]

وقال تعالىٰ:

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾[4].

وهناك نقاط مهمة أُخرى في خلق الماء جديرة بالتأَمل والمطالعة، لكن لا مجال لشرحها وتوضيحها في هذا المقال[5].

---

١. الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠.

٢. الملك: ٣٠.

٣. الفرقان: ٤٨.

٤. الأنفال: ١١.

٥. راجع: إثبات وجود خدا (بالفارسية): ص ٨١، ٨٦.

الباب التاسع

خلق البحر

الكتاب

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[1]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.[2]

راجع: الفرقان: ٥٣، النمل: ٦١، الجاثية: ١٢، الطور: ٦، الملك: ٣٠، الرحمٰن: ١٩ ـ ٢٢.

الحديث

٣٦١٦. رسول الله ﷺ: اللّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ... بِالاِسمِ الَّذِي استَقَرَّت بِهِ الأَرَضونَ عَلىٰ قَرارِها، وَالجِبالُ عَلىٰ أماكِنِها، وَالبِحارُ عَلىٰ حُدودِها.[3]

٣٦١٧. عنه ﷺ ـ في دعاء الجوشن الكبير ـ: يا مَن في كُلِّ شَيءٍ دَلائِلُهُ، يا مَن فِي

---

١. النحل: ١٤.

٢. الفرقان: ٥٣.

٣. مهج الدعوات: ص ١١٢، بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٣٧٠ ح ٢٣ نقلاً عن الكتاب العتيق.

البِحارِ عَجائِبُهُ.[١]

٣٦١٨. **الإمام عليّ** ؏ : أنتَ الَّذي فِي السَّماءِ عَظَمَتُكَ، وفِي الأَرضِ قُدرَتُكَ، وفِي البِحارِ عَجائِبُكَ.[٢]

٣٦١٩. **بحار الأنوار عن سلمان الفارسي** : رَأَيتُ عَلىٰ حَمائِلِ سَيفِ أميرِ المُؤمِنينَ ؏ كِتابَةً فَقُلتُ: يا أميرَ المُؤمِنينَ ما هٰذِهِ الكِتابَةُ عَلىٰ سَيفِكَ؟ فَقالَ: هٰذِهِ إحدىٰ عَشرَةَ كَلِمَةً عَلَّمَنيها رَسولُ اللهِ ﷺ :... يا مَنِ البِحارُ بِقُدرَتِهِ مَجرِيَّةٌ.[٣]

٣٦٢٠. **الإمام عليّ** ؏ : الحَمدُ للهِ الَّذي لا مَقنوطٌ مِن رَحمَتِهِ، ولا مَخلُوٌّ مِن نِعمَتِهِ، ولا مُؤيِسٌ مِن رَوحِهِ، ولا مُستَنكَفٌ عَن عِبادَتِهِ الَّذي بِكَلِمَتِهِ قامَتِ السَّماواتُ السَّبعُ، وَاستَقَرَّتِ الأَرضُ المِهادُ، وثَبَتَتِ الجِبالُ الرَّواسي، وجَرَتِ الرِّياحُ اللَّواقِحُ، وسارَ في جَوِّ السَّماءِ السَّحابُ، وقامَت عَلىٰ حُدودِهَا البِحارُ.[٤]

٣٦٢١. **فاطمة** ؏ : الحَمدُ للهِ الَّذي مَن تَوَكَّلَ عَلَيهِ كَفاهُ، الحَمدُ للهِ سامِكِ[٥] السَّماءِ، وساطِحِ الأَرضِ، وحاصِرِ البِحارِ.[٦]

٣٦٢٢. **الإمام الحسن** ؏ : اللّٰهُمَّ يا مَن جَعَلَ بَينَ البَحرَينِ حاجِزاً وبُروجاً وحِجراً مَحجوراً.[٧]

---

١. البلد الأمين: ص ٤٠٧، المصباح للكفعمي: ص ٣٤٢، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٣٩١.

٢. الدروع الواقية: ص ٢٠٢، بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٢٠٢.

٣. بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ١٩٢ ح ٥٤ نقلاً عن اختيار ابن الباقي عن سلمان الفارسي.

٤. كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥١٤ ح ١٤٨٢، مصباح المتهجّد: ص ٦٥٩ ح ٧٢٨ عن عبد الله الأزدي وفيه «وقرّت الأرضون السبع» بدل «واستقرّت الأرض المهاد».

٥. سامِك: أي رافع؛ من سَمَكَ الشيءَ يَسمُكُهُ: إذا رفعه (النهاية: ج ٢ ص ٤٠٣).

٦. فلاح السائل: ص ٤٤٠ ح ٣٠٣، بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ١١٥ ح ٢.

٧. مهج الدعوات: ص ٣٥٥، مصباح المتهجّد: ص ٤٤٩ ح ٥٥٥ عن الإمام الجواد ؏ وليس فيه «وبروجاً وحِجراً محجوراً».

٣٦٢٣. الإمام الصادق عليه السلام: إذا أَرَدتَ أن تَعرِفَ سَعَةَ حِكمَةِ الخالِقِ، وقِصَرَ عِلمِ المَخلوقينَ؛ فَانظُر إلىٰ ما فِي البِحارِ مِن ضُروبِ السَّمَكِ، ودَوابِّ الماءِ، وَالأَصدافِ وَالأَصنافِ الَّتي لا تُحصىٰ ولا تُعرَفُ مَنافِعُها إلَّا الشَّيءَ بَعدَ الشَّيءِ، يُدرِكُهُ النّاسُ بِأَسبابٍ تُحدَثُ.[1]

٣٦٢٤. الإمام الكاظم عليه السلام: سُبحانَ مَن أَلَجَّ البِحارَ بِقُدرَتِهِ.[2]

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٠٩ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل.

٢. مهج الدعوات: ص ٢٩٤، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٣٣٠.

تأملات حول آيات معرفة الله في خلق البحر

إنّ الخالق الحكيم جعل من البحار إحدى الآيات الكبرى لمعرفته، لِما تتضمنه تلك البحار من مصادر الحياة والثروة الدائمة التي سخّرها الخالق لخدمة المجتمع الإنساني.

ولقد تعرّض القرآن الكريم والسنة الشريفة لذكر الدلائل الخفية في عالم البحار بشكل مكرر، ودعا الإنسان إلى التأمل والمطالعة حول عجائب البحار وخفاياها المحيّرة وبيان دورها في حياة الإنسان، وفيما يلي نشير بشكل مجمل إلى النقاط الجديرة بالذكر في هذا المجال التي أكّدتها النصوص الإسلامية:

١. دور البحار في ضمان مصادر الغذاء

لا ريب في أنّ البحر يوفّر قسماً لا بأس به من المواد الغذائية التي يحتاج إليها الإنسان، وهذا من الوجهة القرآنية يُعدّ علامة من علامات التدبير في نظام الخلق ودليلاً واضحاً على معرفة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[1].

إنّ أسماك البحر تلعب دوراً رئيساً في غذاء الإنسان، كما أنّها مصدر لغذاء كثير

---

١. النحل: ١٤.

من أَنواع الطيور، فطبقاً للاحصاءات العلمية فإنّ الطيور البحرية لسواحل الجزر الصخرية والجبال الساحلية فقط تستهلك فيكل عام ٢/٥٠٠/٠٠٠ طن من الأَسماك، هذا فضلاً عن أنّ البحر يعتبر مصدراً دائماً للأَملاح الضرورية في غذاء الإنسان.

٢. دور البحار في ضمان وسائل الزينة

إنّ البحر إضافة إلى توفيره قسماً من المواد الغذائية التي يحتاج إليها الإنسان، يوفّر له أَيضاً قسماً من وسائل الزينة والحلي، والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحكمة بقوله: ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[1] وقوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّايَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[2].

اللؤلؤ: درّ ثمين ـ كلّما كان أكبر، كان أثمن ـ ينشأ في بطن أنواع من الصدفيات في قاع البحار.

والمرجان من الحيوانات البحرية الجميلة يستخدم للزينة وله فوائد طبية أَيضاً.

٣. دور البحر في الحمل والنقل

لقد أَشار القرآن الكريم إلى دور البحر في الحمل والنقل باعتبارهما من آيات التدبير ومعرفة الخالق سبحانه، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾[3] وحتّىٰ في الوقت الحاضر وعلى الرغم من تعدّد وسائط النقل الجوي

---

١. النحل: ١٤.

٢. الرحمٰن: ١٩ ـ ٢٢.

٣. يس: ٤١ ـ ٤٣.

والبري فإنّ السفن تؤدي دوراً مهمّاً في الحمل والنقل.

٤. الحائل غير المرئي بين بحرين

تعرّض القرآن الكريم في موضعين إلى ذكر ظاهرة مثيرة للعجب؛ وهي جعل حاجزٍ غير مرئي بين بحرين متلاصقين بحيث لا يلتبس أحدهما بالآخر ولا يغلب عليه، وقد اعتبر ذلك آيةً من آيات التدبير في نظام الخلق ومن الأدلة علىٰ معرفة الخالق ـ جلّ وعلا ـ.

الموضع الأوّل: في سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَـذْبٌ فُـرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[1].

البرزخ: هو الحجاب غير المرئي بين ماءين أحدهما عذب والآخر مالح، ولعلّه بسبب التفاوت بينهما في الكثافة والوزن الخاص لكلّ منهما بحيث لا يختلطان لمدّة طويلة. ولتوضيح هذا الأمر فإنّ كلّ الأنهار الكبرى للماء العذب التي تصبّ في البحر، تدفع المياه المالحة إلى الخلف، فيصير الماء في جانب الساحل عذباً، ويستمر هذا الوضع لمدّة طويلة، وممّا يجدر ذكره أنّه بمساعدة ظاهرة المدّ والجزر لمياه البحر تندفع المياه العذبة في الأنهار وهي صالحة للاستفادة منها لغرض الزراعة.

الموضع الثاني: في سورة الرحمٰن: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّايَبْغِيَانِ﴾ علاوة على ما تقدم من المعاني السابقة، يمكن الإشارة في هذه الآية إلى أنّ الأنهار العظيمة التي تجري في المحيطات، ومن أهمها ما يسمّىٰ بـ «كلف استريم»، هذه المياه بعضها يتحرك في المناطق التي بالقرب من خطّ الاستواء فهي حارّة، حتّىٰ أنّ لونها يغاير أحياناً لون المياه المجاورة لها، وقد يصل عرضها إلىٰ «١٥٠» كيلومتراً، وعمقها إلى بضعة مئات من الأمتار، وتصل سرعتها في بعض

---

١. الفرقان: ٥٣.

المناطق خلال يوم واحد إلىٰ مِئة وستين كيلومتراً، وممّا يجدر ذكره أنّ هذه الأَنهار العظيمة لا تختلط مع المياه المجاورة لها إلا قليلاً[١].

٥. عجائب البحار

لا ريب في أنّ كلّ ما في عالم الخلق عجيب يشير إلى قدرة الخالق وحكمته، لكنّ بعض الظواهر أَكثر إثارة من غيرها، وفي هذا الجانب يقول الرسول الأَكرمﷺ في بعض دعائه:

«يا مَن في كُلِّ شَيءٍ دَلائِلُهُ، يا مَن فِي البِحارِ عَجائِبُهُ»[٢].

إنّ التأَمّل في خلق عشرات آلاف الأَنواع من الأَحياء البحرية وكذلك التّأَمّل في حياتها لدليل علىٰ هذا الكلام.

٦. الكشف التدريجي لمنافع البحر مع تقدّم العلم

إنّ الذي تقدّم ممّا ذكرناه عن أَدلّة معرفة الخالق من خلال خلق البحار ودورها في حياة الإنسان، عبارة عن ظواهر مفهومة للنَّاس في عصر النزول وما تلاه من القرون، وممّا لاريب فيه أنّ منافع البحار ودلائل معرفة الله الخفية فيها، لا تقتصر على التي ذكرناها، إذ أنّ للبحر منافع أُخرى تدخل في حياة الإنسان، إن لم تكن أكثر وأَهمّ من الفوائد التي ذكرناها فبلا شكّ أَنّها ليست أَقلّ منها، ومنها: نزول المطر، ولطافة الجو، وضمان رطوبة الأَرض، فضلاً عن استخراج عناصر كثيرة من ماء البحر دخلت في صناعات الأَدوية بعد تطور العلم، مثل: المغنيسيوم، والبوتاسيوم، وسلفات الصوديوم وغيرها.

لقد أَشار الإمام الصادقؑ إلى الكشف التدريجي لمنافع البحر وإلى الفوائد

---

١. استفدناه من التفسير الأمثل: ج ٢٣ ص ١٣١، ١٣٢.

٢. راجع: ص ٢١٣ ح ٣٦١٧.

والأَدلّة التي لم تُعرَف في تلك الأَيام بقوله عليه السلام:

«إذا أرَدتَ أَن تَعرِفَ سَعَةَ حِكمَةَ الخالِقِ وقِصَرِ عِلمِ المَخلوقينَ، فَانظُر إلىٰ ما فِي البِحارِ مِن ضُروبِ السَّمَكِ ودَوابِّ الماءِ وَالأَصدافِ، وَالأَصنافِ الَّتي لا تُحصىٰ ولا تُعرَفُ مَنافِعُها إلَّا الشَّيء يُدرِكُهُ النّاسُ بِأَسبابٍ تَحدُثُ»[1].

---

١. راجع: ص ٢١٥، ح ٣٦٢٣.

الباب العاشر

خلق الرياح والسحاب والمطر

الكتاب

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾.[1]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ﴾.[2]

﴿وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[3]

راجع: البقرة: ١٦٤، الأعراف: ٥٧، الحِجْر: ٢٢، الإسراء: ٦٩، الأنبياء: ٨١، الفرقان: ٤٨، النمل: ٦٣، الروم: ٥١، فاطر: ٩، الذاريات: ١، القمر: ١٩، المرسلات: ١، ٣.

الحديث

٣٦٢. تفسير القمّي: قولُهُ: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي تجيءُ مِن كُلِّ

---

١. الروم: ٤٦.

٢. النور: ٤٣.

٣. الجاثية: ٥.

جانِبٍ، ورُبَّما كانَت حارَّةً، ورُبَّما كانَت بارِدَةً، ومِنها ما يُسَيِّرُ السَّحابَ، ومِنها ما يَبسُطُ الرِّزقَ فِي الأَرضِ، ومِنها ما يَلقَحُ الشَّجَرَةَ.[1]

٣٦٢٦. نثر الدرّ: كانَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقولُ عِندَ هُبوبِ الرِّيحِ: اللّهُمَّ اجعَلها رِياحاً ولا تَجعَلها ريحاً. وَالعَرَبُ تَقولُ: لا يَلقَحُ السَّحابُ إلّا مِن رِياحٍ، ومُصَدِّقُ ذٰلِكَ قَولُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[2].[3]

٣٦٢٧. رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ عزّ وجلّ جَعَلَ السَّحابَ غَرابيلَ لِلمَطَرِ، هِيَ تُذيبُ البَرَدَ[4] حَتّىٰ يَصيرَ ماءً لِكَيلا لا يَضُرَّ بِهِ شَيئاً يُصيبُهُ. الَّذي تَرَونَ فيهِ مِنَ البَرَدِ وَالصَّواعِقِ نِقمَةٌ مِنَ اللهِ عزّ وجلّ، يُصيبُ بِها مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ.[5]

٣٦٢٨. الإمام عليّ عليه السلام: السَّحابُ غِربالُ المَطَرِ، لَولا ذٰلِكَ لَأَفسَدَ كُلَّ شَيءٍ وَقَعَ عَلَيهِ.[6]

٣٦٢٩. الإمام الصادق عليه السلام: لَولَا السَّحابُ لَخَرِبَتِ الأَرضُ، فَما أَنبَتَت شَيئاً، ولٰكِنَّ اللهَ يَأمُرُ السَّحابَ فَيُغَربِلُ الماءَ، فَيُنزِلُ قَطراً، وأَنَّهُ أُرسِلَ عَلىٰ قَومِ نوحٍ بِغَيرِ سَحابٍ.[7]

---

١. تفسير القمّي: ج ٢ ص ٢٩٣.

٢. فاطر: ٩.

٣. نثر الدرّ: ج ١ ص ١٩٦؛ المعجم الكبير: ج ١١ ص ١٧١ ح ١١٥٣٣، مسند أبي يعلى: ج ٣ ص ٤٩ ح ٢٤٥٠ كلاهما عن ابن عبّاس وفيهما قول رسول الله صلى الله عليه وآله فقط.

٤. البَرَد: حبُّ الغمام؛ وهو مطر جامد (تاج العروس: ج ٤ ص ٣٤٨).

٥. الكافي: ج ٨ ص ٢٤٠ ح ٣٢٦، قرب الإسناد: ص ٧٣ ح ٢٣٦ وفيه «تُدبّر البرد» بدل «تذيب البرد» وكلاهما عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عن أبيه عن الإمام عليّ عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٣٨١ ح ٢٥.

٦. كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٢٥ ح ١٤٩٥، قرب الإسناد: ص ١٣٦ ح ٤٧٩ عن أبي البختري عن الإمام الصادق عن أبيه عنه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٣٧٣ ح ٥.

٧. المحاسن: ج ٢ ص ٣٤ ح ١١٠٧، بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٣٧٨ ح ١٦.

تأمّلات حول آيات معرفة الله في خلق الرياح والسحاب والمطر

من جملة الدلالات الإلهيّة الكبرى التي ذكرها القرآن الكريم في كثير من آياته هي الهواء والسحاب والمطر، فقد ورد ذكرها فيه نحو ١٠٥ مرة بأسمائها المتعدّدة وآثارها المختلفة، معاً أو متفرقةً، ويمكن تأمّل هذا المبحث كسائر المباحث القرآنية في الطبيعيات من جانبين:

الأَول: وجود النظام الخاص في إنشاء الهواء والسحاب والمطر، والحكمة الجارية في خلقها.

الثاني: الإعجاز القرآني وكيفية الاستنتاج في هذا المجال، فضمن الآيات التي ورد فيها ذكر الهواء والسحاب والمطر والكيفيات المتعلّقة بها، تأتي بعض التعبيرات التي يُستنتج منها أنّها تنطبق انطباقاً عجيباً دقيقاً علىٰ اكتشافات علم الأَنواء الجويّة والمعلومات والنظريات العلمية الحديثة، ممّا يدلّ علىٰ أن مُرسِل القرآن ومُنزِله هو نفس مُرسِل الهواء ومنزل المطر، هذا مع أنّ القرآن لا يريد تدوين أُصول الفيزياء، وقوانينه أو يعلّمنا نظريات الأَنواء الجوية، كلّا لكن نريد أن نقول في هذا المجال أن القرآن الكريم تكلّم عن الهواء والمطر بشكل لم يأت نظيره في أي كلام أو كتاب

بشري إلى ما قبل القرن الأخير، وقد ألّف في هـذا المـوضوع المـهندس مـهدي بازرگان كتاباً مستقلاً (بالفارسية) تحت عنوان «باد و باران در قرآن» أي «الريـح والمطر في القرآن» أُوصي الراغبين بالاستزادة حول هذا الموضوع بـمطالعة هـذا الكتاب.

الباب الحادي عشر

خلق الليل والنهار

الكتاب

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾.[1]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.[2]

﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.[3]

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾.[4]

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾.[5]

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ

---

١ . فصّلت: ٣٧.

٢ . الأنبياء: ٣٣.

٣ . يونس: ٦.

٤ . الإسراء: ١٢.

٥ . القصص: ٧١.

تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.[١]

راجع: آل عمران: ٢٧، الأنعام: ٩٦، الأعراف: ٥٤، يونس: ٦٧، الرعد: ٣، إبراهيم: ٣٣، الحجّ: ٦١، المؤمنون: ٨٠، النور: ٤٤، الفرقان: ٤٧ و ٦٢، النمل: ٢٧، القصص: ٧٣، الروم: ٢٣، لقمان: ٢٩، فاطر: ١٣، يس: ٣٧، الزمر: ٥، غافر: ٦١، الحديد: ٦، النبأ: ١٠ و ١١، الفجر: ١ و ٤.

الحديث

٣٦٣٠. الإمام زين العابدين عليه السلام ـ مِن دُعائِهِ عِندَ الصَّباحِ وَالمَساءِ ـ: الحَمدُ للهِ الَّذي خَلَقَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ بِقُوَّتِهِ، ومَيَّزَ بَينَهُما بِقُدرَتِهِ، وجَعَلَ لِكُلِّ واحِدٍ مِنهُما حَدّاً مَحدوداً، وأَمَداً مَمدوداً، يولِجُ كُلَّ واحِدٍ مِنهُما في صاحِبِهِ، ويولِجُ صاحِبَهُ فيهِ، بِتَقديرٍ مِنهُ لِلعِبادِ فيما يَغذوهُم بِهِ، ويُنشِئُهُم عَلَيهِ.

فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيلَ لِيَسكُنوا فيهِ مِن حَرَكاتِ التَّعَبِ، ونَهَضاتِ النَّصَبِ[٢]، وجَعَلَهُ لِباساً لِيَلبَسوا مِن راحَتِهِ ومَنامِهِ، فَيَكونَ ذٰلِكَ لَهُم جَماماً وقُوَّةً، ولِيَنالوا بِهِ لَذَّةً وشَهوَةً.

وخَلَقَ لَهُمُ النَّهارَ مُبصِراً لِيَبتَغوا فيهِ مِن فَضلِهِ ولِيَتَسَبَّبوا إلىٰ رِزقِهِ ويَسرَحوا في أَرضِهِ، طَلَباً لِما فيهِ نَيلُ العاجِلِ مِن دُنياهُم، ودَرَكُ الآجِلِ في أُخراهُم، بِكُلِّ ذٰلِكَ يُصلِحُ شَأنَهُم، ويَبلو أَخبارَهُم، ويَنظُرُ كَيفَ هُم في أَوقاتِ طاعَتِهِ، ومَنازِلِ فُروضِهِ، ومَواقِعِ أَحكامِهِ ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِالْحُسْنَى﴾[٣]. اللّٰهُمَّ فَلَكَ الحَمدُ عَلىٰ ما فَلَقتَ لَنا مِنَ الإِصباحِ، ومَتَّعتَنا بِهِ مِن ضَوءِ النَّهارِ، وبَصَّرتَنا مِن مَطالِبِ الأَقواتِ، ووَقَيتَنا فيهِ مِن طَوارِقِ الآفاتِ.[٤]

---

١. القصص: ٧٢.

٢. نَهَضات النَّصَب: المراد بها: التردّدات البدنيّة الموجبة للنصب؛ أعني التعب (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٨٤٠).

٣. النجم: ٣١.

٤. الصحيفة السجّاديّة: ص ٣٩ الدعاء ٦، بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٩٩ ح ٣٧.

تأمّلات في آيات معرفة الله في خلق اللّيل والنّهار

لقد دعا القرآن الكريم النّاس في أكثر من ثلاثين موضعاً إلى التأمّل في اللّيل والنهار باعتبارهما آيتين تقودان إلى معرفة الله سبحانه وظاهرتين عجيبتين في نظام الخلق تحكيان عن حكمة الخالق وعظمته، وقد عبّر القرآن الكريم عن هاتين الظاهرتين بتعبيرات عديدة:

منها: ما يصرّح بأنّ اللّيل والنهار من آيات يوجود الله تعالىٰ، حيث يقول:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾.[1]

ويقول:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾.[2]

ومنها: ما يصرّح بأنّهما من خلق الله وكونهما مسخّرين للإنسان بأمره تعالى، يقول:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾.[3]

---

١. فصّلت: ٣٧.

٢. الإسراء: ١٢.

٣. الأنبياء: ٣٣.

ويقول:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[1].

ومنها: ما يصرّح بأنّه تعالىٰ هو الذي: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[2].

وهناك تعبيرات أُخرى تدعو العقلاء إلىٰ التأمّل والتفكر في ظاهرة اللّيل والنهار، ولعلّ أَوضح تعبير يفهمه جلّ النّاس عن حكمة توالي اللّيل والنهار، هو ما جاء في الآيات ٧١ ـ ٧٣ من سورة القصص، حيث يقول تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّـهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

نشير هنا إلى أنّ الأَرض لو كانت لا تدور حول محورها، وبقي نصفها غارقاً في ظلام سرمدي ونصفها الآخر في ضياءٍ دائمٍ، فليس بالإمكان مطلقاً العيش عليها، وعلىٰ ضوء هذا يمكن القول إنّ دوران الأَرض المنظّم، وتوالي اللّيل والنهار بشكل دقيق محسوب، يحكي عن دقّة النظم والتدبير، ويدلّ علىٰ توحيد الخالق تعالىٰ.

وممّا يجدر ذكره علىٰ ضوء ما جاء في القرآن الكريم أنّ الاستدلال باللّيل والنهار علىٰ وجود الله لا يتيسّر لجميع الأفهام، بل أَشارت الآيات القرآنية إلىٰ فئات معينة تستطيع التأَمل في ظاهرة اللّيل والنهار لغرض معرفة خالق الوجود والسير

---

١. إبراهيم: ٣٣.

٢. الحجّ: ٦١.

علىٰ صراط الحياة المستقيم، وتلك الفئات كما يلي:

١. أُولو الأَبصار

قال تعالىٰ:

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[١].

٢. أُولو الأَلباب

قال تعالىٰ:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[٢].

٣. أَهل التقوىٰ

قال تعالىٰ:

﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[٣].

٤. أَهل الإيمان

قال تعالىٰ:

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

---

١. النور: ٤٤.

٢. آل عمران: ١٩٠.

٣. يونس: ٦.

٤. النمل: ٨٦.

وفي الواقع أنّ الشرط الأَساسي للاستفادة من آيات معرفة الله سبحانه ودلائلها، هو التخلص من موانع المعرفة وحُجبها[1]، لو حجبت الرّؤية العقليّة عن النّاس لسُلب منهم إمكان إدراك الحقائق العقلية، ومن هنا فإنَّ القرآن الكريم يعدّ الأَشخاص من أُولي الأَبصار وأُولي الأَلباب وأَهل التقوى والإيمان، إذا كانوا يستفيدون من رؤية عقولهم؛ لأَجل إدراك الحقائق التي توصلهم إلىٰ سلوك طريق الحياة الصحيح.

بناءً علىٰ ذلكِ فإنّ أَقلّ درجات التقوىٰ، هي التقوى العقلية الضرورية إلىٰ حدّ الوصول إلىٰ أَدنىٰ درجات معرفة الله الّتي تسهم في إزالة موانع المعرفة شرط الاستفادة من التأَمل في آيات معرفة الله، فإذا ارتقت التقوى العقلية بواسطة الإيمان إلى التقوى الشرعية، فإنّها تزيد من مراتب معرفة الإنسان إلىٰ أَعلىٰ درجات التقوىٰ حتّىٰ يصل إلىٰ قمة هرم المعرفة فلا يرىٰ في عالم الوجود شيئاً إلّا الله سبحانه[2].

علىٰ ضوء ما تقدّم من التحليل نصل إلى نتيجة مفادها أنّ الآيات التي تعتبر جماعات خاصة ـ مثل: «أُولي الأَلباب» و «أُولي الأَبصار»... ـ لفهم أَدلة معرفة الله، تشير إلىٰ شرطية رفع موانع المعرفة وحجبها للوصول إلى معرفة الله ودرجات تلك المعرفة، وأنّ كلّاً من تلك الآيات في الحقيقة مكملة للأُخرىٰ.

---

١. راجع: ص ٣٤٧ «الفصل العاشر: موانع معرفة الله».

٢. راجع: ص ١١٦ «القسم الرابع».

الباب الثاني عشر

خلق الشمس والقمر

الكتاب

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَاتَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.[1]

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝ لَاٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَاٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.[2]

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾.[3]

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.[4]

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا

---

١. فصّلت: ٣٧.

٢. يس: ٣٨ـ ٤٠.

٣. الرحمن: ٥.

٤. الأنعام: ٩٦.

خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.[١]

راجع: البقرة: ١٨٩، الأعراف: ٥٤، يونس: ٦، الرعد: ٢، إبراهيم: ٣٣، النحل: ١٢، الإسراء: ١٢، الكهف: ٨٦ و ٩٠، الأنبياء: ٣٣، المؤمنون: ٨٠، الفرقان: ٤٥ و ٤٦ و ٦١، العنكبوت: ٦١، لقمان: ٢٩، فاطر: ١٣، الصافّات: ٥، الزمر: ٥، الرحمٰن: ١٧، المعارج: ٤٠، نوح: ١٦، المدثّر: ٣٢، التكوير: ١، الفجر: ١ و ٤، الشمس: ١ و ٢.

الحديث

٣٦٣١. رسول الله ﷺ ـ لَمّا رَأَى الشَّمسَ عِندَ غُروبِها قالَ ـ: في نارِ اللهِ الحامِيَةِ، لَولا ما يَزَعُها[٢] مِن أَمرِ اللهِ لَأَهلَكَت ما عَلَى الأَرضِ.[٣]

٣٦٣٢. الإمام عليّ ؑ ـ مِن قَولِهِ عِندَ رُؤيَةِ الهِلالِ ـ: أَيُّهَا الخَلقُ المُطيعُ، الدّائِبُ السَّريعُ، المُتَرَدِّدُ في فَلَكِ التَّدبيرِ، المُتَصَرِّفُ في مَنازِلِ التَّقديرِ، آمَنتُ بِمَن نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمَ، وأَضاءَ بِكَ البُهَمَ، وجَعَلَكَ آيَةً مِن آياتِ سُلطانِهِ، وَامتَهَنَكَ بِالزِّيادَةِ وَالنُّقصانِ، وَالطُّلوعِ والأُفولِ، وَالإِنارَةِ وَالكُسوفِ، في كُلِّ ذٰلِكَ أَنتَ لَهُ مُطيعٌ وإِلىٰ إِرادَتِهِ سَريعٌ، سُبحانَهُ ما أَحسَنَ ما دَبَّرَ وأَتقَنَ ما صَنَعَ في مُلكِهِ! وجَعَلَكَ اللهُ هِلالَ شَهرٍ حادِثٍ لِأَمرٍ حادِثٍ، جَعَلَكَ اللهُ هِلالَ أَمنٍ وإِيمانٍ، وسَلامَةٍ وإِسلامٍ، هِلالَ أَمَنَةٍ مِنَ العاهاتِ وسَلامَةٍ مِنَ السَّيِّئاتِ، اللّٰهُمَّ اجعَلنا أَهدىٰ مَن طَلَعَ عَلَيهِ، وأَزكىٰ مَن نَظَرَ إِلَيهِ، وصَلَّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وآلِهِ، اللّٰهُمَّ افعَل بي كَذا وكَذا يا أَرحَمَ الرّاحِمينَ.[٤]

---

١. يونس: ٥.

٢. يَزَعُها: أي يمنعها. يقال: وزَعَه يَزَعُه وَزْعاً فهو وازِعٌ: إذا كفَّه ومنعه (النهاية: ج ٥ ص ١٨٠).

٣. مسند ابن حنبل: ج ٢ ص ٦٥٦ ح ٦٩٥١، تفسير الطبري: ج ٩ الجزء ١٦ ص ١٢، تفسير الطبري: ج ١١ ص ٤٩ وفيهما «لأحرقت» بدل «لأهلكت» وكلّها عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

٤. كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٠١ ح ١٨٤٧، الصحيفة السجّادية: ص ١٦٣ الدعاء ٤٣، مصباح المتهجّد: ص ٥٤١ ح ٦٢٨ كلاهما عن الإمام زين العابدين ؑ نحوه، بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٧٨ ح ٣٦.

تأمّلات حول آيات معرفة الله في خلق الشّمس والقمر

تعتبر الشَّمس والقمر في وجهة نظر القرآن دليلين واضحين على الخالق القادر الحكيم، وقد دعا القرآن الكريم المجتمع البشريّ نحو سبع عشرة مرّة بأساليب متباينة إلى التأمّل في هاتين الظاهرتين العجيبتين في عالم الخلق، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[1].

إنّ الدروس التي تستعرض خَلْقَ الشَّمس والقمر في مسير معرفة الله يمكن إجمالها في العناوين[2] التالية:

أوّلاً: نظام الشمس والقمر

قال تعالىٰ:

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ

---

١ . فصّلت: ٣٧.

٢ . إنّ شرح هذه العناوين يحتاج إلى الكتب المتخصّصة بها، لذا ندعو الإخوة القرّاء الذين يرغبون في معرفة التفاصيل إلى مراجعة المصادر المستقلّة التي كُتِبت في هذا المجال.

وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[١].

ثانياً: حركة الشَّمس والقمر

رغم أنّ الشمس تعتبر مركز المنظومة الشَّمسية، والأَرض تدور حولها، إلّا أنّها ليست ساكنة، فلها حركات وضعية باتجاه الشمال، وتدور حول مركز المجرّة، وللقمر كذلك حركات انتقاليه ووضعية، فهو يدور حول الأرض، ويدور مع المجموعة الشَّمسية.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة ترشد إِلى معرفة الله من خلال التأمّل في الحركة المنظمة للشَّمس والقمر، منها قوله تعالىٰ:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٢].

ومنها قوله تعالىٰ:

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٣].

ثالثاً: سجود الشَّمس والقمر لله

المقصود من سجود الشَّمس والقمر لله سبحانه هو نهاية الخضوع والطاعة والتسليم التكويني له تعالىٰ، بحيث إِنّهما لم يقصّرا في أَداء ما أَمرهما به في نظام الخلق منذ ملايين السنين، ولم يتجاوزا مدارهما المعيّن لهما ولو بمقدار ذرّة واحدة، قال تعالىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ...﴾[٤].

---

١. يس: ٣٨ ـ ٤٠.

٢. الأنبياء: ٣٣.

٣. الرعد: ٢، وراجع: إبراهيم: ٣٣، يس: ٣٨ ـ ٤٠، الزمر: ٥.

٤. الحجّ: ١٨.

رابعاً: تسخير الشَّمس والقمر للإنسان

إنّ النقطة الأَهمّ الجديرة بالتأَمّل في طريق معرفة الله من خلال خلق الشَّمس والقمر، هي أنّ الشَّمس بحجمها الذي يفوق حجم الأَرض بمليون وثلاثمئة وواحدٍ وتسعين أَلف مرّة[١]، والقمر بحجمه الذي يعادل ١/٤٩ من حجم الأَرض[٢]، كلاهما أزاء أَمر الخالق ساجدان وخاضعان، ومسخّران لخدمة حياة الإنسان، وقد تكرّر ذكر هذا الأَمر في القرآن الكريم، فقال:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[٣].

وقد يتبادر إِلى الذهن هذا السؤال: أيّ ربح يجنيه الإنسان من تسخير الشَّمس والقمر؟ وبعبارة أُخرى: ما دور الشَّمس والقمر في حياة الإنسان؟ للإجابة على هذا السؤال لاحظ العنوان الخامس والسادس فيما يلي.

خامساً: دور الشَّمس في توفير الضوء والحياة

إنّ وجود الحياة علىٰ سطح الكرة الأَرضية يرتبط ارتباطاً وثيقاً لا انفصام له بضوء الشَّمس، بناءً على ذلك فإنّ خلق الشَّمس وتسخيرها للإنسان هو في الحقيقة مقدمة لخلق الإنسان واستمرار حياته ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[٤] وحينما ينطفئ هذا

---

١. بناءً على ذلك فإنّ حجم الشّمس يعادل مليار مليار وخمسمئة وستة ملايين مليار وثمانمئة وثمانية آلاف ومئة وعشرين مليار كيلومتر مكعب (خالق العالم: ص ١٢٦).

وقيل: يظهر أنّ هذا الرقم الذي نقله المصدر أعلاه عن كتاب العوالم البعيدة: ص ٢٢٩ يعبّر عن الحجم التقريبي للشمس، ولذا فإنّ بعض المصادر الأُخرى تقول: إنّ حجم الشمس يفوق حجم الأرض بما يقارب ١/٣٠٠/٠٠٠ مرة، ووزنها يفوق وزن الأرض بما يقارب ٣٣١٠٠٠ مرة (دائرة المعارف الفارسية).

٢. خالق العالم: ص ٢٦٥.

٣. إبراهيم: ٣٣، وراجع: الرعد: ٢.

٤. النبأ: ١٣.

السراج الوهّاج سيحلّ الظلام والبرد القاتل، ويخيّم علىٰ كلّ أَطراف الأَرض، فـلا يهبّ نسيم، ولا هناك سحاب، ولا مطر أو ثلج و تنضب العيون، وتتوقف الأَنهار والشلالات، ولا تنمو النباتات، ولن يبقىٰ أيّ مصدر من مصادر الغذاء، وتغطّي كتل الثلوج العظيمة سطح الأَرض، وبالتّالي يخمد سراج الحياة علىٰ وجه الأَرض. وممّا يجدر ذكره أنّ مصادر الضوء والذخائر المعدنية الموجودة الآن في بواطن الأَرض، مثل: النفط والفَحم والذّهب والفضّة وغيرها هي أَيضاً رهنٌ لضوء الشَّمس.

سادساً: دور الشَّمس والقمر في تقويم التاريخ

إنّ حساب الزمان يعتبر واحداً من الأَركان الأَساسية في حياة الإنسان، والشَّمس والقمر علاوة علىٰ ما يلعبانه من أَدوار مهمّة في حـياة الإنسـان، فـهما وسـيلتان لحساب الزَّمان ومعرفة التاريخ، إنّهما على الرّغم من حجمهما ووزنهما الهائلين، ساعتان دقيقتان تعملان بنظم ودقّة متناهية، بحيث إنّهما تعملان ملايين السنين ولم يقصّرا أو يزوّدا حتّى ثانية واحدة أو أَقلّ من الثانية، وهذا واحد من الدروس على طريق معرفة الله سبحانه، قال تعالىٰ:

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[1].

---

١. الأنعام: ٩٦، وراجع: يونس: ٥.

الباب الثالث عشر

خلق السماوات

الكتاب

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.[1]

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[2]

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾.[3]

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.[4]

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.[5]

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.[6]

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾.[7]

---

١. آل عمران: ١٩٠.

٢. غافر: ٥٧.

٣. الشورى: ٢٩.

٤. الجاثية: ٣.

٥. يونس: ١٠١.

٦. يوسف: ١٠٥.

٧. الأنبياء: ٣٢.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.[1]

راجع: البقرة: ٢٢، آل عمران: ١٩١، يونس: ٦، ق: ٦.

الحديث

٣٦٣٣. الإمام زين العابدين عليه السلام ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَـٰٓءً﴾[2] ـ: سَقفاً مِن فَوقِكُم مَحفوظاً، يُديرُ فيها شَمسَها وقَمَرَها ونُجومَها لِمَنافِعِكُم.[3]

٣٦٣٤. تفسير القمّي: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ * ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾[4] قالَ: بَعضُها طَبَقٌ لِبَعضٍ ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ﴾[5] قال: يَعني مِن فَسادٍ ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي مِن عَيبٍ ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ قالَ: اُنظُر في مَلَكوتِ السَّماواتِ وَالأَرضِ ﴿كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[6]، أي يَقصُرُ وهُوَ حَسيرٌ، أي مُنقَطِعٌ. قَولُهُ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ﴾[7] قالَ: بِالنُّجومِ.[8]

٣٦٣٥. تفسير القمّي: قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا

---

١. الملك: ٣ و ٤.

٢. البقرة: ٢٢.

٣. عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣٧ ح ٣٦، التوحيد: ص ٤٠٤ ح ١١ كلاهما عن محمّد بن زياد ومحمّد بن سيّار عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام، الاحتجاج: ج ٢ ص ٥٠٧ ح ٣٣٦ عن الإمام العسكري عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٨٢ ح ٩.

٤. الملك: ٢ و ٣.

٥. الملك: ٣.

٦. الملك: ٤.

٧. الملك: ٥.

٨. تفسير القمّي: ج ٢ ص ٣٧٨.

مُعْرِضُونَ﴾[١] قالَ: الكُسوفُ وَالزَّلزَلَةُ وَالصَّواعِقُ.[٢]

٣٦٣٦. رسول الله ﷺ: بَينا رَجُلٌ مُستَلقٍ عَلىٰ ظَهرِهِ يَنظُرُ إلَى السَّماءِ وإلَى النُّجومِ ويَقولُ: وَاللهِ إنَّ لَكِ لَرَبّاً هُوَ خالِقُكِ، اللّهُمَّ اغفِر لي ـ قالَ: ـ فَنَظَرَ اللهُ ﷻ إلَيهِ، فَغَفَرَ لَهُ.[٣]

٣٦٣٧. الإمام عليّ ﷺ ـ في تَمجيدِ اللهِ ﷻ ـ: سُبحانَكَ ما أعظَمَ ما نَرىٰ مِن خَلقِكَ، وما أصغَرَ كُلَّ عَظيمَةٍ في جَنبِ قُدرَتِكَ، وما أهوَلَ ما نَرىٰ مِن مَلَكوتِكَ، وما أحقَرَ ذٰلِكَ فيما غابَ عَنّا مِن سُلطانِكَ، وما أسبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنيا، وما أصغَرَها في نِعَمِ الآخِرَةِ![٤]

٣٦٣٨. عنه ﷺ ـ أيضاً ـ: ومَا الَّذي نَرىٰ مِن خَلقِكَ، ونَعجَبُ لَهُ مِن قُدرَتِكَ، ونَصِفُهُ مِن عَظيمِ سُلطانِكَ، وما تَغَيَّبَ عَنّا مِنهُ وقَصُرَت أبصارُنا عَنهُ، وَانتَهَت عُقولُنا دونَهُ، وحالَت سُتورُ الغُيوبِ بَينَنا وبَينَهُ أعظَمُ. فَمَن فَرَّغَ قَلبَهُ، وأعمَلَ فِكرَهُ؛ لِيَعلَمَ كَيفَ أقَمتَ عَرشَكَ، وكَيفَ ذَرَأتَ خَلقَكَ، وكَيفَ عَلَّقتَ فِي الهَواءِ سَماواتِكَ، وكَيفَ مَدَدتَ عَلىٰ مَورِ الماءِ أرضَكَ؛ رَجَعَ طَرفُهُ حَسيراً، وعَقلُهُ مَبهوراً، وسَمعُهُ والِهاً، وفِكرُهُ حائِراً.[٥]

٣٦٣٩. عنه ﷺ: فَمِن شَواهِدِ خَلقِهِ خَلقُ السَّماواتِ مُوَطَّداتٍ بِلا عَمَدٍ، قائِماتٍ بِلا سَنَدٍ، دَعاهُنَّ فَأَجَبنَ طائِعاتٍ مُذعِناتٍ، غَيرَ مُتَلَكِّئاتٍ ولا مُبطِئاتٍ، ولَولا إقرارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبوبِيَّةِ، وإذعانُهُنَّ بِالطَّواعِيَةِ، لَما جَعَلَهُنَّ مَوضِعاً لِعَرشِهِ، ولا مَسكَناً لِمَلائِكَتِهِ،

---

١. يوسف: ١٠٥.

٢. تفسير القمّي: ج ١ ص ٣٥٨، تفسير نور الثقلين: ج ٢ ص ٤٧٤ ح ٢٢٧.

٣. التوحيد: ص ٢٦ ح ٢٥ عن أبي هريرة، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٩ ح ١٩؛ حسن الظنّ بالله لابن أبي الدنيا: ص ٨٧ ح ١٠٧، تفسير القرطبي: ج ٤ ص ٣١٤ كلاهما عن أبي هريرة نحوه.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٩، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣١٨ ح ٤٣.

٥. نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.

ولا مَصعَداً لِلكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ مِن خَلقِهِ. جَعَلَ نُجومَها أعلاماً يَستَدِلُّ بِهَا الحَيرانُ في مُختَلَفِ فِجاجِ الأَقطارِ. لَم يَمنَع ضَوءَ نورِها ادلِهمامُ سُجُفِ[1] اللَّيلِ المُظلِمِ، ولَا استَطاعَت جَلابيبُ سَوادِ الحَنادِسِ أن تَرُدَّ ما شاعَ فِي السَّماواتِ مِن تَلَألُؤِ نورِ القَمَرِ.[2]

٣٦٤٠. عنه ﷺ: ونَظَمَ بِلا تَعليقٍ رَهَواتِ فُرَجِها، ولاحَمَ صُدوعَ انفِراجِها، ووَشَّجَ بَينَها وبَينَ أزواجِها، وذَلَّلَ لِلهابِطينَ بِأَمرِهِ وَالصّاعِدينَ بِأَعمالِ خَلقِهِ حُزونَةَ مِعراجِها، وناداها بَعدَ إذ هِيَ دُخانٌ، فَالتَحَمَت عُرىٰ أشراجِها، وفَتَقَ بَعدَ الاِرتِتاقِ صَوامِتَ أبوابِها، وأَقامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّواقِبِ عَلىٰ نِقابِها، وأَمسَكَها مِن أن تَمورَ في خَرقِ الهَواءِ بِأَيدِهِ، وأَمَرَها أن تَقِفَ مُستَسلِمَةً لِأَمرِهِ، وجَعَلَ شَمسَها آيَةً مُبصِرَةً لِنَهارِها، وقَمَرِها آيَةً مَمحُوَّةً مِن لَيلِها، وأَجراهُما في مَناقِلِ مَجراهُما، وقَدَّر سَيرَهُما في مَدارِجِ دَرَجِهِما، لِيُمَيِّزَ بَينَ اللَّيلِ وَالنَّهارِ بِهِما، ولِيُعلَمَ عَدَدُ السِّنينَ وَالحِسابُ بِمَقاديرِهِما، ثُمَّ عَلَّقَ في جَوِّها فَلَكَها، وناطَ بِها زينَتَها، مِن خَفِيّات دَرارِيِّها، ومَصابيحِ كَواكِبِها، ورَمىٰ مُستَرِقِي السَّمعِ بِثَواقِبِ شُهُبِها، وأَجراها عَلىٰ إذلالِ تَسخيرِها، مِن ثَباتِ ثابِتِها، ومَسيرِ سائِرِها، وهُبوطِها وصُعودِها، ونُحوسِها وسُعودِها.[3]

---

١. سُجُف: جمع سَجف، وهو الستر (النهاية: ج ٢ ص ٣٤٣).

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢ عن نوف البكالي، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣١٤ ح ٤٠.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٩١ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق ﷺ، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٠٨ ح ٩٠.

تأمّلات حول آيات معرفة الله في خلق السّماء

إنّ كلمة «السَّماء» مشتقة في اللغة من الجذر «سمو» بمعنىٰ كلّ عالٍ مطلّ، من هنا يطلق لفظ السَّماء على سقف البيت[1]، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم «٣١٣» مرّة بصورة مفرد أو جمع، وعبّرت عن معانٍ مختلفة، كما يلي:

١ . الجهة العليا المجاورة للأَرض، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَاءِ﴾[2].

٢ . المنطقة البعيدة عن سطح الأَرض «محلّ السحاب»، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُّبَـٰرَكًا﴾[3].

٣ . الطبقة الجوية المتراكمة في أَطراف الأَرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[4].

٤ . الأَجرام السَّماوية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.

---

١ . مقاييس اللغة: ج٣ ص ٩٨.

٢ . إبراهيم: ٢٤.

٣ . قٓ: ٩.

٤ . الأنبياء: ٣٢.

٥ . ما يحيط بجميع الأَجرام السَّماوية ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[١].

٦ . مقام القرب الإلهي الذي ينتهي إليه زمام جميع الأُمور ، كما في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[٢].

أما الدروس المستقاة من خلق السَّماوات علىٰ طريق معرفة الخالق ـ جلّ وعلا ـ، التي أَشار إليها القرآن الكريم ، فهي تتعلق بالمعنى الثالث والرابع والخامس من المعاني المتقدمة ، من هنا فإنّ المحاور الجديرة بالتأَمّل والبحث هي ، كما يلي:

أَولاً: سعة السَّماء

إنّ الملاحظة الأُولى الحريّة بالتأَمّل عند مشاهدة السَّماء ، هي سعتها المحيِّرة التي تفوق التصور ، فوَفقاً للحسابات العلمية إنّنا لو سافرنا في طائرة مفترضة تسير بسرعة الضوء ـ أي أنّها تقطع في كل ثانية ثلاثمئة أَلف كيلومتر ـ فإنّنا سنصل إلى الشَّمس بعد ثماني دقائق وعشرين ثانية ، ونصل إلى الجدي بعد خمسين سنة ، وإلى العيوق بعد تسعين سنة ، وإذا أَردنا أن نسافر إلى أول مجرّة وبنفس السرعة المتقدّمة ، فإنّ رحلتنا تستغرق سبعمئة أَلف سنة ضوئية ، ولقطع المسافة من طرف المجرّة إلى طرفها الآخر نحتاج إلى مئتي سنة ضوئية ، وعلىٰ أَساس مايقوله علماء النجوم: هناك في الكون ما لا يقلّ عن مئة أَلف مجرّة مثل مجرّتنا ، وممّا يزيد من الحيرة والعجب هو أنّ كلّ ما ذكرناه عن سفرنا الكونيّ الذّهني يعتبر في وجهة النظر القرآنية منحصراً في سماء واحدة ، هي السَّماء الأُولى أو الدنيا[٣].

---

١ . فصّلت: ١٢.

٢ . السجدة: ٥.

٣ . قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ فصّلت: ١٢ وراجع: الملك: ٥.

إنّ أَميرالمؤمنينعليه‌السلام يقول مشيراً إِلىٰ هذه العظمة التي لا تُوصَف، وذلك في معرض دعائه مخاطباً الخالق القادر الحكيم:

سُبحانَكَ ما أَعظَمَ ما نَرىٰ من خَلقِكَ! وما أَصغَرَ كُلَّ عَظيمَةٍ في جَنبِ قُدرَتِكَ! وما أَهوَلَ ما نَرىٰ مِن مَلَكوتِكَ! ومَا أحقَرَ ذٰلِكَ فيما غابَ عَنّا مِن سُلطانِكَ![1]

ثانياً: مصابيح السَّماء

من جهة أُخرى يدعو القرآن الكريم في آيات عديدة بالنظر إلى السَّماء والنّجوم التي فيها باعتبارها مصابيح مضيئة جميلة، جعلها أَحسن الخالقين دليلاً علىٰ علمه وقدرته وحكمته قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا۟ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا﴾[2].

فإنّ مثل هذا النظر والتأَمّل ربّما يفوق فضلاً علىٰ كثير من العبادات، كما يستفاد ذلك من سلوك الإمام زين العابدينعليه‌السلام:

قُرِّبَ إِلىٰ عَلِيِّ بنِ الحُسَينِعليه‌السلام طَهورُهُ في يَومِ وِردِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإناءِ لِيَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ فَنَظَرَ إِلَى السَّماءِ وَالقَمَرِ وَالكَواكِبِ، ثُمَّ جَعَلَ يُفَكِّرُ في خَلقِها، حَتّىٰ أَصبَحَ وأَذَّنَ المُؤَذِّنُ ويَدُهُ فِي الإِناءِ[3].

ثالثاً: السقف المحفوظ

لقد أَشرنا في معاني السَّماء الواردة في القرآن الكريم، إلى أن أَحدها يعني الجوّ المحيط في أطراف الأَرض، يقول «فرانك آلن» أُستاذ الفيزياء الحيويّة: إن الغلاف

---

١. راجع: ص ٢٣٩ ح ٣٦٣٧ و ح ٣٦٣٨.

٢. ق: ٦، راجع: الحجر: ١٦، الملك: ٥، فصّلت: ١٢.

٣. ربيع الأبرار: ج ١ ص ١٠٨ ح ٩٤.

الغازي المتكوّن من عدّة غازات يحافظ على الحياة علىٰ سطح الأَرض، حيث يبلغ سَمْكه نحو «٨٠٠» كيلومتر، بحيث يستطيع أن يقف كالدرع الواقي للأَرض ويحفظها من شرّ النيازك والشهب ومختلف الأَحجار السَّماوية المُمِيتة التي تصطدم به، وهي تنزل بمقدار عشرين مليون حجر في اليوم، وتبلغ سرعتها في الفضاء، نحو خمسين كيلومتر في الثانية.

كما يحافظ الغلاف الغازي علىٰ درجة الحرارة عند سطح الأَرض في الحدود المناسبة للحياة، ويدّخر مقداراً كبيراً من الماء والبخار اللازمين للحياة وينقلهما من المحيطات إلى اليابسة. كما أنّ سُمْك الغلاف الغازي المحيط بالأَرض يجعل الأَشعة الكونية النافذة عبره إِلىٰ أَطراف الأَرض بمعدلٍ كافٍ لنموّ النّباتات، وخلال ذلك يقوم الغلاف الغازي بإتلاف كلّ الجراثيم المضرّة ويُوجِد الفيتامينات المفيدة[1].

إنّ هذه التحقيقات في الواقع تفسير لهذا الدرس في معرفة الله، الذي يقول فيه القرآن:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾.

وقوله تعالىٰ:

﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[2].

---

١. راز آفرينش انسان (بالفارسية): ص ٣٤، ٣٥.

٢. سبأ: ٩.

رابعاً: استقرار الأَجرام السَّماوية في الفضاء

استقرار الأجرام السَّماوية في الفضاء بدون عمد ولا دعامة والسيطرة عليها بواسطة قوة الجاذبية التي عبّر عنها القرآن الكريم بالعمد غير المرئيّة، هو درس آخر من دروس التوحيد ومعرفة الله تعالىٰ، من وجهة نظر القرآن الكريم، وقد أشار إلى ذلك في موضعين: قوله تعالىٰ:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.

وقوله تعالىٰ:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[1].

علىٰ ضوء هاتين الآيتين وحديث الإمام الرضا عليه السلام الذي قدمناه في الفقرة الثانية من دروس معرفة الله من خلال خلق الأَرض، يُرفَع الستار عن حقيقة علميّة لم يكن يعرفها أَحد في زمان النزول، إذ كانت هيئة «بطليموس» هي السّائدة آنذاك على المحافل العلمية وأَفكار الناس، حيث تقول: إنّ السَّماء تتكون من عدّة كرات متداخلة بعضها فوق بعض كطبقات البصل، وإنّ أيّاً من تلك الكرات ليست حرّةً عائمة في الفضاء بدون أَعمدة، بل كلّ منها تعتمد على الأُخرىٰ وتتّكئ عليها، هذه هي فحوىٰ نظرية بطليموس، التي توصّل العلم والمعرفة البشرية إلى كونها موهومة وليس لها أي واقعية، وذلك بعد نحو أَلف سنة من عصر النزول، حيث أَثبت العلم بأنّ كلّ واحد من الأَجرام السَّماوية عائم في مكانه ومستقرّ في مداره بدون أن يعتمد علىٰ شيء أو يتّكئ عليه. والشيء الوحيد الذي يُقرّها في مواضعها ضمن مداراتها هو تعادل قوة الجذب والدفع، حيث إنّ إحدى القوتين ترتبط بوزن

---

١. لقمان: ١٠.

الكوكب والثانية ترتبط بحركته، وذلك التعادل بصورة عمود غير مرئيّ يحافظ على الأَجرام السَّماوية في مواضعها.

خامساً: النظام الدقيق السَّائد على الأَجرام السَّماوية

إنّ الحركة المنظّمة الدّقيقة للأَجرام السَّماوية في مداراتها الخاصَّة درس آخر للتوحيد، فإنّ النظام السَّائد على الأَجرام السَّماوية لا يضمن عدم اصطدام بعضها ببعض فحسب، بل يساعد على التّنبّؤ بالنسبة إلى الأَحداث السَّماوية، فهل يمكن التصديق بالقول: إنّ الصدفة العمياء، هي التي جعلت مليارات الأَجرام السَّماوية التي أَكثرها أَكبر حجماً من الأَرض بآلاف المرات، تتحرك ملايين السنين بسرعة فائقة بدون أَدنى انحراف عن مداراتها؟

إنّ القرآن الكريم قد بيّن هذا الدرس عن معرفة الله سبحانه في قوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[١].

وفي قوله تعالىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

سادساً: الاهتداء بالنجوم

إنّ الدرس الحكيم الآخر في خلق السَّماء الذي أَشار إِليه القرآن هو الاهتداء بالنجوم، الذي يعتبر أَحد بركات النظام المهيمن على السَّماء، فلو كانت حركة

---

١. فاطر: ٤١.

٢. الحجّ: ٦٥.

النجوم غير منظّمة ومداراتها غير معينة، كيف يستطيع الإنسان أن يهتدي إلىٰ طريقه وهو في عرض البحار أو مفازات الصحاري الجرداء أو الطرق المجهولة في السّماء؟ إنّها النجوم التي تساعده في تعيين جهته، ومداراتها التي تُعينه على الاهتداء إلىٰ طريقه[١]، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الدرس التوحيدي بقوله:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

ولكن يشترط هنا الأَخذ بنظر الاعتبار توضيحنا المتقدّم[٣]، وهو أنّ الذين يستطيعون الاستفادة من هذه الدروس في مسير التوحيد ومعرفة الله، هم أُولئك الذين أَزالوا حُجب المعرفة عن أَبصار عقولهم وفهمهم فحسب، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

هؤلاء هم الذين كلما ازدادت معرفتهم بأَسرار السّماء وما فيها من الآيات، ازدادوا إيماناً ويقيناً، كما روي عن أَميرالمؤمنين عليه السلام:

مَنِ اقتَبَسَ عِلماً مِن عِلمِ النُّجومِ مِن حَمَلَةِ القُرآنِ ازدادَ بِهِ إيماناً ويَقيناً، ثُمَّ تَلا: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[٤].[٥]

---

١. راجع: ص ٢٣٩ ح ٣٦٣٩، إثبات وجود خدا (بالفارسية): ص ٢٦١.

٢. الأنعام: ٩٧.

٣. راجع: ص ٢٢٧ «تأمّلات في آيات معرفة الله في خلق اللّيل والنهار».

٤. يونس: ٦.

٥. ربيع الأبرار: ج ١ ص ١٠٠ ح ٧٣.

الفصل السّادس

طُرُقُ الوُصولِ إلىٰ أسمىٰ مَراتِبِ مَعرِفَةِ اللهِ

٦ / ١

ذِكرُ اللهِ

الكتاب

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّـلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1].

الحديث

٣٦٤١. عدّة الداعي: في بَعضِ الأَحاديثِ القُدسِيَّةِ: أَيُّما عَبدٍ اطَّلَعتُ عَلىٰ قَلبِهِ فَرَأَيتُ الغالِبَ عَلَيهِ التَّمَسُّكَ بِذِكري تَوَلَّيتُ سِياسَتَهُ، وكُنتُ جَليسَهُ ومُحادِثَهُ وأَنيسَهُ.[2]

٣٦٤٢. رسول الله ﷺ: يَقولُ اللهُ تَعالىٰ: إذا كانَ الغالِبُ عَلىٰ عَبدِيَ الاِشتِغالَ بي جَعَلتُ نَعيمَهُ ولَذَّتَهُ في ذِكري، فَإِذا جَعَلتُ نَعيمَهُ ولَذَّتَهُ في ذِكري عَشَقَني وعَشَقتُهُ، فَإِذا عَشَقَني وعَشَقتُهُ رَفَعتُ الحِجابَ فيما بَيني وبَينَهُ، وصِرتُ مَعالِماً بَينَ عَينَيهِ،

---

١. الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣.

٢. عدّة الداعي: ص ٢٣٥، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ١٦٢ ح ٤٢.

لا يَسهو إذا سَهَا النّاسُ، أُولٰئِكَ كَلامُهُم كَلامُ الأَنبِياءِ.[١]

٣٦٤٣. الإمام عليّ عليه السلام: ذِكرُ اللهِ قوتُ النُّفوسِ، ومُجالَسَةُ المَحبوبِ.[٢]

٣٦٤٤. عنه عليه السلام: ذاكِرُ اللهِ مُؤانِسُهُ.[٣]

٣٦٤٥. عنه عليه السلام ـ في مُناجاتِهِ في شَهرِ شَعبانَ ـ: (أسأَلُكَ) أن تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأن تَجعَلَني مِمَّن يُديمُ ذِكرَكَ ولا يَنقُضُ عَهدَكَ.[٤]

٣٦٤٦. مصباح الشريعة ـ فيما نَسَبَهُ إلَى الإمامِ الصّادِقِ عليه السلام ـ: إنَّ العَبدَ إذا ذَكَرَ اللهَ تَعالىٰ بِالتَّعظيمِ خالِصاً اِرتَفَعَ كُلُّ حِجابٍ بَينَهُ وبَينَ اللهِ مِن قَبلِ ذٰلِكَ... وإذا غَفَلَ عَن ذِكرِ اللهِ كَيفَ تَراهُ بَعدَ ذٰلِكَ مَوقوفاً مَحجوباً قَد قَسا وأَظلَمَ مُنذُ فارَقَ نورَ التَّعظيمِ.[٥]

٦ / ٢
الصَّلاةُ

٣٦٤٧. رسول الله صلى الله عليه وآله: الصَّلاةُ مِن شَرائِعِ الدّينِ، وفيها مَرضاةُ الرَّبِّ عزّ وجلّ، وهِيَ مِنهاجُ الأَنبِياءِ، ولِلمُصَلّي حُبُّ المَلائِكَةِ، وهُدىً وإيمانٌ، ونورُ المَعرِفَةِ.[٦]

٣٦٤٨. عنه صلى الله عليه وآله: صَلاةُ اللَّيلِ مَرضاةُ الرَّبِّ، وحُبُّ المَلائِكَةِ، وسُنَّةُ الأَنبِياءِ، ونُورُ المَعرِفَةِ،

---

١. حلية الأولياء: ج ٦ ص ١٦٥ عن الحسن، كنز العمّال: ج ١ ص ٤٣٣ ح ١٨٧٢ وفيه «بغيته» بدل «نعيمه» في كلا الموضعين.

٢. غرر الحكم: ح ٥١٦٦ وح ٣٢٢، عيون الحكم والمواعظ: ص ٦٢ ح ١٦٠٠ وفيهما «الذكر مجالسة المحبوب».

٣. غرر الحكم: ح ٥١٦٠، عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٥٦ ح ٤٧٤١.

٤. الإقبال: ج ٣ ص ٢٩٩، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٩٩ ح ١٣ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي كلاهما عن ابن خالويه.

٥. مصباح الشريعة: ص ٢٢ و ٢٣.

٦. الخصال: ص ٥٢٢ ح ١١ عن ضمرة بن حبيب، بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ٢٣١ ح ٥٦.

وأَصلُ الإِيمانِ.[١]

٣٦٤٩. **الإمام عليّ** عليه السلام ـ في تَفسيرِ مَقاطِعِ الأَذانِ وَالإِقامَةِ ـ: ومَعنى «قَد قامَتِ الصَّلاةُ» فِي الإِقامَةِ، أي حانَ وَقتُ الزِّيارَةِ وَالمُناجاةِ، وقَضاءِ الحَوائِجِ، ودَركِ المُنىٰ، وَالوُصولِ إِلَى اللهِ عزّ وجلّ، وإِلىٰ كَرامَتِهِ وغُفرانِهِ وعَفوِهِ ورِضوانِهِ.[٢]

٣/٦
الجوعُ والصَّومُ

٣٦٥٠. **الإمام عليّ** عليه السلام ـ في ذِكرِ حَديثِ مِعراجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ـ: قالَ [صلى الله عليه وآله]: يا رَبِّ ما ميراثُ[٣] الجوعِ؟ قالَ: الحِكمَةُ، وحِفظُ القَلبِ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَيَّ، وَالحُزنُ الدّائِمُ، وخِفَّةُ المُؤنَةِ بَينَ النّاسِ، وقَولُ الحَقِّ، ولا يُبالي عاشَ بِيُسرٍ أم بِعُسرٍ... .

الصَّومُ يورِثُ الحِكمَةَ، وَالحِكمَةُ تورِثُ المَعرِفَةَ، وَالمَعرِفَةُ تورِثُ اليَقينَ... .

يا أَحمَدُ، إِنَّ العَبدَ إِذا جاعَ بَطنُهُ وحَفِظَ لِسانَهُ عَلَّمتُهُ الحِكمَةَ، وإِن كانَ كافِراً تَكونُ حِكمَتُهُ حُجَّةً عَلَيهِ ووَبالاً، وإِن كانَ مُؤمِناً تَكونُ حِكمَتُهُ لَهُ نوراً وبُرهاناً وشِفاءً ورَحمَةً؛ فَيَعلَمَ ما لَم يَكُن يَعلَمُ ويُبصِرَ ما لَم يَكُن يُبصِرُ، فَأَوَّلُ ما أُبَصِّرُهُ عُيوبَ نَفسِهِ حَتّىٰ يُشغَلَ بِها عَن عُيوبِ غَيرِهِ، وأُبَصِّرُهُ دَقائِقَ العِلمِ حَتّىٰ لا يَدخُلَ عَلَيهِ الشَّيطانُ.[٤]

---

١. إرشاد القلوب: ص ١٩١ عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٨٧ ص ١٦١ ح ٥٢.

٢. التوحيد: ص ٢٤١ ح ١، معاني الأخبار: ص ٤١ ح ١ كلاهما عن يزيد بن الحسن عن الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٨٤ ص ١٣٤ ح ٢٤.

٣. في المصدر: «ميزات»، والتصويب من بحار الأنوار.

٤. إرشاد القلوب: ص ٢٠٠ وص ٢٠٣ وص ٢٠٥، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٢١ ح ٦.

٦ / ٤
محبّة الله

٣٦٥١. رسول الله ﷺ: المَحَبَّةُ أساسُ المَعرِفَةِ.[١]

٣٦٥٢. الإمام عليّ ﷺ - في ذِكرِ حَديثِ مِعراجِ النَّبِيِّ ﷺ -: قالَ اللهُ تَعالىٰ: ... أمَّا الحَياةُ الباقِيَةُ، فَهِيَ الَّتي يَعمَلُ لِنَفسِهِ حَتّىٰ تَهونَ عَلَيهِ الدُّنيا، وتَصغُرَ في عَينَيهِ، وتَعظُمَ الآخِرَةُ عِندَهُ... فَإِذا فَعَلَ ذٰلِكَ أسكَنتُ في قَلبِهِ حُبّاً حَتّىٰ أجعَلَ قَلبَهُ لي، وفَراغَهُ وَاشتِغالَهُ وهَمَّهُ وحَديثَهُ مِنَ النِّعمَةِ الَّتي أنعَمتُ بِها عَلىٰ أهلِ مَحَبَّتي مِن خَلقي، وأفتَحَ عَينَ قَلبِهِ وسَمعِهِ حَتّىٰ يَسمَعَ بِقَلبِهِ، ويَنظُرَ بِقَلبِهِ إلَىٰ جَلالي وعَظَمَتي.[٢]

٣٦٥٣. عنه ﷺ - فِي الحِكَمِ المَنسوبَةِ إلَيهِ -: مَنِ اشتاقَ خَدَمَ، ومَن خَدَمَ اتَّصَلَ، ومَنِ اتَّصَلَ وَصَلَ، ومَن وَصَلَ عَرَفَ.[٣]

٣٦٥٤. الإمام زين العابدين ﷺ: إلٰهي فَاجعَلنا مِنَ الَّذينَ تَوَشَّحَت أشجارُ الشَّوقِ إلَيكَ في حَدائِقِ صُدورِهِم... وقَرَّت بِالنَّظَرِ إلىٰ مَحبوبِهِم أعيُنُهُم.[٤]

٣٦٥٥. الإمام الصّادق ﷺ: وَهَبَ [اللهُ] لِأَهلِ مَحَبَّتِهِ القُوَّةَ عَلىٰ مَعرِفَتِهِ، ووَضَعَ عَنهُم ثِقلَ العَمَلِ بِحَقيقَةِ ما هُم أهلُهُ.[٥]

٣٦٥٦. مختصر بصائر الدرجات عن يونس بن ظبيان عن الصادق ﷺ: إنَّما أُولُو الأَلبابِ الَّذينَ عَمِلوا بِالفِكرَةِ حَتّىٰ وَرِثوا مِنهُ حُبَّ اللهِ؛ فَإِنَّ حُبَّ اللهِ إذا وَرِثَهُ القَلبُ استَضاءَ وأَسرَعَ

---

١. المواعظ العددية: ص ١٤٤.

٢. إرشاد القلوب: ص ١٩٩ وص ٢٠٤ عن الإمام عليّ ﷺ، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٢٨ ح ٦.

٣. شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٣٤٢ ح ٩٢٣.

٤. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٥٠.

٥. الكافي: ج ١ ص ١٥٣ ح ٢، التوحيد: ص ٣٥٤ ح ١، بحار الأنوار: ج ٥ ص ١٥٦ ح ٨.

إِلَيهِ اللُّطفُ، فَإِذا نَزَلَ مَنزِلَةَ اللُّطفِ صارَ مِن أَهلِ الفَوائِدِ، [فَإِذا صارَ مِن أَهلِ الفَوائِدِ][١] تَكَلَّمَ بِالحِكمَةِ، فَإِذا تَكَلَّمَ بِالحِكمَةِ صارَ صاحِبَ فِطنَةٍ، فَإِذا نَزَلَ مَنزِلَةَ الفِطنَةِ عَمِلَ بِها فِي القُدرَةِ، فَإِذا عَمِلَ بِها فِي القُدرَةِ عَرَفَ الأَطباقَ السَّبعَةَ، فَإِذا بَلَغَ إِلىٰ هٰذِهِ المَنزِلَةِ صارَ يَتَقَلَّبُ فِكرُهُ بِلُطفٍ وحِكمَةٍ وبَيانٍ، فَإِذا بَلَغَ هٰذِهِ المَنزِلَةَ جَعَلَ شَهوَتَهُ ومَحَبَّتَهُ في خالِقِهِ، فَإِذا فَعَلَ ذٰلِكَ نَزَلَ المَنزِلَةَ الكُبرىٰ، فَعايَنَ رَبَّهُ في قَلبِهِ، ووَرِثَ الحِكمَةَ بِغَيرِ ما وَرِثَهُ الحُكَماءُ، ووَرِثَ العِلمَ بِغَيرِ ما وَرِثَهُ العُلَماءُ، ووَرِثَ الصِّدقَ بِغَيرِ ما وَرِثَهُ الصِّدّيقونَ. إِنَّ الحُكَماءَ وَرِثُوا الحِكمَةَ بِالصَّمتِ، وإِنَّ العُلَماءَ وَرِثُوا العِلمَ بِالطَّلَبِ، وإِنَّ الصِّدّيقينَ وَرِثُوا الصِّدقَ بِالخُشوعِ وطولِ العِبادَةِ، فَمَن أَخَذَ بِهٰذِهِ الصِّفَةِ إِمّا أَن يُسفَلَ أَو يُرفَعَ، وأَكثَرُهُم يُسفَلُ ولا يُرفَعُ إِذا لَم يَرعَ حَقَّ اللهِ ولَم يَعمَل بِما أَمَرَ بِهِ فَهٰذِهِ مَنزِلَةُ مَن لَم يَعرِفهُ حَقَّ مَعرِفَتِهِ، ولَم يُحِبَّهُ حَقَّ مَحَبَّتِهِ، فَلا تَغُرَّنَّكَ صَلاتُهُم وصِيامُهُم ورِواياتُهُم وكَلامُهُم وعُلومُهُم؛ فَإِنَّهُم حُمُرٌ مُستَنفِرَةٌ.

ثُمَّ قالَ: يا يونُسُ، إِذا أَرَدتَ العِلمَ الصَّحيحَ فَعِندَنا أَهلَ البَيتِ؛ فَإِنّا وَرِثناهُ، وأوتينا شَرعَ الحِكمَةِ وفَصلَ الخِطابِ.[٢]

٣٦٥٧. حلية الأولياء عن إبراهيم بن أدهم: إِنَّ اللهَ تَعالىٰ أَوحىٰ إِلىٰ يَحيَى بنِ زَكَرِيّا عليه السلام: يا يَحيىٰ إِنّي قَضَيتُ عَلىٰ نَفسي أَلّا يُحِبَّني عَبدٌ مِن عِبادي أَعلَمُ ذٰلِكَ مِنهُ إِلّا كُنتُ سَمعَهُ الَّذي يَسمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ بِهِ، ولِسانَهُ الَّذي يَتَكَلَّمُ بِهِ، وقَلبَهُ الَّذي يَفهَمُ بِهِ، فَإِذا كانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ بَغَّضتُ إِلَيهِ الاشتِغالَ بِغَيري، وأَدَمتُ فِكرَتَهُ، وأَسهَرتُ لَيلَهُ، وأَظمَأتُ نَهارَهُ.

---

١. ما بين المعقوفين سقط من المصدر، وأثبتناه من كفاية الأثر و بحار الأنوار إذ لا يصحّ السياق بدونه.

٢. مختصر بصائر الدرجات: ص ١٢٢، كفاية الأثر: ص ٢٥٧ (وقد وقع تصحيف في رقم الصفحة فطبعت ٢٥٣) نحوه وكلاهما عن يونس بن ظبيان، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٥ ح ٢٦.

يا يَحيىٰ، أنا جَليسُ قَلبِهِ وغايَةُ أُمنِيَّتِهِ وأَمَلِهِ، أهَبُ لَهُ كُلَّ يَومٍ وساعَةٍ؛ فَيَتَقَرَّبُ مِنّي وأَتَقَرَّبُ مِنهُ، أَسمَعُ كَلامَهُ وأُجيبُ تَضَرُّعَهُ، فَوَعِزَّتي وجَلالي لَأَبعَثَنَّهُ مَبعَثاً يَغبِطُهُ بِهِ النَّبِيّونَ وَالمُرسَلونَ، ثُمَّ آمُرُ مُنادِياً يُنادي: هٰذا فُلانُ بنُ فُلانٍ، وَلِيُّ اللهِ وصَفِيُّهُ، وخِيَرَتُهُ مِن خَلقِهِ، دَعاهُ إلىٰ زِيارَتِهِ لِيَشفِيَ صَدرَهُ مِنَ النَّظَرِ إلىٰ وَجهِهِ الكَريمِ.[1]

٣٦٥٨. المحجّة البيضاء: في أَخبارِ داوودَ عليه السلام: إنَّ اللهَ عزّ وجلّ أوحىٰ إلَيهِ: ... يا داوودُ، إنّي خَلَقتُ قُلوبَ المُشتاقينَ مِن رِضواني، ونَعَّمتُها بِنُورِ وَجهي...

فَقالَ داوودُ: يا رَبِّ، بِمَ نالوا مِنكَ هٰذا؟

قالَ: بِحُسنِ الظَّنِّ، وَالكَفِّ عَنِ الدُّنيا وأَهلِها، وَالخَلَواتِ بي ومُناجاتِهِم لي، وإنَّ هٰذا مَنزِلٌ لا يَنالُهُ إلّا مَن رَفَضَ الدُّنيا وأَهلَها، ولَم يَشتَغِل بِشَيءٍ مِن ذِكرِها، وفَرَّغَ قَلبَهُ لي، وَاختارَني عَلىٰ جَميعِ خَلقي، فَعِندَ ذٰلِكَ أَعطِفُ عَلَيهِ، فَأُفَرِّغُ نَفسَهُ لَهُ، وأَكشِفُ الحِجابَ فيما بَيني وبَينَهُ، حَتّىٰ يَنظُرَ إلَيَّ نَظَرَ النّاظِرِ بِعَينِهِ إلَى الشَّيءِ.[2]

راجع: المحبّة في الكتاب والسنّة: (القسم الثاني / الفصل السابع / لقاء الله).

تعليق:

إنّ حبّ الله سبحانه أَحد الطرق إلىٰ بلوغ كمال معرفته، كما جاء في أَحاديث هذا الفصل، من جهة أُخرىٰ نقرأ في الفصل السابع أنّ أَوّل أَثر لمعرفة الله ـ جلّ شأنه ـ هو حبّه، فكيف يمكن أن يكون حبّ الله طريقاً لبلوغ معرفته، ونتيجةً ومحصّلةً لذلك في آنٍ واحدٍ؟

---

١. حلية الأولياء: ج ١٠ ص ٨٢.

٢. احياء علوم الدين: ج ٤ ص ٤٧٠ و ٤٧١؛ المحجّة البيضاء: ج ٨ ص ٥٩ و ٦٠.

الجواب هو أنّه لا مِراءَ في أنّ حبّه تعالىٰ ثمرة لمعرفته؛ لأنّ الإنسان لا يمكن أن يُحبّ من لا يعرفه، لكنّ حبّ الله بدوره مقدّمة لنيل درجات أعلىٰ من معرفة الله.

بتعبير آخر: كلّ درجة من المعرفة ممهّدة لحبّ أكثر، وكلّ درجة من الحبّ مقدّمة لمعرفةٍ أوفر، حتّى يظفر السالك بأعلىٰ درجات المعرفة الشهوديّة، وهذا هو معنىٰ «المحبّة أساس المعرفة».

٦ / ٥
الانقطاع إلى الله

٣٦٥٩. رسول الله ﷺ ـ في الدُّعاءِ ـ: إلٰهي مَن ذَا الَّذي انقَطَعَ إلَيكَ فَلَم تَصِلهُ؟![1]

٣٦٦٠. عنه ﷺ: إنَّ العَبدَ... إذا تَوَجَّهَ إلىٰ مُصَلّاهُ لِيُصَلِّيَ، قالَ اللهُ ﷻ لِمَلائِكَتِهِ: يا مَلائِكَتي أما تَرَونَ هٰذا عَبدي كَيفَ قَدِ انقَطَعَ عَن جَميعِ الخَلائِقِ إلَيَّ، وأمَّلَ رَحمَتي وجودي ورَأفَتي؟ أُشهِدُكم أنّي أختَصُّهُ بِرَحمَتي وكَراماتي.[2]

٣٦٦١. الإمام عليّ ؑ ـ من مُناجاتِهِ في شَهرِ شَعبانَ ـ: إلٰهي هَب لي كَمالَ الانقِطاعِ إلَيكَ، وأنِر أبصارَ قُلوبِنا بِضِياءِ نَظَرِها إلَيكَ، حَتّىٰ تَخرِقَ أبصارُ القُلوبِ حُجُبَ النُّورِ، فَتَصِلَ إلىٰ مَعدِنِ العَظَمَةِ، وتَصيرَ أرواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدسِكَ.[3]

٣٦٦٢. عنه ؑ: الوُصلَةُ بِاللهِ فِي الانقِطاعِ عَنِ النّاسِ.[4]

٣٦٦٣. عنه ؑ: لَن تَتَّصِلَ بِالخالِقِ حَتّىٰ تَنقَطِعَ عَنِ الخَلقِ.[5]

---

١. بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ٣٤٢ ح ٥٤ نقلاً عن اختيار ابن الباقي.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ؑ: ص ٥٢١ و ٥٢٢، بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ٢٢١ ح ٤٢.

٣. الإقبال: ج ٣ ص ٢٩٩، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٩٩ ح ١٣ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي وكلاهما عن ابن خالويه.

٤. غرر الحكم: ح ١٧٥٠.

٥. غرر الحكم: ح ٧٤٢٩، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٠٧ ح ٦٨٩٩ نحوه.

٣٦٦٤ . الإمام زين العابدين عليه السلام ـ مِن دُعائِهِ يَومَ الجُمُعَةِ ـ: اللّهُمَّ وجَدِّد لي وُصلَةَ الانقِطاعِ إلَيكَ، وَاصدُد قُوَى سَبَبي عَن سِواكَ، حَتّىٰ أفِرَّ عَن مَصارِعِ الهَلَكاتِ إلَيكَ، وأَحُثَّ الرِّحلَةَ إلىٰ إيثارِكَ بِاستِظهارِ اليَقينِ فيكَ؛ فَإِنَّهُ لا عُذرَ لِمَن جَهِلَكَ بَعدَ استِعلاءِ الثَّناءِ عَلَيكَ، ولا حُجَّةَ لِمَنِ اختَزَلَ عَن طَريقِ العِلمِ بِكَ مَعَ إزاحَةِ اليَقينِ مَواقِعَ الشَّكِّ فيكَ، ولا يَبلُغُ إلىٰ فَضائِلِ القِسَمِ إلّا بِتَأييدِكَ وتَسديدِكَ، فَتَوَلَّني بِتَأييدٍ مِن عَونِكَ، وكافِني عَلَيهِ بِجَزيلِ عَطائِكَ.[1]

٦ / ٦
وِلايَةُ أهلِ البَيتِ

٣٦٦٥ . رسول الله صلى الله عليه وآله: نَحنُ الوَسيلَةُ إلَى اللهِ، وَالوُصلَةُ إلىٰ رِضوانِ اللهِ، ولَنا العِصمَةُ وَالخِلافَةُ وَالهِدايَةُ، و فينَا النُّبُوَّةُ وَالوِلايَةُ وَالإِمامَةُ، ونَحنُ مَعدِنُ الحِكمَةِ و بابُ الرَّحمَةِ وشَجَرَةُ العِصمَةِ، ونَحنُ كَلِمَةُ التَّقوىٰ وَالمَثَلُ الأَعلىٰ وَالحُجَّةُ العُظمىٰ وَالعُروَةُ الوُثقىٰ الَّتي مَن تَمَسَّكَ بِها نَجا.[2]

٣٦٦٦ . الإمام عليّ عليه السلام: تَقَرَّبوا إلَى اللهِ بِتَوحيدِهِ وطاعَةِ مَن أمَرَكُم أن تُطيعوهُ، ولا تُمسِكوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ[3].[4]

---

١ . مصباح المتهجّد: ص ٣٩٦ ح ٥١٩، جمال الأُسبوع: ص ٢٨٥ كلاهما عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام، البلد الأمين: ص ٧٧، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ٧٩ ح ٢.

٢ . بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٣ ح ٣٨ نقلاً عن رياض الجنان عن جابر بن عبد الله.

٣ . العِصَمُ: جمعُ عِصمَة؛ وهي المَنَعَة. والكوافِرُ: النساء الكَفَرة؛ أي عقد نكاحهنّ (النهاية: ج ٣ ص ٢٤٩) وهو كناية عن كلّ ما يلزم الإنسان من عقد وغيره تجاه الكافر وتجاه من لا يرضاه الله.

٤ . مصباح المتهجّد: ص ٧٥٦ ح ٨٤٣، مصباح الزائر: ص ١٥٨، الإقبال: ج ٢ ص ٢٥٨ كلّها عن الفيّاض بن محمّد بن عمر عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ١١٦ ح ٨.

٣٦٦٧. عنه ﷺ: نَحنُ الأَعرافُ الَّذي لا يُعرَفُ اللهُ ﷻ إلّا بِسَبيلِ مَعرِفَتِنا... إنّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ لَو شاءَ لَعَرَّفَ العِبادَ نَفسَهُ، ولٰكِن جَعَلَنا أبوابَهُ وصِراطَهُ وسَبيلَهُ وَالوَجهَ الَّذي يُؤتىٰ مِنهُ، فَمَن عَدَلَ عَن وِلايَتِنا أو فَضَّلَ عَلَينا غَيرَنا فَإِنَّهُم عَنِ الصِّراطِ لَناكِبونَ[1]. فَلا سَواءٌ مَنِ اعتَصَمَ النّاسُ بِهِ ولا سَواءٌ، حَيثُ ذَهَبَ النّاسُ إلىٰ عُيونٍ كَدِرَةٍ يَفرَغُ بَعضُها في بَعضٍ، و ذَهَبَ مَن ذَهَبَ إلَينا إلىٰ عُيونٍ صافِيَةٍ تَجري بِأَمرِ رَبِّها، لا نَفادَ لَها ولَا انقِطاعَ.[2]

٣٦٦٨. الإمام الباقر ﷺ ـ في وَصفِ الأَئِمَّةِ ﷺ ـ: هُمُ الصِّراطُ المُستَقيمُ، هُمُ السَّبيلُ الأَقوَمُ... أَمنٌ لِمَنِ التَجَأَ إلَيهِمُ، وأَمانٌ لِمَن تَمَسَّكَ بِهِم، إلَى اللهِ يَدعونَ.[3]

٣٦٦٩. الامام الصادق ﷺ: إذا نَظَرتَ إلَى السَّماءِ فَقُل: سُبحانَ مَن جَعَلَ فِي السَّماءِ بُروجاً، وجَعَلَ فيها سِراجاً وقَمَراً مُنيراً، وجَعَلَ لَنا نُجوماً قِبلَةً نَهتَدي بِها إلَى التَّوَجُّهِ إلَيهِ في ظُلُماتِ البَرِّ وَالبَحرِ، اللّهُمَّ كَما هَدَيتَنا إلَى التَّوَجُّهِ إلَيكَ إلىٰ[4] قِبلَتِكَ المَنصوبَةِ لِخَلقِكَ، فَاهدِنا إلىٰ نُجومِكَ الَّتي جَعَلتَها أماناً لِأَهلِ الأَرضِ ولِأَهلِ السَّماءِ حَتّىٰ نَتَوَجَّهَ بِهِم إلَيكَ، فَلا يَتَوَجَّهُ المُتَوَجِّهونَ إلَيكَ إلّا بِهِم، ولا يَسلُكُ الطَّريقَ إلَيكَ مَن سَلَكَ مِن غَيرِهِم، ولا لَزِمَ المَحَجَّةَ مَن لَم يَلزَمهُم، اِستَمسَكتُ بِعُروَةِ اللهِ الوُثقىٰ، وَاعتَصَمتُ بِحَبلِ اللهِ المَتينِ.[5]

---

١. إشارة إلى الآية ٧٤ من سورة «المؤمنون».

٢. الكافي: ج ١ ص ١٨٤ ح ٩، مختصر بصائر الدرجات: ص ٥٥، بصائر الدرجات: ص ٤٩٧ ح ٨ وليس فيهما صدره إلى «معرفتنا» وكلّها عن مقرن عن الإمام الصادق ﷺ، تفسير فرات: ص ١٤٣ ح ١٧٤، الاحتجاج: ج ١ ص ٥٤١ ح ١٢٩، تأويل الآيات الظاهرة: ج ١ ص ٨٦ ح ٧١ وفيهما صدره إلى «لناكبون» وكلّها عن الأصبغ بن نباتة نحوه، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٢٤٩ ح ٢.

٣. اليقين: ص ٣١٩، تفسير فرات: ص ٣٩٦ ح ٥٢٧ كلاهما عن زياد بن المنذر، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٢٤٦ ح ١٦.

٤. في بحار الأنوار: «وإلى».

٥. الأُصول الستّة عشر: ص ٥٦ عن زيد النرسي، بحار الأنوار: ج ٨٧ ص ١٨٦ ح ١.

٣٦٧٠. عنه ﷺ ـ في كِتابِهِ إلَى المُفَضَّلِ ـ: ... وَاللهُ ـ تَبارَكَ و تَعالىٰ ـ إنَّما أَحَبَّ أن يُعرَفَ بِالرِّجالِ وأن يُطاعَ بِطاعَتِهِم، فَجَعَلَهُم سَبيلَهُ و وَجهَهُ الَّذي يُؤتىٰ مِنهُ، لا يَقبَلُ مِنَ العِبادِ غَيرَ ذٰلِكَ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[١].[٢]

٣٦٧١. الإمام الرضا ﷺ: مَن سَرَّهُ أن يَنظُرَ إلَى اللهِ بِغَيرِ حِجابٍ، ويَنظُرَ اللهُ إلَيهِ بِغَيرِ حِجابٍ فَليَتَوَلَّ آلَ مُحَمَّدٍ، وَليَتَبَرَّأ مِن عَدُوِّهِم، وليَأتَمَّ بِإِمامِ المُؤمِنينَ مِنهُم؛ فَإِنَّهُ إذا كانَ يَومُ القِيامَةِ نَظَرَ اللهُ إلَيهِ بِغَيرِ حِجابٍ، ونَظَرَ إلَى اللهِ بِغَيرِ حِجابٍ.[٣]

٣٦٧٢. الإمام الهادي ﷺ ـ فِي الزِّيارَةِ الجامِعَةِ الكَبيرَةِ ـ: مَن أرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُم، ومَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم، ومَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم[٤].

راجع: ص ٤٠ (أهل البيت).

٦ / ٧
الاِستِعانَةُ مِنَ اللهِ

٣٦٧٣. الإمام عليّ ﷺ ـ مِن مُناجاتِهِ في شَهرِ شَعبانَ ـ: إلٰهي وأَلحِقني بِنورِ عِزِّكَ الأَبهَجِ؛ فَأَكونَ لَكَ عارِفاً وعَن سِواكَ مُنحَرِفاً، ومِنكَ خائِفاً مُراقِباً، يا ذَا الجَلالِ وَالإِكرامِ.[٥]

---

١. الأنبياء: ٢٣.

٢. مختصر بصائر الدرجات: ص ٨٣، بصائر الدرجات: ص ٥٣١ ح ١ كلاهما عن المفضّل بن عمر، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٢٩٢ ح ١.

٣. المحاسن: ج ١ ص ١٣٣ ح ١٦٥ عن بكر بن صالح، بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٩٠ ح ٤٢ وراجع: قرب الإسناد: ص ٣٥١ ح ١٢٦٠ والأُصول الستّة عشر: ص ٦٠.

٤. كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦١٥ ح ٣٢١٣، تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٩٩ كلاهما عن موسىٰ بن عبدالله النخعي، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٢٧٦، المزار الكبير: ص ٥٣٢ كلاهما عن موسىٰ بن عمران النخعي، بحار الأنوار: ج ١٠٢ ح ١٣١.

٥. الإقبال: ج ٣ ص ٢٩٩، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٩٩ ح ١٣ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي وفيه «أتحفني» بدل «ألحقني» وكلاهما عن ابن خالويه.

٣٦٧٤. عنه ﷺ ـ مِن دُعاءٍ عَلَّمَهُ نَوفاً البَكالِيَّ ـ: أسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي ظَهَرتَ بِهِ لِخاصَّةِ أَولِيائِكَ، فَوَحَّدوكَ وعَرَفوكَ فَعَبَدوكَ بِحَقيقَتِكَ، أن تُعَرِّفَني نَفسَكَ لِأُقِرَّ لَكَ بِرُبوبِيَّتِكَ عَلىٰ حَقيقَةِ الإِيمانِ بِكَ، ولا تَجعَلَني يا إلٰهي مِمَّن يَعبُدُ الاِسمَ دونَ المَعنىٰ، وَالحَظني بِلَحظَةٍ مِن لَحَظاتِكَ تُنَوِّرُ بِها قَلبي بِمَعرِفَتِكَ خاصَّةً ومَعرِفَةِ أَولِيائِكَ، إنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.[1]

٣٦٧٥. الإمام الحسين ﷺ ـ مِن دُعائِهِ يَومَ عَرَفَةَ ـ: إلٰهي تَرَدُّدي فِي الآثارِ يوجِبُ بُعدَ المَزارِ، فَاجمَعني عَلَيكَ بِخِدمَةٍ توصِلُني إلَيكَ. كَيفَ يُستَدَلُّ عَلَيكَ بِما هُوَ في وُجودِهِ مُفتَقِرٌ إلَيكَ؟ أيَكونُ لِغَيرِكَ مِنَ الظُّهورِ ما لَيسَ لَكَ حَتّىٰ يَكونَ هُوَ المُظهِرُ لَكَ! مَتىٰ غِبتَ حَتّىٰ تَحتاجَ إلىٰ دَليلٍ يَدُلُّ عَلَيكَ!... وبِكَ أَستَدِلُّ عَلَيكَ، فَاهدِني بِنورِكَ إلَيكَ.[2]

٣٦٧٦. الإمام زين العابدين ﷺ: اللّٰهُمَّ اجعَلني مِنَ الَّذينَ جَدّوا في قَصدِكَ فَلَم يَنكِلوا، وسَلَكُوا الطَّريقَ إلَيكَ فَلَم يَعدِلوا، وَاعتَمَدوا عَلَيكَ فِي الوُصولِ حَتّىٰ وَصَلوا.[3]

٣٦٧٧. عنه ﷺ: اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجعَلنا مِنَ الَّذينَ فَتَقتَ لَهُم رَتقَ عَظيمِ غَواشي جُفونِ حَدَقِ عُيونِ القُلوبِ، حَتّىٰ نَظَروا إلىٰ تَدبيرِ حِكمَتِكَ، وشَواهِدِ حُجَجِ بَيِّناتِكَ، فَعَرَفوكَ بِمَحصولِ فِطَنِ القُلوبِ، وأنتَ في غَوامِضِ سُتُراتِ حُجُبِ القُلوبِ.

فَسُبحانَكَ أيُّ عَينٍ تَقومُ بِها نُصبَ نورِكَ، أم تَرقىٰ إلىٰ نورِ ضِياءِ قُدسِكَ، أو أيُّ فَهمٍ يَفهَمُ ما دونَ ذٰلِكَ إلَّا الأَبصارَ الَّتي كَشَفتَ عَنها حُجُبَ العَمِيَّةِ، فَرَقَت أرواحُهُم عَلىٰ أجنِحَةِ المَلائِكَةِ، فَسَمّاهُم أهلُ المَلَكوتِ زُوّاراً، وأَسماهُم أهلُ الجَبَروتِ عُمّاراً،

---

١. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٩٦ ح ١٢ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي عن نوف البكالي.

٢. الإقبال (طبعة دار الكتب الإسلاميّة): ص ٣٤٨، بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٢٢٥.

٣. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٥٦ ح ٢٢ نقلاً عن أنيس العابدين.

فَتَرَدَّدوا في مَصافِّ المُسَبِّحينَ، وتَعَلَّقوا بِحِجابِ القُدرَةِ، وناجَوا رَبَّهُم عِندَ كُلِّ شَهوَةٍ، فَحَرَّقَت[1] قُلوبُهُم حُجُبَ النّورِ، حَتّىٰ نَظَروا بِعَينِ القُلوبِ إلىٰ عِزِّ الجَلالِ في عِظَمِ المَلَكوتِ، فَرَجَعَتِ القُلوبُ إلَى الصُّدورِ عَلَى النِّيّاتِ بِمَعرِفَةِ تَوحيدِكَ. فَلا إلٰهَ إلّا أنتَ، وَحدَكَ لا شَريكَ لَكَ، تَعالَيتَ عَمّا يَقولُ الظّالِمونَ عُلُوّاً كَبيراً.[2]

٣٦٧٨. عنه عليه السلام: لِقاؤُكَ قُرَّةُ عَيني، ووَصلُكَ مُنىٰ نَفسي، وإلَيكَ شَوقي، وفي مَحَبَّتِكَ وَلَهي، وإلىٰ هَواكَ صَبابَتي، وَرِضاكَ بُغيَتي، ورُؤيَتُكَ حاجَتي.[3]

٣٦٧٩. عنه عليه السلام: إلٰهي فَاجعَلنا مِمَّنِ اصطَفَيتَهُ لِقُربِكَ ووِلايَتِكَ، وأخلَصتَهُ لِوُدِّكَ ومَحَبَّتِكَ، وشَوَّقتَهُ إلىٰ لِقائِكَ، ورَضَّيتَهُ بِقَضائِكَ، ومَنَحتَهُ بِالنَّظَرِ إلىٰ وَجهِكَ... وخَصَصتَهُ بِمَعرِفَتِكَ... وامنُن بِالنَّظَرِ إلَيكَ عَلَيَّ.[4]

٣٦٨٠. عنه عليه السلام: أسأَلُكَ بِسُبُحاتِ[5] وَجهِكَ، وبِأَنوارِ قُدسِكَ، وأَبتَهِلُ إلَيكَ بِعَواطِفِ رَحمَتِكَ، ولَطائِفِ بِرِّكَ، أن تُحَقِّقَ ظَنّي بِما أُؤَمِّلُهُ مِن جَزيلِ إكرامِكَ، وجَميلِ إنعامِكَ، فِي القُربىٰ مِنكَ، وَالزُّلفىٰ لَدَيكَ، وَالتَّمَتُّعِ بِالنَّظَرِ إلَيكَ.[6]

٣٦٨١. عنه عليه السلام: إلٰهي فَاجعَلنا مِنَ الَّذينَ تَوَشَّحَت أشجارُ الشَّوقِ إلَيكَ في حَدائِقِ صُدورِهِم، وأَخَذَت لَوعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجامِعِ قُلوبِهِم، فَهُم إلىٰ أوكارِ الأَفكارِ يَأوونَ، وفي رِياضِ القُربِ وَالمُكاشَفَةِ يَرتَعونَ... قَد كُشِفَ الغِطاءُ عَن أبصارِهِم... وَانشَرَحَت

---

١. كذا في المصدر وهو تصحيف: «فخرقت».

٢. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٢٨ ح ١٩ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي.

٣. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٤٨.

٤. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٤٨.

٥. سُبُحات وجه ربّنا: جلاله و عظمته. وقيل: نورُه. والمراد بالوجه: الذات (مجمع البحرين: ج ١ ص ٨٠٧).

٦. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٤٥.

بِتَحقيقِ المَعرِفَةِ صُدورُهُم... وقَرَّت بِالنَّظَرِ إلىٰ مَحبوبِهِم أعيُنُهم... وَاجعَلنا مِن أَخَصِّ عارِفيكَ.[١]

٣٦٨٢. **الإمام الصادق ﷺ** ـ مِن دُعاءٍ عَلَّمَهُ زُرارَةَ ـ: اللّٰهُمَّ عَرِّفني نَفسَكَ؛ فَإِنَّكَ إن لَم تُعَرِّفني نَفسَكَ لَم أعرِف نَبِيَّكَ، اللّٰهُمَّ عَرِّفني رَسولَكَ؛ فَإِنَّكَ إن لَم تُعَرِّفني رَسولَكَ لَم أعرِف حُجَّتَكَ، اللّٰهُمَّ عَرِّفني حُجَّتَكَ؛ فَإِنَّكَ إن لَم تُعَرِّفني حُجَّتَكَ ضَلَلتُ عَن ديني.[٢]

٣٦٨٣. **الإمام الرضا ﷺ** ـ في تَفسيرِ قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٣] ـ: اِستِرشادٌ لِأَدبِهِ، وَاعتِصامٌ بِحَبلِهِ، وَاستِزادَةٌ فِي المَعرِفَةِ بِرَبِّهِ وبِعَظَمَتِهِ وبِكِبرِيائِهِ.[٤]

راجع: ص ٤٣٢ ح ٤٠٠٩.

---

١. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٥٠ نقلاً عن بعض كتب الأصحاب.

٢. الكافي: ج ١ ص ٣٣٧ ح ٥، الغيبة للطوسي: ص ٣٣٤ ح ٢٧٩، كمال الدين: ص ٣٤٢ ح ٢٤، الغيبة للنعماني: ص ١٦٦ ح ٦ كلّها عن زرارة، بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٣٢٦ ح ٢.

٣. الفاتحة: ٦.

٤. عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٠٧ ح ١، علل الشرائع: ص ٢٦٠ ح ٩ وفيه «معتصماً» بدل «اعتصام»، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣١٠ ح ٩٢٦ نحوه وكلّها عن الفضل بن شاذان، بحار الأنوار: ج ٨٥ ص ٥٤ ح ٤٦.

تحليل حول طرق الوصول إلى أسمى درجات معرفة الله

إنّ مامرّ من النصوص تحت عنوان «طرق الوصول إلىٰ أسمىٰ مراتب معرفة الله[1]» يعدّ من أَهمّ التعاليم في السير والسلوك إلىٰ الله وأَقومها وأَضمنها، وهو ما أُشير إِليه في النصوص الإسلاميّة، ولا يتسنّىٰ العبور من منازل السلوك وبلوغ ذروة اليقين والمعرفة الشهوديّة إلّا بالعمل بها، وعلىٰ هذا المنوال تبدأُ حركة الإنسان نحو الكمال المطلق حقّاً وموجز القول في بيان هذه الطرق، كما يلي:

أَوّلاً: ذكر الله

أَلا بذكر الله سبحانه تبدأُ أَوّل خطوة في السير والسلوك إلىٰ الله. قال الإمام أَميرالمؤمنين عليّ بن أَبي طالب عليه السلام عن تأثير ذكر الله في بناء الإنسان:

«أصلُ صَلاحِ القَلبِ اشتِغالُهُ بِذِكرِ اللهِ».[2]

إِنّ ذكر الله في الحقيقة مفتاح تزكية النفس، ذلك أَنّه يُفرغ المرء من بهيميّته ويطهّر قلبه من الرذائل الأَخلاقيّة، ويُعِدّه لتلقّي نور اليقين تدريجاً، وقد اهتمّت النّصوص الإسلاميّة بالتأثير المصيريّ الحاسم لذكر الله في بناء الإنسان مفصّلاً،

---

١. راجع: ص ٢٤٩.

٢. غرر الحكم: ح ٣٠٨٣.

نشير هنا ـ علىٰ سبيل المثال ـ إلىٰ ثلاثة أَقسام منها:

القسم الأوّل: الأَحاديث الَّتي تؤكّد تأثير الذكر في تهذيب القلب و وقـايتهِ مـن الأَمراض، كالذي نُقل عن الإمام أَميرالمؤمنين عليه السلام إذ قال:

«ذِكرُ اللهِ مَطرَدَةٌ لِلشَّيطانِ».[1]

«ذِكرُ اللهِ رَأسُ مالِ كُلِّ مُؤمِنٍ، ورِبحُهُ السَّلامَةُ مِنَ الشَّيطانِ».[2]

«ذِكرُ اللهِ دَواءُ أعلالِ النُّفوس».[3]

«يا مَنِ اسمُهُ دَواءٌ وذِكرُهُ شِفاءٌ».[4]

القسم الثاني: الأَحاديث التي ترىٰ أنّ ذكر الله تعالىٰ يُفضي إِلىٰ شـرح الصـدر وتنوير القلب والفكر، وبعث الحياة وإيجاد الحواسّ الباطنيّة، والنـضج والتكـامل المعنويّ ككلام الإمام أَميرالمؤمنين عليه السلام في هذا المجال:

«إنَّ اللهَ سُبحانَهُ وتَعالى جَعَلَ الذِّكرَ جلاءً لِلقُلوبِ، تَسمَعُ بِهِ بَعدَ الوَقرةِ، وتُبصِرُ بِهِ بَعدَ العِشوَةِ، وتَنقادُ بِهِ بَعدَ المُعانَدَةِ».[5]

وكلامه عليه السلام:

«دَوامُ الذِّكرِ يُنيرُ القَلبَ وَالفِكرَ».[6]

وكلامه عليه السلام:

«مُداوَمَةُ الذِّكرِ قوتُ الأَرواحِ ومِفتاحُ الصَّلاحِ».[7]

---

١. غرر الحكم: ح ٥١٦٢.

٢. غرر الحكم: ح ٥١٧١.

٣. غرر الحكم: ح ٥١٦٩.

٤. مصباح المتهجّد: ص ٣٦١.

٥. نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٢.

٦. غرر الحكم: ح ٥١٤٤.

٧. غرر الحكم: ح ٩٨٣٢.

القسم الثالث: الأَحاديث التي تنصّ علىٰ أنّ ثمرة ذكر الله هي معرفة الله، والأُنس به ومحبّته، كالمأثور عن النبيّ ﷺ، قال:

«مَن أكثَرَ ذِكرَ اللهِ ﷻ أَحَبَّهُ اللهُ».[1]

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«الذِّكرُ مِفتاحُ الأُنسِ».[2]

إنّ جميع الأَحاديث التي مرّت في الباب الأَوّل والثاني من هذا الفصل أيضاً، وفي هذا الضوء، ذكر الله في الخطوة الأُولىٰ من خطوات السلوك يصقل مرآة القلب من صدأ الأَخلاق الرديئة وسيّئات الأَعمال، وفي الخطوة الثانية يمهّد الأَرضية لانعكاس المعارف الشهوديّة فيه بعد تنويره، ومن ثَمّ الظفر بمعرفة الله ومحبّته.

وبالنظر إلىٰ عطيات ذكر الله وبركاته وتأثيره الهامّ في بناء الإنسان والمجتمع التوحيديّ، أَكّد القرآن الكريم والأَحاديث المأثورة كثرة الذكر، بل استمراره وديمومته مراراً، قال تعالىٰ:

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[3].

وقال سبحانه:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[4].

وقال جلّ شأنه:

---

١. الكافي: ج ٢ ص ٥٠٠ ح ٣ عن داوود بن سرحان عن الإمام الصادق عليه السلام، الزهد للحسين بن سعيد: ص ٥٥ ح ١٤٨ عن عبدالرحمٰن بن الحجّاج عن الإمام الصادق عليه السلام عنه ﷺ، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ١٦٠ ح ٣٩.

٢. غرر الحكم: ح ٥٤١.

٣. الأحزاب: ٤١.

٤. النساء: ١٠٣.

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[1].

وقال الإمام الصادقؑ:

«ما مِن شَيءٍ إلّا ولَهُ حَدٌّ يَنتَهي إلَيه، إلَّا الذِّكر فَلَيسَ لَهُ حَدٌّ يَنتَهي إلَيهِ... ثمّ تلا قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾»[2].

ومن الضروريّ الالتفات إلىٰ النقاط الآتية فيما يتعلّق بتأثير الذكر في بناء الإنسان:

١. استمرار الذكر وديمومته

إنّ ما يُفضي إلىٰ ظهور معطيات الذكر في تخلية القلب وتجليه وبلوغ المعرفة الشهوديّة هو استمرار الذكر وديمومته، كما صرّح به عدد من النصوص المتقدّمة، ولعلّ الخروج من الظلمات والدخول إلىٰ عالم النُّور في الآية الثانية والأربعين من سورة الأَحزاب بعد الأمر بكثرة الذكر يعود إلىٰ هذا السبب، قال تعالىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا * وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا * هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[3].

من هنا، فإنّ الذكر الذي لا ديمومة له ولا يتمكّن من القلب يتعذّر عليه أَن يقوم بدور في مسير المعرفة الشهوديّة.

لقد قدم الفقيه والمحدّث الكبير المرحوم الفيض الكاشانيّ‏ؒ خمسةً وعشرين تعليماً في رسالة «زاد السالك» أجاب فيها عن رسالة أَحد العلماء، وقد سأله عن

---

١. آل عمران: ١٩١.

٢. الكافي: ج ٢ ص ٤٩٨ ح ١ عن ابن القدّاح.

٣. الأحزاب: ٤١ـ٤٣.

كيفيّة سلوك طريق الحقّ، حيث قال في التعليم الثامن عشر:

إنّ الانشغال بقدرٍ من الأَذكار والأَوراد في أَوقات معيّنة، ولا سيّما بعد فريضة الصلاة، وترويض اللسان علىٰ ذكر الحقّ تعالىٰ في أَغلب الأَحيان ما أَمكن، ولو كانت الجوارح منهمكة بأُمور أُخرىٰ. فتلك سعادة نِعِمّا وأُثر عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّ لسانه كان مترطّباً بالكلمة الطيّبة المتمثّلة بالتهليل؛ قول: «لا إله إلّا الله»؛ وذلك عند أَكله، وكلامه، ومشيه، وما شابهها[1]. إذ إنّ هذا ممدّ لكلّ سالك وعون قويّ له، وإذا اقترن الذكر القلبيّ بالذكر اللسانيّ، فستفتح له الأَبواب وتُقبل عليه البركات خلال مدّة قليلة، وعليه أن يسعىٰ في ذكر الحقّ دوماً وأَبداً ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً؛ لئلّا يغفل عن الله سبحانه، إذ إنّ أيّ عمل لا يقوم مقام الذكر الدائم في السلوك، وهذا مدد قويّ في ترك مخالفة الحقّ سبحانه في ارتكاب المعاصي[2].

٢. أَتمّ مصاديق الذِّكر

الصلاة أَتمّ مصاديق الذِّكر، والآية الكريمة ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾[3] تشير إلىٰ هذه النقطة الدَّقيقة، وإذا أُقيمت الصلاة بآدابها وشروطها بخاصّة حضور القلب، فإنّها في الخطوة الأُولىٰ تُبعد جميع الرذائل والأَدناس عن الإنسان، وتجعله متّصفاً بصفة التقوىٰ.

وفي الخطوة الثانية، توصل السالك إلىٰ بساط المعرفة الشهوديّة والقرب وحبّ

---

١. ومتن الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، كما يأتي: «كان أبي كثير الذكر. لقد كنتُ أمشي معه وإنّه ليذكر الله، وآكل معه الطعام وإنّه ليذكر الله. ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله. وكنتُ أرىٰ لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلّا الله». الكافي: ج ٢ ص ٤٩٨.

٢. دهْ رساله (بالفارسية) للفيض الكاشانيّ، إعداد: رسول جعفريّان: ص ٨٦.

٣. طه: ١٤.

الله، كمّا أنّ رسول الله ﷺ عدّ «نور المعرفة»[1] من بركات الصلاة، وشبّهها الإمـام عليّ عليه السلام بمعراج الروح إلىٰ «الوصول إلىٰ الله»[2] وزيارته.

٣. حقيقة الذِّكر

النقطة الأُخرىٰ هي أنّ حقيقة الذِّكر، هي الشعور بالحضور في رحاب الله ـ جـلّ جلاله ـ، من هنا فإنّ الذكر اللفظيّ بلا توجّه قلبيّ لا يؤثّر في تنوير القلب تأثيراً يُذكَر. وآية التوجّه القلبيّ إلىٰ خالق الكون الشعور بالمسؤوليّة في جميع المجالات، والذِّكر بهذا المعنىٰ بخاصّة استمراره وديمومته صعب مستصعب، كما قال الإمـام الصادق عليه السلام لأَحد أَصحابه:

«ألا أُخبِرُكَ بِأَشَدِّ ما فَرَضَ اللهُ عزّ وجلّ عَلىٰ خَلقِهِ [ثلاث]؟ قُلتُ: بَـلىٰ. قـالَ: إنـصافُ النّاسِ مِن نَفسِكَ، ومُؤاساتُكَ أخاكَ، وذِكرُ اللهِ في كُلِّ مَوطِنٍ. أمـا إنّـي لا أقـولُ: سُبحانَ اللهِ، وَالحَمدُ للهِ، ولا إلٰهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبَرُ، وإن كانَ هٰذا مِن ذاكَ، ولٰكِن ذِكرُ اللهِ ـ جَلَّ وعَزَّ ـ في كُلِّ مَوطِنٍ إذا هَجَمتَ عَلىٰ طاعَةٍ أو عَلىٰ مَعصِيَةٍ»[3].

٤. شرط الانتفاع بالذِّكر

إنّ من الشروط المهمّة لقبول الصلاة والاستمتاع ببركاتها التي أَكّـدتها النـصوص الإسلاميّة هي الزكاة، من هنا يدعو القرآن الكريم النَّاس إلىٰ إيتاء الزكاة مع إقامة الصلاة، لقد قال الإمام الرضا عليه السلام في هذا الشأن:

---

١. راجع: ص ٢٥٠ ح ٣٦٤٧.

٢. راجع: ص ٢٥١ ح ٣٦٤٩.

٣. الكافي: ج ٢ ص ١٤٥ ح ٨ عن الحسن البزّاز.

«إنَّ اللهَ ﷻ أمَرَ بِثَلاثَةٍ مَقرونٍ بِها ثَلاثَةٌ أُخرىٰ: أمَرَ بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ، فَمَن صَلّىٰ ولم يُزَكِّ لَم تُقبَل مِنهُ صَلاتُهُ...»[1].

وبلغ إيتاء الزكاة من التأثير في الإفادة من معطيات الصلاة مبلغاً أنّ الإمام الصادق ﷺ قال فيه:

«لاصَلاةَ لِمَن لا زَكاةَ لَهُ»[2].

ومن الحريّ بالذكر أَنّ الزكاة في مفهومها العام تشمل مطلق الحقوق الماليّة الواجبة والمستحبّة، لذلك حينما سئل الإمام الصادق ﷺ: في كم تجب الزكاة من المال؟ قال:

«الزَّكاةُ الظّاهِرَةَ أمِ الباطِنَةَ تُريدُ؟» قالَ: أُريدُهُما جَميعاً، فَقالَ:

«أمّا الظّاهِرَةُ فَفي كُلِّ ألفٍ خَمسَةٌ وعشرونَ دِرهماً، وأمّا الباطِنَةُ فَلا تَستَأثِر عَلىٰ أخيكَ بِما هُوَ أحوَجُ إلَيهِ[3] مِنكَ»[4].

من هنا، يتسنّىٰ لنا أن نقول: إنّ مطلق الإحسان إلىٰ النّاس، وحلّ معضلاتهم لوجه الله تعالىٰ شرط للانتفاع التام ببركات مطلق الذكر، وعلىٰ رأسها الصلاة.

ثانياً: رعاية آداب الطعام

لقد أَشرنا إلىٰ أَنّ ذكر الله ﷻ غذاء الروح، وكلّما ازداد هذا الغذاء فيها زادت قوّتها، وعظم صفاء القلب ونورانيّته، وعلىٰ العكس من ذلك الأَغذية المادّيّة، فكلّما أَكثر الإنسان منها تضاعف ضررها علىٰ جسمه وروحه، والاكتفاء بالمقدار الضروريّ

---

١. بحارالأنوار: ج ٩٦ ص ١٢ ح ١٧.

٢. مشكاة الأنوار: ص ٩٦ ح ٢١٢.

٣. في المصدر: «إليك»، وهو تصحيف.

٤. معاني الأخبار: ص ١٥٣ ح ١ عن المفضّل بن عمر.

من الزاد يضمن صحّة الإنسان جسماً وروحاً.

ويمكن أَن نقسّم الأَحاديث المأثورة عن تأثير الأَكل علىٰ السير والسلوك والمعرفة إِلىٰ أَربعة أَقسام:

١. الطّعام الحلال وصفاء القلب

القسم الأَوّل: الأَحاديث التي تنصّ علىٰ أَنّ تناول الغذاء الحلال يُفضي إِلىٰ صفاء القلب واستنارته، كما رُوي عن رسول الله ﷺ:

«مَن أكَلَ مِنَ الحَلالِ صَفا قَلبُهُ ورَقَّ»[١].

«مَن أكَلَ الحَلالَ أربَعينَ يَوماً، نَوَّرَ اللهُ قَلبَهُ، وأَجرىٰ يَنابيعَ الحِكمَةِ مِن قَلبِهِ عَلىٰ لِسانِهِ»[٢].

٢. قلّة الطعام وتنوير القلب

القسم الثاني: الأَحاديث التي تذهب إِلىٰ أَنّ قلّة الطعام والجوع باعثان علىٰ تنوير القلب، كالذي أُثر عن رسول الله ﷺ. قال:

«إذا أقَلَّ الرَّجُلُ الطُّعمَ مُلِئَ جَوفُهُ نوراً»[٣].

وقال:

«نورُ الحِكمَةِ الجوعُ»[٤].

---

١. مجمع البحرين: ج ١ ص ٤٤٧.

٢. إحياء علوم الدين: ج ٢ ص ١٣٤؛ المُغني عن حمل الأسفار ج ١ ص ٤٣٥ ح ١٦٥٢؛ عدّة الداعي: ص ١٤٠ وليس فيه ذيله.

٣. الفردوس: ج ١ ص ٢٩٠ ح ١١٣٨ عن أبي هريرة، وراجع المعجم الأوسط: ج ٥ ص ٢٢٩ ح ٥١٦٥ و تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ٢٢٩ والدعوات: ص ٧٧ ح ١٨٧.

٤. تاريخ دمشق: ج ١٩ ص ٤٤٧ ح ٤٥٤٦، الفردوس: ج ٤ ص ٢٤٧ ح ٦٧٣٠ كلاهما عن أبي هريرة، إحياء علوم

٣. تأثير الصِّيام في المعرفة الشهوديّة

القسم الثالث: الأَحاديث التي ترىٰ أنّ الصِّيام سبب في وصول الإنسان إلىٰ درجة اليقين، كما جاء في حديث المعراج:

«الصَّومُ يورِثُ الحِكمَةَ، وَالحِكمَةُ تورِثُ المَعرِفَةَ، وَالمَعرِفَةُ تورِثُ اليَقينَ»[١].

جدير بالذّكر أنّ اليقين أَعلىٰ مراتب الإيمان، وهو المعرفة الشهوديّة نفسها.

٤. الحافز الربّانيّ علىٰ الأَكل واستنارة القلب

القسم الرابع: الأَحاديث التي توصي بامتلاك دافع ربّانيّ في كلّ عمل، ومنها الأَكل، كالذي نُقل عن النبيّ ﷺ قوله في وصيّته لأَبي ذرّ:

«يا أَبا ذَرٍّ لِيَكُن لَكَ في كُلِّ شَيءٍ نِيَّةٌ صالِحَةٌ، حَتّىٰ فِي النَّومِ وَالأَكلِ»[٢].

إنّ ثمرة الإخلاص في جميع الأَعمال استنارة البصيرة، كما رُوي عن الإمام أَميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«عِندَ تَحَقُّقِ الإِخلاصِ تَستَنيرُ البَصائِرُ»[٣].

وهذه الدرجة من الإخلاص إذا تواصلت أَربعين يوماً، فإنّ القلب يستنير ويظفر بالمعارف الحقيقيّة الأَصيلة حتّىٰ تجري ينابيع الحكمة علىٰ لسان صاحبه.

قال رسول الله ﷺ:

⇔ الدين: ج ٣ ص ١٢٩؛ مكارم الأخلاق: ج ١ ص ٣٢٠ ح ١٠٢٤، جامع الأخبار: ص ٥١٥ ح ١٤٥٢، روضة الواعظين: ص ٥٠٠ وفيه «الحكمة والمعرفة».

١. راجع: ص ٢٥١ ح ٣٦٥٠.

٢. مكارم الأخلاق: ج ٢ ص ٣٧٠ ح ٢٦٦١، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٨٢ ح ٣.

٣. غرر الحكم: ح ٦٢١١.

«ما أخلَصَ عَبدٌ للهِ ﷺ أربَعينَ صَباحاً إلّا جَرَت يَنابيعُ الحِكمَةِ مِن قَلبِهِ عَلىٰ لِسانِهِ»[1].

وإذا كان السالك صائماً في هذه الأيّام الأربعين، فلا ريب في أنّ بلوغ المقصد سيكون أقرب، كما روي عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قوله:

«مَن أخلَصَ للهِ أربَعينَ صَباحاً، يَأكُلُ الحَلالَ، صائِماً نهارَهُ، قائِماً لَيلَهُ، أجرَى اللهُ سُبحانَهُ يَنابيعَ الحِكمَةِ مِن قَلبِهِ عَلىٰ لِسانِهِ»[2].

ثالثاً: ولاية أهل البيت

إنّ طريق التوحيد والسلوك إلىٰ المعرفة الشهوديّة والكمال المطلق صعب مستصعَب، وفيه قُطّاع طرقٍ كثيرون، فقطعه بلا توجيه وإرشاد ومؤازرة من القادة الربّانيّين الذين بلغوا الهدف وعُصموا من الزلل ـ وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ـ عمل خَطِر مُوبِق، بل مُحال، فمن المهمّ هنا الالتفات إلىٰ ثلاث نقاط وهي، كما يأتي:

١. تأثير أهل البيت في معرفة الله

في ضوء الأحاديث الملحوظة، إنّ أهل البيت هم أبواب معرفة الله وسبل الوصول إلىٰ رضوانه، أي: إنّهم وحدهم المحيطون بالمعارف الإسلاميّة الأصيلة، وهم الذين يستطيعون أن يعرّفوا الناس بخالقهم الحقيقيّ، ويهدونهم حتّى بلوغ أسمىٰ مراتب التوحيد علىٰ أساس تعاليم الوحي، كما نخاطبهم بذلك في الزيارة الجامعة الكبيرة المرويّة عن الإمام الهادي عليه السلام:

---

١. عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٦٩ ح ٣٢١ عن دارم بن قبيصة النهشلي عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام، عدّة الداعي: ص ٢١٨، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٤٢ ح ١٠؛ الزهد لابن المبارك: ص ٣٥٩ ح ١٠١٤، عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ٢ ص ١١٩، حلية الأولياء: ج ١٠ ص ٧٠ كلّها عن مكحول وج ٥ ص ١٨٩ عن أبي أيّوب الأنصاري، مسند الشهاب: ج ١ ص ٢٨٥ ح ٤٦٦ عن ابن عبّاس وكلّها نحوه.

٢. مسند زيد: ص ٣٨٤ عن زيد بن عليّ عن أبيه عن جدّه عليهم السلام.

«بِمُوالاتِكُم عَلَّمَنا اللهُ مَعالِمَ دينِنا»[١].

٢. تأثير أَهل البيت في الهداية الباطنيّة للإنسان

إنّ دراسة دقيقة للنصوص الإسلاميّة المأثورة في الإمامة والقيادة تدلّ علىٰ أنّ تأثير أَهل البيت، وبعامّة الكُمَّل في كلّ عصر الذين يسمّون الأَئمّة في هداية النَّاس هو أَكثر من إراءة الطريق إِلى الكمال المطلق، بل يضاف إلىٰ الهداية العامّة، إنّ الإمام يرافقُ المستعدّين ويمدّهم في قطع الطريق وبلوغ الهدف أَيضاً، أَي: إنّ نفوس أُولئك المستعدّين تتربّىٰ بقبس الأَنوار الباطنيّة للإمام تكوينيّاً، وتسير صوب الكمال المطلق.

لقد نقل المرحوم الكلينيّ ـ رضوان الله عليه ـ في باب «الأئمّة نور الله» من كتابه الجليل «الكافي» ستّ روايات فُسّرت فيها كلمة «النور» في عدد من الآيات القرآنيّة بأَئمّة أَهل البيت، منها رواية نقلها أَبو خالد الكابليّ، فقال: سأَلت أَبا جعفر [الإمام الباقر عليه السلام] عن قوله تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾[٢] فقال:

«النّورُ وَاللهِ الأَئِمَّةُ مِن آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله إلىٰ يَومِ القِيامَةِ، وهُم وَاللهِ نورُ اللهِ الَّذي أُنزِلَ، وهُم وَاللهِ نورُ اللهِ فِي السَّماواتِ وفِي الأَرضِ، وَاللهِ يا أَبا خالِدٍ لَنورُ الإِمامِ في قُلوبِ المُؤمِنينَ أَنوَرُ مِنَ الشَّمسِ المُضيئَةِ بِالنَّهارِ؛ وهُم وَاللهِ يُنَوِّرونَ قُلوبَ المُؤمِنينَ، ويَحجُبُ اللهُ عزّ وجلّ نورَهُم عَمَّن يَشاءُ فَتَظلِمُ قُلوبُهُم؛ وَاللهِ يا أَبا خالِدٍ لا يُحِبُّنا عَبدٌ ويَتَوَلّانا حَتّىٰ يُطَهِّرَ اللهُ قَلبَهُ ...»[٣].

فمن وحي هذا الكلام نعرف أنّ الإمام كالشَّمس الساطعة تشعُّ علىٰ الباطن

---

١. تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٠٠ ح ١٧٧؛ كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦١٦ ح ٣٢١٣ كلاهما عن موسى بن عبدالله النخعيّ.

٢. التغابن: ٨.

٣. الكافي: ج ١ ص ١٩٤ ح ١.

الخافي للعالم أكثر ممّا تشعّه الشّمس المحسوسة، وتُنير ملكوت السّماوات والأرض وسرائر المؤمنين. وهذا النور لا يُبيّن طريق السير والسلوك لهم فحسب، بل يرافقهم حتّىٰ بلوغ الهدف.

بعبارة أُخرىٰ: كما أنّ الشّمس المحسوسة ـ فضلاً عن إضاءتها ـ تؤثّر في التكامل المادّي للإنسان تكوينيّاً، فإنّ الشمس المعنويّة للإمام ـ مضافاً إلىٰ إرشادها التشريعيّ ـ تؤثّر في التكامل المعنويّ للإنسان تكوينيّاً أيضاً.

إنّ العلّامة الطباطبائيّ ـ رضوان الله عليه ـ يقول في هذا الشأن:

«أطلق القرآن الكريم كلمة "الإمام" على مَن له درجات القرب، وكان أميراً لقافلة أهل الولاية، وحافظاً لارتباط الإنسانية بهذه الحقيقة، فالإمام هو الّذي اصطفاه الله سبحانه للسير بصراط الولاية قُدماً، وهو الّذي أمسك بزمام الهداية المعنوية، وعندما تشعُّ الولاية في قلوب العباد فإنّها أشعة وخطوط ضوئيّة من منبع النور الّذي عنده، والمواهب المتفرّقة روافد متصلة ببحره اللامتناهي»[1].

«وبالجمله فالإمام هادٍ يهدي بأمر ملكوتيّ يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للنّاس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها إيّاهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرّد إراءة الطريق الذي هو شأن النبيّ والرسول وكلّ مؤمن يهدي إلىٰ الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة»[2].

بكلام آخر: إنّ الهداية الباطنيّة النورانيّة التي تتهيأ للإنسان إثر قيامه بالواجبات الإلهيّة تُفاض عليه بواسطة الإنسان الكامل والإمام[3]، من هنا، لا تفعل الأعمال الصالحة في تكامل الإنسان فعلها بلاصلة معنويّة به، ولهذا عُدَّت ولاية أهل البيت

---

١. خلافت وولايت (بالفارسية): ص ٣٨٠.

٢. الميزان في تفسير القرآن: ج ١ ص ٢٧٢.

٣. لمزيد من التوضيح راجع: القيادة في الإسلام: ص ٧٣ (القيادة الباطنيّة).

شرطاً لقبول الأَعمال، كما قال رسول الله ﷺ:

«وَالَّذي بَعَثَني بِالحَقِّ نَبِيّاً لَو أَنَّ رَجُلاً لَقِيَ اللهَ بِعَمَلِ سَبعينَ نَبِيّاً ثُمَّ لَم يَأْتِ بِوِلايَةِ أُولِي الأَمرِ مِنّا أَهلَ البَيتِ ما قَبِلَ اللهُ مِنهُ صَرفاً ولا عَدلاً». [1]

ونقرأ في الزيارة الجامعة المرويّة عن الإمام الهادي عليه السلام:

«وبِمُوالاتِكُم تُقبَلُ الطّاعَةُ المُفتَرَضَةُ، ولَكُمُ المَوَدَّةُ الواجِبَةُ». [2]

أجل، ببركة ولاية أَهل البيت عليهم السلام وطاعتهم يستطيع السالك أن يظفر بأَعلىٰ مراتب التوحيد والمعرفة الشهوديّة، كما قال الإمام الرضا عليه السلام:

«مَن سَرَّهُ أَن يَنظُرَ إِلَى اللهِ بِغَيرِ حِجابٍ، ويَنظُرَ اللهُ إِلَيهِ بِغَيرِ حِجابٍ فَليَتَوَلَّ آلَ مُحَمَّدٍ، وَليَتَبَرَّأْ مِن عَدُوِّهِم». [3]

٣. التأثير المتبادل لمعرفة الله ومعرفة أَهل البيت

النقطة الأُخرىٰ اللافتة للنظر فيما يخصّ تأثير أَهل البيت في معرفة الله هي تأكيد عدد من الروايات ـ كما لوحظ [4] ـ أَنّ معرفة الله عزّ وجلّ لا تتيسّر إلّا عن طريق معرفة أَهل البيت عليهم السلام، ومن جهة أُخرى، جاء في بعض الرّوايات أنّ معرفة أَهل البيت متأخّرة عن معرفة الله، ونقرأ في دعاءٍ علّمه الإمام الصادق عليه السلام زرارة قوله:

«اللّٰهُمَّ عَرِّفني نَفسَكَ فَإِنَّكَ إن لَم تُعَرِّفني نَفسَكَ لَم أعرِف نَبِيَّكَ، اللّٰهُمَّ عَرِّفني رَسولَكَ فَإِنَّكَ إن لَم تُعَرِّفني رَسولَكَ لَم أعرِف حُجَّتَكَ، اللّٰهُمَّ عَرِّفني حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إن لَم تُعَرِّفني حُجَّتَكَ ضَلَلتُ عَن ديني». [5]

---

١. الأمالي للمفيد: ص ١١٥ ح ٨ عن مرازم عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢. تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٩٩ ح ١٧٧؛ كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦١٦ ح ٣٢١٣ كلاهما عن موسى بن عبدالله النخعي.

٣. راجع: ص ٢٥٨ ح ٣٦٧٢.

٤. راجع: ص ٤٠ «أهل البيت» و ٢٥٦ «ولاية أهل البيت».

٥. راجع: ص ٢٦١ ح ٣٦٨٢.

وأَبْيَنُ من هذا الكلام، حين سأل رئيس النصارىٰ أميرالمؤمنينﷺ قائلاً: عرفتَ الله بمحمّدٍ، أَم عرفت محمّداً بالله؟ فقالﷺ:

«ما عَرَفتُ اللهَ بِمُحَمَّدٍﷺ، ولٰكِن عَرَفتُ مُحَمَّداًﷺ بِاللهِ...».[1]

فكيف يمكن الجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات؟

الجواب هو أنّ هذه الأَحاديث تعبّر عن التأثير المتبادل لمعرفة الله ومعرفة أَهل البيت، فمن جهةٍ معرفة النبيّﷺ وأَهل بيته، كما جاء في الحديث أَعلاه فرع من معرفة الله، ذلك أنّ النبوّة لا تكتسب معناها إلّا بعد إِثبات وجود الله، ومن جهةٍ أُخرىٰ، ما لم يَدْعُ الأَنبياءُ النَّاس إلىٰ معرفة الله، وما لم يهيّئوا أَرضيّة التفكّر في براهين التوحيد بين ظهراني النَّاس، لا يتوجّه أَحد صوب معرفة اللهﷻ، حينئذٍ ـ كما بيّنا ـ لا يتسنّىٰ نيلُ الدرجات العليا من معرفة الله إلّا عن طريق تعليمات النبيّﷺ وأَهل بيتهﷺ وإِرشاداتهم.

علىٰ هذا الأَساس لا تعارض بين الطائفتين من الروايات المشار إليها، أي: في البداية يدعو الأَنبياء وأَوصياؤهم النَّاس إلىٰ معرفة الله علىٰ أَساس البرهان، وبعد أن عرفوا الله سبحانه تدعوهم عقولهم إلىٰ اتّباع رسل‌الله والقادة الربّانيّين، ويمهّد أَئمّة الدين الأَرضيّة لتعالي الإنسان وبلوغ الدرجات العليا من مراتب معرفة الله.

رابعاً: الاستعانة بالله

إنّ التعليم الرابع في السلوك إلىٰ الله هو التضرّع إلى الله ـ جلّ شأنه ـ والاستعانة به، وللدعاء في إيصال السالك إلىٰ الهدف طريقيّة وموضوعيّة. وتعود طريقيّته إلىٰ أنّه مصدر توفيق الإنسان للقيام بسائر برامج السلوك. أمّا موضوعيّته فتؤول إلىٰ أنّه لُبُّ

---

١. راجع: ص ٢٣ ح ٣٣٣٧.

العبادة[١].

بل يمكن أن نقول إذا تحقّقت شروط الدعاء فإنّه من أقرب طرق الوصول إلى الهدف، بل هو نفسه الطريق الأقرب إلىٰ ذلك، كما قال تعالىٰ:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٢].

من هنا، يعير الأنبياء وأولياء الله أهميّة خاصّة للدعاء ومناجاة الله سبحانه، وكانوا يستمدّونه قبل غيرهم. قال الإمام الباقر عليه السلام -في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ -:

«الأَوّاهُ هُوَ الدَّعّاءُ»[٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام في جدّه أميرالمؤمنين عليه السلام:

«كانَ أميرُالمُؤمِنينَ عليه السلام رَجُلاً دَعّاءً»[٤].

وما ورد في الباب السابع من هذا الفصل، نموذج من أدعية أهل البيت عليهم السلام التي ترشدنا إلىٰ الحصول علىٰ مراتب عالية من معرفة الله ـ جلّ شأنه ـ.

وبشأن هذا الأمر نقطتان جديرتان بالاهتمام، هما:

١. الدعاء مع السعي

النقطة الأُولىٰ هي أنّ الدعاء يُثمر إذا رافقه السعي وبذل غاية الجهد للقيام بسائر التعاليم المشار إليها، بل لا تتحقّق حقيقة الدعاء إلّا بالمجاهدة، لذا قال الإمام

---

١. كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الدعاء مخّ العبادة»، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٣٠٠.

٢. البقرة: ١٨٦.

٣. الكافي ج ٢ ص ٤٦٦ ح ١ عن زرارة.

٤. الكافي: ج ٢ ص ٤٦٨ ح ٨ عن ابن القدّاح.

الرضاﷺ في حديث عنه:

«مَن سَأَلَ اللهَ التَّوفيقَ ولَم يَجتَهِد فَقَدِ استَهزَأَ بِنَفسِهِ»[١].

٢. أهمّ شروط الدعاء

لاستجابة الدعاء شروط فصّلتها الأَحاديث والروايات المأثورة[٢]، لكنّ أَهمّها الإخلاص، وموافقة القلب اللسان بخاصّة الانقطاع[٣] عن الأَسباب والتوجّه التامّ إلى المولى الحقّ عظم شأنه، بل إنّ سائر الشروط مقدّمة لتحقيق هذه الحالة عند المتضرّع الداعي، كما نقل عن النبيّﷺ أنّه قال في جواب من طلب منه الاسم الأَعظم حتّىٰ يُستجاب دعاؤه:

«كُلُّ اسمٍ مِن أَسماءِ اللهِ، فَفَرِّغ قَلبَكَ عَن كُلِّ ما سِواهُ وَادعُهُ بِأَيِّ اسمٍ شِئتَ»[٤].

إنّ أَفضل عامل للانقطاع عن غير الله عشقه ومحبّته سبحانه. وإكسير المحبّة يستقطب السالك إلى الله استقطاباً يقطع آصرة روحه عن كلّ ما سواه، وكلّما زاد الحبّ زادت حالة الانقطاع عن غير الله وتضاعف الاتّصال بمعدن العظمة.

خامساً: إحياء العقل وإماتة النفس

تتنامى القوىٰ العقلانيّة للسالك إلىٰ الله تدريجاً بتطبيقه التعاليم الأَربعة التي مرّ شرحها، وتموت فيه الأَهواء البهيميّة إلىٰ أن يبلغ نقطةً يقول إمام العارفين وأَميرالمؤمنين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ في وصفه لها:

«قَد أحيا عَقلَهُ، وأَماتَ نَفسَهُ، حَتّىٰ دَقَّ جَليلُهُ، ولَطُفَ غَليظُهُ، وبَرَقَ لَهُ لامِعٌ كَثيرُ

---

١. كنز الفوائد: ج ١ ص ٣٣٠ عن أيّوب بن نوح، بحارالأنوار: ج ٧٨ ص ٣٥٦ ح ١١.

٢. راجع: نهج الدعاء: «الباب الثاني: شروط الإجابة» وميزان الحكمة: ج ٣ «باب ١٢٠٥ شرائط استجابة الدعاء».

٣. راجع: ص ٤٣٨ ح ٤٠٢٥.

٤. راجع: ص ٤٦٢ ح ٤٠٧٢.

البَرقِ، فَأَبانَ لَهُ الطَّريقَ وسَلَكَ بِهِ السَّبيلَ، وتَدافَعَتهُ الأَبوابُ إلىٰ بابِ السَّلامَةِ، ودارِ الإقامَةِ، وثَبَتَت رِجلاهُ بِطُمَأنينَةِ بَدَنِهِ في قَرارِ الأَمنِ وَالرّاحَةِ بِما استَعمَلَ قَلبَهُ، وأَرضىٰ رَبَّهُ»[1].

إلهي أَيّها المنّان بالجسيم الرحمٰن الرحيم بحرمة أَنبيائك وأَوليائك وبحقّ محمّد وأَهل بيته ـ صلواتك عليه وعليهم ـ أَن تمنّ علىٰ ذي القلم الكسير عبدك البائس المتهتّك بالتوفيق للسلوك نحوك، وتُذيقه حلاوة معرفتك الحقيقيّة، وتصونه من شديد اللوم الذي تخاطب به عبادك بقولك: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَاتَفْعَلُونَ﴾، ولا تفضحه في الدارَين.

اللّهمَّ اجعلني من الذين جدّوا في قصدك فلم ينكلوا، وسلكوا الطريق إليك فلم يعدلوا، واعتمدوا عليك في الوصول حتّىٰ وصلوا فرويت قلوبهم من محبّتك، وآنست نفوسهم بمعرفتك فلم يقطعهم عنك قاطع، ولا منعهم عن بلوغ ما أَمّلوه لديك مانع، فهم فيما اشتهت أَنفسهم خالدون ولا يحزنهم الفزع الأَكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون.

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٠.

الفصل السّابع

آثار معرفة الله

۱ / ۷
محبّة الله

الكتاب

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.[1]

الحديث

٣٦٨٤. رسول الله ﷺ ـ في دُعاءِ الجَوشَنِ الكَبيرِ ـ: يا مَن هُوَ غايَةُ مُرادِ المُريدينَ، يامَن هُوَ مُنتَهىٰ هِمَمِ العارِفينَ، يا مَن هُوَ مُنتَهىٰ طَلَبِ الطّالِبينَ.[2]

٣٦٨٥. الإمام عليّ عليه السلام ـ فِي الدُّعاءِ ـ: يا أَمَلَ العارِفينَ، ورَجاءَ الآمِلينَ.[3]

٣٦٨٦. عنه عليه السلام: الشَّوقُ خُلصانُ العارِفينَ.[4]

---

١. البقرة: ١٦٥.

٢. البلد الأمين: ص ٤١١، المصباح للكفعمي: ص ٣٤٨، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٣٩٧.

٣. بحار الأنوار: ج ٨٧ ص ٢٤٢ ح ٥١، مستدرك الوسائل: ج ٦ ص ٣٤١ ح ٦٩٥٨ كلاهما نقلاً عن مصباح السيّد ابن الباقي.

٤. غرر الحكم: ح ٨٥٥، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٠ ح ٩٢٣.

٣٦٨٧ . عنه ﷺ ـ في خُطبَةٍ لَهُ في صِفَةِ المَلائِكَةِ ـ: ووَصَلَت حَقائِقُ الإِيمانِ بَينَهُم وبَينَ مَعرِفَتِهِ، وقَطَعَهُمُ الإِيقانُ بِهِ إلَى الوَلَهِ[1] إلَيهِ، ولَم تُجاوِز رَغَباتُهُم ما عِندَهُ إلىٰ ما عِندَ غَيرِهِ. قَد ذاقوا حَلاوَةَ مَعرِفَتِهِ، وشَرِبوا بِالكَأسِ الرَّوِيَّةِ مِن مَحَبَّتِهِ، وتَمَكَّنَت مِن سُوَيداءِ[2] قُلوبِهِم وَشيجَةُ[3] خيفَتِهِ.[4]

٣٦٨٨ . عنه ﷺ : الشَّوقُ شيمَةُ الموقِنينَ[5].

٣٦٨٩ . عنه ﷺ ـ في دُعائِهِ ـ: يا غايَةَ آمالِ العارِفينَ، يا غِياثَ المُستَغيثينَ، يا حَبيبَ قُلوبِ الصّادِقينَ[6].

٣٦٩٠ . الإمام الحسن ﷺ : مَن عَرَفَ اللهَ أحَبَّهُ[7].

٣٦٩١ . الإمام زين العابدين ﷺ : إلٰهي ما أَلَذَّ خَواطِرَ الإِلهامِ بِذِكرِكَ عَلَى القُلوبِ! وما أحلَى المَسيرَ إلَيكَ بِالأَوهامِ في مَسالِكِ الغُيوبِ! وما أَطيَبَ طَعمَ حُبِّكَ! وما أَعذَبَ شِربَ قُربِكَ! فَأَعِذنا مِن طَردِكَ وإبعادِكَ، وَاجعَلنا مِن أَخَصِّ عارِفيكَ.[8]

٣٦٩٢ . مصباح الشريعة ـ فيما نسب إلى الإمام الصّادق ﷺ ـ: نَجوَى العارِفينَ تَدورُ عَلىٰ

---

١ . الوَلَه: ذهاب العقل، والتحيّر من شدّة الوَجد (النهاية: ج ٥ ص ٢٢٧).

٢ . سويداء القلب: حبّته (لسان العرب: ج ٣ ص ٢٢٧).

٣ . الوَشيجة: عرق الشجرة في الأصل، وتُستعار للمبالغة في الخوف (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٩٢٨).

٤ . نهج البلاغة: الخطبة ٩١ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق ﷺ، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١١٠ ح ٩٠.

٥ . غرر الحكم: ح ٦٦٣، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٢ ح ٥٤٧ وفيه «المؤمنين» بدل «الموقنين».

٦ . مصباح المتهجّد: ص ٨٤٧، إقبال الأعمال: ج ٣ ص ٣٣٥ كلاهما عن كميل بن زياد النخعي، البلد الأمين: ص ١٩٠.

٧ . تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٥٢.

٨ . بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٥١ نقلاً عن بعض كتب الأصحاب.

ثَلاثَةِ أُصولٍ: الخَوفِ وَالرَّجاءِ وَالحُبِّ؛ فَالخَوفُ فَرعُ العِلمِ، وَالرَّجاءُ فَرعُ اليَقينِ، وَالحُبُّ فَرعُ المَعرِفَةِ[1]؛ فَدَليلُ الخَوفِ الهَرَبُ، ودَليلُ الرَّجاءِ الطَّلَبُ، ودَليلُ الحُبِّ إيثارُ المَحبوبِ عَلىٰ ما سِواهُ؛ فَإِذا تَحَقَّقَ العِلمُ فِي الصَّدرِ خافَ، وإذا صَحَّ الخَوفُ هَرَبَ، وإذا هَرَبَ نَجا وإذا أَشرَقَ نورُ اليَقينِ فِي القَلبِ شاهَدَ الفَضلَ، وإذا تَمَكَّنَ مِنهُ رَجا، وإذا وَجَدَ حَلاوَةَ الرَّجاءِ طَلَبَ، وإذا وُفِّقَ لِلطَّلَبِ وَجَدَ، وإذا تَجَلّىٰ ضِياءُ المَعرِفَةِ فِي الفُؤادِ هاجَ ريحُ المَحَبَّةِ، وإذا هاج ريحُ المَحَبَّةِ استَأنَسَ في ظِلالِ المَحبوبِ، وآثَرَ المَحبوبَ عَلىٰ ما سِواهُ.[2]

٣٦٩٣. مصباح الشريعة ـ فيما نسب إلى الإمام الصّادق عليه السلام ـ: العارِفُ شَخصُهُ مَعَ الخَلقِ وقَلبُهُ مَعَ اللهِ تَعالىٰ، ولَو سَها قَلبُهُ عَنِ اللهِ تَعالىٰ طَرفَةَ عَينٍ لَماتَ شَوقاً إلَيهِ، وَالعارِفُ أَمينُ وَدائِعِ اللهِ تَعالىٰ، وكَنزُ أَسرارِهِ، ومَعدِنُ نورِه، ودَليلُ رَحمَتِهِ عَلىٰ خَلقِهِ، ومَطِيَّةُ عُلومِهِ، وميزانُ فَضلِهِ وعَدلِهِ، وقَد غَنِيَ عَنِ الخَلقِ وَالمُرادِ وَالدُّنيا؛ فَلا مُؤنِسَ لَهُ سِوَى اللهِ، ولا نُطقَ ولا إشارَةَ ولا نَفَسَ إلّا بِاللهِ تَعالىٰ ولِلّهِ ومِنَ اللهِ ومَعَ اللهِ، فَهُوَ في رِياضِ قُدسِهِ مُتَرَدِّدٌ، ومِن لَطائِفِ فَضلِهِ مُتَزَوِّدٌ، وَالمَعرِفَةُ أَصلٌ فَرعُهُ الإِيمانُ.[3]

---

١. تقدّم في الصفحة ٢٤٩ في بيان «طرق الوصول إلى أسمى مراتب معرفة الله» أنّ المحبّة تعتبر من مبادئ معرفة الله وأسبابها، وفي هذا الحديث دلالة على أنّ المحبّة من آثار معرفة الله سبحانه، وليس ثمة تعارض بين هذه الأحاديث؛ إذ يوجد بين المحبّة والمعرفة ارتباط ثُنائي؛ فبعد معرفة الله، تدخل محبته تعالى في قلب العارف، وهذه المحبّة بدورها باعث لازدياد المعرفة (راجع: المحبة في الكتاب والسنّة: ص ٢١٨ ـ ٢٢٣ و ص ٣٣٧ ـ ٣٤١).

٢. مصباح الشريعة: ص ٨، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٢ ح ٢٢.

٣. مصباح الشريعة: ص ٥١٩، بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٤ ح ٣٥.

٢ / ٧
خَشيَةُ اللهِ

الكتاب

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾.[١]

الحديث

٣٦٩٤. سنن الدارمي عن عطاء: قالَ موسىٰ: ... يا رَبِّ، أَيُّ عِبادِكَ أَخشىٰ لَكَ؟ قالَ: أَعلَمُهُم بي.[٢]

٣٦٩٥. رسول الله ﷺ: مَن كانَ بِاللهِ أَعرَفَ كانَ مِنَ اللهِ أَخوَفَ.[٣]

٣٦٩٦. الإمام عليّ ؑ: أَعلَمُ النّاسِ بِاللهِ أَكثَرُهُم خَشيَةً لَهُ.[٤]

٣٦٩٧. عنه ؑ: أَعلَمُ النّاسِ بِاللهِ سُبحانَهُ أَخوَفُهُم مِنهُ.[٥]

٣٦٩٨. عنه ؑ: عَجِبتُ لِمَن عَرَفَ اللهَ كَيفَ لا يَشتَدُّ خَوفُهُ؟![٦]

٣٦٩٩. عنه ؑ: الخَوفُ جِلبابُ العارِفينَ.[٧]

٣٧٠٠. عنه ؑ: البُكاءُ مِن خيفَةِ اللهِ لِلبُعدِ عَنِ اللهِ عِبادَةُ العارِفينَ.[٨]

---

١. فاطر: ٢٨.

٢. سنن الدارمي: ج ١ ص ١٠٨ ح ٣٦٨، الزهد لابن المبارك: ص ٧٥ ح ٢٢٣ وص ١٨٨ ح ٥٣٣، تاريخ دمشق: ج ٦١ ص ١٤٠.

٣. جامع الأخبار: ص ٢٥٨ ح ٦٨٢، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٩٣ ح ٦٤ نقلاً عن روضة الواعظين.

٤. غرر الحكم: ح ٣١٥٧، عيون الحكم والمواعظ: ص ١١١ ح ٢٤١٨.

٥. غرر الحكم: ح ٣١٢١، عيون الحكم والمواعظ: ص ١٢١ ح ٢٧٦٢.

٦. غرر الحكم: ح ٦٢٦١، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٢٩ ح ٥٦٤٦.

٧. غرر الحكم: ح ٦٦٤، عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٤ ح ٢٤٢.

٨. غرر الحكم: ح ١٧٩١، عيون الحكم والمواعظ: ص ٥٣ ح ١٣٨٦.

٣٧٠١ . عنه عليه السلام : يَنبَغي لِمَن عَرَفَ اللّهَ سُبحانَهُ ألّا يَخلُوَ قَلبُهُ مِن رَجائِهِ وخَوفِهِ.[١]

٣٧٠٢ . عنه عليه السلام ـ مِن دُعاءٍ كانَ يَدعو بِهِ بَعدَ رَكعَتَيِ الفَجرِ ـ : سُبحانَكَ اللّهُمَّ وبِحَمدِكَ! مَن ذا يَعرِفُ قَدرَكَ فَلا يَخافُكَ ، ومَن ذا يَعلَمُ ما أنتَ فَلا يَهابُكَ؟![٢]

٣٧٠٣ . الإمام زين العابدين عليه السلام ـ في تَمجيدِ اللّهِ عز و جل ـ : سُبحانَكَ ، عَجَباً لِمَن[٣] عَرَفَكَ كَيفَ لا يَخافُكَ ؟![٤]

٣٧٠٤ . عنه عليه السلام : مَا العِلمُ بِاللّهِ وَالعَمَلُ إلّا إلفانِ مُؤتَلِفانِ ؛ فَمَن عَرَفَ اللّهَ خافَهُ.[٥]

٣٧٠٥ . عنه عليه السلام ـ مِن دُعائِهِ في زِيارَةِ قَبرِ أميرِ المُؤمِنينَ عليه السلام ـ : اللّهُمَّ إنَّ قُلوبَ المُخبِتينَ إلَيكَ والِهَةٌ ، ... وأفئِدَةَ العارِفينَ مِنكَ فازِعَةٌ.[٦]

٣٧٠٦ . الإمام الباقر عليه السلام : في حِكمَةِ آلِ داوودَ : ... يا ابنَ آدَمَ ، أصبَحَ قَلبُكَ قاسِياً وأنتَ لِعَظَمَةِ اللّهِ ناسِياً ؛ فَلَو كُنتَ بِاللّهِ عالِماً ، وبِعَظَمَتِهِ عارِفاً لَم تَزَل مِنهُ خائِفاً ، ولِوَعدِهِ راجِياً ، وَيحَكَ ، كَيفَ لا تَذكُرُ لَحدَكَ ، وَانفِرادَكَ فيهِ وَحدَكَ؟![٧]

٣٧٠٧ . الإمام الصادق عليه السلام : إنَّ اللّهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ أوحىٰ إلىٰ داوودَ عليه السلام : ... ما لي أراكَ ساكِتاً ؟

---

١ . غرر الحكم : ح ١٠٩٢٦ ، عيون الحكم والمواعظ : ص ٥٥١ ح ١٠١٦٧.

٢ . بحار الأنوار : ج ٨٧ ص ٣٤١ ح ١٩ وج ٩٤ ص ٢٤٥ ح ١١ كلاهما نقلاً عن اختيار السيّد ابن الباقي.

٣ . في المصدر : «من» ، والتصويب من بحار الأنوار.

٤ . رجال الكشّي : ج ١ ص ٣٣٥ ح ١٨٨ عن سعيد بن المسيّب ، بحار الأنوار : ج ٨٦ ص ٢٢٧ ح ٤٦.

٥ . الكافي : ج ٨ ص ١٦ ح ٢ ، تنبيه الخواطر : ج ٢ ص ٣٨ ، الأمالي للمفيد : ص ٢٠٢ ح ٣٣ كلّها عن أبي حمزة ، تحف العقول : ص ٢٥٤ وفيهما بزيادة «بطاعته» بعد «العمل» ، بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ١٥٠ ح ١١.

٦ . كامل الزيارات : ص ٩٢ ح ٩٣ عن مهدي بن صدقة الرقّي عن الإمام الرضا عن أبيه عن جدّه الإمام الباقر عليهم السلام ، مصباح المتهجّد : ص ٧٣٨ ح ٨٣٠ عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عنه عليهما السلام ، بحار الأنوار : ج ١٠٠ ص ٢٦٤ ح ٢.

٧ . الأمالي للطوسي : ص ٢٠٣ ح ٣٤٦ عن سعد بن زياد العبدي عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ج ١٤ ص ٣٦ ح ١٠.

قالَ: خَشيَتُكَ أسكَتَتني.[١]

٣ / ٧
الرَّغبَةُ فيما عِندَ اللهِ

٣٧٠٨. رسول الله ﷺ: قالَ داوودُ ﷺ: يا رَبِّ! حَقٌّ لِمَن عَرَفَكَ ألّا يَقطَعَ رَجاءَهُ مِنكَ.[٢]

٣٧٠٩. الإمام عليّ ﷺ: يَنبَغي لِمَن عَرَفَ اللهَ سُبحانَهُ أن يَرغَبَ فيما لَدَيهِ.[٣]

٣٧١٠. عنه ﷺ: عَجِبتُ لِمَن عَرَفَ رَبَّهُ كَيفَ لا يَسعىٰ لِدارِ البَقاءِ![٤]

٣٧١١. عوالي اللآلي: فِي الحَديثِ أنَّ داوودَ ﷺ قالَ: يا رَبِّ، ما يَحمِلُ[٥] لِمَن عَرَفَكَ أن يَقطَعَ رَجاءَهُ مِنكَ.[٦]

٤ / ٧
طاعَةُ اللهِ

٣٧١٢. الإمام زين العابدين ﷺ: مَا العِلمُ بِاللهِ وَالعَمَلُ إلّا إلفانِ مُؤتَلِفانِ؛ فَمَن عَرَفَ اللهَ خافَهُ

---

١. الأمالي للصدوق: ص ٢٦٣ ح ٢٨٠، قصص الأنبياء: ص ١٩٩ ح ٢٥٤ كلاهما عن يونس بن ظبيان، مشكاة الأنوار: ص ٤٠٠ ح ١٣٢٦، بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٣٤ ح ٣.

٢. قرب الإسناد: ص ١١٩ ح ٤١٧ عن الحسين بن علوان عن الإمام الصادق عن أبيه ﷺ، الكافي: ج ٢ ص ١٨٩ ح ٥، الأمالي للصدوق: ص ٧٠١ ح ٩٥٥ كلاهما عن عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق ﷺ، ثواب الأعمال: ص ١٦٣ ح ١ عن ابن سنان عن رجل عن الإمام الصادق ﷺ، معاني الأخبار: ص ٣٧٤ ح ١ عن داود بن سليمان عن الإمام الرضا عن الإمام الصادق ﷺ، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٢٨٣ ح ١.

٣. غرر الحكم: ح ١٠٩٣٥، عيون الحكم والمواعظ: ص ٥٤٩ ح ١٠١٣١.

٤. غرر الحكم: ح ٦٢٦٥، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٢٩ ح ٥٦٤٨.

٥. كذا في المصدر، ولعلّ الصحيح «يجمل».

٦. عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١١٦ ح ١٨٤، الأمالي للطوسي: ص ١٠٧ ح ١٦٢ عن وهب بن منبّه، بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٣٦ وفيهما «إلٰهي كذلك لا ينبغي لمن...».

وحَثَّهُ الخَوفُ عَلَى العَمَلِ بِطاعَةِ اللهِ، وإنَّ أَربابَ العِلمِ وأَتباعَهُمُ الَّذينَ عَرَفُوا اللهَ فَعَمِلوا لَهُ ورَغِبوا إلَيهِ، وقَد قالَ اللهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰؤُا۟﴾.[1]

٥ / ٧
اِجتِنابُ المَحارِمِ

٣٧١٣. رسول الله ﷺ: مَن عَرَفَ اللهَ وعَظَّمَهُ مَنَعَ فاهُ مِنَ الكَلامِ، وبَطنَهُ مِنَ الطَّعامِ، وعَفا[2] نَفسَهُ بِالصِّيامِ وَالقِيامِ.[3]

٣٧١٤. الإمام عليّ عليه السلام: مَن عَرَفَ كَفَّ.[4]

٣٧١٥. الإمام الرضا عليه السلام: إن قالَ قائِلٌ: لِمَ أُمِرَ الخَلقُ بِالإِقرارِ بِاللهِ وبِرَسولِهِ وحُجَّتِهِ وبِما جاءَ مِن عِندِ اللهِ؟ قيلَ: لِعِلَلٍ كَثيرَةٍ:

مِنها: أنَّ مَن لَم يُقِرَّ بِاللهِ لَم يَتَجَنَّب مَعاصِيَهُ، ولَم يَنتَهِ عَنِ ارتِكابِ الكَبائِرِ، ولَم يُراقِب أَحَداً فيما يَشتَهي ويَستَلِذُّ مِنَ الفَسادِ وَالظُّلمِ، وإذا فَعَلَ النّاسُ هٰذِهِ الأَشياءَ

---

١. الكافي: ج ٨ ص ١٦ ح ٢، الأمالي للمفيد: ص ٢٠٢ ح ٣٣ كلاهما عن أبي حمزة، تحف العقول: ص ٢٥٤ وفيهما بزيادة «بطاعته» بعد «العمل»، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٤٤.

٢. قال العلّامة المجلسي رحمه الله: «وعفا» كذا، وفي بعض النسخ «فعفىٰ»؛ أي جعلها صافيةً خالصةً، أو جعلها مندرسةً ذليلةً خاضعةً، أو وفّر كمالاتها. قال في النهاية: أصل العفو المحو والطمس، وعَفَت الريحُ الأثرَ: محَته وطمسته... وعفا الشيءُ: كثر وزاد، يقال: أعفيته وعفّيته، وعفا الشيءُ: صَفا وخلص، انتهى. وأقول: الأظهر مافي المجالس وغيره وأكثر نسخ الكتاب: «عنّى» أي أتعب، والعنا ـ بالفتح والمدّ ـ: التعب (مرآة العقول: ج ٩ ص ٢٥٤).

٣. الكافي: ج ٢ ص ٢٣٧ ح ٢٥، أعلام الدين: ١١٢ وفيه «عزّ» بدل «عفا» وكلاهما عن عيسى النهريري عن الإمام الصادق عليه السلام، الأمالي للصدوق: ص ٣٨٠ ح ٤٨٢ عن عيسى النهريري عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام عنه ﷺ، تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٦٦، روضة الواعظين: ص ٣٢٠ وفيها «عنّى» بدل «عفا»، بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٨٨ ح ٢٣.

٤. غرر الحكم: ح ٧٦٤٥، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٢٨ ح ٧٢٦٩.

وَارتَكَبَ كُلُّ إنسانٍ ما يَشتَهي ويَهواهُ مِن غَيرِ مُراقَبَةٍ لِأَحَدٍ كانَ في ذٰلِكَ فَسادُ الخَلقِ أَجمَعينَ، ووُثوبُ بَعضِهِم عَلىٰ بَعضٍ، فَغَصَبُوا الفُروجَ وَالأَموالَ، وأَباحُوا الدِّماءَ وَالسَّبيَ، وقَتَلَ بَعضُهُم بَعضاً مِن غَيرِ حَقٍّ ولا جُرمٍ، فَيَكونُ في ذٰلِكَ خَرابُ الدُّنيا، وهَلاكُ الخَلقِ، وفَسادُ الحَرثِ وَالنَّسلِ.

ومِنها: أَنَّ اللهَ ﷻ حَكيمٌ، ولا يَكونُ الحَكيمُ ولا يُوصَفُ بِالحِكمَةِ إلّا الَّذي يَحظُرُ الفَسادَ ويَأمُرُ بِالصَّلاحِ ويَزجُرُ عَنِ الظُّلمِ ويَنهىٰ عَنِ الفَواحِشِ، ولا يَكونُ حَظرُ الفَسادِ وَالأَمرُ بِالصَّلاحِ وَالنَّهيُ عَنِ الفَواحِشِ إلّا بَعدَ الإِقرارِ بِاللهِ ومَعرِفَةِ الآمِرِ وَالنّاهي؛ فَلَو تُرِكَ النّاسُ بِغَيرِ إقرارٍ بِاللهِ ولا مَعرِفَةٍ لَم يَثبُت أَمرٌ بِصَلاحٍ، ولا نَهيٌ عَن فَسادٍ؛ إذ لا آمِرَ ولا ناهِيَ.

ومِنها: أَنّا قَد وَجَدنَا الخَلقَ قَد يَفسُدونَ بِأُمورٍ باطِنَةٍ مَستورَةٍ عَنِ الخَلقِ، فَلَولَا الإِقرارُ بِاللهِ وخَشيَتُهُ بِالغَيبِ لَم يَكُن أَحَدٌ إذا خَلا بِشَهوَتِهِ وَإِرادَتِهِ يُراقِبُ أَحَداً في تَركِ مَعصِيَةٍ وَانتِهاكِ حُرمَةٍ وَارتِكابِ كَبيرٍ[1]، إذا كانَ فِعلُهُ ذٰلِكَ مَستوراً عَنِ الخَلقِ بِغَيرِ مُراقِبٍ لِأَحَدٍ فَكانَ يَكونُ في ذٰلِكَ هَلاكُ الخَلقِ أَجمَعينَ، فَلَم يَكُن قِوامُ الخَلقِ وصَلاحُهُم إلّا بِالإِقرارِ مِنهُم بِعَليمٍ خَبيرٍ يَعلَمُ السِّرَّ وأَخفىٰ، آمِرٍ بِالصَّلاحِ، ناهٍ عَنِ الفَسادِ، ولا يَخفىٰ عَلَيهِ خافِيَةٌ؛ لِيَكونَ في ذٰلِكَ انزِجارٌ لَهُم يَخلون بِهِ مِن أَنواعِ الفَسادِ.[2]

---

١ . في عيون أخبار الرضا وبحار الأنوار: «وارتكاب كبيرةٍ».

٢ . علل الشرائع: ص ٢٥٢ ح ٩، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٩٩ ح ١ وكلاهما عن الفضل بن شاذان، بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٠ ح ٢٣.

٦/٧
الزُّهدُ في الدُّنيا

٣٧١٦. الإمام عليّ عليه السلام: يَسيرُ المَعرِفَةِ يوجِبُ الزُّهدَ فِي الدُّنيا.[١]

٣٧١٧. عنه عليه السلام: مَن صَحَّت مَعرِفَتُهُ انصَرَفَت عَنِ العالَمِ الفاني نَفسُهُ وهِمَّتُهُ.[٢]

٣٧١٨. عنه عليه السلام: ثَمَرَةُ المَعرِفَةِ العُزوفُ عَن دارِ الفَناءِ.[٣]

٣٧١٩. عنه عليه السلام: كُلُّ عارِفٍ عائِفٌ.[٤]

٣٧٢٠. الإمام زين العابدين عليه السلام: إنَّ جَميعَ ما طَلَعَت عَلَيهِ الشَّمسُ في مَشارِقِ الأَرضِ ومَغارِبِها، بَحرِها وبَرِّها وسَهلِها وجَبَلِها عِندَ وَلِيٍّ مِن أولياءِ اللهِ وأَهلِ المَعرِفَةِ بِحَقِّ اللهِ كَفَيءِ الظِّلالِ.[٥]

٣٧٢١. الإمام الصّادق عليه السلام: مَن عَرَفَ اللهَ خافَ اللهَ، ومَن خافَ اللهَ سَخَت نَفسُهُ عَنِ الدُّنيا.[٦]

٣٧٢٢. عنه عليه السلام: إنَّ أَعلَمَ النّاسِ بِاللهِ أَخوَفُهُم للهِ، وأَخوَفُهُم لَهُ أَعلَمُهُم بِهِ، وأَعلَمُهُم بِهِ أَزهَدُهم فيها[٧].[٨]

---

١. غرر الحكم: ح ١٠٩٨٤.

٢. غرر الحكم: ح ٩١٤٢.

٣. غرر الحكم: ح ٤٦٥١.

٤. غرر الحكم: ح ٦٨٢٩، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٧٦ ح ٦٣٤٣.

٥. تحف العقول: ص ٣٩١ عن الإمام الكاظم عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ٣٠٦.

٦. الكافي: ج ٢ ص ٦٨ ح ٤، تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ١٨٥ كلاهما عن أبي حمزة، تحف العقول: ص ٣٦٢، مشكاة الأنوار: ص ٢١١ ح ٥٧٢، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ٢٤٤ ح ٥٣.

٧. أي في الدنيا.

٨. تفسير القمّي: ج ٢ ص ١٤٦ عن حفص بن غياث، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣١١ ح ٨.

٧ / ٧
التَّقوىٰ

٣٧٢٣ . رسول الله ﷺ : لِكُلِّ شَيءٍ مَعدِنٌ، ومَعدِنُ التَّقوىٰ قُلوبُ العارِفينَ.[١]

٣٧٢٤ . الإمام عليّ ؑ : الحَمدُ للهِ الَّذي أَلهَمَ بِفَواتِحِ عِلمِهِ النّاطِقينَ، وأَنارَ بِثَواقِبِ[٢] عَظَمَتِهِ قُلوبَ المُتَّقينَ.[٣]

٣٧٢٥ . مصباح الشريعة ـ فيما نسب إلى الإمام الصّادق ؑ ـ : التَّقوىٰ ماءٌ يَنفَجِرُ مِن عَينِ المَعرِفَةِ بِاللهِ تَعالىٰ، يَحتاجُ إِلَيهِ كُلُّ فَنٍّ مِنَ العِلمِ، وهُوَ لا يَحتاجُ إِلّا إِلىٰ تَصحيحِ المَعرِفَةِ بِالخُمودِ تَحتَ هَيبَةِ اللهِ وسُلطانِهِ.[٤]

٨ / ٧
التَّوحّد

٣٧٢٦ . الإمام عليّ ؑ : مَن عَرَفَ اللهَ تَوَحَّدَ.[٥]

٣٧٢٧ . عنه ؑ : مَن عَرَفَ الحَقَّ لَم يَعتَدَّ بِالخَلقِ.[٦]

---

١ . المعجم الكبير: ج ١٢ ص ٢٣٤ ح ١٣١٨٥ عن سالم بن عبد الله عن أبيه، مسند الشهاب: ج ٢ ص ١٢٩ ح ١٠٣٣، تاريخ بغداد: ج ٤ ص ١١ الرقم ١٥٩٤ وفيه «العاملين» بدل «العارفين» وكلاهما عن عمر بن الخطّاب، كنز العمّال: ج ٣ ص ٩ ح ٥٦٣٨؛ مشكاة الأنوار: ص ٤٤٧ ح ١٥٠١، المواعظ العدديّة: ص ٤٤.

٢ . الثّاقِبُ: المضيء (النهاية: ج ١ ص ٢١٦).

٣ . دلائل الإمامة: ص ٩٠ ح ٢٤ عن اللّيث عن الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه ؑ عن جابر، بحار الأنوار: ج ١٠٣ ص ٢٧٠ ح ٢١.

٤ . مصباح الشريعة: ص ٣٧٧، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٩٤ ح ٤٠.

٥ . غرر الحكم: ح ٧٨٢٩، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٥٢ ح ٨١٠١.

٦ . سجع الحمام: ص ٤٠٨ ح ٦١٢ نقلاً عن أسرار البلاغة للعاملي.

٧ / ٩
التَّواضُعُ لِلّهِ

٣٧٢٨. الإمام عليّ عليه السلام: لا يَنبَغي لِمَن عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أن يَتَعَظَّمَ؛ فَإِنَّ رِفعَةَ الَّذينَ يَعلَمونَ ما عَظَمَةُ اللهِ أن يَتَواضَعوا لَهُ.[١]

٧ / ١٠
التَّسليمُ لِقَضاءِ اللهِ

٣٧٢٩. الإمام الباقر عليه السلام: أحَقُّ خَلقِ اللهِ أن يُسَلِّمَ لِما قَضَى اللهُ عز و جل مَن عَرَفَ اللهَ عز و جل.[٢]

٣٧٣٠. الإمام الصادق عليه السلام ـ لِسُفيانَ الثَّورِيِّ ـ: يا سُفيانُ، ثِق بِاللهِ تَكُن عارِفاً.[٣]

٧ / ١١
الرِّضا بِقَضاءِ اللهِ

٣٧٣١. رسول الله صلى الله عليه و آله: قالَ اللهُ عز و جل: عَلامَةُ مَعرِفَتي في قُلوبِ عِبادي حُسنُ مَوقِعِ قَدري ألّا أُشتَكىٰ ولا أُستَبطىٰ ولا أُستَخفىٰ.[٤]

٣٧٣٢. الإمام زين العابدين عليه السلام ـ من دُعاءٍ نُسِبَ إلَيهِ ـ: كَيفَ أحزَنُ وقَد عَرَفتُكَ؟![٥]

---

١. الكافي: ج ٨ ص ٣٩٠ ح ٥٨٦ عن محمّد بن الحسين عن أبيه عن جدّه عن أبيه، نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧، تحف العقول: ص ٢٢٧ عن الإمام الحسن عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٣٦٩ ح ٣٤.

٢. الكافي: ج ٢ ص ٦٢ ح ٩ عن عبد الله بن محمّد الجعفي، مشكاة الأنوار: ص ٥١ ح ٤٢، تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ١٨٥، التمحيص: ص ٦٢ ح ١٤١ نحوه، بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٣٢ ح ١٦.

٣. تحف العقول: ص ٣٧٦ عن سفيان الثوري، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ٢٦١ ح ١٦٠.

٤. كنز العمّال: ج ١ ص ١٢٩ ح ٦٠٦ نقلاً عن الديلمي عن أبي هريرة.

٥. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٣٩.

٣٧٣٣ . الإمام الصادق عليه السلام : إنَّ أعلَمَ النّاسِ بِاللهِ أرضاهُم بِقَضاءِ اللهِ عزّ وجلّ.[1]

٣٧٣٤ . مصباح الشريعة ـ فيما نسب إلى الإمام الصّادِقِ عليه السلام ـ : صِفَةُ الرِّضا أن يَرضَى المَحبوبَ والمَكروه، وَالرِّضا شُعاعُ نورِ المَعرِفَةِ.[2]

٣٧٣٥ . موسىٰ عليه السلام ـ في خِطابِهِ لِلباري جَلَّ و عَلا ـ : يا رَبِّ، حَقٌّ لِمَن عَرَفَكَ أن يَرضىٰ بِما صَنَعتَ.[3]

١٢/٧

اِستِبشارُ الوَجهِ وَحُزنُ القَلبِ

٣٧٣٦ . الإمام عليّ عليه السلام : العارِفُ وَجهُهُ مُستَبشِرٌ مُتَبَسِّمٌ، وقَلبُهُ وَجِلٌ مَحزونٌ.[4]

٣٧٣٧ . عنه عليه السلام : كُلُّ عارِفٍ مَهمومٌ.[5]

تعليق:

تقدّم سابقاً نفي الحزن عن العارف، بيد أنّ في هذا الحديث قد جاء اعتبار الحزن من خصائصه، وفي الجمع بين الحديثين يمكن القول: إنّ العارف مسرور من جهة ومحزون من جهة أُخرى؛ فهو من ناحية مترع بالأمل والسرور حينما ينظر إلى رحمة الله وصفاته الجمالية، ومن ناحية أُخرى محزون حينما يفكر بغضب الله

---

١ . الكافي: ج ٢ ص ٦٠ ح ٢ عن ليث المرادي، الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ص ٣٥٩، مسكن الفؤاد: ص ٨٢، مشكاة الأنوار: ص ٧٣ ح ١٣٣، غرر الحكم: ح ٣١٣٠، بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٣٣ ح ١٩.

٢ . مصباح الشريعة: ص ٤٨٣، بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٤٩ ح ٤٥.

٣ . المؤمن: ص ١٩ ح ١٤ عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه، مشكاة الأنوار: ص ٥٠٢ ح ١٦٨٢ عن الإمام الصادق عنه عليه السلام، بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٣٥٠ ح ٣٨.

٤ . غرر الحكم: ح ١٩٨٥، عيون الحكم والمواعظ: ص ٦٠ ح ١٥١٥.

٥ . غرر الحكم: ح ٦٨٢٧، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٧٦ ح ٦٣٤١.

سبحانه وصفاته الجلالية، ويمكن القول أيضاً: إنّ العارف يصبح مسروراً حينما يتجلّى الخالق تعالى لقلبه، ويضحى حزيناً في غير ذلك لفقدانه تلك الحال، أو أنّ العارف مسرور بالدرجات العُلىٰ التي وصل إليها في معرفة الحقّ تعالى، وحزين حينما يكون فاقداً لتلك الدرجات.

١٣/٧
الغِنىٰ عَن خَلقِ اللهِ

٣٧٣٨. الإمام عليّ عليه السلام: مَن سَكَنَ قَلبَهُ العِلمُ بِاللهِ سَكَنَهُ الغِنىٰ عَن خَلقِ اللهِ.[١]

١٤/٧
السَّهَرُ بِذِكرِ اللهِ

٣٧٣٩. الإمام عليّ عليه السلام: سَهَرُ العُيونِ بِذِكرِ اللهِ خُلصانُ العارِفينَ، وحُلوانُ المُقَرَّبينَ.[٢]

٣٧٤٠. إرشاد القلوب: كانَ مِمّا ناجىٰ بِهِ الباري تَعالىٰ داوودَ عليه السلام: ... يا داوودُ، إنَّ العارِفينَ كَحَلوا أعيُنَهُم بِمِروَدِ[٣] السَّهَرِ، وقاموا لَيلَهُم يَسهَرونَ يَطلُبونَ بِذٰلِكَ مَرضاتي.[٤]

١٥/٧
كَثرَةُ الدُّعاءِ

٣٧٤١. الإمام عليّ عليه السلام: أعلَمُ النّاسِ بِاللهِ أكثَرُهُم لَهُ مَسأَلَةً.[٥]

---

١. غرر الحكم: ح ٨٨٩٦، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٦٣ ح ٨٤١٥.

٢. غرر الحكم: ح ٥٦١٢، عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٨٦ ح ٥١٦٣ وفيه «ودأب» بدل «وحلوان».

٣. المِروَد: المِيل الّذي يُكتحل به (تاج العروس: ج ٤ ص ٤٦٦).

٤. إرشاد القلوب: ص ٨٦.

٥. غرر الحكم: ح ٣٢٦٠، عيون الحكم والمواعظ: ص ١٢٢ ح ٢٧٩٥.

٣٧٤٢. عنه ﷺ ـ مِن دُعائِهِ ـ: إلٰهي كَيفَ أَدعوكَ وقَد عَصَيتُكَ؟! وكَيفَ لا أَدعوكَ وقَد عَرَفتُكَ؟![1]

٣٧٤٣. الإمام زين العابدين ﷺ: يا مَن آنَسَ العارِفينَ بِطيبِ مُناجاتِهِ.[2]

١٦ / ٧
اِستِجابَةُ الدُّعاءِ

٣٧٤٤. رسول الله ﷺ: قالَ اللهُ ﷻ: مَن أَهانَ لي وَلِيّاً فَقَد أَرصَدَ لِمُحارَبَتي. وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدٌ بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمّا افتَرَضتُ عَلَيهِ، وإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنّافِلَةِ حَتّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذا أَحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الَّذي يَسمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ بِهِ، ولِسانَهُ الَّذي يَنطِقُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبطِشُ بِها، إِن دَعاني أَجَبتُهُ، وإِن سَأَلَني أَعطَيتُهُ.[3]

٣٧٤٥. عنه ﷺ: إِنَّ اللهَ تَعالىٰ قالَ: مَن عادىٰ لي وَلِيّاً فَقَد آذَنتُهُ بِالحَربِ. وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمّا افتَرَضتُ عَلَيهِ. وما يَزالُ عَبدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذا أَحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الَّذي يَسمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبطِشُ بِها، ورِجلَهُ الَّتي يَمشي بِها، وإِن سَأَلَني لَأُعطِيَنَّهُ، ولَئِنِ استَعاذَني لَأُعيذَنَّهُ.[4]

---

١. المزار للشهيد الأوّل: ص ٢٧٠ عن ميثم، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٢١ ح ١٩ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي عن الإمام زين العابدين ﷺ.

٢. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٥٧ ح ٢٢ نقلاً عن أنيس العابدين.

٣. الكافي: ج ٢ ص ٣٥٢ ح ٧ عن حمّاد بن بشير عن الإمام الصادق ﷺ وح ٨ عن أبان بن تغلب عن الإمام الباقر ﷺ عنه ﷺ، التوحيد: ص ٣٩٩ ح ١، علل الشرائع: ص ١٢ ح ٧ كلاهما عن أنس، المؤمن: ص ٣٢ ح ٦١ عن الإمام الصادق ﷺ عنه ﷺ، المحاسن: ج ١ ص ٤٥٤ ح ١٠٤٧ عن حنان بن سدير عن الإمام الصادق ﷺ عنه ﷺ، وكلّها نحوه، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٢ ح ٢١.

٤. صحيح البخاري: ج ٥ ص ٢٣٨٥ ح ٦١٣٧، السنن الكبرى: ج ١٠ ص ٣٧٠ ح ٢٠٩٨٠ كلاهما عن أبي هريرة، مسند ابن حنبل: ج ١٠ ص ١١٢ ح ٢٦٢٥٣ عن عائشة نحوه، كنز العمّال: ج ١ ص ٢٣٠ ح ١١٥٧.

٣٧٤٦. عنه ﷺ: إِنَّ اللهَ ﷻ يقولُ: ما يَزالُ عَبدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتّىٰ أُحِبَّهُ؛ فَأَكونَ أَنَا سَمعَهُ الَّذي يَسمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ بِهِ، ولِسانَهُ الَّذي يَنطِقُ بِهِ، وقَلبَهُ الَّذي يَعقِلُ بِهِ، فَإِذا دَعا أَجَبتُهُ، وإِذا سَأَلَني أَعطَيتُهُ.[١]

٣٧٤٧. عنه ﷺ: لَو عَرَفتُمُ اللهَ تَعالىٰ حَقَّ مَعرِفَتِهِ لَزالَت بِدُعائِكُمُ الجِبالُ![٢]

٣٧٤٨. عنه ﷺ: لَو عَرَفتُمُ اللهَ ﷻ حَقَّ مَعرِفَتِهِ لَمَشَيتُم عَلَى البُحورِ، ولَزالَت بِدُعائِكُمُ الجِبالُ. ولَو خِفتُمُ اللهَ حَقَّ خَوفِهِ لَعَلِمتُمُ العِلمَ الَّذي لَيسَ مَعَهُ جَهلٌ، وما بَلَغَ ذٰلِكَ أَحَدٌ ولا أَتىٰ، اللهُ ﷻ أَعظَمُ مِن أَن يَبلُغَ أَحَدٌ أَمرَهُ كُلَّهُ![٣]

١٧/٧
الفَوزُ وَالفَلاحُ

٣٧٤٩. الإمام عليّ ؈: مَن عَرَفَ اللهَ سُبحانَهُ لَم يَشقَ أَبَداً.[٤]

٣٧٥٠. بحار الأنوار عن صُحف إدريس ؈: فازَ يا أَخنوخُ مَن عَرَفَني، وهَلَكَ مَن أَنكَرَني، عَجَباً لِمَن ضَلَّ عَنّي ولَيسَ يَخلو في شَيءٍ مِنَ الأَوقاتِ مِنّي، كَيفَ يَخلو وأَنَا أَقرَبُ إِلَيهِ مِن كُلِّ قَريبٍ، وأَدنىٰ إِلَيهِ مِن حَبلِ الوَريدِ؟[٥]

راجع: ص ٣٦١، ح ٣٩٠٠.

---

١. المعجم الكبير: ج ٨ ص ٢٠٦ ح ٧٨٣٣ وص ٢٢٢ ح ٧٨٨٠ نحوه وكلاهما عن أبي أُمامة، كنزالعمّال: ج ١ ص ٢٢٩ ح ١١٥٥.

٢. نوادر الأُصول: ج ٢ ص ١٣٢ عن معاذ بن جبل، حلية الأولياء: ج ٨ ص ١٥٦ عن وهيب المكّي، كنز العمّال: ج ٣ ص ١٤٢ ح ٥٨٨١؛ عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٣٢ ح ٢٢٥ وفيه «لزايلت بدعائكم الجبال الراسيات».

٣. الفردوس: ج ٣ ص ٣٧٠ ح ٥١٢٣، المغني عن حمل الأسفار: ج ٢ ص ١٠٢٣ ح ٣٧٢٣ وص ١١٢٩ ح ٤٠٨٦ وفيه صدره إلى «الجبال»، كنز العمّال: ج ٣ ص ١٤٤ ح ٥٨٩٣ نقلاً عن ابن السني وكلّها عن معاذ.

٤. غرر الحكم: ح ٨٩٥٤، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٦٣ ح ٨٤٢٧.

٥. بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٤٥٤ نقلاً عن ابن متّويه.

١٨ / ٧
المَجمَعُ الأَمثَلُ

الكتاب

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[١].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[٢].

الحديث

٣٧٥١. الإمام عليّ عليه السلام ـ في كِتابِهِ إلىٰ مُحَمَّدِ بنِ أبي بَكرٍ وأهلِ مِصرَ ـ: عَلَيكُم بِتَقوَى اللهِ؛ فَإِنَّها تَجمَعُ مِنَ الخَيرِ ما لا يَجمَعُ غَيرُها، ويُدرَكُ بِها مِنَ الخَيرِ ما لا يُدرَكُ بِغَيرِها؛ مِن خَيرِ الدُّنيا وخَيرِ الآخِرَةِ، قالَ اللهُ عز وجل: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

اِعلَموا ـ يا عِبادَ اللهِ ـ أنَّ المُؤمِنَ يَعمَلُ لِثَلاثٍ مِنَ الثَّوابِ: إمّا لِخَيرِ الدُّنيا، فَإِنَّ اللهَ يُثيبُهُ بِعَمَلِهِ في دُنياهُ؛ قالَ اللهُ سُبحانَهُ لِإِبراهيمَ: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[٤]، فَمَن عَمِلَ للهِ تَعالىٰ أعطاهُ أجرَهُ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ، وكَفاهُ المُهِمَّ فيهِما. وقَد قالَ اللهُ عز وجل: ﴿يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥]،

---

١. النساء: ١٣٤.

٢. الأعراف: ٩٦.

٣. النحل: ٣٠.

٤. العنكبوت: ٢٧.

٥. الزمر: ١٠.

فَما أَعطاهُمُ اللهُ فِي الدُّنيا لَم يُحاسِبهُم بِهِ فِي الآخِرَةِ. قالَ اللهُ ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1]، فَالحُسنىٰ هِيَ الجَنَّةُ، وَالزِّيادَةُ هِيَ الدُّنيا.

وإمّا لِخَيرِ الآخِرَةِ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ يُكَفِّرُ بِكُلِّ حَسَنَةٍ سَيِّئَةً؛ قالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[2]، حَتّىٰ إذا كانَ يَومُ القِيامَةِ حُسِبَت لَهُم حَسَناتُهُم، ثُمَّ أَعطاهُم بِكُلِّ واحِدَةٍ عَشرَ أَمثالِها إلىٰ سَبعِمِئَةِ ضِعفٍ؛ قالَ اللهُ ﷻ: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾[3]، وقالَ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[4]. فَارغَبوا في هٰذا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ وَاعمَلوا لَهُ، وتَحاضّوا[5] عَلَيهِ.

وَاعلَموا ـ يا عِبادَ اللهِ ـ أَنَّ المُتَّقينَ حازوا عاجِلَ الخَيرِ وآجِلَهُ؛ شارَكوا أَهلَ الدُّنيا في دُنياهُم، ولَم يُشارِكهُم أَهلُ الدُّنيا في آخِرَتِهِم؛ أَباحَهُمُ اللهُ مِنَ الدُّنيا ما كَفاهُم وبِهِ أَغناهُم؛ قالَ اللهُ عَزَّ اسمُهُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[6].

سَكَنُوا الدُّنيا بِأَفضَلِ ما سُكِنَت، وأَكَلوها بِأَفضَلِ ما أُكِلَت؛ شارَكوا أَهلَ الدُّنيا في دُنياهُم. فَأَكَلوا مَعَهُم مِن طَيِّباتِ ما يَأكُلونَ، وشَرِبوا مِن طَيِّباتِ ما يَشرَبونَ، ولَبِسوا

---

١. الزمر: ١٠.

٢. هود: ١١٤.

٣. النبأ: ٣٦.

٤. سبأ: ٣٧.

٥. الحَضّ على الشيء: الحثّ على الشيء (النهاية: ج ١ ص ٤٠٠).

٦. الأعراف: ٣٢.

مِن أَفضَلِ ما يَلبَسونَ، وسَكَنوا مِن أفضَلِ ما يَسكُنونَ، وتَزَوَّجوا مِن أفضَلِ ما يَتَزَوَّجونَ، ورَكِبوا مِن أفضَلِ ما يَركَبونَ؛ أَصابوا لَذَّةَ الدُّنيا مَعَ أَهلِ الدُّنيا، وهُم غَداً جيرانُ اللهِ، يَتَمَنَّونَ عَلَيهِ فَيُعطيهِم ما تَمَنَّوهُ، ولا يَرُدُّ لَهُم دَعوَةً، ولا يَنقُصُ لَهُم نَصيباً مِنَ اللَّذَّةِ. فَإِلىٰ هذا ـ يا عِبادَ اللهِ ـ يَشتاقُ إِلَيهِ مَن كانَ لَهُ عَقلٌ، ويَعمَلُ لَهُ بِتَقوَى اللهِ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ.[1]

راجع: ص ١٧ (الفصل الأوّل: قيمة معرفة الله)

و ٣٥٩ (الفصل الأوّل: قيمة التوحيد)،

التنمية الإقتصادية في الكتاب والسنّة: القسم الأوّل / الفصل الأوّل / سعادة الدنيا والآخرة

و القسم الأوّل / الفصل الثاني / قوام الدين والدنيا.

---

١. الأمالي للمفيد: ص ٢٦١ ح ٣، الأمالي للطوسي: ص ٢٥ ح ٣١ كلاهما عن أبي إسحاق الهمداني، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٤٣ ح ٧٢٠ وراجع: الغارات: ج ١ ص ٢٣٤.

تلخيص ما مرّ من دور معرفة الله

يمكن أَن نلخّص ما مرّ من معطيات معرفة الله وبركاتها ودورها في حياة الإنسان في قسمين:

١. دور معرفة الله في الحياة الفرديّة

إنّ أَهمّ بركات معرفة الله في الحياة الفرديّة، حبّ الله تعالىٰ والأُنس به، إذ إنّ الإنسان يعشق الجمال فطريّاً، ولمّا كان الله سبحانه جامعاً لكلّ ضروب الجمال، وكان جمال أُولي الجمال مستمدّاً منه، فإنّ المرء لا يمكن أَن يعرف الله ولا يحبّه! فقد قال الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام:

«مَن عَرَفَ اللهَ أَحَبَّهُ»[1].

وكلّما زادت معرفة الإنسان بخالقه زاد حبّه له إلىٰ أن يصبح في مقام «التامّين في محبّة الله»[2].

إنّ المحبّة التي تنبثق عن المعرفة بالنظر إلىٰ أَوامر الله ونواهيه، وما وعد الله

---

١. راجع: ص ٢٨٠ ح ٣٦٩٠.

٢. المحبّة في الكتاب والسنّة: «القسم الثاني / الفصل الأوّل / التامّون في محبّة الله».

سبحانه في ثواب من عمل بأوامره وجزاء من خالف نواهيه، تقترن بالخشية والرغبة، وتدعو المرء إلىٰ جميع القيم العقيديّة، والأَخلاقيّة، والعمليّة السّامية، وترك المفاهيم الّتي تضاد القيم.

٢. دور معرفة الله في الحياة الاجتماعيّة

لمّا كانت معرفة الله هي الأَساس للقيم العقيديّة والأَخلاقيّة والعمليّة فهي أَعرف قواعد المجتمع الإنسانيّ المثاليّ أَصالةً أَيضاً، من هنا لا يمكن أَن نتوقّع من مجتمع لا يعتقد بالله مراعاة القيم الإنسانيّة وعلىٰ رأسها العدالة الاجتماعيّة، لذا قال الإمام الرضا عليه السلام في فلسفة عبادة الله:

«لِعِلَلٍ كَثيرَةٍ، مِنها أنَّ مَن لَم يُقِرَّ بِاللهِ عزّ وجلّ لَم يَتَجَنَّب مَعاصِيَهُ، ولَم يَنتَهِ عَنِ ارتِكابِ الكَبائِرِ ولَم يُراقِب أحَداً فيما يَشتَهي ويَستَلِذُّ مِنَ الفَسادِ وَالظُّلمِ...»[١].

لا ريب في أَنّ استقرار القيم الأَخلاقيّة في المجتمع لا يتيسّر بلا أَساس دينيّ ولا اعتقاد بالله، ولو كان العالم عبثاً وبلا شعور، وتساوى العادل والظالم، والمحسن والمسيء في بلوغ نقطة واحدة بعد الموت، فبأيّ دليل يمكن أن ندعو المجتمع إلىٰ رعاية القيم الإنسانيّة السّاميّة، أي: العدالة، والإيثار، ومكافحة الظلم والجريمة؟ ولأيّ سبب يضحّي الإنسان نفسه للآخرين ولا يضحيّ الآخرون أنفسهم له؟! من هنا ينبغي أن نقول: إنّ المادّيّة تقتضي إلغاء القيم الأَخلاقيّة، وتبنّي القيم الأَخلاقيّة يستلزم إلغاء المادّيّة.

وعلى العكس من ذلك فإنّ الاعتقاد بالله وهدفيّة عالم الوجود ممهّدان للمجتمع

---

١. راجع: ص ٢٨٥ ح ٣٧١٥.

الأَمثل والتكامل المادّيّ والمعنويّ للإنسان، كما قال خالق الوجود ـ جلّ شأنه ـ:
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾[1].

وإذا قُدّر للمجتمع البشريّ يوماً أن يرسّخ صلته بخالق الكون، كما ينبغي فإنّه يمهّد لنفسه أَفضل أَنواع الحياة، علىٰ أَمل ذلك اليوم المنشود إن شاء الله[2].

---

١. النساء: ١٣٤.

٢. راجع: التنمية الاقتصادية في الكتاب والسنّة: «القسم الأوّل / الفصل الخامس: التنمية الموعودة في الإسلام».

الفصل الثامن

آفاقُ مَعرِفَةِ اللهِ

١ / ٨
حقُّ مَعرِفَةِ اللهِ وَحَدُّها

٣٧٥٢ . التوحيد عن ابن عبّاس : جاءَ أَعرابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ عَلِّمني مِن غَرائِبِ العِلمِ.

قالَ: ما صَنَعتَ في رَأسِ العِلمِ حَتّىٰ تَسأَلَ عَن غَرائِبِهِ؟!

قالَ الرَّجُلُ: ما رَأسُ العِلمِ يا رَسولَ اللهِ؟

قالَ: مَعرِفَةُ اللهِ حَقَّ مَعرِفَتِهِ.

قالَ الأَعرابِيُّ: وما مَعرِفَةُ اللهِ حَقَّ مَعرِفَتِهِ؟

قالَ: تَعرِفُهُ بِلا مِثلٍ ولا شِبهٍ ولا نِدٍّ، وأَنَّهُ واحِدٌ أَحَدٌ، ظاهِرٌ باطِنٌ، أَوَّلٌ آخِرٌ، لا كُفوَ لَهُ ولا نَظيرَ، فَذٰلِكَ حَقُّ مَعرِفَتِهِ.[1]

---

١ . التوحيد: ص ٢٨٤ ح ٥، منية المريد: ص ٣٦٦، مشكاة الأنوار: ص ٤٠ ح ١٠، جامع الأخبار: ص ٣٦ ح ١٧ نحوه، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٦٩ ح ٤.

٣٧٥٣ . الإمام الكاظم عليه السلام : أَوَّلُ الدِّيانَةِ بِهِ مَعرِفَتُهُ، وكَمالُ مَعرِفَتِهِ تَوحيدُهُ، وكَمالُ تَوحيدِهِ نَفيُ الصِّفاتِ عَنهُ.[١]

٣٧٥٤ . التوحيد عن طاهر بن حاتم بن ماهويه : كَتَبتُ إلَى الطَّيِّبِ ـ يَعني أبَا الحَسَنِ موسى عليه السلام ـ : مَا الَّذي لا تُجزِئُ مَعرِفَةُ الخالِقِ بِدونِهِ ؟ فَكَتَبَ : لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ، ولَم يَزَل سَميعاً وعَليماً وبَصيراً، وهُوَ الفَعّالُ لِما يُريدُ.[٢]

٣٧٥٥ . الإمام الرضا عليه السلام ـ لَمّا سُئِلَ عَن أدنَى المَعرِفَةِ ـ : الإِقرارُ بِأَنَّهُ لا إلٰهَ غَيرُهُ، ولا شِبهَ لَهُ ولا نَظيرَ، وأَنَّهُ قَديمٌ مُثبَتٌ مَوجودٌ غَيرُ فَقيدٍ، وأَنَّهُ لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ.[٣]

٣٧٥٦ . الإمام الصادق عليه السلام : إنَّ أفضَلَ الفَرائِضِ وأَوجَبَها عَلَى الإِنسانِ مَعرِفَةُ الرَّبِّ وَالإِقرارُ لَهُ بِالعُبودِيَّةِ، وحَدُّ المَعرِفَةِ أنَّهُ لا إلٰهَ غَيرُهُ ولا شَبيهَ لَهُ ولا نَظيرَ لَهُ، وأَنَّهُ يُعرَفُ أنَّهُ قَديمٌ مُثبَتٌ بِوُجودٍ غَيرِ فَقيدٍ، مَوصوفٌ مِن غَيرِ شَبيهٍ ولا مُبطِلٍ، لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وهُوَ السَّميعُ البَصيرُ.[٤]

٣٧٥٧ . الإمام الرضا عليه السلام ـ فِي الفِقهِ المَنسوبِ إلَيهِ ـ : أروي أنَّ المَعرِفَةَ التَّصديقُ وَالتَّسليمُ وَالإِخلاصُ فِي السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ، وأَروي أنَّ حَقَّ المَعرِفَةِ أن يُطيعَ ولا يَعصِيَ، ويَشكُرَ ولا يَكفُرَ.[٥]

---

١ . الكافي : ج ١ ص ١٤٠ ح ٦ عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم، التوحيد : ص ٥٧ ح ١٤ عن فتح بن يزيد الجرجاني عن الإمام الرضا عليه السلام، بحار الأنوار : ج ٥٧ ص ١٦٦ ح ١٠٦.

٢ . التوحيد : ص ٢٨٤ ح ٤، بحار الأنوار : ج ٣ ص ٢٦٩ ح ٥ وراجع : الكافي : ج ١ ص ٨٦ ح ٢.

٣ . الكافي : ج ١ ص ٨٦ ح ١، التوحيد : ص ٢٨٣ ح ١، عيون أخبار الرضا : ج ١ ص ١٣٣ ح ٢٩ كلّها عن الفتح بن يزيد، بحار الأنوار : ج ٣ ص ٢٦٧ ح ١.

٤ . كفاية الأثر : ص ٢٥٨ عن هشام، بحار الأنوار : ج ٤ ص ٥٥ ح ٣٤.

٥ . الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام : ص ٦٥، بحار الأنوار : ج ٣ ص ١٤ ح ٣٤.

٢ / ٨
لا تُدرِكُهُ الأبصارُ

الكتاب

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.[١]

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾.[٢]

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.[٣]

الحديث

٣٧٥٨. رسول الله ﷺ: فَوقَ كُلِّ شَيءٍ عَلا، ومِن كُلِّ شَيءٍ دَنا، فَتَجَلّىٰ لِخَلقِهِ مِن غَيرِ أن يَكونَ يُرىٰ، وهُوَ بِالمَنظَرِ الأَعلىٰ.[٤]

٣٧٥٩. الإمام الصادق عليه السلام ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ ـ: إحاطَةُ الوَهمِ... اللهُ أعظَمُ مِن أن يُرىٰ بِالعَينِ.[٥]

---

١. الأنعام: ١٠٣.

٢. النساء: ١٥٣.

٣. الأعراف: ١٤٣.

٤. التوحيد: ص ٤٥ ح ٤ عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام، علل الشرائع: ص ١١٩ ح ١ عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عليه السلام، كفاية الأثر: ص ١٦١ عن هشام بن محمّد عن أبيه عن الإمام الحسن عليه السلام، بحار الأنوار: ج ١١ ص ٣٨ ح ٣٥.

٥. الكافي: ج ١ ص ٩٨ ح ٩، التوحيد: ص ١١٢ ح ١٠، الاحتجاج: ج ٢ ص ٢١١ ح ٢٢٢ كلّها عن عبدالله بن سنان، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٣ ح ١١.

٣٧٦٠ . الإمام الرضا عليه السلام ـ في قَولِ اللهِ عزّ وجلّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ ـ: لا تُدرِكُهُ أَوهامُ القُلوبِ، فَكَيفَ تُدرِكُهُ أَبصارُ العُيونِ![1]

٣٧٦١ . المحاسن عن أبي هاشم الجعفريّ: أَخبَرَني الأَشعَثُ بنُ حاتِمٍ أَنَّهُ سَأَلَ الرِّضا عليه السلام عَن شَيءٍ مِنَ التَّوحيدِ، فَقالَ: أَلا تَقرَأُ القُرآنَ؟

قُلتُ: نَعَم.

قالَ: اِقرَأ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾، فَقَرَأتُ.

فَقالَ: مَا الأَبصارُ؟

قُلتُ: أَبصارُ العَينِ.

قالَ: لا، إِنَّما عَنَى الأَوهامَ؛ لا تُدرِكُ الأَوهامُ كَيفِيَّتَهُ، وهُوَ يُدرِكُ كُلَّ فَهمٍ.[2]

٣٧٦٢ . الكافي عن أبي هاشم الجعفريّ: قُلتُ لِأَبي جَعفَرٍ عليه السلام[3]: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾؟ فَقالَ: يا أَبا هاشِمٍ، أَوهامُ القُلوبِ أَدَقُّ مِن أَبصارِ العُيونِ، أَنتَ قَد تُدرِكُ بِوَهمِكَ السِّندَ وَالهِندَ وَالبُلدانَ الَّتي لَم تَدخُلها ولا تُدرِكُها بِبَصَرِكَ، وأَوهامُ القُلوبِ لا تُدرِكُهُ فَكَيفَ أَبصارُ العُيونِ؟![4]

٣٧٦٣ . التوحيد عن صفوان بن يحيى: سَأَلَني أَبو قُرَّةَ المُحَدِّثُ أَن أُدخِلَهُ عَلىٰ أَبِي الحَسَنِ الرِّضا عليه السلام فَاستَأذَنتُهُ في ذٰلِكَ فَأَذِنَ لي، فَدَخَلَ عَلَيهِ فَسَأَلَهُ عَنِ الحَلالِ وَالحَرامِ

---

١ . الأمالي للصدوق: ص ٤٩٤ ح ٦٧٣ عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، التوحيد: ص ١١٣ ح ١٢ عن أبي هاشم الجعفري عن الإمام الجواد عليه السلام نحوه، روضة الواعظين: ص ٤٢، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٩ ح ١٧.

٢ . المحاسن: ج ١ ص ٣٧٢ ح ٨١٥، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٠٨ ح ٤٦ وراجع: التوحيد: ص ١١٢ ح ١١.

٣ . المراد من أبي جعفر هنا هو الإمام الجواد عليه السلام.

٤ . الكافي: ج ١ ص ٩٩ ح ١١، التوحيد: ص ١١٣ ح ١٢، الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٦٥ ح ٣١٩، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٩ ح ١٧.

وَالأَحكامِ حَتّىٰ بَلَغَ سُؤالُهُ التَّوحيدَ، فَقالَ أَبو قُرَّةَ: إِنّا رُوّينا أَنَّ اللهَ قَسَّمَ الرُّؤيَةَ وَالكَلامَ بَينَ اثنَينِ، فَقَسَّمَ لِمُوسىٰ الكَلامَ وَلِمُحَمَّدٍ الرُّؤيَةَ.

فَقالَ أَبو الحَسَنِ: فَمَنِ المُبَلِّغُ عَنِ اللهِ إِلَى الثَّقَلَينِ الجِنِّ وَالإِنسِ: ﴿لَّاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[1] ﴿وَلَايُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[2] و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾[3] أَلَيسَ مُحَمَّداً؟

قالَ: بَلىٰ؟

قالَ: فَكَيفَ يَجيءُ رَجُلٌ إِلَى الخَلقِ جَميعاً فَيُخبِرُهُم أَنَّهُ جاءَ مِن عِندِ اللهِ وَأَنَّهُ يَدعوهُم إِلَى اللهِ بِأَمرِ اللهِ وَيَقولُ: ﴿لَّاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ ﴿وَلَايُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ وَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾ ثُمَّ يَقولُ: أَنَا رَأَيتُهُ بِعَيني، وَأَحَطتُ بِهِ عِلماً وَهُوَ عَلىٰ صورَةِ البَشَرِ، أَما تَستَحيونَ؟! ما قَدَرَتِ الزَّنادِقَةُ أَن تَرمِيَهُ بِهٰذا؛ أَن يَكونَ يَأتي عَنِ اللهِ بِشَيءٍ، ثُمَّ يَأتي بِخِلافِهِ مِن وَجهٍ آخَرَ!!

قالَ أَبو قُرَّةَ: فَإِنَّهُ يَقولُ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[4]؟

فَقالَ أَبو الحَسَنِ: إِنَّ بَعدَ هٰذِهِ الآيَةِ ما يَدُلُّ عَلىٰ ما رَأىٰ، حَيثُ قالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[5] يَقولُ: ما كَذَبَ فُؤادُ مُحَمَّدٍ ما رَأَت عَيناهُ، ثُمَّ أَخبَرَ بِما رَأىٰ فَقالَ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[6]، فَآياتُ اللهِ غَيرُ اللهِ، وَقَد قالَ: ﴿وَلَايُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[7] فَإِذا رَأَتهُ الأَبصارُ فَقَد أَحاطَت بِهِ العِلمُ وَوَقَعَتِ المَعرِفَةُ.

---

١. الأنعام: ١٠٣.

٢. طه: ١١٠.

٣. الشورى: ١١.

٤. النجم: ١٣.

٥. النجم: ١١.

٦. النجم: ١٨.

٧. طه: ١١٠.

فَقالَ أَبو قُرَّةَ: فَتُكَذِّبُ بِالرِّواياتِ؟

فَقالَ أَبُو الحَسَنِ عليه السلام: إذا كانَتِ الرِّواياتُ مُخالِفَةً لِلقُرآنِ كَذَّبتُ بِها، وَما أَجمَعَ المُسلِمونَ عَلَيهِ أَنَّهُ لا يُحاطُ بِهِ عِلمٌ[1] وَلا تُدرِكُهُ الأَبصارُ، وَلَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ.[2]

٣٧٦٤. الإمام عليّ عليه السلام: ظاهِرٌ لا بِتَأويلِ المُباشَرَةِ، مُتَجَلٍّ لا بِاستِهلالِ رُؤيَةٍ.[3]

٣٧٦٥. عنه عليه السلام: الرّادِعُ أَناسِيَّ[4] الأَبصارِ عَن أَن تَنالَهُ أَو تُدرِكَهُ.[5]

٣٧٦٦. عنه عليه السلام ـ فِي تَمجيدِ اللهِ عزّ وجلّ ـ: لَم يَنتَهِ إِلَيكَ نَظَرٌ، ولَم يُدرِكك بَصَرٌ. أَدرَكتَ الأَبصارَ، وأَحصَيتَ الأَعمالَ (الأَعمارَ).[6]

٣٧٦٧. عنه عليه السلام: لَم تَقَع عَلَيهِ الأَوهامُ فَتُقَدِّرَهُ شَبَحاً ماثِلاً، ولَم تُدرِكهُ الأَبصارُ فَيَكونَ بَعدَ انتِقالِها حائِلاً... كَلَّت[7] عَن إدراكِهِ طُروفُ العُيونِ، وقَصُرَت دونَ بُلوغِ صِفَتِهِ أَوهامُ الخَلائِقِ.[8]

---

١. هكذا في النسخ والظاهر أنّه اشتباه من النسّاخ، والصواب «لا يحاط بعلم» (هامش المصدر) أو «لا يُحيط به علمٌ».

٢. التوحيد: ص ١١١ ح ٩، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٧٣ ح ٢٨٥ نحوه، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٦ ح ١٤.

٣. الكافي: ج ١ ص ١٣٨ ح ٤ عن الإمام الصادق عليه السلام، التوحيد: ص ٣٠٨ ح ٢ عن عبدالله بن يونس عن الإمام الصادق عنه عليه السلام وص ٣٧ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥١ ح ٥١ كلاهما عن محمّد بن يحيىٰ وأحمد بن عبدالله العلوي عن الإمام الرضا عليه السلام، الأمالي للمفيد: ص ٢٥٥ ح ٤ عن محمّد بن زيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام، الأمالي للطوسي: ص ٢٣ ح ٢٨ عن محمّد بن يزيد الطبري عن الإمام الرضا عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٠٤ ح ٣٤.

٤. أناسِيّ: جمع إنسان؛ وهو المثال الذي يُرى في السواد (لسان العرب: ج ٦ ص ١٣).

٥. نهج البلاغة: الخطبة ٩١ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٠٦ ح ٩٠.

٦. نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠ وراجع: بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٤٢٤.

٧. طَرفٌ كليلٌ: إذا لم يحقّق المنظور. وقال بعضهم: كَلَّ بَصَرُهُ كُلولاً: نَبا. والأصل من كَلَّ عنه؛ أي نبا وضعف (لسان العرب: ج ١١ ص ٥٩١).

٨. الكافي: ج ١ ص ١٤١ ح ٧، التوحيد: ص ٣١ ح ١ كلاهما عن الحارث الأعور، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٦٥ ح ١٤.

٣٧٦٨ . عنه ﷺ : مَن جازَ عَلَيهِ البَصَرُ والرُّؤيَةُ فَهُوَ مخلوقٌ ، ولابُدَّ لِلمَخلوقِ مِنَ الخالِقِ.[١]

٣٧٦٩ . عنه ﷺ : لا تَنالُهُ الأَبصارُ مِن مَجدِ جَبَروتِهِ ؛ إذ حَجَبَها بِحُجُبٍ لا تَنفُذُ في ثِخَنِ كَثافَتِهِ ، ولا تَخرِقُ إلىٰ ذِي العَرشِ مَتانَةَ خَصائِصِ سُتُراتِهِ ، الَّذي صَدَرَتِ الأُمورُ عَن مَشيئَتِهِ.[٢]

٣٧٧٠ . عنه ﷺ : الحَمدُ للهِ... المُمتَنِعَةِ مِنَ الصِّفاتِ ذاتُهُ ، ومِنَ الأَبصارِ رُؤيَتُهُ ، ومِنَ الأَوهامِ الإِحاطَةُ بِهِ.[٣]

٣٧٧١ . عنه ﷺ : قَد حَسَرَ[٤] كُنهُهُ نَوافِذَ الأَبصارِ ، وقَمَعَ وُجودُهُ جَوائِلَ[٥] الأَوهامِ.[٦]

٣٧٧٢ . فاطمة ﷺ : المُمتَنِعُ مِنَ الأَبصارِ رُؤيَتُهُ ، ومِنَ الأَلسُنِ صِفَتُهُ ، ومِنَ الأَوهامِ كَيفِيَّتُهُ.[٧]

٣٧٧٣ . الإمام الحسين ﷺ ـ فِي وِترِهِ ـ : اللّٰهُمَّ إنَّكَ تَرىٰ ولا تُرىٰ ، وأَنتَ بِالمَنظَرِ الأَعلىٰ ، وإنَّ إلَيكَ الرُّجعىٰ ، وإنَّ لَكَ الآخِرَةَ والأُولىٰ ، اللّٰهُمَّ إنّا نَعوذُ بِكَ مِن أَن نَذِلَّ ونَخزىٰ.[٨]

٣٧٧٤ . الإمام زين العابدين ﷺ : الحَمدُ للهِ الأَوَّلِ بِلا أَوَّلٍ كانَ قَبلَهُ ، وَالآخِرِ بِلا آخِرٍ يَكونُ

---

١ . كفاية الأثر : ص ٢٥٧ عن هشام عن الإمام الصادق عن أبيه عن آبائه ﷺ ، بحار الأنوار : ج ٤ ص ٥٤ ح ٣٤.

٢ . التوحيد : ص ٥٢ ح ١٣ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق ﷺ ، بحار الأنوار : ج ٤ ص ٢٧٦ ح ١٦.

٣ . الكافي : ج ١ ص ١٣٩ ح ٥ عن إسماعيل بن قتيبة عن الإمام الصادق ﷺ ، التوحيد : ص ٥٦ ح ١٤ عن فتح بن يزيد الجرجاني عن الإمام الرضا ﷺ ، بحار الأنوار : ج ٤ ص ٢٨٤ ح ١٧.

٤ . الحَسْر والحَسَر : الإعياء والتعب (لسان العرب : ج ٤ ص ١٨٨).

٥ . الجائل : الزائل عن مكانه (لسان العرب : ج ١١ ص ١٣١).

٦ . الكافي : ج ١ ص ١٤٠ ح ٥ عن إسماعيل بن قتيبة ، التوحيد : ص ٥٧ ح ١٤ عن فتح بن يزيد عن الإمام الرضا ﷺ وفيه بزيادة «دون» قبل «كنهه» ، بحار الأنوار : ج ٤ ص ٢٨٥ ح ١٧.

٧ . الاحتجاج : ج ١ ص ٢٥٥ عن عبدالله بن الحسن عن أبيه عن جدّه الإمام الحسن ﷺ ، بحار الأنوار : ج ٢٩ ص ٢٢١ ح ٨.

٨ . المصنّف لابن أبي شيبة : ج ٢ ص ٢٠٠ ح ٣ عن منصور عن شيخ يكنّى أبا محمّد ، الفردوس : ج ١ ص ٤٤٢ ح ١٨٠٢ عن ابن عبّاس ، كنز العمّال : ج ٢ ص ٢٠٧ ح ٣٧٨٢ ؛ فلاح السائل : ص ٤١٦ ، من دون إسنادٍ إلى المعصوم ، بحار الأنوار : ج ٨٧ ص ٩٢ ح ١١.

بَعدَهُ، الَّذي قَصُرَت عَن رُؤيَتِهِ أَبصارُ النّاظِرينَ، وعَجَزَت عَن نَعتِهِ أَوهامُ الواصِفينَ.[١]

٣٧٧٥ . الإمام الصّادق عليه السلام : يَا ابنَ آدَمَ، لَو أَكَلَ قَلبَكَ طائِرٌ لَم يُشبِعهُ، وبَصَرُكَ لَو وُضِعَ عَلَيهِ خَرقُ إِبرَةٍ لَغَطّاهُ، تُريدُ أَن تَعرِفَ بِهِما مَلَكوتَ السَّماواتِ وَالأَرضِ؟! إِن كُنتَ صادِقاً فَهٰذِهِ الشَّمسُ خَلقٌ مِن خَلقِ اللهِ، فَإِن قَدَرتَ أَن تَملَأَ عَينَيكَ مِنها فَهُوَ كَما تَقولُ.[٢]

٣٧٧٦ . الأمالي عن إبراهيم الكرخيّ : قُلتُ لِلصّادِقِ عليه السلام : إِنَّ رَجُلاً رَأىٰ رَبَّهُ عزّ وجلّ فـي مَـنامِهِ، فَمَا يَكونُ ذٰلِكَ؟ فَقالَ: ذٰلِكَ رَجُلٌ لا دينَ لَهُ، إِنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ لا يُرىٰ فِي اليَقظَةِ ولا فِي المَنامِ، ولا فِي الدُّنيا ولا فِي الآخِرَةِ.[٣]

٣٧٧٧ . الأمالي عن إسماعيل بن الفضل : سَأَلتُ أَبا عَبدِاللهِ جَعفَرَ بـنَ مُـحَمَّدٍ الصّـادِقَ عليه السلام عَنِ اللهِ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ هَل يُرىٰ فِي المَعادِ؟

فَقالَ: سُبحانَ اللهِ وتَعالىٰ عَن ذٰلِكَ عُلُوّاً كَـبيراً! يَـا ابـنَ الفَـضلِ، إِنَّ الأَبـصارَ لا تُدرِكَ إِلّا ما لَهُ لَونٌ وكَيفِيَّةٌ، وَاللهُ خالِقُ الأَلوانِ وَالكَيفِيَّةِ.[٤]

٣٧٧٨ . الإمام الرضا عليه السلام : إِنَّ أَوهامَ القُلوبِ أَكبَرُ مِن أَبصارِ العُيونِ، فَهُوَ لا تُدرِكُهُ الأَوهامُ وهُوَ يُدرِكُ الأَوهامَ.[٥]

٣٧٧٩ . التوحيد عن محمّد بن عبدالله الخراساني خادم الرضا عليه السلام : دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الزَّنادِقَةِ[٦] عَلَى الرِّضا عليه السلام وعِندَهُ جَماعَةٌ... قالَ [الرَّجُلُ]: فَلِمَ لا تُدرِكُهُ حاسَّةُ البَـصَرِ؟ قـالَ:

---

١ . الصحيفة السجّادية: ص ١٩ الدعاء ١.

٢ . الكافي: ج ١ ص ٩٣ ح ٨، التوحيد: ص ٤٥٥ ح ٥ عن فضيل بن يسار، الاعتقادات: ص ٤٢.

٣ . الأمالي للصدوق: ص ٧٠٨ ح ٩٧٤، روضة الواعظين: ص ٤٢، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٢ ح ٧.

٤ . الأمالي للصدوق: ص ٤٩٥ ح ٦٧٤، روضة الواعظين: ص ٤٢، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣١ ح ٥.

٥ . الكافي: ج ١ ص ٩٩ ح ١٠، التوحيد: ص ١١٣ ح ١١ وفيه «أكثر» بدل «أكبر» وكلاهما عن أبي هاشم الجعفري، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٩ ح ١٦.

٦ . الزنادقة: جمع زِنديق: وهو القائل ببقاء الدهر، فارسيّ معرّب (لسان العرب: ج ١٠ ص ١٤٧).

لِلفَرقِ بَينَهُ وبَينَ خَلقِهِ الَّذينَ تُدرِكُهُم حاسَّةُ الأَبصارِ مِنهُم ومِن غَيرِهِم، ثُمَّ هُوَ أَجَلُّ مِن أَن يُدرِكَهُ بَصَرٌ، أَو يُحيطَ بِهِ وَهمٌ، أَو يَضبُطَهُ عَقلٌ.[١]

٣٧٨٠. الكافي عن أحمد بن إسحاق: كَتَبتُ إِلىٰ أَبِي الحَسَنِ الثّالِثِ عليه السلام أَسأَلُهُ عَنِ الرُّؤيَةِ ومَا اختَلَفَ فيهِ النّاسُ، فَكَتَبَ: لا تَجوزُ الرُّؤيَةُ ما لَم يَكُن بَينَ الرّائي وَالمَرئِيِّ هَواءٌ يَنفُذُهُ البَصَرُ، فَإِذَا انقَطَعَ الهَواءُ[٢] عَنِ الرّائي وَالمَرئِيِّ لَم تَصِحَّ الرُّؤيَةُ وكانَ في ذٰلِكَ الاِشتِباهُ؛ لِأَنَّ الرّائِيَ مَتىٰ ساوَى المَرئِيَّ فِي السَّبَبِ الموجِبِ بَينَهُما فِي الرُّؤيَةِ وَجَبَ الاِشتِباهُ وكانَ ذٰلِكَ التَّشبيهُ؛ لِأَنَّ الأَسبابَ لابُدَّ مِنِ اتِّصالِها بِالمُسَبَّباتِ.[٣]

٣٧٨١. الكافي عن محمّد بن عبيد: كَتَبتُ إِلىٰ أَبِي الحَسَنِ الرِّضا عليه السلام أَسأَلُهُ عَنِ الرُّؤيَةِ وما تَرويهِ العامَّةُ وَالخاصَّةُ وسَأَلتُهُ أَن يَشرَحَ لي ذٰلِكَ، فَكَتَبَ بِخَطِّهِ: اِتَّفَقَ الجَميعُ لا تَمانُعَ بَينَهُم أَنَّ المَعرِفَةَ مِن جِهَةِ الرُّؤيَةِ ضَرورَةٌ، فَإِذا جازَ أَن يُرَى اللهُ بِالعَينِ وَقَعَتِ المَعرِفَةُ ضَرورَةً، ثُمَّ لَم تَخلُ تِلكَ المَعرِفَةُ مِن أَن تَكونَ إِيماناً أَو لَيسَت بِإِيمانٍ؛ فَإِن كانَت تِلكَ المَعرِفَةُ مِن جِهَةِ الرُّؤيَةِ إِيماناً، فَالمَعرِفَةُ الَّتي في دارِ الدُّنيا مِن جِهَةِ الاِكتِسابِ لَيسَت بِإِيمانٍ؛ لِأَنَّها ضِدُّهُ، فَلا يَكونُ فِي الدُّنيا مُؤمِنٌ؛ لِأَنَّهُم لَم يَرَوُا اللهَ

---

١. التوحيد: ص ٢٥٠ ح ٣، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣٢ ح ٢٨، علل الشرائع: ص ١١٩ ح ١، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٥٥ ح ٢٨١، بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥ ح ١.

٢. في التوحيد: «فإذا انقطع الهواء وعُدِمَ الضياءُ بين الرائي والمرئي لم تصحّ الرؤية».

٣. الكافي: ج ١ ص ٩٧ ح ٤، التوحيد: ص ١٠٩ ح ٧ بزيادة «عُدِم الضياء» بعد «انقطع الهواء» وراجع الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٨٦.

عَزَّ ذِكرُهُ، وإِن لَم تَكُن تِلكَ المَعرِفَةُ الَّتي مِن جِهَةِ الرُّؤيَةِ إِيماناً، لَم تَخلُ هٰذِهِ المَعرِفَةُ الَّتي مِن جِهَةِ الاِكتِسابِ أَن تَزولَ، ولا تَزولَ فِي المَعادِ. فَهٰذا دَليلٌ عَلىٰ أَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لا يُرىٰ بِالعَينِ؛ إِذِ العَينُ تُؤَدّي إِلىٰ ما وَصَفناهُ.[1]

---

١. الكافي: ج ١ ص ٩٦ ح ٣، التوحيد: ص ١٠٩ ح ٨ عن محمّد بن عبيدة، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٥٦ ح ٣٤ و راجع في معنى الحديث والأقوال فيه: بحار الأنوار: ج ٤ ص ٥٦.

كلام في بطلان القول بجواز رؤية الله بالبصر

يعتقد أَتباع مدرسة أَهل البيت بامتناع الرؤية الحسّيّة لله تعالىٰ علىٰ أَساس تعاليم الكتاب والسنّة والحكم القطعيّ للعقل والبرهان، ومِثلهم في هذه العقيدة أَتباع مدرسة المعتزلة من أَهل السنّة، أمّا الأَشاعرة وطائفة من أَهل الحديث الذين يُدْعَون المشبّهة أَو الحشويّة، فإنّهم يقولون بإمكان الرؤية الحسّيّة إلّا أَنّ الحشويّة يقولون: بأنّ الله سبحانه وتعالىٰ جسمٌ، والأَشاعرة ـ علىٰ ما نقل القاضي الإيجيّ ـ «معتقدون أنّ الله ليس جسماً ولا في جهةٍ، ولذا يستحيل مواجهته وتقليب العين إليه وأمثال ذلك، مع ذلك يصحّ أَن ينكشف لعباده انكشاف القمر ليلة البدر، كما ورد في الأَحاديث».[١]

والفرق الآخر بين الأَشاعرة والحشويّة أَنّ الحشويّة يقولون: إنّ الله يُرىٰ في الدنيا والآخرة.[٢] أَمّا الأَشاعرة فيذهبون إلىٰ أَنّ الله لا يُرىٰ بالعين إلّا في الآخرة، ولكن رؤيته لا تستلزم كونه جسماً، ولا تشبيهاً للخالق بالمخلوق.

---

١. شرح المواقف: ج ٨ ص ١١٥، ١١٦.

٢. الملل والنحل للشهرستاني: ج ١ ص ١٥٠.

الدليل العقليّ للقائلين بجواز الرؤية

على الرغم من أَنّ القائلين بإمكان رؤية الله بالعين يزعمون أَنّ لهم دليلاً عقليّاً وآخر نقليّاً. لكنّ بطلان دليلهم العقليّ من الوضوح بمكانٍ أنّه لا يحتاج إلىٰ نقاش، نحو: صِرف وجود الأَشياء يقتضي إمكان رؤيتها[1]، أَو قول ابن تيميّة: «فإنّ الرؤية وجود محض، وهي إنّما تتعلّق بموجود لا بمعدوم، فما كان أكمل وجود، بل كان وجوده واجباً فهو أَحقّ بها ممّا يلازمه من العدم...»[2].

والجواب عن هذا الكلام هو:

أَوّلاً: إنّ إثبات هذا الزعم بأنّ صرف الوجود يقتضي إمكان الرؤية، أَو أَنّ ما كان أكمل وجوداً، فهو أَحقّ بالرؤية يحتاج إلىٰ دليل.

ثانياً: دلّت التجربة علىٰ أَنّ كثيراً من الأَشياء تتعذّر رؤيته الحسّيّة، فهل استطاع أَحد أَن يرىٰ قوّة التفكّر بالعين لحدّ الآن؟!

ثالثاً: كما لوحظ في الروايات المأثورة عن أَهل البيت عليهم السلام، فإنّ العين لا تستطيع أَن ترىٰ إلّا ما كان له لون وكيفيّة، ومثل هذا الشيء لا يمكن أَن يكون خالقاً غير محدود.

الدليل النقليّ للقائلين بجواز الرؤية

أَمّا دليلهم النقليّ الذي وصفه القاضي الإيجيّ بأنّه الدليل الأَصليّ لإثبات إمكان الرؤية فهو الأَحاديث التي نشير إلىٰ عدد منها فيما يأتي:

١. عن ابن عمر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ...﴾[3]

---

١. اللمع للأشعري: ص ٣٢؛ شرح المقاصد للتفتازاني: ج ٤ ص ١٨٩.

٢. الردّ علىٰ المنطقيّين: ص ٢٣٨.

٣. القيامة: ٢٢.

«من البهاء والحسن، ناظرة في وجه الله تعالىٰ»[١].

٢. وعنه أيضاً: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ:

«إنَّ أدنىٰ أهلِ الجَنَّةِ مَنزِلَةً لَمَن يَرىٰ في مُلكِهِ أَلفَي سَنَةٍ، وإنَّ أفضَلَهُم مَنزِلَةً لَمَن يَنظُرُ في وَجهِ اللهِ تَعالىٰ كُلَّ يَومٍ مَرَّتَينِ، ثُمَّ تَلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قالَ: البَياضُ وَالصَّفاءُ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢] قالَ: يَنظُرُ كُلَّ يَومٍ في وَجهِ اللهِ عزّ وجلّ»[٣].

٣. وفي صحيح مسلم عن النبيّ ﷺ:

«إذا دَخَلَ أَهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قالَ: يَقولُ اللهُ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ: تُريدونَ شَيئاً أَزيدُكُم؟ فَيَقولونَ: أَلَم تُبَيِّض وُجوهَنا؟ أَلَم تُدخِلنَا الجَنَّةَ وتُنَجِّنا مِنَ النّارِ؟ قالَ: فَيَكشِفُ الحِجابَ، فَما أُعطوا شَيئاً أَحَبَّ إلَيهِم مِنَ النَّظَرِ إلىٰ رَبِّهِم عزّ وجلّ»[٤].

وجواب ما استندوا إليه كدليلٍ نقليّ علىٰ إمكان الرؤية بالبصر هو: علىٰ فرض أن نقبل زعم أهل الحديث صحّة الأحاديث المذكورة، نقول:

أوّلاً: للرؤية في هذه الروايات قابليّة الانطباق علىٰ الرؤية القلبيّة بالتفسير الصحيح الذي سيأتي.

---

١. الفردوس: ج ٤ ص ٤٠٩ ح ٧١٩٠ عن ابن عمر.

٢. القيامة: ٢٣.

٣. المستدرك على الصحيحين: ج ٢ ص ٥٥٣ ح ٣٨٨٠، تفسير الطبري: ج ١٤ الجزء ٢٩ ص ١٩٣، كنز العمّال: ج ١٤ ص ٤٦٥ ح ٣٩٢٨١ وراجع: سنن الترمذي: ج ٤ ص ٦٨٨ ح ٢٥٥٣ وج ٥ ص ٤٣١ ح ٣٣٣٠ و مسند ابن حنبل: ج ٢ ص ٣٤٠ ح ٥٣١٧.

٤. صحيح مسلم: ج ١ ص ١٦٣ ح ٢٩٧، سنن الترمذي: ج ٤ ص ٦٨٧ ح ٢٥٥٢ وج ٥ ص ٢٨٦ ح ٣١٠٥، سنن ابن ماجة: ج ١ ص ٦٧ ح ١٨٧، مسند ابن حنبل: ج ٦ ص ٥٠٥ ح ١٨٩٦٣ كلّها عن صهيب نحوه، كنز العمّال: ج ١٤ ص ٤٤٧ ح ٣٩٢٠٤.

ثانياً: نظراً إلىٰ أنّ القرآن والبرهان فنّدا إمكان الرؤية الحسيّة، فلو أنّ روايةً لا تقبل التوجيه، فهي مرفوضة قطعاً. لذا قال الإمام الرضا عليه السلام في جواب أبي قرّة حين سأله: فتكذّب بالروايات؟:

«إذا كانَتِ الرِّواياتُ مُخالِفَةً لِلقُرآنِ كَذَّبتُ بِها»[1].

كذلك لا يصحّ الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ على إمكان الرؤية الحسيّة؛ لأنّ الجمع بين هذه الآية وسائر الآيات التي تدلّ علىٰ عدم إمكان الرؤية الحسيّة نحو قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[2] يقتضي أنّ الرؤية الحسيّة غير مقصودة، كما فسّرت الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام النظر إلىٰ الله في الآية المذكورة بالنظر إلىٰ رحمة الله، أو ثوابه، أو النظر إلىٰ وجه الأنبياء والأولياء[3].

ومن الجدير بالذكر أنّ ماورد في هذه الروايات نماذجُ من مصاديق تفسير النظر إلىٰ وجه الله، والنموذج الأمثل الأسطع هو رؤية الله القلبيّة التي سيأتي تفسيرها[4]، ولم يُشر إلىٰ هذا المعنى فى الروايات المذكورة للحيلولة دون استغلاله فى ما لا ينبغي.

---

١. راجع: ص ٣٠٤، ح ٣٧٦٣.

٢. الأنعام: ١٠٣.

٣. راجع: ص ٣٠٣ «لا تدركه الأبصار».

٤. راجع: ص ٧٦ «معنىٰ رؤية الله بالقلب».

٣/٨
لا تَحُسُّهُ الحَواسُّ

٣٧٨٢ . الإمام عليّ ﷺ : لا تَلمِسُهُ لامِسَةٌ ، ولا تُحِسُّهُ حاسَّةٌ.[١]

٣٧٨٣ . الكافي عن عليّ بن عُقبة : سُئِلَ أميرُ المُؤمِنينَ ﷺ : بِمَ عَرَفتَ رَبَّكَ ؟

قالَ : بِما عَرَّفَني نَفسَهُ .

قيلَ : وكَيفَ عَرَّفَكَ نَفسَهُ ؟

قالَ : لا يُشبِهُهُ صورَةٌ ، ولا يُحَسُّ بِالحَواسِّ ، ولا يُقاسُ بِالنّاسِ.[٢]

٣٧٨٤ . الإمام الصادق ﷺ ـ في تَنزيهِهِ سُبحانَهُ وتَعالىٰ ـ: سُبحانَ مَن لا يَعلَمُ أحَدٌ كَيفَ هُوَ إلّا هُوَ ، لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وهُوَ السَميعُ البَصيرُ ، لا يُحَدُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ[٣] ، ولا تُدرِكُهُ الأَبصارُ ولَا الحَواسُّ ، ولا يُحيطُ بِهِ شَيءٌ ، ولا جِسمٌ ولا صورَةٌ ولا تَخطيطٌ[٤] ولا تَحديدٌ.[٥]

٣٧٨٥ . عنه ﷺ ـ كانَ يَقولُ ـ: الحَمدُ للهِ الَّذي لا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ ولا يُمَسُّ ، ولا يُدرَكُ بِالحَواسِّ الخَمسِ ، ولا يَقَعُ عَلَيهِ الوَهمُ ، ولا تَصِفُهُ الأَلسُنُ ، وكُلُّ شَيءٍ حَسَّتهُ الحَواسُّ أو لَمَسَتهُ الأَيدي فَهُوَ مَخلوقٌ.[٦]

---

١ . الكافي : ج ١ ص ١٤٢ ح ٧ ، التوحيد : ص ٣٣ ح ١ كلاهما عن الحارث الأعور ، بحار الأنوار : ج ٤ ص ٢٦٦ ح ١٤ .

٢ . الكافي : ج ١ ص ٨٥ ح ٢ ، التوحيد : ص ٢٨٥ ح ٢ ، المحاسن : ج ١ ص ٣٧٣ ح ٨١٨ وفيه «بالقياس» بدل «بالناس» ، بحار لأنوار : ج ٣ ص ٢٧٠ ح ٨ وراجع : التوحيد : ص ٨٠ ح ٣٥ .

٣ . الجسّ : هو اللمس باليد (لسان العرب : ج ٦ ص ٣٨) .

٤ . في كنز الفوائد : «ولا هو جسم ولا صورة ، ولا بذي تخطيط ولا تحديد» .

٥ . الكافي : ج ١ ص ١٠٤ ح ١ ، التوحيد : ص ٩٨ ح ٤ وفيه «ولا يُمسّ» بعد «ولا يُجسّ» وكلاهما عن عليّ بن أبي حمزة ، كنز الفوائد : ج ٢ ص ٤١ ، بحار الأنوار : ج ٣ ص ٢٩٠ ح ٥ .

٦ . التوحيد : ص ٧٥ ح ٢٩ وص ٥٩ ح ١٧ كلاهما عن عبدالله بن جرير العبدي ، بحار الأنوار : ج ٣ ص ٣٠٠ ح ٣١ .

٣٧٨٦. عنه عليه السلام ـ لِزنديقٍ قالَ لَهُ: فَما هُوَ؟ ـ: لا يُدرَكُ بِالحَواسِّ الخَمسِ، لا تُدرِكُهُ الأَوهامُ ولا تَنقُصُهُ الدُّهورُ ولا تُغَيِّرُهُ الأَزمانُ.[١]

٣٧٨٧. عنه عليه السلام: غَيرُ مَحسوسٍ ولا مَجسوسٍ، لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ.[٢]

٣٧٨٨. عنه عليه السلام: كُلُّ موهومٍ بِالحَواسِّ مُدرَكٌ بِهِ تَحُدُّهُ الحَواسُّ وتُمَثِّلُهُ فَهُوَ مَخلوقٌ.[٣]

٣٧٨٩. عنه عليه السلام ـ في مُناظَرَتِهِ لِلطَّبيبِ الهِندِيِّ ـ: قُلتُ: إنَّهُ لَمّا عَجَزَت حَواسُّكَ عَن إدراكِ اللهِ أنكَرتَهُ، وأَنَا لَمّا عَجَزَت حَواسّي عَن إدراكِ اللهِ تَعالىٰ صَدَّقتُ بِهِ.

قالَ: وكَيفَ ذٰلِكَ؟

قُلتُ: لِأَنَّ كُلَّ شَيءٍ جَرىٰ فيهِ أَثرُ تَركيبٍ لِجِسمٍ، أَو وَقَعَ عَلَيهِ بَصَرٌ لِلَونٍ، فَما أَدرَكَتهُ الأَبصارُ ونالَتهُ الحَواسُّ فَهُوَ غَيرُ اللهِ سُبحانَهُ؛ لِأَنَّهُ لا يُشبِهُ الخَلقَ، وأَنَّ هٰذَا الخَلقَ يَنتَقِلُ بِتَغييرٍ وزَوالٍ، وكُلُّ شَيءٍ أَشبَهَ التَّغييرَ وَالزَّوالَ فَهُوَ مِثلُهُ، ولَيسَ المَخلوقُ كَالخالِقِ، ولاَ المُحدَثُ كَالمُحدِثِ.[٤]

٣٧٩٠. الإمام الرضا عليه السلام ـ لِلزِّنديقِ الَّذي سَأَلَ: كَيفَ هُوَ وأَينَ هُوَ؟ ـ: وَيلَكَ! إنَّ الَّذي ذَهَبتَ إلَيه غَلَطٌ. هُوَ أَيَّنَ الأَينَ بِلا أَينٍ، وكَيَّفَ الكَيفَ بِلا كَيفٍ، فَلا يُعرَفُ بِالكَيفوفِيَّةِ، ولا بِأَينونِيَّةٍ، ولا يُدرَكُ بِحاسَّةٍ، ولا يُقاسُ بِشَيءٍ.[٥]

---

١. الكافي: ج ١ ص ٨١ ح ٥، التوحيد: ص ٢٤٥ ح ١، الاحتجاج: ج ٢ ص ١٩٧ ح ٢١٣ كلّها عن هشام بن الحكم، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٥٨ ح ٢.

٢. الكافي: ج ١ ص ٩١ ح ٢، التوحيد: ص ٥٨ ح ١٥ كلاهما عن حمّاد بن عمرو النصيبي، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٨٦ ح ١٨.

٣. الكافي: ج ١ ص ٨٤ ح ٦، التوحيد: ص ٢٤٦ ح ١ وفيه «فما تجده» بدل «به تحدّه»، الاحتجاج: ج ٢ ص ١٩٨ ح ٢١٣ نحوه وكلّها عن هشام بن الحكم، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٩ ح ٣.

٤. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥٤ عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل.

٥. الكافي: ج ١ ص ٧٨ ح ٣، التوحيد: ص ٢٥١ ح ٣، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣١ ح ٢٨، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٥٤ ح ٢٨١ كلّها عن محمّد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٦ ح ١٢.

٤ / ٨
لا يبلغ أحد كنه معرفته

٣٧٩١ . رسول الله ﷺ ـ في الدُّعاءِ ـ: يا مَن لا يَعلَمُ ما هُوَ إلّا هُوَ.[١]

٣٧٩٢ . عنه ﷺ ـ في تَنزيهِ اللهِ سُبحانَهُ ـ: سُبحانَكَ ما عَرَفناكَ حَقَّ مَعرِفَتِكَ.[٢]

٣٧٩٣ . عوالي اللآلي : رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: لا يَبلُغُ أحدٌ كُنهَ[٣] مَعرِفَتِهِ.

فَقيلَ: ولا أنتَ يا رَسولَ اللهِ؟

قالَ: ولا أنَا، اللهُ أعلىٰ وأجَلُّ أن يَطَّلِعَ أحدٌ عَلىٰ كُنهِ مَعرِفَتِهِ.[٤]

٣٧٩٤ . الإمام عليّ ﷺ : الحَمدُ للهِ الَّذي أظهَرَ مِن آثارِ سُلطانِهِ وجَلالِ كِبرِيائِهِ ما حَيَّرَ مُقَلَ[٥] العُقولِ مِن عَجائِبِ قُدرَتِهِ، ورَدَعَ خَطَراتِ هَماهِمِ[٦] النُّفوسِ عَن عِرفانِ كُنهِ صِفَتِهِ.[٧]

٣٧٩٥ . عنه ﷺ : الحَمدُ للهِ... الظّاهِرِ بِعَجائِبِ تَدبيرِهِ لِلنّاظِرينَ، وَالباطِنِ بِجَلالِ عِزَّتِهِ عَن فِكرِ المُتَوَهِّمينَ.[٨]

٣٧٩٦ . عنه ﷺ : الحَمدُ للهِ الَّذي مَنَعَ الأوهامَ أن تَنالَ إلّا وُجودَهُ، وحَجَبَ العُقولَ أن تَتَخَيَّلَ

---

١ . عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٣٢ ح ٢٢٦، المصباح للكفعمي: ص ٣٤٩ عن الإمام الحسين عن الإمام عليّ ﷺ، البلد الأمين: ص ٣٤٠ عنهم ﷺ، بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ٣٣٤ ح ٧٢.

٢ . عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٣٢ ح ٢٢٧، بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٣.

٣ . كُنه الأمر: حقيقته. وقيل: وقته وقدره. وقيل: غايته (النهاية: ج ٤ ص ٢٠٦).

٤ . عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٣٢ ح ٢٢٥.

٥ . المُقَل: جمع مُقْلة ـ كغرفة ـ وهي شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها. تستعار لقوّة العقل باعتبار إدراكها (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٧٠٩).

٦ . الهَماهِم: الهموم. وهماهمُ النفوس: أفكارها، وماتهمُّ به عندالريبة في الأمر (تاج العروس: ج ١٧ ص ٧٦٧).

٧ . نهج البلاغة: الخطبة ١٩٥، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٣١٤ ح ١٥.

٨ . نهج البلاغة: الخطبة ٢١٣، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣١٩ ح ٤٥.

ذاتَهُ ؛ لِامتِناعِها مِنَ الشَّبَهِ وَالتَّشاكُلِ.[١]

٣٧٩٧. عنه عليه السلام : لَم تَبلُغهُ العُقولُ بِتَحديدٍ فَيَكونَ مُشَبَّهاً ، ولَم تَقَع عَلَيهِ الأَوهامُ بِتَقديرٍ فَيَكونَ مُمَثَّلاً.[٢]

٣٧٩٨. عنه عليه السلام : مَنِ اعتَمَدَ عَلَى الرَّايِ وَالقِياسِ في مَعرِفَةِ اللهِ، ضَلَّ وتَشَعَّبَت عَلَيهِ الأُمورُ.[٣]

٣٧٩٩. عنه عليه السلام : تَبارَكَ اللهُ الَّذي لا يَبلُغُهُ بُعدُ الهِمَمِ، ولا يَنالُهُ غَوصُ الفِطَنِ.[٤]

٣٨٠٠. عنه عليه السلام : تَتَلَقّاهُ الأَذهانُ لا بِمُشاعَرَةٍ، وتَشهَدُ لَهُ المَرائيُ لا بِمُحاضَرَةٍ، لَم تُحِط بِهِ الأَوهامُ، بَل تَجَلّىٰ لَها بِها.[٥]

٣٨٠١. عنه عليه السلام ـ في تَنزيهِ اللهِ سُبحانَهُ ـ : إنَّكَ أنتَ اللهُ الَّذي لَم تَتَناهَ فِي العُقولِ فَتَكونَ في مَهَبِّ فِكرِها مُكَيَّفاً، ولا في رَوِيّاتِ خَواطِرِها فَتَكونَ مَحدوداً مُصَرَّفاً.[٦][٧]

٣٨٠٢. عنه عليه السلام : عَظُمَ عَن أن تَثبُتَ رُبوبِيَّتُهُ بِإِحاطَةِ قَلبٍ أو بَصَرٍ.[٨]

---

١. الكافي: ج ٨ ص ١٨ ح ٤، التوحيد: ص ٧٣ ح ٢٧، الأمالي للصدوق: ص ٣٩٩ ح ٥١٥ كلاهما نحوه وكلّها عن جابر بن يزيد عن الإمام الباقر عليه السلام ، تحف العقول: ص ٩٢ وفيه «أعدم» بدل «منع»، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٨٠ ح ١.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٥٥، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣١٧ ح ٤٢.

٣. غرر الحكم: ح ٩١٩١، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٣٣ ح ٧٤٦٣.

٤. الكافي: ج ١ ص ١٣٥ ح ١ عن محمّد بن أبي عبد الله ومحمّد بن يحيىٰ جميعاً رفعاه إلى الإمام الصادق عليه السلام ، التوحيد: ص ٤٢ ح ٣ عن الحصين بن عبدالرحمٰن عن أبيه عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام ، نهج البلاغة: الخطبة ٩٤ وفيه «حدس» بدل «غوص»، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٣ ح ١١٣ نحوه، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٦٩ ح ١٥.

٥. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٨٠ ح ١١٧، أعلام الدين: ص ٦٧، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٦١ ح ٩.

٦. أي مغيّراً. من تصريف الرياح؛ وهو تحويلها من وجه إلى وجه (القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٦٢).

٧. نهج البلاغة: الخطبة ٩١، التوحيد: ص ٥٤ ح ١٣ كلاهما عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام ، غررالحكم: ح ٧٥٥٩ وفيه «محدّداً» بدل «فتكون محدوداً»، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٣١٨.

٨. نهج البلاغة: الكتاب ٣١، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣١٧ ح ٤١.

٣٨٠٣. عنه ﷺ: لا تَنالُهُ التَّجزِئَةُ وَالتَّبعيضُ، ولا تُحيطُ بِهِ الأَبصارُ وَالقُلوبُ.[١]

٣٨٠٤. عنه ﷺ ـ في تَمجيدِ اللهِ ﷻ ـ: فَلَسنا نَعلَمُ كُنهَ عَظَمَتِكَ، إلّا أنّا نَعلَمُ أنَّكَ حَيٌّ قَيّومٌ لا تَأخُذُكَ سِنَةٌ ولا نَومٌ، لَم يَنتَهِ إلَيكَ نَظَرٌ، ولَم يُدرِككَ بَصَرٌ.[٢]

٣٨٠٥. عنه ﷺ: مُحَرَّمٌ عَلىٰ بَوارِعِ ثاقِباتِ الفِطَنِ تَحديدُهُ، وعَلىٰ عَوامِقِ ناقِباتِ الفِكرِ تَكييفُهُ ... مُمتَنِعٌ عَنِ الأَوهامِ أن تَكتَنِهَهُ، وعَنِ الأَفهامِ أن تَستَغرِقَهُ، وعَنِ الأَذهانِ أن تُمَثِّلَهُ.[٣]

٣٨٠٦. عنه ﷺ ـ في تَمجيدِ اللهِ ﷻ ـ: كَلَّتِ الأَوهامُ عَن تَفسيرِ صِفَتِكَ، وَانحَسَرَتِ العُقولُ عَن كُنهِ عَظَمَتِكَ... وكَلَّ دونَ ذٰلِكَ تَحبيرُ[٤] اللُّغاتِ، وضَلَّ هُنالِكَ التَّدبيرُ في تَصاريفِ الصِّفاتِ؛ فَمَن تَفَكَّرَ في ذٰلِكَ رَجَعَ طَرفُهُ[٥] إلَيهِ حَسيراً، وعَقلُهُ مَبهوراً، وتَفَكُّرُهُ مُتَحَيِّراً.[٦]

٣٨٠٧. عنه ﷺ: فَلَيسَت لَهُ صِفَةٌ تُنالُ، ولا حَدٌّ تُضرَبُ لَهُ فيهِ الأَمثالُ، كَلَّ دونَ صِفاتِهِ تَحبيرُ اللُّغاتِ، فَضَلَّ هُناكَ تَصاريفُ الصِّفاتِ، وحارَ في مَلَكوتِهِ عَميقاتُ مَذاهِبِ التَّفكيرِ، وَانقَطَعَ دونَ الرُّسوخِ في عِلمِهِ جَوامِعُ التَّفسيرِ، وحالَ دونَ غَيبِهِ المَكنونِ حُجُبٌ مِنَ الغُيوبِ تاهَت في أَدنىٰ أَدانيها طامِحاتُ[٧] العُقولِ في

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٨٥، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣١٩ ح ٤٥.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.

٣. التوحيد: ص ٧٠ ح ٢٦، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٢١ ح ١٥ كلاهما عن الهيثم بن عبد الله الرمّاني عن الإمام الرضا عن آبائه ﷺ، البلد الأمين: ص ٩٢، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ١٣٨ ح ٧.

٤. حبّرتُ الشعرَ والكلامَ: حَسّنتُه (لسان العرب: ج ٤ ص ١٥٧).

٥. الطَّرْف: العَيْن (القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٦٦).

٦. مهج الدعوات: ص ١٤٠ عن عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن جعفر، بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٢٤٣ ح ٣١.

٧. طمح بصري إليه: امتدّ وعلا (لسان العرب: ج ٢ ص ٥٣٤).

لَطيفاتِ الأُمورِ.[١]

٣٨٠٨. عنه ﷺ: أَزَلُهُ نُهيَةٌ لِمَجاوِلِ الأَفكارِ، ودَوامُهُ رَدعٌ لِطامِحاتِ العُقولِ.[٢]

٣٨٠٩. عنه ﷺ ـ كانَ يَقولُ إذا سَبَّحَ اللهَ تَعالىٰ ومَجَّدَهُ ـ: سُبحانَهُ مَن إذا تَناهَتِ[٣] العُقولُ في وَصفِهِ كانَت حائِرَةً عَن دَركِ السَّبيلِ إلَيهِ، وتَبارَكَ مَن إذا غَرِقَتِ الفِطَنُ[٤] في تَكييفِهِ لَم يَكُن لَها طَريقٌ إلَيهِ غَيرَ الدَّلالَةِ عَلَيهِ.[٥]

٣٨١٠. عنه ﷺ: تَوَلَّهَتِ القُلوبُ إلَيهِ لِتَجرِيَ في كَيفِيَّةِ صِفاتِهِ، وغَمَضَت مَداخِلُ العُقولِ في حَيثُ لا تَبلُغُهُ الصِّفاتُ لِتَناوُلِ عِلمِ ذاتِهِ، رَدَعَها[٦] وهِيَ تَجوبُ مَهاوِيَ سُدَفِ الغُيوبِ مُتَخَلِّصَةً إلَيهِ سُبحانَهُ.[٧]

٣٨١١. عنه ﷺ: العَجزُ عَن دَركِ الإِدراكِ إدراكٌ.[٨]

٣٨١٢. عنه ﷺ ـ فِي الدّيوانِ المَنسوبِ إلَيهِ ـ:

كَيفِيَّةُ المَرءِ لَيسَ المَرءُ يُدرِكُها ... فَكَيفَ كَيفِيَّةُ الجَبّارِ فِي القِدَمِ

هُوَ الَّذي أنشَأَ الأَشياءَ مُبتَدِعاً ... فَكَيفَ يُدرِكُهُ مُستَحدَثُ النَّسَمِ[٩]

---

١. الكافي: ج ١ ص ١٣٤ ح ١ عن محمّد بن أبي عبد الله ومحمّد بن يحيى جميعاً رفعاه إلى الإمام الصادق ﷺ، التوحيد: ص ٤١ ح ٣ عن الحصين بن عبدالرحمٰن عن أبيه عن الإمام الصادق عن آبائه ﷺ، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٦٩ ح ١٥.

٢. الكافي: ج ١ ص ١٤٠ ح ٥ عن إسماعيل بن قتيبة عن الإمام الصادق ﷺ، بحار الأنوار: ج ٥٧ ح ٢٨٧.

٣. تَناهي: بلغ نهايته (القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٩٨).

٤. الفِطنَة: كالفهم، والفطنة: ضدّ الغباوة (لسان العرب: ج ١٣ ص ٣٢٣).

٥. كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٠٧، إرشاد القلوب: ص ١٦٩ نحوه.

٦. رَدَعْتُه: مَنَعْتُه وزجرته (المصباح المنير: ص ٢٢٤).

٧. نهج البلاغة: الخطبة ٩١، التوحيد: ص ٥١ ح ١٣ نحوه وكلاهما عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق ﷺ، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٧٥ ح ١٦.

٨. إحياء علوم الدين: ج ٤ ص ٤٤٣، المحجّة البيضاء: ج ٨ ص ٢٤.

٩. الديوان المنسوب إلى الإمام علي ﷺ: ص ٥١٨ الرقم ٣٩٠.

٣٨١٣ . فاطمة عليها السلام : الحَمدُ للهِ الَّذي احتَجَبَ عَن كُلِّ مَخلوقٍ يَراهُ بِحَقيقَةِ الرُّبوبِيَّةِ وقُدرَةِ الوَحدانِيَّةِ، فَلَم تُدرِكهُ الأَبصارُ.[1]

٣٨١٤ . الإمام الحسن عليه السلام : لا تُدرِكُ العُقولُ وأَوهامُها، ولا الفِكَرُ وخَطَراتُها، ولَا الأَلبابُ وأَذهانُها صِفَتَهُ فَتَقولَ: مَتىٰ؟ ولا بُدِئَ مِمّا؟ ولا ظاهِرٌ عَلىٰ ما؟ ولا باطِنٌ فيما؟ ولا تارِكٌ فَهَلّا[2]؟[3]

٣٨١٥ . الإمام الحسين عليه السلام : اِحتَجَبَ عَنِ العُقولِ، كَمَا احتَجَبَ عَنِ الأَبصارِ.[4]

٣٨١٦ . الإمام زين العابدين عليه السلام ـ مِن دُعائِهِ يَومَ عَرَفَةَ ـ: أَنتَ الَّذي قَصُرَتِ الأَوهامُ عَن ذاتِيَّتِكَ، وعَجَزَتِ الأَفهامُ عَن كَيفِيَّتِكَ، ولَم تُدرِكِ الأَبصارُ مَوضِعَ أَينِيَّتِكَ.[5]

٣٨١٧ . عنه عليه السلام ـ من دُعائِهِ في صَلاةِ اللَّيلِ ـ: ضَلَّت فيكَ الصِّفاتُ، وتَفَسَّخَت دونَكَ النُّعوتُ، وحارَت في كِبرِيائِكَ لَطائِفُ الأَوهامِ.[6]

٣٨١٨ . عنه عليه السلام ـ مِن دُعائِهِ فِي القُنوتِ ـ: اللّٰهُمَّ إِنّي دَعَوتُكَ دُعاءَ مَن عَرَفَكَ وتَسَبَّلَ[7] إِلَيكَ، وآلَ بِجَميعِ بَدَنِهِ إِلَيكَ، سُبحانَكَ! طَوَتِ الأَبصارُ في صَنعَتِكَ مَديدَتَها، وثَنَتِ الأَلبابُ عَن كُنهِكَ أَعِنَّتَها، فَأَنتَ المُدرِكُ غَيرُ المُدرَكِ، وَالمُحيطُ غَيرُ المُحاطِ.[8]

---

١ . فلاح السائل: ص ٣٥٨ ح ٢٤١، بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ٨٥ ح ١١.

٢ . أي: ولا هو تارك ما ينبغي خلقه فيقال: هلّا تركه.

٣ . التوحيد: ص ٤٥ ح ٥، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٨٩ ح ٢٠.

٤ . تحف العقول: ص ٢٤٥، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٠١ ح ٢٩.

٥ . الصحيفة السجّادية: ص ١٨٧ الدعاء ٤٧ وراجع بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٥٠.

٦ . الصحيفة السجّادية: ص ١٢٩ الدعاء ٣٢، مصباح المتهجّد: ص ١٨٨ ح ٢٧٢؛ شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ١٨٣.

٧ . يقال: سَبَّلَه تسبيلاً: أي أباحه وجعله في سبيل الله (تاج العروس: ج ١٤ ص ٣٢٩). والمعنى: انقطع إليك، وجعل نفسه وقفاً في طاعتك.

٨ . مهج الدعوات: ص ٧١، بحار الأنوار: ج ٨٥ ص ٢١٦.

٣٨١٩ . الإمام الباقر عليه السلام : إنَّما يُعقَلُ ما كانَ بِصِفَةِ المَخلوقِ، ولَيسَ اللهُ كَذٰلِكَ.[١]

٣٨٢٠ . عنه عليه السلام ـ لِجابِرٍ الجُعفِيِّ ـ : يا جابِرُ، إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ لا نَظيرَ لَهُ ولا شَبيهَ، تَعالىٰ عَن صِفَةِ الواصِفينَ، وجَلَّ عَن أوهامِ المُتَوَهِّمينَ، وَاحتَجَبَ عَن أعيُنِ النّاظِرينَ، لا يَزولُ مَعَ الزّائِلينَ، ولا يَأفِلُ مَعَ الآفِلينَ، لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وهُوَ السَّميعُ العَليمُ.[٢]

٣٨٢١ . الإمام الصادق عليه السلام : إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ لا تُقَدَّرُ قُدرَتُهُ، ولا يَقدِرُ العِبادُ عَلىٰ صِفَتِهِ، ولا يَبلُغونَ كُنهَ عِلمِهِ ولا مَبلَغَ عَظَمَتِهِ، ولَيسَ شَيءٌ غَيرَهُ، هُوَ نورٌ لَيسَ فيهِ ظُلمَةٌ، وصِدقٌ لَيسَ فيهِ كِذبٌ، وعَدلٌ لَيسَ فيهِ جَورٌ، وحَقٌّ لَيسَ فيهِ باطِلٌ، كَذٰلِكَ لَم يَزَل ولا يَزالُ أبَدَ الآبِدينَ.[٣]

٣٨٢٢ . الإمام الكاظم عليه السلام : إنَّهُ لا تُقَدِّرُهُ العُقولُ، ولا تَقَعُ عَلَيهِ الأَوهامُ.[٤]

٣٨٢٣ . الإمام الرضا عليه السلام : لا تَضبُطُهُ العُقولُ، ولا تَبلُغُهُ الأَوهامُ، ولا تُدرِكُهُ الأَبصارُ، ولا يُحيطُ بِهِ مِقدارٌ. عَجَزَت دونَهُ العِبارَةُ، وكَلَّت دونَهُ الأَبصارُ، وضَلَّ فيهِ تَصاريفُ الصِّفاتِ. اِحتَجَبَ بِغَيرِ حِجابٍ مَحجوبٍ، وَاستَتَرَ بِغَيرِ سِترٍ مَستورٍ، عُرِفَ بِغَيرِ رُؤيَةٍ، ووُصِفَ بِغَيرِ صورَةٍ.[٥]

---

١ . الكافي: ج ١ ص ١٠٨ ح ١، الاحتجاج: ج ٢ ص ١٦٨ ح ١٩٦، التوحيد: ص ١٤٤ ح ٩ كلّها عن محمّد بن مسلم، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٦٩ ح ١٤.

٢ . التوحيد: ص ١٧٩ ح ١٣، تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٥٩ ح ٩٤ كلاهما عن جابر الجعفي، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٢٩ ح ٣١.

٣ . التوحيد: ص ١٢٨ ح ٨ عن المفضّل بن عمر، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٠٦ ح ٤٤.

٤ . التوحيد: ص ٧٦ ح ٣٢ عن محمّد بن أبي عمير وص ٧٩ ح ٣٤ عن أبي المعتمر مسلم بن أوس عن الإمام عليّ عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٩٦ ح ٢٣.

٥ . الكافي: ج ١ ص ١٠٥ ح ٣، التوحيد: ص ٩٨ ح ٥، علل الشرائع: ص ٩ ح ٣ كلّها عن محمّد بن زيد، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٦٣ ح ١١.

٣٨٢٤ . عنه ﷺ : ما تَوَهَّمتُم مِن شَيءٍ فَتَوَهَّمُوا اللهَ غَيرَهُ.[١]

٣٨٢٥ . الإمام الجواد ﷺ : رَبُّنا ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ لا شِبهَ لَهُ ولا ضِدَّ ولا نِدَّ، ولا كَيفَ ولا نِهايَةَ ولا تَبصارَ بَصَرٍ، ومُحَرَّمٌ عَلَى القُلوبِ أَن تُمَثِّلَهُ، وعَلَى الأَوهامِ أَن تَحُدَّهُ، وعَلَى الضَّمائِرِ أَن تُكَوِّنَهُ، جَلَّ وعَزَّ عَن أَداةِ خَلقِهِ وسِماتِ بَرِيَّتِهِ، وتَعالىٰ عَن ذٰلِكَ عُلُوّاً كَبيراً.[٢]

٣٨٢٦ . الإمام الهادي ﷺ : إلٰهي تاهَت أَوهامُ المُتَوَهِّمينَ، وقَصُرَ طَرفُ الطّارِفينَ، وتلاشَت أَوصافُ الواصِفينَ، واَضمَحَلَّت أَقاويلُ المُبطِلينَ عَنِ الدَّركِ لِعَجيبِ شَأنِكَ، أَوِ الوُقوعِ بِالبُلوغِ إلىٰ عُلُوِّكَ.[٣]

٥/٨

النَّهيُ عَنِ التَّفَكُّرِ في ذاتِهِ

٣٨٢٧ . رسول الله ﷺ ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[٤] ـ: لا فِكرَةَ فِي الرَّبِّ.[٥]

٣٨٢٨ . الإمام الصادق ﷺ : إنَّ اللهَ ﷻ يَقولُ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، فَإِذَا انتَهَى الكَلامُ إلَى اللهِ فَأَمسِكوا.[٦]

---

١ . الكافي: ج ١ ص ١٠١ ح ٣، التوحيد: ص ١١٤ ح ١٣ كلاهما عن إبراهيم بن محمّد الخزّاز ومحمّد بن الحسين، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤٠ ح ١٨.

٢ . الكافي: ج ١ ص ١١٧ ح ٧، التوحيد: ص ١٩٤ ح ٧ وفيه «أقطار» بدل «تبصار بصر» و«تكيّفه» بدل «تكوّنه»، الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٦٨ ح ٣٢١ نحوه وكلّها عن أبي هاشم الجعفري، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٥٤ ح ١.

٣ . التوحيد: ص٦٦ ح ١٩ عن سهل بن زياد، الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٨٥ ح ٣٢٥، بحار الأنوار: ج ٣ ص٢٩٨ ح ٢٧.

٤ . النجم: ٤٢.

٥ . تفسير القرطبي: ج ١٧ ص ١١٥، تفسير البغوي: ج ٤ ص ٢٥٥ كلاهما عن أُبيّ بن كعب، الدرّ المنثور: ج ٧ ص ٦٦٢ نقلاً عن الدارقطني في الإفراد، كنز العمّال: ج ٣ ص ٦٩٦ ح ٨٤٩١.

٦ . الكافي: ج ١ ص ٩٢ ح ٢، التوحيد: ص ٤٥٦ ح ٩، المحاسن: ج ١ ص ٣٧٠ ح ٨٠٦ كلّها عن سليمان بن خالد، روضة الواعظين: ص ٤٥، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٥٩ ح ٦.

٣٨٢٩ . رسول الله ﷺ : تَفَكَّروا في خَلقِ الله ولا تَفَكَّروا فِي اللهِ فَتَهلِكوا.[1]

٣٨٣٠ . عنه ﷺ : تَفَكَّروا في آلاءِ اللهِ ولا تَتَفَكَّروا فِي اللهِ.[2]

٣٨٣١ . عنه ﷺ : تَفَكَّروا في كُلِّ شَيءٍ، ولا تَفَكَّروا فِي اللهِ تَعالىٰ.[3]

٣٨٣٢ . تنبيه الخواطر عن ابن عبّاس : إنَّ قَوماً تَفَكَّروا فِي اللهِ ﷻ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : تَفَكَّروا في خَلقِ اللهِ ولا تَفَكَّروا فِي اللهِ؛ فَإِنَّكُم لَن تُقَدِّروا قَدرَهُ.[4]

٣٨٣٣ . العظمة عن ابن عبّاس : دَخَلَ عَلَينا رَسولُ اللهِ ﷺ ونَحنُ فِي المَسجِدِ حَلَقٌ، قالَ لَنا رَسولُ اللهِ ﷺ : فيمَ أَنتُم؟

قُلنا : نَتَفَكَّرُ فِي الشَّمسِ كَيفَ طَلَعَت، وكَيفَ غَرَبَت.

قالَ: أَحسَنتُم! كونوا هٰكَذا، تَفَكَّروا فِي المَخلوقِ ولا تَفَكَّروا فِي الخالِقِ.[5]

٣٨٣٤ . الإمام عليّ ؑ : مَن تَفَكَّرَ في ذاتِ اللهِ أَلحَدَ.[6]

٣٨٣٥ . عنه ؑ : مَن أَفكَرَ في ذاتِ اللهِ تَزَندَقَ.[7][8]

---

١ . العظمة: ص ١٨ ح ٤ عن أبي ذرّ، كنز العمّال: ج ٣ ص ١٠٦ ح ٥٧٠٥.

٢ . المعجم الأوسط: ج ٦ ص ٢٥٠ ح ٦٣١٩، شعب الإيمان: ج ١ ص ١٣٦ ح ١٢٠، العظمة: ص ١٧ ح ١ كلّها عن ابن عمر، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج ٤ ص ٣٩٥ ح ١٧٨٨، كنز العمّال: ج ٣ ص ١٠٦ ح ٥٧٠٧.

٣ . العظمة: ص ١٨ ح ٣ عن ابن عبّاس، كنز العمّال: ج ٣ ص ١٠٦ ح ٥٧٠٤؛ التوحيد: ص ٤٥٥ ح ٢ عن أبي عبيدة عن الإمام الباقر ؑ، الكافي: ج ١ ص ٩٢ ذيل ح ١ عن حريز من دون إسنادٍ إلى المعصوم وفيهما «تكلّموا» بدل «تفكّروا» في كلا الموضعين.

٤ . تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٢٥٠؛ العظمة: ص ١٨ ح ٥ وفيه «الخالق» بدل «الله»، كنز العمّال: ج ٣ ص ١٠٦ ح ٥٧٠٦.

٥ . العظمة: ص ٣٤٨ ح ٩٩٣ وراجع ص ٣٢٥ ح ٩٦٠ وبحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٤٨ ح ٤٤.

٦ . غرر الحكم: ح ٨٤٨٧، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٤٩ ح ٧٩٧٦.

٧ . أفكر في الشيء وفكّر فيه وتفكّر بمعنىً، وتزندق: أي صار زنديقاً. ويطلق الزنديق على الثنوي وعلى المنكر للصانع وعلى كلّ ملحد كافر (مرآة العقول: ج ٢٥ ص ٤٨).

٨ . الكافي: ج ٨ ص ٢٢ ح ٤ عن جابر بن يزيد عن الإمام الباقر ؑ، تحف العقول: ص ٩٦ وفيه «فكّر» بدل «أفكر»، غرر الحكم: ح ٨٥٠٣ وفيه «تفكّر» بدل «أفكر»، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٢٨٥ ح ١.

٣٨٣٦ . الإمام الباقر عليه السلام : إيّاكُم وَالتَّفَكُّرَ فِي اللهِ، ولٰكِن إذا أَرَدتُم أَن تَنظُروا إلىٰ عَظَمَتِهِ فَانظُروا إلى عَظيمِ خَلقِهِ.[1]

٣٨٣٧ . عنه عليه السلام : تَكَلَّموا في خَلقِ اللهِ ولا تَتَكَلَّموا فِي اللهِ؛ فَإِنَّ الكَلامَ فِي اللهِ لا يَزدادُ صاحِبُهُ إلّا تَحَيُّراً.[2]

٣٨٣٨ . عنه عليه السلام : تَكَلَّموا فيما دونَ العَرشِ ولا تَكَلَّموا فيما فَوقَ العَرشِ؛ فَإِنَّ قَوماً تَكَلَّموا فِي اللهِ عزّ وجلّ فَتاهوا حَتّىٰ كانَ الرَّجُلُ يُنادىٰ مِن بَينِ يَدَيهِ فَيُجيبُ مِن خَلفِهِ، ويُنادىٰ مِن خَلفِهِ فَيُجيبُ مِن بَينَ يَدَيهِ.[3]

٣٨٣٩ . عنه عليه السلام : اُذكُروا مِن عَظَمَةِ اللهِ ما شِئتُم ولا تَذكُروا ذاتَهُ؛ فَإِنَّكُم لا تَذكُرونَ مِنهُ شَيئاً إلّا وهُوَ أَعظَمُ مِنهُ.[4]

٣٨٤٠ . عنه عليه السلام : دَعُوا التَّفَكُّرَ فِي اللهِ؛ فَإِنَّ التَّفَكُّرَ فِي اللهِ لا يَزيدُ إلّا تَيهاً؛ لِأَنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ ولا تَبلُغُهُ الأَخبارُ.[5]

٣٨٤١ . الإمام الصادق عليه السلام : إيّاكُم وَالتَّفَكُّرَ فِي اللهِ؛ فَإِنَّ التَّفَكُّرَ فِي اللهِ لا يَزيدُ إلّا تَيهاً؛ لِأَنَّ اللهَ عزّ وجلّ لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ ولا يوصَفُ بِمِقدارٍ.[6]

---

١ . الكافي: ج ١ ص ٩٣ ح ٧، التوحيد: ص ٤٥٨ ح ٢٠ كلاهما عن محمّد بن مسلم، وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٥٣ ح ٤.

٢ . الكافي: ج ١ ص ٩٢ ح ١، التوحيد: ص ٤٥٤ ح ١ كلاهما عن أبي بصير، روضة الواعظين: ص ٤٥ وراجع: التوحيد: ص ٤٥٧ ح ١٧.

٣ . التوحيد: ص ٤٥٥ ح ٧، المحاسن: ج ١ ص ٣٧١ ح ٨١١، وليس فيه ذيله من «وينادى من خلفه» وكلاهما عن محمّد بن مسلم، تفسير القمّي: ج ١ ص ٢٥ عن جميل عن الإمام الصادق عليه السلام نحوه، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٥٩ ح ٦ وراجع: الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ص ٣٨٤.

٤ . التوحيد: ص ٤٥٥ ح ٣ عن ضريس الكناسي، وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٥٥ ح ١٤؛ سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٤٠٦، تاريخ دمشق: ج ٥٤ ص ٢٨٢ كلاهما عن المنهال بن عمرو وليس فيهما «لا تذكروا ذاته فإنّكم».

٥ . التوحيد: ص ٤٥٧ ح ١٣ عن أبي الجارود.

٦ . التوحيد: ص ٤٥٧ ح ١٤، الأمالي للصدوق: ص ٥٠٣ ح ٦٩٠ كلاهما عن سليمان بن خالد، روضة الواعظين: ص ٤٤، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٥٩ ح ٤.

٣٨٤٢. عنه ﷺ : مَن نَظَرَ فِي اللهِ كَيفَ هُوَ هَلَكَ.[١]

راجع: ص ٢٧٥ ح ٣٩٢٤.

٦/٨
النَّهيُ عَنِ التَّعَمُّقِ في صِفَتِهِ

٣٨٤٣. الإمام عليّ ﷺ : أُنظُر أَيُّهَا السّائِلُ ؛ فَما دَلَّكَ القُرآنُ عَلَيهِ مِن صِفَتِهِ فَائتَمَّ بِهِ، وَاستَضِئ بِنورِ هِدايَتِهِ، وما كَلَّفَكَ الشَّيطانُ عِلمَهُ مِمّا لَيسَ فِي الكِتابِ عَلَيكَ فَرضُهُ ولا في سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وأَئِمَّةِ الهُدىٰ أَثَرُهُ، فَكِل عِلمَهُ إِلَى اللهِ سُبحانَهُ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ مُنتَهىٰ حَقِّ اللهِ عَلَيكَ. وَاعلَم أَنَّ الرّاسِخينَ فِي العِلمِ هُمُ الَّذينَ أَغناهُم عَنِ اقتِحامِ السُّدَدِ المَضروبَةِ دونَ الغُيوبِ، الإِقرارُ بِجُملَةِ ما جَهِلوا تَفسيرَهُ مِنَ الغَيبِ المَحجُوبِ، فَمَدَحَ اللهُ تَعالىٰ اعتِرافَهُم بِالعَجزِ عَن تَناوُلِ ما لَم يُحيطوا بِهِ عِلماً، وسَمّىٰ تَركَهُمُ التَّعَمُّقَ فيما لَم يُكَلِّفهُمُ البَحثَ عَن كُنهِهِ رُسوخاً. فَاقتَصِر عَلىٰ ذٰلِكَ، ولا تُقَدِّر عَظَمَةَ اللهِ سُبحانَهُ عَلىٰ قَدرِ عَقلِكَ فَتَكونَ مِنَ الهالِكينَ.[٢]

٣٨٤٤. عنه ﷺ : الكُفرُ عَلىٰ أَربَعِ دَعائِمَ: عَلَى التَّعَمُّقِ، وَالتَّنازُعِ، وَالزَّيغِ، وَالشِّقاقِ؛ فَمَن تَعَمَّقَ لَم يُنِب إِلَى الحَقِّ ...[٣].

---

١. الكافي: ج ١ ص ٩٣ ح ٥، المحاسن: ج ١ ص ٣٧١ ح ٨٠٨ كلاهما عن حسين بن ميّاح عن أبيه، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٦٤ ح ٢٤.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٩١، التوحيد: ص ٥٥ ح ١٣، تفسير العيّاشي: ج ١ ص ١٦٣ ح ٥ كلّها عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق ﷺ، تيسير المطالب: ص ٢٠٣ كلّها نحوه، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٠٧ ح ٩٠.

٣. نهج البلاغة: الحكمة ٣١، الكافي: ج ٢ ص ٣٩٢ ح ١ عن سليم بن قيس الهلالي نحوه، الخصال: ص ٢٣٢ ح ٧٤ عن الأصبغ بن نباتة وفيه «العتوّ» بدل «الكفر»، تحف العقول: ص ١٦٦ وفيه «الغلوّ» بدل «الكفر»، بحارالأنوار: ج ٦٨ ص ٣٤٨ ح ١٧.

٣٨٤٥ . الإمام زين العابدين عليه السلام ـ كانَ إذا قَرَأَ هٰذِهِ الآيَةَ : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَاتُحْصُوهَا﴾[1] يقولُ ـ: سُبحانَ مَن لَم يَجعَل في أَحَدٍ مِن مَعرِفَةِ نِعَمِهِ إلّا المَعرِفَةَ بِالتَّقصيرِ عَن مَعرِفَتِها، كَما لَم يَجعَل في أَحَدٍ مِن مَعرِفَةِ إدراكِهِ أَكثَرَ مِنَ العِلمِ أَنَّهُ لا يُدرِكُهُ، فَشَكَرَ ـ جَلَّ وعَزَّ ـ مَعرِفَةَ العارِفينَ بِالتَّقصيرِ عَن مَعرِفَةِ شُكرِهِ فَجَعَلَ مَعرِفَتَهُم بِالتَّقصيرِ شُكراً، كَما عَلِمَ عِلمَ العالِمينَ أَنَّهُم لا يُدرِكونَهُ فَجَعَلَهُ إيماناً، عِلماً مِنهُ أَنَّهُ قَدَّ وُسعِ العِبادِ فَلا يَتجاوَزُ ذٰلِكَ.[2]

٣٨٤٦ . الكافي عن عاصم بن حميد : سُئِلَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ عليه السلام عَنِ التَّوحيدِ فَقالَ: إنَّ اللهَ عزّ وجلّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ أَقوامٌ مُتَعَمِّقونَ، فَأَنزَلَ اللهُ تَعالىٰ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[3] وَالآياتِ مِن سورَةِ الحَديدِ إلىٰ قَولِهِ: ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[4]. فَمَن رامَ وَراءَ ذٰلِكَ فَقَد هَلَكَ.[5]

---

١ . إبراهيم: ٣٤.

٢ . الكافي: ج ٨ ص ٣٩٤ ح ٥٩٢، تحف العقول: ص ٢٨٣ وفيه «قدْرُ وُسعِ العبادِ فلا يُجاوِزونَ ذٰلِكَ» بدل «قد وسع العباد فلا يتجاوز ذٰلِكَ»، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ١٤١ ح ٣٦.

٣ . الإخلاص: ١.

٤ . الحديد: ٦.

٥ . الكافي: ج ١ ص ٩١ ح ٣، التوحيد: ص ٢٨٣ ح ٢، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٦٤ ح ٢١.

كلامٌ حول معنى التّعمّق في معرفة الله

وَهِمَ عددٌ من كبار أُولي العرفان في تفسير الحديث الذي نقله المرحوم الكليني رحمه الله عن الإمام زين العابدين عليه السلام حول «التعمّق» غافلين عن معناه في اللغة والأَحاديث المأثورة، فقد فسّروا كلامه عليه السلام :

«إنَّ اللهَ عزّ وجلّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ أَقوامٌ مُتَعَمِّقونَ، فَأَنزَلَ اللهُ تَعالىٰ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالآياتِ مِن سورَةِ الحَديدِ إِلىٰ قَولِهِ: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، فَمَن رامَ وَراءَ ذٰلِكَ فَقَد هَلَكَ»[1].

بأنّه لمّا كان الله تعالىٰ يعلم بأنّ أُناساً سوف يأتون في آخر الزمان يستقصون و يتمعّنون، أَنزل سورة التوحيد والآيات الأُولىٰ من سورة الحديد، و بهذا البيان استخرجوا مدح أَهل العرفان في آخر الزمان و طبّقوا الحديث المذكور علىٰ ما فهموهُ من التوحيد، بيد أَنّ مراجعةً للمصادر الأَصيلة في اللغة والحديث التي وردت فيها كلمة «التعمّق»، والتدقيق في ذيل كلامه عليه السلام يجعلان الباحث يوقن بأنّ فهمهم للحديث المذكور غير سديد قطعاً، وتوضيح ذلك

---

١. راجع: ص ٣٢٧ ح ٣٨٤٦.

فيما يلي:

١. «التعمّق» في اللّغة

قال الخليل بن أحمد الفراهيديّ: «المتعمّق: المبالغ في الأمر المتشدّد فيه، الذي يطلب أقصىٰ غايته»،[١] ومثله عن ابن منظور في لسان العرب.[٢]

وفي ضوء ذلك نلاحظ أنّ غاية الجهد لبلوغ العمق وأقصىٰ الشيء يُسمّىٰ في اللغة تعمّقاً.

٢. الأحاديث التي تناولت كلمة «التعمّق»

إنّ التنقيب في مواضع استعمال كلمة «التعمّق» في الأحاديث المنقولة في مصادر الفريقين لا يُريب الباحث في أنّ القصد من هذه الكلمة في الثقافة الإسلاميّة هو الإفراط، والتطرّف، والخروج من حدّ الاعتدال، ويمكن أن نقسّم هذه الأحاديث إلىٰ أربعة أقسام:

أ ـ مدح ترك التعمّق في صفات الله

الطائفة الأُولىٰ: الأحاديث التي تصف الراسخين في العلم وتُثني علىٰ تركهم التعمّق في صفات الله، بل في جميع القضايا الغيبيّة، مثل قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«فَمَدَحَ اللهُ تَعالَى اعتِرافَهُم بِالعَجزِ عَن تَناوُلِ ما لَم يُحيطوا بِهِ عِلماً، وسَمّىٰ تَركَهُمُ التَّعَمُّقَ فيما لَم يُكَلِّفهُمُ البَحثَ عَن كُنهِهِ رُسوخاً».[٣]

---

١. كتاب العين: ص ٥٧٩ «عمق».

٢. لسان العرب: ج ١٠ ص ٢٧١ «عمق»؛ النهاية: ج ٣ ص ٢٩٩ «عمق».

٣. راجع: ص ٣٢٦ ح ٣٨٤٣.

ولهذه الأَحاديث أهمّيّة خاصّة في هذا المبحث لاتّساقها والقرآن الكريم.

ب ـ خطر مطلق التعمّق

الطائفة الثانية: الأَحاديث التي تصف مطلق التعمّق بالخطر كالذي أُثر عن الإمام أَمير المؤمنين عليه السلام من عدّه التعمّق دعامة من دعائم الكفر:

«الكُفرُ عَلىٰ أَربَعِ دَعائِمَ: عَلَى التَّعَمُّقِ ... فَمَن تَعَمَّقَ لَم يُنِب إِلَى الحَقِّ».[1]

ج ـ التحذير من التعمّق في الدِّين

الطائفة الثالثة: الأَحاديث التي حذّرت من التطرّف في قضايا الدين الفرعيّة نحو قوله صلى الله عليه وآله:

«إِيّاكُم وَالتَّعَمُّقَ فِي الدّينِ! فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ قَد جَعَلَهُ سَهلاً، فَخُذوا مِنهُ ما تُطيقونَ ...»[2].

وقول الإمام الكاظم عليه السلام:

«لا تَعَمَّقَ فِي الوُضوءِ»[3].

وقال العلّامة المجلسيّ في بيان هذه الرواية:

«أَي: بإكثار الماء، أَو بالمبالغة كثيراً في إيصال الماء زائداً عن الإسباغ المطلوب»[4].

---

١. نهج البلاغة: الحكمة ٣١، الكافي: ج ٢ ص ٣٩٢ ح ١ عن سليم بن قيس الهلالي نحوه، الخصال: ص ٢٣٢ ح ٧٤ عن الأَصبغ بن نباتة وفيه «العتوّ» بدل «الكفر»، تحف العقول: ص ١٦٦ و فيه «الغلوّ» بدل «الكفر»، بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٤٨ ح ١٧.

٢. كنز العمّال: ج ٣ ص ٣٥ ح ٥٣٤٨ نقلاً عن أبي القاسم بن بشران في أماليه.

٣. راجع: وسائل الشيعة: ج ١ ص ٣٣٤ باب «استحباب صفق الوجه بالماء قليلاً عند الوضوء، وكراهة المبالغة في الضرب، والتعمّق في الوضوء».

٤. بحار الأنوار: ج ٨٠ ص ٢٥٨.

د ـ عاقبة التعمّق في الدِّين

الطائفة الرابعة: الأَحاديث التي ترىٰ أَنّ عاقبة التطرّف والإفراط الدِّينيّ هي الخروج من الدِّين، كما نقل عن رسول الله ﷺ قوله:

«إنَّ أقواماً يَتَعَمَّقونَ فِي الدّينِ يَمرُقونَ كَما يَمرُقُ السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ».[1]

ونلاحظ في ضوء ما تقدّم أَنّ التعمّق في معرفة الله والشؤون الدِّينيّة، كما تفيده ثقافة الحديث في الإسلام ليس فحسب، بل محظورٌ مذمومٌ أَيضاً. وما ورد في كلام الإمام زين العابدين عليه السلام «إنّ أقواماً سَيَتَعَمَّقونَ في آخِرِ الزَّمانِ» يعبّر عن انحرافهم العقيديّ، إذ أَنّ الله تعالىٰ أَنزل سورة التوحيد والآيات الأُولىٰ من سورة الحديد لئلّا يعمّ انحرافهم.

إنّ ما جاء في ذيل كلام الإمام عليه السلام إذ قال: «فَمَن رامَ وَراءَ ذٰلِكَ هَلَكَ» يدلّ علىٰ أَنّ المسلمين يجب أَن يكتفوا في معرفة صفات الله، بماورد في هذه الآيات وما وضّحه أَهل البيت عليهم السلام في هذا المجال، ولا يسبروا الغور في المباحث التي لا يبلغ عُمقَها فكرهم[2]، فلا عاقبة للتعمّق في ذات الله سبحانه وصفاته إلّا الهلاك.

راجع: ج ٢ ص ١٥٨ (خطر التعمّق).

---

١. مسند ابن حنبل: ج ٤ ص ٣١٨ ح ١٢٦١٥ عن أنس بن مالك؛ كنز العمّال: ج ١١ ص ٢٨٨ ح ٣١٥٤٣ نقلاً عن ابن جرير وراجع: موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ج ٦ ص ٢٦١. «التطرّف الديني في اصطلاح الحديث».

٢. راجع: ص ٣٢٣ «النَّهيُ عن التَّفَكُّرِ فى ذاتِه» و ٣٢٦ «النَّهيُ عَنِ التعمّق في صفته».

الفصل التاسع

ما ورد في حجب الله

١ / ٩
لا حجاب بين الله وبين خلقه

٣٨٤٧ . الإمام عليّ عليه السلام ـ في صِفَةِ الخالِقِ جَلّ وعَلا ـ: لا شَبَحٌ فيُتَقَصّى، ولا مَحجوبٌ فيُحوى.[١]

٣٨٤٨ . عنه عليه السلام ـ في جَوابِ مَن قالَ لَهُ كَيفَ رَأيتَ رَبَّكَ ـ: بِمُقارَنَتِهِ بَينَ الأَشياءِ عُرِفَ أن لا قَرينَ لَهُ... حَجَبَ بَعضَها عَن بَعضٍ لِيُعلَمَ أن لا حِجابَ بَينَهُ وبَينَ خَلقِهِ.[٢]

٣٨٤٩ . التوحيد عن الحارث الأعور عن الإمام عليّ عليه السلام: أنَّهُ دَخَلَ السّوقَ، فَإِذا هُوَ بِرَجُلٍ مُوَلّيهِ ظَهرَهُ يَقولُ: لا وَالَّذي احتَجَبَ بِالسَّبعِ.

فَضَرَبَ عَلِيٌّ عليه السلام ظَهرَهُ، ثُمَّ قالَ: مَنِ الَّذي احتَجَبَ بِالسَّبعِ؟

قالَ: اللهُ يا أَميرَ المُؤمِنينَ.

---

١ . نهج البلاغة: الخطبة ١٦٣، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٣٠٦ ح ١١؛ كنز العمّال: ج ١ ص ٤٠٨ ح ١٧٣٧ نقلاً عن حلية الأولياء عن النعمان بن سعد.

٢ . الكافي: ج ١ ص ١٣٩ ح ٤ عن الإمام الصادق عليه السلام.

قالَ: أَخطَأتَ ثَكِلَتكَ أُمُّكَ! إنَّ اللهَ ﷻ لَيسَ بَينَهُ وبَينَ خَلقِهِ حِجابٌ؛ لِأَنَّهُ مَعَهُم أَينَما كانوا.

قالَ: ما كَفّارَةُ ما قُلتُ يا أَميرَ المُؤمِنينَ؟

قالَ: أن تَعلَمَ أنَّ اللهَ مَعَكَ حَيثُ كُنتَ.

قالَ: أُطعِمُ المَساكينَ؟

قالَ: لا، إنَّما حَلَفتَ بِغَيرِ رَبِّكَ.[١]

٣٨٥٠. الإمام الصادق عليه السلام: مَن زَعَمَ أنَّهُ يَعرِفُ اللهَ بِحِجابٍ أو بِصورَةٍ أو بِمِثالٍ فَهُوَ مُشرِكٌ؛ لِأَنَّ حِجابَهُ ومِثالَهُ وصورَتَهُ غَيرُهُ.[٢]

٣٨٥١. الكافي عن ابن أبي العوجاء: قُلتُ لَهُ [أي الإمامِ الصادِقِ عليه السلام]: ...ولِمَ احتَجَبَ عَنهُم وأَرسَلَ إلَيهِمُ الرُّسُلَ؟ ولو باشَرَهُم بِنَفسِهِ كانَ أقرَبَ إلَى الإيمانِ بِهِ؟ فَقالَ لي: وَيلَكَ! وكَيفَ احتَجَبَ عَنكَ مَن أراكَ قُدرَتَهُ في نَفسِكَ؛ نُشوءَكَ ولَم تَكُن، وكِبَرَكَ بَعدَ صِغَرِكَ، وقُوَّتَكَ بَعدَ ضَعفِكَ وضَعفَكَ بَعدَ قُوَّتِكَ، وسُقمَكَ بَعدَ صِحَّتِكَ وصِحَّتَكَ بَعدَ سُقمِكَ، ورِضاكَ بَعدَ غَضَبِكَ وغَضَبَكَ بَعدَ رِضاكَ، وحُزنَكَ بَعدَ فَرَحِكَ وفَرَحَكَ بَعدَ حُزنِكَ، وحُبَّكَ بَعدَ بُغضِكَ وبُغضَكَ بَعدَ حُبِّكَ، وعَزمَكَ بَعدَ أناتِكَ وأناتَكَ بَعدَ عَزمِكَ، وشَهوَتَكَ بَعدَ كَراهَتِكَ وكَراهَتَكَ بَعدَ شَهوَتِكَ، ورَغبَتَكَ بَعدَ رَهبَتِكَ ورَهبَتَكَ بَعدَ رَغبَتِكَ، ورَجاءَكَ بَعدَ يَأسِكَ ويَأسَكَ بَعدَ رَجائِكَ، وخاطِرَكَ بِما لَم يَكُن في وَهمِكَ، وعُزوبَ ما أنتَ مُعتَقِدُهُ عَن ذِهنِكَ، وما زالَ يُعَدِّدُ عَلَيَّ قُدرَتَهُ الَّتي هِيَ في

---

١. التوحيد: ص ١٨٤ ح ٢١، الغارات: ج ١ ص ١١٢، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٣٠ ح ٣٤.

٢. الكافي: ج ١ ص ١١٤ ح ٤، التوحيد: ص ١٤٣ ح ٧ وص ١٩٢ ح ٦ كلّها عن عبد الأعلى، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٦٠ ح ٦.

نَفسِيَ الَّتي لا أَدفَعُها حَتّىٰ ظَنَنتُ أَنَّهُ سَيَظهَرُ فيما بَيني وبَينَهُ.[١]

٢/٩
مَحجوبٌ بِغَيرِ حِجابٍ

٣٨٥٢. الإمام الكاظم عليه السلام: لَيسَ بَينَهُ وبَينَ خَلقِهِ حِجابٌ غَيرُ خَلقِهِ، احتَجَبَ بِغَيرِ حِجابٍ مَحجوبٍ، وَاستَتَرَ بِغَيرِ سِترٍ مَستورٍ.[٢]

٣٨٥٣. الإمام الرضا عليه السلام: اِحتَجَبَ بِغَيرِ حِجابٍ مَحجوبٍ، وَاستَتَرَ بِغَيرِ سِترٍ مَستورٍ.[٣]

٣/٩
لا حِجابَ بَينَهُ وبَينَ خَلقِهِ غَيرُ خَلقِهِ

٣٨٥٤. الإمام عليّ عليه السلام ـ في جَوابِ مَن قالَ لَهُ: كَيفَ رأيتَ رَبَّكَ؟ ـ: بِمُقارَنَتِهِ بَينَ الأَشياءِ عُرِفَ أَن لا قَرينَ لَهُ... حَجَبَ بَعضَها عَن بَعضٍ، لِيُعلَمَ أَن لا حِجابَ بَينَهُ وبَينَ خَلقِهِ غَيرَ خَلقِهِ.[٤]

٣٨٥٥. عنه عليه السلام: لا تَشمُلُهُ المَشاعِرُ، ولا تَحجُبُهُ الحُجُبُ، وَالحِجابُ بَينَهُ وبَينَ خَلقِه خَلقُهُ إيّاهُم؛ لِامتِناعِهِ مِمّا يُمكِنُ في ذَواتِهِم، ولِإِمكانٍ مِمّا يَمتَنِعُ مِنهُ، ولِافتِراقِ الصّانِعِ

---

١. الكافي: ج ١ ص ٧٥ ح ٢، التوحيد: ص ١٢٧ ح ٤ وفيه «إبائك» بدل «أناتك»، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٤٣ ح ١٨.

٢. التوحيد: ص ١٧٩ ح ١٢ عن يعقوب بن جعفر الجعفري، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٢٧ ح ٢٧.

٣. الكافي: ج ١ ص ١٠٥ ح ٣، علل الشرائع: ص ١٠ ح ٣، التوحيد: ص ٩٨ ح ٥ كلّها عن محمّد بن زيد، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٦٣ ح ١١.

٤. التوحيد: ص ٣٠٨ ح ٢ عن عبد الله بن يونس عن الإمام الصادق عليه السلام وص ٣٧ ح ٢ عن محمّد بن يحيىٰ عن الإمام الرضا عليه السلام وفيه «لا حجاب بينه وبينها غيرها» بدل «لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه»، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٣١١ ح ١٤.

مِنَ المَصنوعِ، وَالحادُّ مِنَ المَحدودِ، وَالرَّبُّ مِنَ المَربوبِ.[١]

٣٨٥٦. الإمام الرضا عليه السلام: خَلقُ اللهِ الخَلقَ حِجابٌ بَينَهُ وبَينَهُم، ومُبايَنَتُهُ إيّاهُم مُفارَقَتُهُ إنِّيَّتَهُم.[٢]

٤ / ٩
حِجابُ النّورِ

الكتاب

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.[٣]

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.[٤]

الحديث

٣٨٥٧. الإمام زين العابدين عليه السلام ـ في قَولِهِ تَعالىٰ:... ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ـ: ذاكَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله دَنا مِن حُجُبِ النّورِ، فَرَأىٰ مَلَكوتَ السَّماواتِ، ثُمَّ تَدَلّىٰ صلى الله عليه وآله، فَنَظَرَ مِن تَحتِهِ إلىٰ مَلَكوتِ الأَرضِ حَتّىٰ ظَنَّ أنَّهُ فِي القُربِ مِنَ الأَرضِ كَقابِ قَوسَينِ أو أدنىٰ.[٥]

---

١. الكافي: ج ١ ص ١٣٩ ح ٥ عن إسماعيل بن قتيبة عن الإمام الصادق عليه السلام، التوحيد: ص ٥٦ ح ١٤ عن فتح بن يزيد الجرجاني عن الإمام الرضا عليه السلام نحوه.

٢. التوحيد: ص ٣٥ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥١ ح ٥١ وفيه «أينيّتهم» بدل «إنّيتهم» وكلاهما عن القاسم بن أيّوب العلوي، الأمالي للمفيد: ص ٢٥٤ ح ٤ عن محمّد بن زيد الطبري وفيه «مفارقته لهم» بدل «مفارقته إنّيتهم»، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٨ ح ٣.

٣. النجم: ٧ـ ٩.

٤. القلم: ٤٢.

٥. علل الشرائع: ص ١٣٢ ح ١، الأمالي للصدوق: ص ٢١٤ ح ٢٣٨ كلاهما عن ثابت بن دينار، روضة الواعظين: ص ٧٠، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣١٤ ح ٨.

٣٨٥٨ . الإمام الرضا عليه السلام ـ في قَولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ـ: حِجابٌ مِن نُورٍ يُكشَفُ فَيَقَعُ المُؤمِنونَ سُجَّداً.[١]

٣٨٥٩ . رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ تعالى... حِجابُهُ النّورُ، لَو كَشَفَهُ لَأَحرَقَت سُبُحاتُ وَجهِهِ مَا انتَهىٰ إلَيهِ بَصَرُهُ مِن خَلقِهِ[٢].[٣]

٣٨٦٠ . عنه صلى الله عليه وآله ـ فِي الدُّعاءِ ـ: اللّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ يا مَنِ احتَجَبَ بِشُعاعِ نورِهِ عَن نَواظِرِ خَلقِهِ، يا مَن تَسَربَلَ بِالجَلالِ وَالعَظَمَةِ، وَاشتَهَرَ بِالتَّجَبُّرِ في قُدسِهِ.[٤]

٣٨٦١ . عنه صلى الله عليه وآله: الحَمدُ للهِ... وهُوَ الكَينونُ أوَّلاً، والدَّيمومُ أبداً المُحتَجِبُ بِنورِهِ دونَ خَلقِهِ، فِي الأُفُقِ الطّامِحِ، وَالعِزِّ الشّامِخِ، وَالمُلكِ الباذِخِ، فَوقَ كُلِّ شَيءٍ عَلا، ومِن كُلِّ شَيءٍ دَنا، فَتَجَلّىٰ لِخَلقِهِ مِن غَيرِ أن يَكونَ يُرىٰ، وهُوَ بِالمَنظَرِ الأَعلىٰ، فَأَحَبَّ الاختِصاصَ بِالتَّوحيدِ؛ إذِ احتَجَبَ بِنورِهِ، وسَما في عُلُوِّهِ، واستَتَرَ عَن خَلقِهِ، وبَعَثَ إلَيهِمُ الرُّسُلَ؛ لِتَكونَ لَهُ الحُجَّةُ البالِغَةُ عَلىٰ خَلقِهِ، ويَكونَ رُسُلُهُ إلَيهِم شُهداءَ عَلَيهِم، وَابتَعَثَ فيهِمُ النَّبِيّينَ مُبَشِّرينَ ومُنذِرينَ، لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ، ويَحيا مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ، ولِيَعقِلَ العِبادُ عَن رَبِّهِم ما جَهِلوهُ، فَيَعرِفوهُ بِرُبوبِيَّتِهِ بَعدَ ما أنكَروا، ويُوَحِّدوهُ

---

١ . عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٢١ ح ١٤ عن الحسن بن سعيد، التوحيد: ص ١٥٤ ح ١ عن الحسين بن سعد، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٨٨ ح ٢٩٥، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٨ ح ١٧.

٢ . جاء في مسند ابن حنبل ج ٧ ص ١٤٢ ح ١٩٦٠٤ نظير هذا الحديث وفيه «النار» بدل «النور»، وقد ذكرت حجب النار والنور معاً في أحاديث أُخرى، راجع التوحيد: ص ٢٧٨ ح ٢ و الدرّ المنثور: ج ١ ص ٢٢٩.

٣ . صحيح مسلم: ج ١ ص ١٦٢ ح ٢٩٣ وح ٢٩٤، سنن ابن ماجة: ج ١ ص ٧٠ ح ١٩٥، مسند ابن حنبل: ج ٧ ص ١٥١ ح ١٩٦٥١ كلّها عن أبي موسىٰ، كنز العمّال: ج ١ ص ٢٢٦ ح ١١٣٩.

٤ . مهج الدعوات: ص ١٠٢ عن محمّد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الدروع الواقية: ص ١٨٢ عن الإمام عليّ عليه السلام وفيه «واحتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه» فقط، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٤٠٣ ح ٥.

بِالإِلٰهيَّةِ بَعدَما عَضَدوا.[١]

٣٨٦٢. الإمام عليّ عليه السلام ـ في مُناجاتِهِ في شَهرِ شَعبانَ ـ: إلٰهي هَب لي كَمالَ الانقِطاعِ إلَيكَ، وأَنِر أَبصارَ قُلوبِنا بِضِياءِ نَظَرِها إلَيكَ، حَتّىٰ تَخرِقَ أَبصارُ القُلوبِ حُجُبَ النّورِ، فَتَصِلَ إلىٰ مَعدِنِ العَظَمَةِ، وتَصيرَ أَرواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدسِكَ.[٢]

٣٨٦٣. التوحيد عن يونس بن عبد الرحمٰن: قُلتُ لِأَبِي الحَسَنِ موسَىٰ بنِ جَعفَرٍ عليه السلام: لِأَيِّ عِلَّةٍ عَرَجَ اللهُ بِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله إلَى السَّماءِ، ومِنها إلىٰ سِدرَةِ المُنتَهىٰ، ومِنها إلىٰ حُجُبِ النّورِ، وخاطَبَهُ وناجاهُ هُناكَ وَاللهُ لا يُوصَفُ بِمَكانٍ؟

فَقالَ عليه السلام: إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ لا يُوصَفُ بِمَكانٍ ولا يَجري عَلَيهِ زَمانٌ، ولٰكِنَّهُ عزّ وجلّ أَرادَ أَن يُشَرِّفَ بِهِ مَلائِكَتَهُ وسُكّانَ سَماواتِهِ، ويُكرِمَهُم بِمُشاهَدَتِهِ، ويُرِيَهُ مِن عَجائِبِ عَظَمَتِهِ ما يُخبِرُ بِهِ بَعدَ هُبوطِهِ، ولَيسَ ذٰلِكَ عَلىٰ ما يَقولُ المُشَبِّهونَ، سُبحانَ اللهِ وتَعالىٰ عَمّا يُشرِكونَ.[٣]

٩ / ٥

حِجابُهُ النّورُ وَالظُّلمَةُ

٣٨٦٤. رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ عزّ وجلّ دونَ سَبعينَ أَلفَ حِجابٍ مِن نورٍ وظُلمَةٍ، وما يَسمَعُ مِن نَفسٍ

---

١. التوحيد: ص ٤٤ ح ٤ عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام، علل الشرائع: ص ١١٩ ح ١ عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عليه السلام وفيه «واستتر عن خلقه ليكون له الحجّة البالغة» بدل «واستتر عن خلقه ... شهداء عليهم»، بحار الأنوار: ج ١١ ص ٣٨ ح ٣٥ وراجع الكافي: ج ٥ ص ٣٦٩ ح ١، كفاية الأثر: ص ١٦١.

٢. الإقبال: ج ٣ ص ٢٩٩، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٩٩ ح ١٣ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي وكلاهما عن ابن خالويه.

٣. التوحيد: ص ١٧٥ ح ٥، علل الشرائع: ص ١٣٢ ح ٢، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣١٥ ح ١٠.

شَيئاً من حِسِّ تِلكَ الحُجُبِ إلّا زَهَقَت.[١]

٣٨٦٥ . عنه ﷺ : إنَّ بَينَ اللهِ وبَينَ خَلقِهِ سَبعينَ (تِسعينَ)[٢] ألفَ حِجابٍ، وأَقرَبُ الخَلقِ إلَى اللهِ أنَا وإسرافيلُ، وبَينَنا وبَينَهُ أربَعَةُ حُجُبٍ، حِجابٌ مِن نورٍ، وحِجابٌ مِن ظُلمَةٍ، وحِجابٌ مِنَ الغَمامِ، وحِجابٌ مِنَ الماءِ.[٣]

٣٨٦٦ . عوالي اللآلي : رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: إنَّ للهِ سَبعينَ حِجاباً. وفي رِوايَةٍ أُخرىٰ: سَبعَمِئَةِ حِجابٍ. وفي أُخرىٰ: سَبعينَ ألفَ حِجابٍ مِن نورٍ وظُلمَةٍ، لَو كَشَفَها عَن وَجهِهِ لَاحتَرَقَت[٤] سُبُحاتُ وَجهِهِ ما أدرَكَهُ بَصَرُهُ مِن خَلقِهِ.[٥]

٣٨٦٧ . الإمام زين العابدين ؑ ـ في مُناجاتِهِ ـ : اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجعَلنا مِنَ الَّذينَ فَتَقتَ لَهُم رَتقَ عَظيمِ غَواشي جُفونِ حَدَقِ عُيونِ القُلوبِ، حَتّىٰ نَظَروا إلىٰ تَدبيرِ حِكمَتِكَ وشَواهِدِ حُجَجِ بَيِّناتِكَ، فَعَرَفوكَ بِمَحصولِ فِطَنِ القُلوبِ، وأنتَ في غَوامِضِ سُتُراتِ حُجُبِ القُلوبِ، فَسُبحانَكَ أيُّ عَينٍ تَقومُ بِها نُصبَ نورِكَ، أم تَرقىٰ إلىٰ نورِ ضِياءِ قُدسِكَ؟ أو أيُّ فَهمٍ يَفهَمُ ما دونَ ذٰلِكَ إلَّا الأَبصارَ الَّتي كَشَفتَ عَنها حُجُبَ العَمِيَّةِ، فَرَقَت أرواحُهُم عَلىٰ أجنِحَةِ المَلائِكَةِ، فَسَمّاهُم أهلُ المَلَكوتِ

---

١ . المعجم الكبير: ج ٦ ص ١٤٨ ح ٥٨٠٢، مسند أبي يعلى: ج ٦ ص ٤٩٤ ح ٧٤٨٧ وفيه «حسن» بدل «حسّ»، الفردوس: ج ٢ ص ٢٢١ ح ٣٠٧٤ كلاهما نحوه وكلّها عن سهل بن سعد، كنز العمّال: ج ١٠ ص ٣٦٩ ح ٢٩٨٤٦.

٢ . في المصدر: «سبعون (تسعون)»، والصحيح ما أثبتناه.

٣ . تفسير القمّي: ج ٢ ص ١٠ عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق ؑ، بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٣٢٧ ح ٣٤.

٤ . كذا في المصدر، والصحيح: «لأحرقت».

٥ . عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٠٦ ح ١٥٨، بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٤٥ نقلاً عن شرح النهج للكيدري نحوه وراجع المعجم الأوسط: ج ٦ ص ٢٧٨ ح ٦٤٠٧.

زُوّاراً، وأَسماهُم أَهلُ الجَبَروتِ عُمّاراً، فَتَرَدَّدوا في مَصافِّ المُسَبِّحينَ، وتَعَلَّقوا بِحِجابِ القُدرَةِ، وناجَوا رَبَّهُم عِندَ كُلِّ شَهوَةٍ، فَحَرَّقَت[1] قُلوبُهُم حُجُبَ النّورِ، حَتّىٰ نَظَروا بِعَينِ القُلوبِ إلىٰ عِزِّ الجَلالِ في عِظَمِ المَلَكوتِ، فَرَجَعَتِ القُلوبُ إلَى الصُّدورِ عَلَى النِّيّاتِ بِمَعرِفَةِ تَوحيدِكَ، فَلا إلٰهَ إلّا أَنتَ وَحدَكَ لا شَريكَ لَكَ، تَعالَيتَ عَمّا يَقولُ الظّالِمونَ عُلُوّاً كَبيراً.[2]

---

١ . كذا في المصدر و هو تصحيف: «فخرقت».

٢ . بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٢٨ ح ١٩ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي.

نظرة على روايات الحجب

إنّ ما رُوي في حجب الله تعالىٰ ينقسم ـ كما لوحظ ـ إلىٰ خمسة أَقسام هي:

الأَوّل: الروايات التي تؤكّد انعدام الحجاب بين الله والخلق، وهذه الروايات تشير إلىٰ صفته سبحانه و تعالىٰ بالظاهر، وقد تمّ تبيينها في عدد من الروايات، كما يأتي:

«الظّاهِرِ لِقُلوبِهِم بِحُجَّتِهِ»[1].

«الظّاهِرِ بِعجائِبِ تَدبيرِهِ لِلنّاظِرينَ»[2].

الثاني: الروايات التي تدلّ علىٰ أَنّ الله ـ جلّ شأنه ـ محجوب مع أَنّه لا حجاب له، وهي تشير إلىٰ صفته ـ جلّ وعلا ـ بالباطن، كما جاء توضيحه في كلام الإمام أَمير المؤمنين عليه السلام إذ قال:

«الباطِنِ بِجَلالِ عِزَّتِهِ عَن فِكرِ المُتَوَهِّمينَ»[3].

الثالث: الروايات التي تدلّ على أَنّ الحجاب بين الله والخلق يتمثّل في كـونهم مخلوقين، إِذ من المحال أَن يُحيط المخلوق المحدود بالخالق الذي لا حدود له، فضلاً عن أَنّ جميع الأَحاديث التي مرّت في الباب الرابع من هذا الفصل تدلّ علىٰ

---

١. راجع: ج ٤ ص ٣١٩ ح ٤٨٢٧.

٢. راجع: ج ٤ ص ٣١٩ ح ٤٨٢٨.

٣. راجع: ج ٤ ص ٣١٩ ح ٤٨٢٨.

هذا المعنىٰ أَيضاً.[١]

الرابع: الروايات التي تعبّر عن حجاب الله ـ عزّ وجلّ ـ بالنّور. ولعلّ المراد من الحجب النورانيّة ـ كما قيل ـ رؤية العابد عبادة نفسه، فإنّ العبادة نور، لكن إنْ رآها السالك يُصَب بنوع من الأَنانية التي تحجب المعرفة الشهودية.

وقيل: إنّ المراد بالحجب النورانيّة، المخلوقات الأَفضل، بمعنى أَنّ كلّ مخلوق أَفضل يحجب ما دونه؛ لأنّه واسطة الفيض إليه. ولكن لا يستقيم هذا الاحتمال مع ما مرّ من الأَحاديث في هذا الشأن، فتأَمّل.

إذاً، يتيسّر لنا أَن نقول: إنّ المراد من خرق حجب النُّور بأَبصارُ القلوب الوارد في المناجاة الشعبانيّة:

«وأنِر أَبصارَ قُلوبِنا بِضِياءِ نَظَرِها إلَيكَ حَتّىٰ تَخرِقَ أَبصارُ القُلوبِ حُجُبَ النّورِ فَتَصِلَ إلىٰ مَعدِنِ العَظَمَةِ ...»

هو أَنّ السالك في سلوكه إلىٰ الله يبلغ نقطةً تُماط فيها حجب الأَنانيّة كلّها نتيجة لشدّة حبّ الله سبحانه فلا يَرَىٰ شيئاً إلّا الله سبحانه وتعالىٰ، وكما قال الشاعر الفارسيّ حافظ الشيرازيّ ما تعريبه:

لا حجاب بين العاشق والمعشوق   فنفسك هي الحجاب يا حافظ فأزحها

وهذه المرحلة من معرفة الله وإن كانت تمثّل أَعلىٰ منازل السلوك وأَسمىٰ درجات المعرفة لكنّها لا تعني إحاطة المخلوق بالخالق ومعرفة كنه الله سبحانه قطعاً، من هنا فإنّ سيد المرسلين وإمام أَهل المعرفة أجمعين إذ يصرح علىٰ أنّ معرفة الكنه غير ميسّرة له أَيضاً، يقول:

---

١. راجع: ص ٣١٧ «لا يَبلُغُ أحدٌ كُنهَ مَعرِفَتِهِ».

«اللهُ أعلىٰ وأجَلُّ أن يَطَّلِعَ أَحَدٌ عَلىٰ كُنهِ مَعرِفَتِهِ».[١]

وقال أيضاً:

«يامَن لا يَعلَمُ ما هُوَ إلّا هُوَ».[٢]

وقال كذلك:

«سُبحانَكَ ما عَرَفناكَ حَقَّ مَعرِفَتِكَ».[٣]

الخامس: الروايات التي تقسم حجب الله تعالىٰ إلى حجب نورانيّة وظلمانيّة، وأشرنا قبل ذلك إلىٰ المعنىٰ المحتمَل للحجبِ النورانيّة،[٤] أمّا القصد من الحجب الظلمانيّة فهو ـ على ما يبدو ـ الصدأ الذي يرين علىٰ البصائر ويحول دون معرفة الله بسبب الأعمال غير الصالحة، كما جاء في القرآن الكريم:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٥].

وسيأتي شرح هذه الموانع في الفصل العاشر.

ويقول الشاعر حافظ الشيرازيّ مشيراً إلىٰ هذه الحجب ما تعريبه:

لا نقاب ولا حجاب يحول دون جمال الحبيب

ولكن أزح الغبار حتّىٰ يتيسّر لك النظر.

توضيح العلّامة المجلسيّ حول روايات الحجب:

قال العلّامة المجلسيّ في تبيين الروايات التي هي مثار البحث:

---

١. راجع: ص ٣١٧ ح ٣٧٩٣.

٢. راجع: ص ٣١٧ ح ٣٧٩١.

٣. راجع: ص ٣١٧ ح ٣٧٩٢.

٤. المعنىٰ الدقيق القاطع لحجب النور والظلمة غير واضح. لمزيد الاطّلاع انظر: فصوص الحكم، فصّ الحكمة الإلهيّة في الكلمة الآدميّة، تعليقة أبي العلاء: ص ١٦ ـ ١٧. تعليقات الإمام الخمينيّ علىٰ فصوص الحكم.

٥. المطفّفين: ١٤ و ١٥.

«والتحقيق أنّ لتلك الأخبار ظهراً وبطناً وكلاهما حقّ فأما ظهرها، فإنّه سبحانه كما خلق العرش والكرسي مع عدم احتياجه إليهما، كذلك خلق عندهما أستاراً وحجباً وسرادقات، وحشاها من أنواره الغريبة المخلوقة له؛ ليظهر لمن يشاهدها من الملائكة وبعض النبيين ولمن يسمعها من غيرهم عظمة قدرته وجلال هيبته وسعة فيضه ورحمته، ولعلّ اختلاف الأعداد باعتبار أنّ في بعض الإطلاقات اعتبرت الأنواع، وفي بعضها الأصناف، وفي بعضها الأشخاص أو ضمّ بعضها إلى بعض في بعض التعبيرات، أو اكتُفي بذكر بعضها في بعض الروايات، وأما بطنها فلأنّ الحجب المانعة عن وصول الخلق إلى معرفة كُنه ذاته وصفاته أُمور كثيرة:

منها: ما يرجع إلى نقص المخلوق وقواه ومداركه بسبب الإمكان والافتقار والاحتياج والحدوث، وما يتبع ذلك من جهات النقص والعجز، وهي الحجب الظلمانية.

ومنها: ما يرجع إلى نوريته وتجرّده وتقدّسه ووجوب وجوده وكماله وعظمته وجلاله وسائر ما يتبع ذلك، وهي الحجب النورانية، وارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال، فلو ارتفعت لم يبقَ بغير ذات الحق شيء، أو المراد بكشفها رفعها في الجملة بالتخلّي عن الصفات الشهوانية والأخلاق الحيوانية، والتخلّق بالأخلاق الربّانية بكثرة العبادات والرياضات والمجاهدات وممارسة العلوم الحقّة، فترتفع الحجب بينه وبين ربّه سبحانه في الجملة، فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيّناتهم وإراداتهم وشهواتهم، فيرون بعين اليقين كماله سبحانه ونقصهم، وبقاءه وفناءهم وذلهم، وغناه وافتقارهم، بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجوده الكامل عدماً، وقدرتهم الناقصة في جنب قدرته الكاملة عجزاً، بل يتخلّون عن إرادتهم وعلمهم وقدرتهم،

فيتصرّف فيهم إرادته وقدرته وعلمه سبحانه، فلا يشاؤون إلّا أن يشاء الله، ولا يريدون سوى ما أراد الله، ويتصرّفون في الأشياء بقدرة الله، فيحيون الموتىٰ، ويردّون الشّمس، ويشقّون القمر، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما قَلَعتُ بابَ خَيبرَ بِقُوَّةٍ جِسمانِيَّةٍ، بَل بِقُوَّةٍ رَبّانِيَّةٍ»[1].

والمعنى الذي يمكن فهمه ولا ينافي أُصول الدِّين من الفناء في الله والبقاء بالله هو هذا المعنى[2]، وبعبارة أُخرى: الحجب النورانية الموانع التي للعبد عن

---

١. بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٤٧، الأمالي للصدوق: ص ٦٠٤ ح ٨٤٠، روضة الواعظين: ص ١٤٢ كلاهما نحوه.

٢. الطريق الذي سلكه العلّامة المؤلّف ـ رضوان الله عليه ـ في كلامه هذا أشبه بطرق أهل الذوق وبياناتهم فلا بأس بالإشارة إلى طريق أهل البحث والنظر ليكون النفع أعمّ والفائدة أتمّ والله المستعان:

العالم المادّي عالم الحركة والتكامل، والنفس أيضاً لتعلّقها بالبدن المادي، بل اتحادها به محكومة بهذا الحكم فهي لا تزال تسير في منازل السير وتعرج على مدارج الكمال وتقترب إلى الحقّ المتعال، حتّى تصل إلى ثغور الإمكان والوجوب فعندئذٍ ينتهي السير وتقف الحركة ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ ومنازل السير هي المراتب المتوسطة بين المادة وبين أشرف مراتب الوجود، وهي بوجه تنقسم إلى مادية وغير مادية.

والأُولى: هي المراحل التي تقطعها حتّى تصل إلى حدّ التجرّد.

والثانية: هي المراتب الكمالية العالية التي فوق ذلك وحيث إنّ نسبة كلّ مرتبة عالية بالنسبة إلى ما تحته نسبة العلّة إلى المعلول، والمعنى الاسمي إلى الحرفي، والمستقل إلى غير المستقل كانت المرتبة العالية مشتملة على كمالات المرتبة الدانية من غير عكس، فكلما أخذ قوس الوجود في النزول ضعفت المراتب وكثرت الحدود العدمية، وكلما أخذ في الصعود اشتدّت المراتب وقلّت الحدود إلى أن تصل إلى وجود لا حدّ له أصلاً ووصول النفس إلى كلّ مرتبة عبارة عن تعلّقها بتلك المرتبة، وبعبارة أُخرى: بمشاهدة ارتباطها بها بحيث لا ترى لنفسها استقلالاً بالنسبة إليها، وإن شئت قلت: بفنائها عن ذاتها وخروجها عمّا له من الحدود بالنسبة إليها.

وبعد هذه المقدّمة نقول: الحدود اللازمة لكلّ مرتبة ـ العارضة لحقيقة وجود الشيء الذي في تلك المرتبة ـ هي التي تحجب ذلك الشيء من الوصول إلى المرتبة العالية وإدراك مالها من الكمال والعظمة، فإذا خرج الشيء عن هذه الحدود وخلع تلك القيود أمكنه الترقّي إلى درجة ما فوقه فيرىٰ عندئذٍ ذاته متعلّقة به غير مستقلّة عنه ويعرف ماله من البهاء والشرف والكمال والعظمة، فتلك الحدود هي الحاجبة عن حقيقة الوجود ⇐

الوصول إلى قربه وغاية ما يمكنه من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالرياء والعجب والسمعة والمراء وأشباهها، والظلمانية ما يحجبه من المعاصي عن الوصول إليه، فإذا ارتفعت تلك الحجب تجلّى الله له في قلبه، وأحرق محبّة ما سواه حتّىٰ نفسه عن نفسه ... وكلّ ذلك لا يوجب عدم وجوب الإيمان بظواهرها إلّا بمعارضة نصوص صحيحة صريحة صارفة عنها وأول الإلحاد سلوك التأويل من غير دليل، والله الهادي إلى سواء السبيل»[١].

⇔ المطلقة عن كلّ قيد فالنفس الواهة إلى اللذائذ المادية هي المتوغّلة في ظلمات الحدود وغواشي القيود، وهي أبعد النفوس عن الحقّ تعالىٰ، فكلّما انخلعت من القيود الماديّة وقطعت تعلّقها عن زخارف هذه الدنيا الدنيّة اقتربت من عالم النور والسرور والبهاء والحبور، حتّى تتجرّد تجرّداً سامياً فتشاهد نفسها جوهراً مجرّداً عن المادة والصورة وعند ذلك خرجت عن الحجب الظلمانية، وهي حقيقة الذنوب والمعاصي والأخلاق الذميمة، ورأسها حبّ الدنيا والإخلاد إلى أرض الطبيعة، وقد روى الفريقان عن النبيّ ﷺ: «حب الدنيا رأس كلّ خطيئة» لكنّها بعد محتجبة بالحجب النورانية وهي ألطف وأرقّ، ولذا كان تشخيصها أصعب، ومعرفتها إلى الدقّة والحذاقة أحوج، فربّ سالك في هذه المسالك لما شاهد بعض المراتب الدانية زعم أنّه وصل إلى أقصى الكمالات وأرفع الدرجات، وصار ذلك سبباً لتوقّفه في تلك المرتبة واحتجابه بها، ونعم ما قيل:

رقّ الزجاج ورقّت الخمر ... فتشابها وتشابه الأمر

فكأنّها خمر ولا قدح ... وكأنّها قدح ولا خمر

فمن شمله عناية الحقّ وساعده التوفيق فخصه الله بعبادته، وهيم قلبه لإرادته، وفرغ فؤاده لمحبته، وأزال محبة الأغيار عن قلبه، وأشرق له نوره، وكشف له سبحات وجهه، ورفع عنه حجب كبريائه وسرادقات عزّه وجلاله، وتجلّى له في سرّه، ثم وفّقه للاستقامة في أمره والتمكّن في مقامه فارتفع عنه كلّ حجاب، وتعلّق بعز قدس ربّ الأرباب، فقد هنأ عيشه وطاب حياته فطوبى له ثُمّ طوبى له. وقد ظهر مما ذكرنا أنّ معنى ارتفاع الحجاب مشاهدة عدم استقلال النفس فلا يوجب ارتفاع الحجب كانعدام العالم رأساً، بل إنّما يوجب معاينة ما سوى الله تعالى متعلّقاً به غير مستقل بنفسه فلا يلزم منه محال ولا ينافي شيئاً من أُصول الدين والله الهادي والمعين (هامش المصدر).

١. بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٤٦.

الفصل العاشر

موانع معرفة الله

١٠ / ١
السيّئات

الكتاب

﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.[١]

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.[٢]

الحديث

٣٨٦٨. الكافي عن محمّد بن يزيد الرفاعي رفعه: إنَّ أَميرَ المؤمِنينَ عليه السلام سُئِلَ عَنِ الوُقوفِ بِالجَبَلِ، لِمَ لَم يَكُن فِي الحَرَمِ؟

فَقالَ: لِأَنَّ الكَعبَةَ بَيتُهُ وَالحَرَمَ بابُهُ، فَلَمّا قَصَدوهُ وافِدينَ وَقَفَهُم بِالبابِ يَتَضَرَّعونَ.

قيلَ لَهُ: فَالمَشعَرُ الحَرامُ لِمَ صارَ فِي الحَرَمِ؟

---

١. الروم: ١٠.

٢. المطفّفين: ١٤ و ١٥.

قالَ: لِأَنَّهُ لَمّا أَذِنَ لَهُم بِالدُّخولِ وَقَفَهُم بِالحِجابِ الثّاني، فَلَمّا طالَ تَضَرُّعُهُم بِها أَذِنَ لَهُم لِتَقريبِ قُربانِهِم، فَلَمّا قَضَوا تَفَثَهُم[1] [و][2] تَطَهَّروا بِها مِنَ الذُّنوبِ الَّتي كانَت حِجاباً بَينَهُم وبَينَهُ أَذِنَ لَهُم بِالزِّيارَةِ عَلَى الطَّهارَةِ.[3]

٣٨٦٩. الإمام زين العابدين عليه السلام ـ فِي الدُّعاءِ ـ: وأَعلَمُ أنَّكَ لِلرّاجي بِمَوضِعِ إجابَةٍ... وأَنَّ الرّاحِلَ إلَيكَ قَريبُ المَسافَةِ، وأَنَّكَ لا تَحتَجِبُ عَن خَلقِكَ إلّا أن تَحجُبَهُمُ الأَعمالُ دونَكَ.[4]

٣٨٧٠. الاحتجاج: لَمّا دَخَلَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ عليه السلام وحَرَمُهُ عَلىٰ يَزيدَ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ، وجيءَ بِرَأسِ الحُسَينِ عليه السلام، ووُضِعَ بَينَ يَدَيهِ في طَستٍ، فَجَعَلَ يَضرِبُ ثَناياهُ بِمِخصَرَةٍ[5] كانَت في يَدِهِ.... فَقامَت إلَيهِ زَينَبُ بِنتُ عَلِيٍّ ـ وأُمُّها فاطِمَةُ بِنتُ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه و آله ـ وقالَت: الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ وَالصَّلاةُ عَلىٰ جَدّي سَيِّدِ المُرسَلينَ، صَدَقَ اللهُ سُبحانَهُ كَذٰلِكَ يَقولُ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[6].

أَظَنَنتَ يا يَزيدُ، أنَّكَ حينَ أَخَذتَ عَلَينا أَقطارَ الأَرضِ، وضَيَّقتَ عَلَينا آفاقَ

---

١. التَّفَث: هو ما يفعله المحرم بالحجّ إذا حلّ، كقصّ الشارب والأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة. وقيل: هو إذهاب الشعث والدَّرَن والوسخ مطلقاً (النهاية: ج ١ ص ١٩١).

٢. سقط ما بين المعقوفين من المصدر وأثبتناه من بقية المصادر.

٣. الكافي: ج ٤ ص ٢٢٤ ح ١، تهذيب الأحكام: ج ٥ ص ٤٤٨ ح ١٥٦٥، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٩٧ ح ٢١٢٩ من دون إسنادٍ إلى المعصوم، علل الشرائع: ص ٤٤٣ ح ١ عن الإمام الصادق عليه السلام وكلاهما نحوه؛ شعب الإيمان: ج ٣ ص ٤٦٨ ح ٤٠٨٤ عن عبد الرحمن بن أحمد بن عطيّة نحوه، كنز العمّال: ج ٥ ص ٢٨٢ ح ١٢٨٩٨.

٤. مصباح المتهجّد: ص ٥٨٣ ح ٦٩١، الإقبال: ج ١ ص ١٥٨ بزيادة «السيّئة» بعد «الأعمال» وكلاهما عن أبي حمزة الثمالي، بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٨٣ ح ٢.

٥. المِخصَرَة: ما يختصره الإنسان بيده فيُمسكه؛ من عصا أو عكّازةٍ أو مِقرَعَة أو قضيب (النهاية: ج ٢ ص ٣٦).

٦. الروم: ١٠.

السَّماءِ، فَأَصبَحنا لَكَ في إِسارِ الذُّلِّ، نُساقُ إِلَيكَ سَوقاً في قِطارٍ، وأَنتَ عَلَينا ذُو اقتِدارٍ، أَنَّ بِنا مِنَ اللهِ هَواناً وعَلَيكَ مِنهُ كَرامَةً وَامتِناناً، وأَنَّ ذٰلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ وجَلالَةِ قَدرِكَ، فَشَمَختَ بِأَنفِكَ، ونَظَرتَ في عِطفِكَ، تَضرِبُ أَصدَرَيكَ[1] فَرَحاً، وتَنفُضُ[2] مِذرَوَيكَ[3] مَرَحاً، حينَ رَأَيتَ الدُّنيا لَكَ مُستَوسِقَةً وَالأُمورَ لَدَيكَ مُتَّسِقَةً، وحينَ صَفا لَكَ مُلكُنا، وخَلَصَ لَكَ سُلطانُنا، فَمَهلاً مَهلاً لا تَطِش جَهلاً، أَنَسيتَ قَولَ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[4].[5]

٣٨٧١. بحار الأنوار عن محمّد بن أبي مسهر عن أبيه عن جدّه: كَتَبَ المُفَضَّلُ بنُ عُمَرَ الجُعفِيُّ إلىٰ أَبي عَبدِ اللهِ جَعفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصّادِقِ ؏ يُعلِمُهُ أَنَّ أَقواماً ظَهَروا مِن أَهلِ هٰذِهِ المِلَّةِ يَجحَدونَ الرُّبوبِيَّةَ، ويُجادِلونَ عَلىٰ ذٰلِكَ، ويَسأَلُهُ أَن يَرُدَّ عَلَيهِم قَولَهُم، ويَحتَجَّ عَلَيهِم فيمَا ادَّعَوا بِحَسَبِ ما احتَجَّ بِهِ عَلىٰ غَيرِهِم، فَكَتَبَ أَبو عَبدِ اللهِ ؏:

بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ أَمّا بَعدُ؛ وَفَّقَنَا اللهُ وإِيّاكَ لِطاعَتِهِ، وأَوجَبَ لَنا بِذٰلِكَ رِضوانَهُ بِرَحمَتِهِ. وَصَلَ كِتابُكَ تَذكُرُ فيهِ ما ظَهَرَ في مِلَّتِنا، وذٰلِكَ مِن قَومٍ مِن أَهلِ الإِلحادِ بِالرُّبوبِيَّةِ، قَد كَثُرَت عِدَّتُهُم، وَاشتَدَّت خُصومَتُهُم، وتَسأَلُ أَن أَصنَعَ لِلرَّدِّ عَلَيهِم، وَالنَّقضِ لِما في أَيديهِم، كِتاباً عَلىٰ نَحوِ ما رَدَدتُ عَلىٰ غَيرِهِم، مِن أَهلِ البِدَعِ وَالاِختِلافِ.

---

١. أصدَرَيه: مَنكِبَيه (النهاية: ج ٣ ص ١٦).

٢. في المصدر: «تنقض»، والتصويب من بحار الأنوار.

٣. المِذرَوان: جانبا الأليتَين، وقيل: هما طرفا كلّ شيء. يقال: جاء فلانٌ يَنفُضُ مِذرَوَيه؛ إذا جاء باغياً يتهدّد (النهاية: ج ٤ ص ٣١١).

٤. آل عمران: ١٧٨.

٥. الاحتجاج: ج ٢ ص ١٢٢ ح ١٧٣، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٥٧ ح ٥.

ونَحنُ نَحمَدُ اللهَ عَلَى النِّعَمِ السّابِغَةِ، وَالحُجَجِ البالِغَةِ، وَالبَلاءِ المَحمودِ عِندَ الخاصَّةِ وَالعامَّةِ، فَكانَ مِن نِعَمِهِ العِظامِ وآلائِهِ الجِسامِ الَّتي أنعَمَ بِها تَقريرُهُ قُلوبَهُم بِرُبوبِيَّتِهِ، وأَخذُهُ ميثاقَهُم بِمَعرِفَتِهِ، وإنزالُهُ عَلَيهِم كِتاباً فيهِ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدورِ، مِن أمراضِ الخَواطِرِ ومُشتَبَهاتِ الأُمورِ، ولَم يَدَع لَهُم ولا لِشَيءٍ مِن خَلقِهِ حاجَةً إلىٰ مَن سِواهُ، وَاستَغنىٰ عَنهُم، وكانَ اللهُ غَنِيّاً حَميداً.

ولَعَمري ما أُتِيَ الجُهّالُ مِن قِبَلِ رَبِّهِم وإنَّهُم لَيَرَونَ الدَّلالاتِ الواضِحاتِ وَالعَلاماتِ البَيِّناتِ في خَلقِهِم، وما يُعايِنونَ مِن مَلَكوتِ السَّماواتِ وَالأَرضِ، وَالصُّنعِ العَجيبِ المُتقَنِ الدّالِّ عَلَى الصّانِعِ، وَلٰكِنَّهُم قَومٌ فَتَحوا عَلىٰ أنفُسِهِم أبوابَ المَعاصي، وسَهَّلوا لَها سَبيلَ الشَّهَواتِ، فَغَلَبَتِ الأَهواءُ عَلىٰ قُلوبِهِم، وَاستَحوَذَ الشَّيطانُ بِظُلمِهِم عَلَيهِم، وكَذٰلِكَ يَطبَعُ اللهُ عَلىٰ قُلوبِ المُعتَدينَ.[١]

٣٨٧٢. الإمام الرضا عليه السلام ـ لَمّا سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الزَّنادِقَةِ عَن سَبَبِ احتِجابِ الباري عزّ وجلّ ـ: إنَّ الحِجابَ عَلَى الخَلقِ لِكَثرَةِ ذُنوبِهِم، فَأَمّا هُوَ فَلا يَخفىٰ عَلَيهِ خافِيَةٌ في آناءِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ.[٢]

٢/١٠
الظُّلمُ

الكتاب

﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.[٣]

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥٢.

٢. عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣٢ ح ٢٨، التوحيد: ص ٢٥٢ ح ٣، علل الشرائع: ص ١١٩ ح ١ كلّها عن محمّد بن عبد الله الخراساني خادم الإمام الرضا عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥ ح ١.

٣. العنكبوت: ٤٩.

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.[1]

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ الظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.[2]

الحديث

٣٨٧٣ . تفسير الطبري عن أبي صالح : جاءَ جِبريلُ إلَى النَّبِيِّ ﷺ وهُوَ جالِسٌ حَزينٌ، فَقالَ لَهُ : ما يَحزُنُكَ؟

فَقالَ : كَذَّبني هٰؤُلاءِ.

فَقالَ لَهُ جِبريلُ : إنَّهُم لا يُكَذِّبونَكَ، إنَّهُم لَيَعلَمونَ أنَّكَ صادِقٌ ﴿وَلَـٰكِنَّ الظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.[3]

٣٨٧٤ . الإمام عليّ ﷺ : إنَّ أبا جَهلٍ قالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إنّا لا نُكَذِّبُكَ ولٰكِن نُكَذِّبُ بِما جِئتَ بِهِ، فَأَنزَلَ اللهُ : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ الظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.[4]

٣/١٠

الاِستِكبار

الكتاب

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا

---

١ . النمل : ١٤.

٢ . الأنعام : ٣٣.

٣ . تفسير الطبري : ج ٥ الجزء ٧ ص ١٨١.

٤ . سنن الترمذي : ج ٥ ص ٢٦١ ح ٣٠٦٤، المستدرك على الصحيحين : ج ٢ ص ٣٤٥ ح ٣٢٣٠ كلاهما عن ناجية بن كعب، تفسير الطبري : ج ٥ الجزء ٧ ص ١٨٢ عن ناجية بن كعب من دون إسنادٍ إلى المعصوم، كنز العمّال : ج ٢ ص ٤٠٦ ح ٤٣٧٤.

﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾.[1]

راجع: النمل: ١٤، المؤمنون: ٤٦، الجاثية: ٨ و ٣١، الأحقاف: ١٠، غافر: ٣٥، لقمان: ٧، الزمر: ٥٩ ـ ٦٠.

الحديث

٣٨٧٥. الإمام عليّ عليه السلام: بُنِيَ الكُفرُ عَلىٰ أربَعِ دَعائِمَ: الفِسقِ، وَالغُلُوِّ، وَالشَّكِّ، وَالشُّبهَةِ. وَالفِسقُ عَلىٰ أربَعِ شُعَبٍ: عَلَى الجَفاءِ، وَالعَمىٰ، وَالغَفلَةِ، وَالعُتُوِّ.[2]

٣٨٧٦. عنه عليه السلام: مَنِ استَكبَرَ أدبَرَ عَنِ الحَقِّ.[3]

٣٨٧٧. الإمام الصادق عليه السلام: أُصولُ الكُفرِ ثَلاثَةٌ: الحِرصُ، وَالاِستِكبارُ، وَالحَسَدُ.[4]

٤ / ١٠
الجَهل

٣٨٧٨. الإمام الصادق عليه السلام ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ: يا مُفَضَّلُ، إنَّ الشُّكّاكَ جَهِلُوا الأَسبابَ وَالمَعانِيَ فِي الخِلقَةِ، وقَصُرَت أفهامُهُم عَن تَأَمُّلِ الصَّوابِ وَالحِكمَةِ فيما ذَرَأَ البارِي جَلَّ قُدسُهُ، وبَرَأَ مِن صُنوفِ خَلقِهِ فِي البَرِّ وَالبَحرِ وَالسَّهلِ وَالوَعرِ، فَخَرَجوا بِقِصَرِ عُلومِهِم إلَى الجُحودِ، وبِضَعفِ بَصائِرِهِم إلَى التَّكذيبِ وَالعُنودِ، حَتّىٰ أنكَروا خَلقَ

---

١. الأعراف: ١٤٦.

٢. الكافي: ج ٢ ص ٣٩١ ح ١ عن سليم بن قيس الهلالي، الخصال: ص ٢٣٢ ح ٧٤ عن الأصبغ بن نباتة، تحف العقول: ص ١٦٦، بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١١٧ ح ١٥.

٣. الكافي: ج ٢ ص ٣٩٤ ح ١ عن سليم بن قيس الهلالي، الخصال: ص ٢٣٤ ح ٧٤ عن الأصبغ بن نباتة، تحف العقول: ص ١٦٨ وليس فيهما «عن الحقّ»، بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٢٠ ح ١٥.

٤. الكافي: ج ٢ ص ٢٨٩ ح ١، الخصال: ص ٩٠ ح ٢٨، الأمالي للصدوق: ص ٥٠٥ ح ٦٩٤ كلّها عن أبي بصير، روضة الواعظين: ص ٤١٨، بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠٤ ح ١.

الأَشياءِ، وَادَّعَوا أَنَّ كَونَها بِالإِهمالِ، لا صَنعَةَ فيها ولا تَقديرَ ولا حِكمَةَ مِن مُدَبِّرٍ ولا صانِعٍ، تَعالَى اللهُ عَمّا يَصِفونَ.[1]

٥/١٠
الغَفلَةُ

٣٨٧٩. الإمام عليّ عليه السلام ـ مِن دُعاءٍ عَلَّمَهُ نَوفاً البِكالِيَّ ـ: إلٰهي تَناهَت أبصارُ النّاظِرينَ إلَيكَ بِسَرائِرِ القُلوبِ، وطالَعَت أصغَى السّامِعينَ لَكَ نَجِيّاتِ الصُّدورِ، فَلَم يَلقَ أبصارَهُم رَدٌّ دونَ ما يُريدونَ، هَتَكتَ بَينَكَ وبَينَهُم حُجُبَ الغَفلَةِ، فَسَكَنوا في نورِكَ وتَنَفَّسوا بِرَوحِكَ.[2]

٦/١٠
الهَوىٰ

٣٨٨٠. مروج الذهب: قَد كانَ مَن ذَكَرنا مِنَ الأُمَمِ لا يَجحَدُ الصّانِعَ ـ جَلَّ وعَزَّ ـ، ويَعلَمونَ أنَّ نوحاً عليه السلام كانَ نَبِيّاً، وأنَّهُ وَفىٰ لِقَومِهِ بِما وَعَدَهُم مِنَ العَذابِ، إلّا أنَّ القَومَ دَخَلَت عَلَيهِم شُبَهٌ بَعدَ ذٰلِكَ لِتَركِهِمُ البَحثَ واستِعمالَ النَّظَرِ، ومالَت نُفوسُهُم إلَى الدَّعَةِ[3]، وما تَدعو إلَيهِ الطَّبائِعُ مِنَ المَلاذِّ وَالتَّقليدِ، وكانَ في نُفوسِهِم هَيبَةُ الصّانِعِ، وَالتَّقَرُّبُ إلَيهِ بِالتَّماثيلِ وعِبادَتُها؛ لِظَنِّهِم أنَّها مُقَرِّبَةٌ لَهُم إلَيهِ.[4]

٣٨٨١. مصباح الشريعة ـ فيما نَسَبَهُ إلَى الإِمامِ الصّادِقِ عليه السلام ـ: لا حِجابَ أظلَمُ وأوحَشُ

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٥٩ عن المفضّل بن عمر.

٢. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٩٥ ح ١٢ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي عن نوف البكالي.

٣. الدَّعَةُ: الخفضُ في العيشِ والراحةُ (العين: ص ٨٤٥).

٤. مروج الذهب: ج ٢ ص ١٤٥.

بَينَ العَبدِ وبَينَ اللهِ مِنَ النَّفسِ وَالهَوىٰ، ولَيسَ لِقَتلِهِما وقَطعِهِما سِلاحٌ وآلَةٌ مِثلُ الافتِقارِ إلَى اللهِ، وَالخُشوعِ وَالخُضوعِ وَالجوعِ وَالظَّمَأ بِالنَّهارِ وَالسَّهَرِ بِاللَّيلِ؛ فَإِن ماتَ صاحِبُهُ ماتَ شَهيداً، وإن عاشَ وَاستَقامَ أدّىٰ عاقِبَتُهُ إلَى الرِّضوانِ الأَكبَرِ.[1]

٧/١٠
مَرَضُ القَلبِ

٣٨٨٢. الإمام عليّ عليه السلام: لَو فَكَّروا في عَظيمِ القُدرَةِ وجَسيمِ النِّعمَةِ لَرَجَعوا إلَى الطَّريقِ، وخافوا عَذابَ الحَريقِ، ولٰكِنِ القُلوبُ عَليلَةٌ وَالبَصائِرُ مَدخولَةٌ.[2]

راجع: ج ٢ ص ١٦٣ (الفصل الأوّل: حجب العلم والحكمة).

---

١. مصباح الشريعة: ص ٤٤٢، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٦٩ ح ١٥.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٨١ ح ١١٧ وفيه «الأبصار» بدل «البصائر»، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٦ ح ١.

القسم الثاني

التعرف على توحيد الله

وفيه فصلان :

الفصل الأوّل

قيمة التّوحيد

١ / ١
أوّل الدّين

٣٨٨٣ . **الإمام عليّ** عليه السلام : أَوَّلُ الدِّينِ مَعرِفَتُهُ، وكَمالُ مَعرِفَتِهِ التَّصديقُ بِهِ، وكَمالُ التَّصديقِ بِهِ تَوحيدُهُ.[١]

١ / ٢
نصف الدّين

٣٨٨٤ . **رسول الله** صلى الله عليه وآله : التَّوحيدُ نِصفُ الدِّينِ.[٢]

---

١ . نهج البلاغة: الخطبة ١، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٣ ح ١١٣، عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٢٦ ح ٢١٥، بحارالأنوار: ج ٤ ص ٢٤٧ ح ٥.

٢ . التوحيد: ص ٦٨ ح ٢٤، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٣٥ ح ٧٥ كلاهما عن داوود بن سليمان الفرّاء عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام، صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ص ١٠٤ ح ٥٢ عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام عنه صلى الله عليه وآله، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٤٠ ح ٢٥.

١ / ٣
كَلِمَةُ التَّقوىٰ

٣٨٨٥ . رسول الله ﷺ ـ في تفسيرِ «لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» ـ : قَولُهُ : لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ يَعني وَحدانِيَّتَهُ ، لا يُقبَلُ الأَعمالُ إِلّا بِها ، وهِيَ كَلِمَةُ التَّقوىٰ ، يُثَقِّلُ اللهُ بِهَا المَوازينَ يَومَ القِيامَةِ.[١]

١ / ٤
ثَمَنُ الجَنَّةِ

٣٨٨٦ . رسول الله ﷺ : التَّوحيدُ ثَمَنُ الجَنَّةِ.[٢]

٣٨٨٧ . عنه ﷺ : إِنَّ اللهَ ﷻ قالَ : ما جَزاءُ مَن أَنعَمتُ عَلَيهِ بِالتَّوحيدِ إِلَّا الجَنَّةُ.[٣]

٣٨٨٨ . عنه ﷺ : مَن ماتَ وهُوَ يَعلَمُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ.[٤]

٣٨٨٩ . عنه ﷺ : مَن قالَ : «لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» مُخلِصاً دَخَلَ الجَنَّةَ ، وإِخلاصُهُ أَن تَحجُزَهُ «لا إِلٰهَ

---

١ . علل الشرائع : ص ٢٥١ ح ٨ ، الأمالي للصدوق : ص ٢٥٥ ح ٢٧٩ وفيه «لا يَقبل الله» بدل «لا يُقبل» وكلاهما عن الحسن بن عبد الله عن أبيه عن جدّه الإمام الحسن ؑ ، الاختصاص : ص ٣٤ عن الحسين بن عبد الله عن أبيه عن جدّه عن الإمام الصادق عن آبائه ؑ عنه ﷺ نحوه ، بحار الأنوار : ج ٩ ص ٢٩٤ ح ٥.

٢ . الأمالي للطوسي : ص ٥٧٠ ح ١١٧٨ عن محمّد بن عليّ بن الحسين بن زيد عن الإمام الرضا عن آبائه ؑ ، بحار الأنوار : ج ٣ ص ٣ ح ٣.

٣ . التوحيد : ص ٢٨ ح ٢٩ ، الأمالي للصدوق : ص ٤٧١ ح ٦٢٨ ، الأمالي للطوسي : ص ٤٣٠ ح ٩٦٠ كلّها عن إسماعيل بن موسىٰ عن أبيه الإمام الكاظم عن آبائه ؑ ، الاختصاص : ص ٢٢٥ ، بحار الأنوار : ج ٣ ص ٣ ح ٢ ؛ تاريخ أصبهان : ج ١ ص ٢٨٠ ح ٤٦٨ ، الفردوس : ج ٤ ص ٣٣٧ ح ٦٩٧٥ كلاهما عن أنس بن مالك نحوه ، كنز العمّال : ج ٢ ص ٤٣ ح ٣٠٤٨.

٤ . صحيح مسلم : ج ١ ص ٥٥ ح ٤٣ ، مسند ابن حنبل : ج ١ ص ١٤٢ ح ٤٦٤ ، المستدرك على الصحيحين : ج ١ ص ١٤٤ ح ٢٤٢ ، المصنّف لابن أبي شيبة : ج ٣ ص ١٢٦ ح ١٢ ، حلية الأولياء : ج ٧ ص ١٧٤ كلّها عن عثمان بن عفّان ، كنز العمّال : ج ١ ص ٤٦ ح ١٢٣ ؛ التوحيد : ص ٢٩ ح ٣٠ عن عثمان بن عفّان وفيه «أنّ الله حقّ» بدل «أنّه لا إله إلّا الله» ، بحار الأنوار : ج ٣ ص ١٠ ح ٢٠.

إلَّا اللهُ» عَمّا حَرَّمَ اللهُ ﷻ.[١]

٣٨٩٠. عنه ﷺ: إنَّ «لا إلٰهَ إلَّا اللهُ» كَلِمَةٌ عَظيمَةٌ كَريمَةٌ عَلَى اللهِ ﷻ، مَن قالَها مُخلِصاً استَوجَبَ الجَنَّةَ، ومَن قالَها كاذِباً عَصَمَت مالَهُ ودَمَهُ، وكانَ مَصيرُهُ إلَى النّارِ.[٢]

٣٨٩١. عنه ﷺ ـ في مَوعِظَتِهِ لِابنِ مَسعودٍ ـ: إذا تَكَلَّمتَ بـ«لا إلٰهَ إلَّا اللهُ» ولَم تَعرِف حَقَّها؛ فَإِنَّهُ مَردودٌ عَلَيكَ.[٣]

١ / ٥
حَياةُ النَّفسِ

٣٨٩٢. الإمام عليّ ؑ: التَّوحيدُ حَياةُ النَّفسِ.[٤]

١ / ٦
عُروَةُ اللهِ الوُثقىٰ

٣٨٩٣. الإمام الباقر ؑ: عُروَةُ اللهِ الوُثقَى التَّوحيدُ.[٥]

---

١. التوحيد: ص ٢٨ ح ٢٧، معاني الأخبار: ص ٣٧٠ ح ٢، ثواب الأعمال: ص ٢٠ ح ٣، مكارم الأخلاق: ج ٢ ص ٨٣ ح ٢٢١٨ كلّها عن زيد بن أرقم، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ١٩٧ ح ٢٢؛ تاريخ بغداد: ج ١٢ ص ٦٤ ح ٦٤٥٥ عن أنس، حلية الأولياء: ج ٩ ص ٢٥٤ عن زيد بن أرقم وكلاهما نحوه، كنز العمّال: ج ١ ص ٦١ ح ٢٠٦.

٢. التوحيد: ص ٢٣ ح ١٨ عن أحمد بن عبد الله الجويباري عن الإمام الرضا عن آبائه ؑ، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٥ ح ١٣.

٣. مكارم الأخلاق: ج ٢ ص ٣٥٧ ح ٢٦٦٠ عن عبد الله بن مسعود، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ١٠٦ ح ١.

٤. غرر الحكم: ح ٥٤٠.

٥. المحاسن: ج ١ ص ٣٧٥ ح ٨٢٢ عن محمّد بن مسلم، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٧٩ ح ١٤.

١ / ٧
حِصنُ اللهِ

٣٨٩٤. رسول الله ﷺ: حَدَّثَني جَبرَئيلُ سَيِّدُ المَلائِكَةِ، قالَ: قالَ اللهُ سَيِّدُ السّاداتِ جل جلاله: إنّي أنَا اللهُ لا إلٰهَ إلّا أنَا، فَمَن أقَرَّ لي بِالتَّوحيدِ دَخَلَ حِصني، ومَن دَخَلَ حِصني أمِنَ مِن عَذابي.[1]

١ / ٨
أفضَلُ الأَعمالِ

٣٨٩٥. رسول الله ﷺ: «لا إلٰهَ إلَّا اللهُ»، لا يَسبِقُها عَمَلٌ، ولا تَترُكُ ذَنباً.[2]

٣٨٩٦. الأمالي عن محمّد بن سماعة: سَأَلَ بَعضُ أصحابِنَا الصّادِقَ عليه السلام، فَقالَ لَهُ: أخبِرني أيُّ الأَعمالِ أفضَلُ؟ قالَ: تَوحيدُكَ لِرَبِّكَ. قالَ: فَما أعظَمُ الذُّنوبِ؟ قالَ: تَشبيهُكَ لِخالِقِكَ.[3]

١ / ٩
سَبَبُ المَغفِرَةِ

٣٨٩٧. رسول الله ﷺ: إذا قالَ العَبدُ: «أشهَدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ»، قالَ اللهُ تَعالىٰ: يا مَلائِكَتي،

---

١. عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٣٥ ح ٣ عن أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن هاشم عن الإمام العسكري عن آبائه عليهم السلام، جامع الأحاديث للقمّي: ص ٢٧٢ عن أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن هاشم البلاذري عن الإمام المهدي عن آبائه عليهم السلام عنه ﷺ، بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٠ ح ٢٢؛ كنز العمّال: ج ١ ص ٤٧ ح ١٢٧ نقلاً عن الشيرازي عن الإمام عليّ عليه السلام عنه ﷺ.

٢. سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٢٤٨ ح ٣٧٩٧ عن أمّ هانئ، كنز العمّال: ج ١ ص ٤١٨ ح ١٧٨١ وراجع المعجم الكبير: ج ٨ ص ١١٥ ح ٧٥٣٣.

٣. الأمالي للطوسي: ص ٦٨٧ ح ١٤٥٨، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٨ ح ١٨.

عَلِمَ عَبدي أنَّهُ لَيسَ لَهُ رَبٌّ غَيري، أُشهِدُكُم أنّي غَفَرتُ لَهُ.[١]

٣٨٩٨. عنه ﷺ: لا يَزالُ قَولُ: «لا إلٰهَ إلَّا اللّٰهُ» يَرفَعُ سَخَطَ اللّٰهِ عَنِ العِبادِ، حَتّىٰ إذا نَزَلوا بِالمَنزِلِ الَّذي لا يُبالونَ ما نَقَصَ مِن دينِهِم إذا سَلِمَت دُنياهُم، فَقالوا عِندَ ذٰلِكَ، قالَ اللّٰهُ تَعالىٰ لَهُم: كَذِبتُم كَذِبتُم.[٢]

١/ ١٠
سَبَبُ دَفعِ البَلاءِ

٣٨٩٩. رسول الله ﷺ: «لا إلٰهَ إلَّا اللّٰهُ» تَدفَعُ عَن قائِلِها تِسعَةً وتِسعينَ باباً مِنَ البَلاءِ أدناهَا الهَمُّ.[٣]

راجع: ص ١٧ (الفصل الأوّل: قيمةُ مَعرِفَةِ اللهِ).

١/ ١١
سَبَبُ الفَلاحِ

٣٩٠٠. رسول الله ﷺ: قولوا: «لا إلٰهَ إلَّا اللّٰهُ» تُفلِحوا.[٤]

---

١. تاريخ دمشق: ج ٧ ص ٦١ ح ١٦١٧ عن أنس.

٢. نوادر الأصول: ج ٢ ص ٧٣ عن أنس، كنز العمّال: ج ١ ص ٦٣ ح ٢٢٤ وراجع ثواب الأعمال: ج ٢٠ ص ٤.

٣. تاريخ دمشق: ج ١٧ ص ١٧٢ ح ٤٠٨٧، الفردوس: ج ٥ ص ٨ ح ٧٢٨٠ كلاهما عن ابن عبّاس، كنز العمّال: ج ١ ص ٦٣ ح ٢٢٦ وراجع المقنع: ص ٢٩٧.

٤. مسند ابن حنبل: ج ٥ ح ٤٢٣ ح ١٦٠٢٣، المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٦١ ح ٣٩ كلاهما عن ربيعة بن عباد، صحيح ابن حبّان: ج ١٤ ص ٥١٨ ح ٦٥٦٢، السنن الكبرى: ج ١ ص ١٢٣ ح ٣٥٨، المعجم الكبير: ج ٨ ص ٣١٤ ح ٨١٧٥ كلّها عن طارق بن عبدالله المحاربي، كنز العمّال: ج ١٢ ص ٤٤٩ ح ٣٥٥٣٨؛ المناقب لابن شهرآشوب: ج ١ ص ٥٦ عن طارق المحاربي، بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٠٢.

الفصل الثّاني

مَراتِبُ التَّوحِيدِ

المَرتَبَةُ الأُولىٰ: التَّوحِيدُ فِي الذّاتِ

موضوع التَّوحيد من أَهمّ موضوعات معرفة الله سبحانه بعد إِثبات وجوده، وهو جدير بالمناقشة والتحليل من جوانب مختلفة.

لقد تمّ في هذا الفصل تنظيم النصوص المرتبطة بأهمّ المباحث التَّوحيديّة تحت عنوان مراتب التَّوحيد، وهي تبدأ من التَّوحيد في الذّات، وتنتهي بالتَّوحيد في العبادة الذي يمثّل أَعلىٰ المراتب في معرفة الله تعالىٰ، وذلك علىٰ المنوال الذي تلاحظونه.

إِنّ التوحيد الذاتيّ الذي يجسّد أَوّل مرتبة من مراتب التَّوحيد، بمعنىٰ نفي الشريك، والتشبيه، والجزء عن ذات الحقّ تعالىٰ، وستلاحظون في الأَبواب الآتية البراهين العقليّة علىٰ توحيد الذات وتفسيرها و تبيانها من وحي القرآن والحديث.

١ / ١
ما يَدُلُّ على وَحدَةِ ذاتِهِ

الكتاب

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.[1]

﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.[2]

الحديث

٣٩٠١. الإمام عليّ عليه السلام ـ في وَصِيَّتِهِ لِابنِهِ الحَسَنِ عليه السلام ـ: اِعلَم يا بُنَيَّ أنَّهُ لَو كانَ لِرَبِّكَ شَريكٌ لَأَتَتكَ رُسُلُهُ، ولَرَأَيتَ آثارَ مُلكِهِ وسُلطانِهِ، ولَعَرَفتَ أفعالَهُ وصِفاتِهِ، ولٰكِنَّهُ إلٰهٌ واحِدٌ كَما وَصَفَ نَفسَهُ، لا يُضادُّهُ في مُلكِهِ أحَدٌ.[3]

٣٩٠٢. الإمام الصادق عليه السلام ـ لَمّا سُئِلَ: كَيفَ هُوَ اللهُ الواحِدُ؟ ـ: واحِدٌ في ذاتِهِ فَلا واحِدٌ كَواحِدٍ؛ لِأَنَّ ما سِواهُ مِنَ الواحِدِ مُتَجَزِّئٌ، وهُوَ تَبارَكَ وتَعالىٰ واحِدٌ لا يَتَجَزَّأُ ولا يَقَعُ عَلَيهِ العَدُّ.[4]

٣٩٠٣. عنه عليه السلام ـ لَمّا سُئِلَ: مَا الدَّليلُ عَلَى الواحِدِ؟ ـ: ما بِالخَلقِ مِنَ الحاجَةِ.[5]

٣٩٠٤. الإمام الرضا عليه السلام ـ لَمّا سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الثَّنَوِيَّةِ: إنَّ صانِعَ العالَمِ اثنانِ، فَمَا الدَّليلُ عَلىٰ

---

١. المؤمنون: ١١٧.

٢. النمل: ٦٤.

٣. نهج البلاغة: الكتاب ٣١، تحف العقول: ص ٧٢ وفيه «لا يضادّه في ذلك أحد ولا يحاجّه» بدل «لا يضادّه في ملكه أحد»، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٣٤.

٤. الاحتجاج: ج ٢ ص ٢١٧ ح ٢٢٣، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١٦٧ ح ٢.

٥. تحف العقول: ص ٣٧٧.

أَنَّهُ واحِدٌ؟ قالَ ـ: قَولُكَ: إنَّهُ اثنانِ دَليلٌ عَلىٰ أنَّهُ واحِدٌ؛ لِأَنَّكَ لَم تَدَّعِ الثّانِيَ إلّا بَعدَ إثباتِكَ الواحِدَ، فَالواحِدُ مُجمَعٌ عَلَيهِ، وأَكثَرُ مِن واحِدٍ مُختَلَفٌ فيهِ.[1]

راجع: ص ٤٠٠ (ما يدلُّ على وحدةِ الرُّبوبيّة)
و ٤٠٢ (ما يدلّ علىٰ وحدةِ التّدبير).

٢/١
تَفسيرُ التَّوحيدِ

٣٩٠٥. رسول الله ﷺ: إنَّ لِكُلِّ شَيءٍ نِسبَةً، وإنَّ نِسبَةَ اللهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2].[3]

٣٩٠٦. عنه ﷺ: التَّوحيدُ ظاهِرُهُ في باطِنِهِ، وباطِنُهُ في ظاهِرِهِ، ظاهِرُهُ مَوصوفٌ لا يُرىٰ، وباطِنُهُ مَوجودٌ لا يَخفىٰ، يُطلَبُ بِكُلِّ مَكانٍ ولَم يَخلُ مِنهُ مَكانٌ طَرفَةَ عَينٍ، حاضِرٌ غَيرُ مَحدودٍ، وغائِبٌ غَيرُ مَفقودٍ.[4]

٣٩٠٧. عنه ﷺ: اللهُ واحِدٌ واحِدِيُّ المَعنىٰ، وَالإِنسانُ واحِدٌ ثَنَوِيُّ المَعنىٰ: جِسمٌ وعَرَضٌ وبَدَنٌ وروحٌ.[5]

٣٩٠٨. الإمام عليّ ؏ ـ في صِفَةِ اللهِ سُبحانَهُ ـ: كُلُّ مُسمّىً بِالوَحدَةِ غَيرَهُ قَليلٌ.[6]

٣٩٠٩. عنه ؏ ـ في قَولِ المُؤَذِّنِ: أَشهَدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ ـ: إعلامٌ بِأَنَّ الشَّهادَةَ لا تَجوزُ

---

١. التوحيد: ص ٢٧٠ ح ٦ عن الفضل بن شاذان، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٢٨ ح ١٨.

٢. الإخلاص: ١.

٣. المعجم الأوسط: ج ١ ص ٢٢٢ ح ٧٣٢، تفسير ابن كثير: ج ٨ ص ٥٣٨، الفردوس: ج ٣ ص ٣٢٩ ح ٤٩٨٧ كلّها عن أبي هريرة.

٤. معاني الأخبار: ص ١٠ ح ١ عن عمر بن عليّ عن أبيه الإمام عليّ ؏، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٦٤ ح ١٢.

٥. العدد القويّة: ص ٨٢ ح ١٤٣، كفاية الأثر: ص ١٢ كلاهما عن ابن عبّاس، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٠٤ ح ٤٠.

٦. نهج البلاغة: الخطبة ٦٥، غرر الحكم: ح ٦٨٧٧، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٠٩ ح ٣٧.

إلّا بِمَعرِفَتِهِ مِنَ القَلبِ، كَأَنَّهُ يَقولُ: أَعلَمُ أَنَّهُ لا مَعبودَ إلّا اللهُ‏ﷻ، وأَنَّ كُلَّ مَعبودٍ باطِلٌ سِوَى اللهِ‏ﷻ، وأُقِرُّ بِلِساني بِما في قَلبي مِنَ العِلمِ بِأَنَّهُ لا إلٰهَ إلَّا اللهُ، وأَشهَدُ أَنَّـهُ لا مَلجَأَ مِنَ اللهِ إلّا إلَيهِ، ولا مَنجىٰ مِن شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ وفِتنَةِ كُلِّ ذي فِتنَةٍ إلّا بِاللهِ.

وفِي المَرَّةِ الثّانِيَةِ: أشهَدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ. مَعناهُ: أشهَدُ أن لا هادِيَ إلَّا اللهُ، ولا دَليلَ لي إلَى الدّينِ إلَّا اللهُ، وأُشهِدُ اللهَ بِأَنّي أشهَدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ، وأُشهِدُ سُكّـانَ السَّماواتِ وسُكّانَ الأَرَضينَ وما فيهِنَّ مِنَ المَلائِكَةِ وَالنّاسِ أجمَعينَ، وما فيهِنَّ مِنَ الجِبالِ وَالأَشجارِ وَالدَّوابِّ وَالوُحوشِ، وكُلِّ رَطبٍ ويابِسٍ بِأَنّي أشهَدُ أن لا خالِقَ إلَّا اللهُ، ولا رازِقَ ولا مَعبودَ ولا ضارَّ ولا نافِعَ ولا قابِضَ ولا باسِطَ ولا مُعطِيَ ولا مانِعَ ولا ناصِحَ ولا كافِيَ ولا شافِيَ ولا مُقَدِّمَ ولا مُؤَخِّرَ إلَّا اللهُ، لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ، وبِيَدِهِ الخَيرُ كُلُّهُ، تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ.[1]

٣٩١٠. فاطمة عليها السلام ـ فِي احتِجاجِها عَلَى القَومِ لَمّا مَنَعوها فَدَكاً ـ: أشهَدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإِخلاصَ تَأويلَها، وضَمَّنَ القُلوبَ مَوصولَها، وأَنارَ فِـي التَّفَكُّرِ مَعقولَها.[2]

٣٩١١. الإمام الباقر عليه السلام ـ في قَولِ اللهِ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ـ: «قُل» أي أظهِر ما أوحَينا إلَيكَ ونَبَّأناكَ بِهِ بِتَأليفِ الحُروفِ الَّتي قَرَأناها لَكَ، لِيَهتَدِيَ بِها مَن ألقَى السَّمعَ وهُوَ شَهيدٌ، و«هُوَ» اسمٌ مُكَنّىً مُشارٌ إلىٰ غائِبٍ، فَالهاءُ تَنبيهٌ عَلىٰ مَعنىً ثابِتٍ، وَالواوُ

---

١. معاني الأخبار: ص ٣٩ ح ١، التوحيد: ص ٢٣٩ ح ١ كلاهما عن يزيد بن الحسن عن الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٨٤ ص ١٣٢ ح ٢٤.

٢. الاحتجاج: ج ١ ص ٢٥٥ ح ٤٩ عن عبدالله بن الحسن عن آبائه عليهم السلام، دلائل الإمامة: ص ١١١ ح ٣٦ عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عنها عليها السلام، كشف الغمّة: ج ٢ ص ١٠٧ عن عمر بن شبه وفيهما «أبان في الفكر» بدل «أنار في التفكر»؛ بلاغات النساء: ص ٢٧ عن زينب بنت الإمام الحسين عليه السلام وفيه «أنىٰ في الفكرة» بدل «أنار في التفكّر».

إِشارَةٌ إِلَى الغائِبِ عَنِ الحَواسِّ، كَما أَنَّ قَولَكَ: «هـذا» إِشـارَةٌ إِلَـى الشّـاهِدِ عِـندَ الحَواسِّ؛ وذٰلِكَ أَنَّ الكُفّارَ نَبَّهوا عَن آلِهَتِهِم بِحَرفِ إِشارَةِ الشّاهِدِ المُدرَكِ، فَقالوا: هٰذِهِ آلِهَتُنا المَحسوسَةُ المُدرَكَةُ بِالأَبصارِ، فَأَشِر أَنتَ يا مُحَمَّدُ إِلىٰ إِلٰهِكَ الَّذي تَدعو إِلَيهِ حَتّىٰ نَراهُ ونُدرِكَهُ ولا نَأْلَهَ فيهِ. فَأَنزَلَ اللهُ ـ تبارَكَ وتَعالىٰ ـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَالهاءُ تَثبيتٌ لِلثّابِتِ، وَالواوُ إِشارَةٌ إِلَى الغائِبِ عَن دَركِ الأَبصارِ ولَـمسِ الحَـواسِّ، وأَنَّـهُ تَعالىٰ عَن ذٰلِكَ، بَل هُوَ مُدرِكُ الأَبصارِ ومُبدِعُ الحَواسِّ.[1]

٣٩١٢. عنه ﷺ: تَعَلُّقُ القَلبِ بِالمَوجودِ شِركٌ، وبِالمَفقودِ كُفرٌ.[2]

٣٩١٣. الإمام الصادق ﷺ: هُوَ واحِدٌ واحِدِيُّ الذّاتِ، بائِنٌ مِن خَلقِهِ.[3]

٣٩١٤. عنه ﷺ: خالِقُنا لا مَدخَلَ لِلأَشياءِ فيهِ؛ لِأَنَّهُ واحِدٌ واحِدِيُّ الذّاتِ، واحِدِيُّ المَعنىٰ.[4]

٣٩١٥. عنه ﷺ: مَن قالَ لِلإِنسانِ: واحِدٌ، فَهٰذا لَهُ اسمٌ ولَهُ شَبيهٌ، وَاللهُ واحِدٌ وهُوَ لَهُ اسمٌ ولا شَيءَ لَهُ شَبيهٌ، ولَيسَ المَعنىٰ واحِداً. وأَمَّا الأَسماءُ فَهِيَ دَلالَتُنا عَلَى المُسَمّىٰ؛ لِأَنّا قَد نَرَى الإِنسانَ واحِداً وإِنَّما نُخبِرُ واحِداً إِذا كانَ مُـفرَداً، فَـعُلِمَ أَنَّ الإِنسـانَ في نَفسِهِ لَيسَ بِواحِدٍ فِي المَعنىٰ؛ لِأَنَّ أَعضاءَهُ مُـختَلِفَةٌ وأَجـزاءَهُ لَـيسَت سَـواءً، ولَحمَهُ غَيرُ دَمِهِ، وعَظمَهُ غَيرُ عَصَبِهِ، وشَعرَهُ غَـيرُ ظُـفرِهِ، وسَـوادَهُ غَـيرُ بَـياضِهِ، وكَذٰلِكَ سائِرُ الخَلقِ.

---

١. التوحيد: ص ٨٨ ح ١، مجمع البيان: ج ١٠ ص ٨٦١ نحوه وكلاهما عن وهب بن وهب القرشيّ عن الإمام الصادق ﷺ، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٢١ ح ١٢.

٢. مسكّن الفؤاد: ص ٨٢، مصباح الشريعة: ص ٤٨٤ كلاهما عن الإمام الصادق ﷺ، بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٤٩ ح ٤٥.

٣. الكافي: ج ١ ص ١٢٧ ح ٥ عن ابن أُذينة.

٤. الكافي: ج ١ ص ١١٠ ح ٦، معاني الأخبار: ص ٢٠ ح ٣ وليس فيه «لأنّه» وكلاهما عن هشام بن الحكم، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٦٦ ح ٧.

وَالإِنسانُ واحِدٌ فِي الاِسمِ، ولَيسَ بِواحِدٍ فِي الاِسمِ وَالمَعنىٰ وَالخَلقِ، فَإِذا قيلَ لِلّٰهِ فَهُوَ الواحِدُ الَّذي لا واحِدَ غَيرُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا اختِلافَ فيهِ.[1]

٣٩١٦. عنه عليه السلام ـ لَمّا سُئِلَ عَن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ـ: نِسبَةُ اللّٰهِ إِلىٰ خَلقِهِ، أَحَداً صَمَداً[2] أَزَلِيّاً صَمَدِيّاً، لا ظِلَّ لَهُ يُمسِكُهُ، وهُوَ يُمسِكُ الأَشياءَ بِأَظِلَّتِها، عارِفٌ بِالمَجهولِ، مَعروفٌ عِندَ كُلِّ جاهِلٍ، فَردانِيّاً، لا خَلقُهُ فيهِ ولا هُوَ في خَلقِهِ، غَيرُ مَحسوسٍ ولا مَجسوسٍ[3]، لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ، عَلا فَقَرُبَ ودَنا فَبَعُدَ، وعُصِيَ فَغَفَرَ وأُطيعَ فَشَكَرَ، لا تَحويهِ أَرضُهُ ولا تُقِلُّهُ سَماواتُهُ، حامِلُ الأَشياءِ بِقُدرَتِهِ، دَيمومِيٌّ أَزَلِيٌّ، لا يَنسىٰ ولا يَلهو ولا يَغلَطُ ولا يَلعَبُ، ولا لِإِرادَتِهِ فَصلٌ، وفَصلُهُ جَزاءٌ، وأَمرُهُ واقِعٌ، لَم يَلِد فَيورَثَ، ولَم يُولَد فَيُشارَكَ، ولَم يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ.[4]

٣٩١٧. عنه عليه السلام: إِنَّ اليَهودَ سَأَلوا رَسولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله، فَقالوا: اِنسِب لَنا رَبَّكَ!

فَلَبِثَ ثَلاثاً لا يُجيبُهُم، ثُمَّ نَزَلَت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إِلىٰ آخِرِها.[5]

٣٩١٨. التوحيد عن هشام بن سالم: دَخَلتُ عَلىٰ أَبي عَبدِاللّٰهِ عليه السلام فَقالَ لي: أَتَنعَتُ اللّٰهَ؟

فَقُلتُ: نَعَم.

قالَ: هاتِ.

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٩٥ عن المفضّل بن عمر.

٢. الصَّمَدُ: الدائم الباقي (مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٠٤٩).

٣. الجَسُّ: المَسُّ باليد (القاموس المحيط: ج ٢ ص ٢٠٤).

٤. الكافي: ج ١ ص ٩١ ح ٢، التوحيد: ص ٥٧ ح ١٥ وليس فيه «نسبة الله إلىٰ خلقه» وكلاهما عن حمّاد بن عمرو النصيبي، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٨٦ ح ١٨.

٥. الكافي: ج ١ ص ٩١ ح ١، التوحيد: ص ٩٣ ح ٨ كلاهما عن محمّد بن مسلم، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٢٠ ح ٩؛ سنن الترمذي: ج ٥ ص ٤٥١ ح ٣٣٦٤، مسند ابن حنبل: ج ٨ ص ٤٤ ح ٢١٢٧٧، المستدرك على الصحيحين: ج ٢ ص ٥٨٩ ح ٣٩٨٧ وكلّها عن أُبيّ بن كعب وفيها «المشركين» بدل «اليهود» وليس فيها «فلبث ثلاثاً لا يجيبهم».

فَقُلتُ: هُوَ السَّميعُ البَصيرُ.

قالَ: هٰذِهِ صِفَةٌ يَشتَرِكُ فيهَا المَخلوقونَ!

قُلتُ: فَكَيفَ تَنعَتُهُ؟

فَقالَ: هُوَ نُورٌ لا ظُلمَةَ فيهِ، وحَياةٌ لا مَوتَ فيهِ، وعِلمٌ لا جَهلَ فيهِ، وحَقٌّ لا باطِلَ فيهِ.

فَخَرَجتُ مِن عِندِهِ، وأَنا أَعلَمُ النّاسِ بِالتَّوحيدِ.[1]

٣٩١٩. الإمام الصادق عليه السلام ـ لَمّا سُئِلَ: كَيفَ هُوَ اللهُ الواحِدُ؟ ـ: واحِدٌ في ذاتِهِ فَلا واحِدٌ كَواحِدٍ؛ لِأَنَّ ما سِواهُ مِنَ الواحِدِ مُتَجَزِّئٌ، وهُوَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ واحِدٌ لا يَتَجَزَّأُ ولا يَقَعُ عَلَيهِ العَدُّ.[2]

٣٩٢٠. الإمام الرضا عليه السلام: إنَّ اللهَ المُبدِئُ الواحِدُ، الكائِنُ الأَوَّلُ، لَم يَزَل واحِداً لا شَيءَ مَعَهُ، فَرداً لا ثانِيَ مَعَهُ.[3]

٣٩٢١. الكافي عن عبد العزيز بن المهتدي: سَأَلتُ الرِّضا عليه السلام عَنِ التَّوحيدِ، فَقالَ: كُلُّ مَن قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وآمَنَ بِها فَقَد عَرَفَ التَّوحيدَ. قُلتُ: كَيفَ يَقرَؤُها؟ قالَ: كَما يَقرَؤُهَا النّاسُ، وزادَ فيهِ: كَذٰلِكَ اللهُ رَبّي، كَذٰلِكَ اللهُ رَبّي.[4]

---

١. التوحيد: ص ١٤٦ ح ١٤، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٧٠ ح ١٦.

٢. الاحتجاج: ج ٢ ص ٢١٧ ح ٢٢٣، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١٦٧ ح ٢.

٣. التوحيد: ص ٤٣٥ ح ١، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٧٢ ح ١ كلاهما عن الحسن بن محمّد النوفلي، تحف العقول: ص ٤٢٣ نحوه، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣١٣ ح ١.

٤. الكافي: ج ١ ص ٩١ ح ٤، التوحيد: ص ٢٨٤ ح ٣، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣٣ ح ٣٠، مشكاة الأنوار: ص ٣٩ ح ٩ وقد كرّر في كلّها «كذلك الله ربّي» ثلاثاً، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٦٨ ح ٢.

٣٩٢٢ . الكافي عن الفتح بن يزيد الجرجاني ـ أَنَّهُ قالَ لِأَبِي الحَسَنِ عليه السلام[1] لَمّا سَمِعَ كَلامَهُ فِي التَّوحيدِ ـ: لٰكِنَّكَ قُلتَ: الأَحَدُ الصَّمَدُ، وقُلتَ: لا يُشبِهُهُ شَيءٌ، وَاللهُ واحِدٌ وَالإِنسانُ واحِدٌ، أَلَيسَ قَد تَشابَهَتِ الوَحدانِيَّةُ؟!

قالَ: يا فَتحُ، أَحَلتَ[2] ثَبَّتَكَ اللهُ، إِنَّمَا التَّشبيهُ فِي المَعاني، فَأَمّا فِي الأَسماءِ فَهِيَ واحِدَةٌ، وهِيَ دالَّةٌ عَلَى المُسَمّىٰ.[3]

٣٩٢٣ . الإمام الجواد عليه السلام: ما سِوَى الواحِدِ مُتَجَزِّئٌ، وَاللهُ واحِدٌ لا مُتَجَزِّئٌ ولا مُتَوَهَّمٌ بِالقِلَّةِ وَالكَثرَةِ، وكُلُّ مُتَجَزِّئٍ أَو مُتَوَهَّمٍ بِالقِلَّةِ وَالكَثرَةِ فَهُوَ مَخلوقٌ دالٌّ عَلىٰ خالِقٍ لَهُ.[4]

٣٩٢٤ . الكافي عن أبي هاشم الجعفري: سَأَلتُ أَبا جَعفَرٍ الثّانِيَ عليه السلام: ما مَعنَى الواحِدِ؟ فَقالَ: إِجماعُ الأَلسُنِ عَلَيهِ بِالوَحدانِيَّةِ كَقَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[5].[6]

---

١ . المراد بأبي الحسن عليه السلام هنا الثاني على ما صرّح به الصدوق، ويحتمل الثالث كما في كشف الغمة (هامش المصدر). وذكر السيّد الخوئي رحمه الله في معجم رجال الحديث (ج ١٣ ص ٢٤٦) الفتح بن يزيد الجرجاني واعتبره من أصحاب الإمام الرضا والإمام الهادي عليهما السلام، وبقرينة إقامته في مشهد الرضا عليه السلام وكون أكثر رواياته عنه عليه السلام احتمل أنّ المراد من أبي الحسن في رواياته على نحو الإطلاق هو الإمام الرضا عليه السلام.

٢ . أحال الرجل: أتى بالمحال وتكلّم به (لسان العرب: ج ١١ ص ١٨٦ «حول»).

٣ . الكافي: ج ١ ص ١١٩ ح ١، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٢٧ ح ٢٣، التوحيد: ص ١٨٥ ح ١ وص ٦٢ ح ١٨ نحوه، بحارالأنوار: ج ٤ ص ١٧٣ ح ٢.

٤ . الكافي: ج ١ ص ١١٦ ح ٧، التوحيد: ص ١٩٣ ح ٧، الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٦٨ ح ٣٢١ كلّها عن أبي هاشم الجعفري، بحارالأنوار: ج ٤ ص ١٥٣ ح ١.

٥ . الزخرف: ٨٧.

٦ . الكافي: ج ١ ص ١١٨ ح ١٢، التوحيد: ص ٨٣ ح ٢ وص ٨٢ ح ١ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٠٨ ح ٤.

٣/١
المذهب الحقّ في التّوحيد

٣٩٢٥. الإمام الصادق عليه السلام: النّاسُ فِي التَّوحيدِ عَلىٰ ثَلاثَةِ أَوجُهٍ: مُثبِتٌ ونافٍ ومُشَبِّهٌ؛ فَالنافي مُبطِلٌ، وَالمُثبِتُ مُؤمِنٌ، وَالمُشَبِّهُ مُشرِكٌ.[1]

٣٩٢٦. عنه عليه السلام - في كِتابِهِ لِعَبدِ الرَّحيمِ القَصيرِ -: سَأَلتَ - رَحِمَكَ اللهُ - عَنِ التَّوحيدِ وما ذَهَبَ إِلَيهِ مَن قَبلَكَ، فَتَعالَى اللهُ الَّذي لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وهُوَ السَّميعُ البَصيرُ، تَعالىٰ عَمّا يَصِفُهُ الواصِفونَ المُشَبِّهونَ اللهَ بِخَلقِهِ، المُفتَرونَ عَلَى اللهِ!

فَاعلَم - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ المَذهَبَ الصَّحيحَ فِي التَّوحيدِ ما نَزَلَ بِهِ القُرآنُ مِن صِفاتِ اللهِ - جَلَّ وعَزَّ -، فَانفِ عَنِ اللهِ تَعالَى البُطلانَ وَالتَّشبيهَ، فَلا نَفيَ ولا تَشبيهَ، هُوَ اللهُ الثّابِتُ المَوجودُ، تَعالَى اللهُ عَمّا يَصِفُهُ الواصِفونَ، ولا تَعدُوا القُرآنَ فَتَضِلّوا بَعدَ البَيانِ.[2]

٣٩٢٧. التوحيد عن محمّد بن عيسى بن عبيد: قال لي أَبُو الحَسَنِ عليه السلام: ما تَقولُ إذا قيلَ لَكَ: أَخبِرني عَنِ اللهِ عزّ وجلّ شَيءٌ هُوَ أَم لا؟

قالَ: فَقُلتُ لَهُ: قَد أَثبَتَ اللهُ عزّ وجلّ نَفسَهُ شَيئاً، حَيثُ يَقولُ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾[3]، فَأَقولُ: إِنَّهُ شَيءٌ لا كَالأَشياءِ؛ إِذ في نَفيِ الشَّيئِيَّةِ عَنهُ إِبطالُهُ ونَفيُهُ.

---

١. تحف العقول: ص ٣٧٠، عوالي اللآلي: ج ١ ص ٣٠٤ ح ٣ عنهم عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ٢٥٣ ح ١١٥.

٢. الكافي: ج ١ ص ١٠٠ ح ١، التوحيد: ص ١٠٢ ح ١٥ وص ٢٢٨ ح ٧ كلّها عن عبدالرحيم القصير، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٦١ ح ١٢.

٣. الأنعام: ١٩.

قالَ لي: صَدَقتَ وأَصَبتَ، ثُمَّ قالَ لِيَ الرِّضا عليه السلام: لِلنّاسِ فِي التَّوحيدِ ثَلاثَةُ مَذاهِبَ: نَفيٌ، وتَشبيهٌ، وإثباتٌ بِغَيرِ تَشبيهٍ. فَمَذهَبُ النَّفيِ لا يَجوزُ، ومَذهَبُ التَّشبيهِ لا يَجوزُ؛ لِأَنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ لا يُشبِهُهُ شَيءٌ، وَالسَّبيلُ فِي الطَّريقَةِ الثّالِثَةِ إثباتٌ بِلا تَشبيهٍ.[1]

راجع: ج ٤ ص ٢٢ (الخروج من حدّ التشبيه والتعطيل).

٤ / ١
التَّوحيدُ الخالِصُ

٣٩٢٨. الإمام عليّ عليه السلام: أَوَّلُ الدّينِ مَعرِفَتُهُ، وكَمالُ مَعرِفَتِهِ التَّصديقُ بِهِ، وكَمالُ التَّصديقِ بِهِ تَوحيدُهُ، وكَمالُ تَوحيدِهِ الإِخلاصُ لَهُ، وكَمالُ الإِخلاصِ لَهُ نَفيُ الصِّفاتِ عَنهُ، لِشَهادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّها غَيرُ المَوصوفِ، وشَهادَةِ كُلِّ مَوصوفٍ أَنَّهُ غَيرُ الصِّفَةِ.[2]

٣٩٢٩. الإمام الصادق عليه السلام: اللهُ غايَةُ مَن غَيّاهُ، وَالمُغَيّىٰ[3] غَيرُ الغايَةِ، تَوَحَّدَ بِالرُّبوبِيَّةِ، ووَصَفَ

---

١. التوحيد: ص ١٠٧ ح ٨، تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٣٥٦ ح ١١ عن هشام المشرقي نحوه، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٦٢ ح ١٩ وراجع التوحيد: ص ١٠١ ح ١٠.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٣ ح ١١٣، عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٢٦ ح ٢١٥ وليس فيه ذيله من «لشهادة ...»، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٤٧ ح ٥.

٣. التغيية: جعل الشيء غاية للسلوك والحركة، والغاية لابدّ أن تقع في الذهن ابتداء السلوك حتّى تكون باعثة له، فمعنى الكلام أنّ الله تعالىٰ يصحّ أن يجعله الإنسان غايةً لسلوكه الإنساني، ولكن المغيّى، أي الذي يقع في الذهن قبل السلوك غير الله الذي هو غاية موصول بها بعد السلوك؛ لأنّ ما هو واقع في الذهن محدود، والله تعالىٰ وصف نفسه بغير محدوديّة. فالذاكر الله الذي هو مفهوم واقع في ذكرك وذهنك ويوجب توجّهك وسلوكك إلى الله تعالىٰ غير الله الذي هو مصداق تامّ حقيقي لهذا المفهوم، وموصل وموصول لك في سلوكك إليه، فإذا كان هذا المفهوم غير الله فأسماؤه الّتي تحكي عن هذه المفاهيم غير الله بطريق أولى، بل هي مضافة إليه إضافة ما، فما ذهب إليه قوم من اتّحاد الاسم والمعنى باطل (هامش المصدر).

نَفسَهُ بِغَيرِ مَحدودِيَّةٍ، فَالذّاكِرُ اللهَ غَيرُ اللهِ، وَاللهُ غَيرُ أَسمائِهِ، وكُلُّ شَيءٍ وَقَعَ عَلَيهِ اسمُ شَيءٍ سِواهُ فَهُوَ مَخلوقٌ.

أَلا تَرىٰ إِلىٰ قَولِهِ: «العِزَّةُ لِلّهِ، العَظَمَةُ لِلّهِ» وقالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[1] وقالَ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2] فَالأَسماءُ مُضافَةٌ إِلَيهِ، وهُوَ التَّوحيدُ الخالِصُ.[3]

٣٩٣٠. عنه ﷺ: اِسمُ اللهِ غَيرُ اللهِ، وكُلُّ شَيءٍ وَقَعَ عَلَيهِ اِسمُ شَيءٍ فَهُوَ مَخلوقٌ ما خَلا اللهَ، فَأَمّا ما عَبَّرَتِ الأَلسُنُ عَنهُ أَو عَمِلَتِ الأَيدي فيهِ فَهُوَ مَخلوقٌ وَاللهُ غايَةُ مَن غاياهُ، وَالمُغَيّىٰ غَيرُ الغايَةِ، وَالغايَةُ مَوصوفَةٌ، وكُلُّ مَوصوفٍ مَصنوعٌ، وصانِعُ الأَشياءِ غَيرُ مَوصوفٍ بِحَدٍّ مُسَمّىً، لَم يَتَكَوَّن فَتُعرَفَ كَينونَتُهُ بِصُنعِ غَيرِهِ، ولَم يَتَناهَ إِلىٰ غايَةٍ إِلّا كانَت غَيرَهُ، لا يَذِلُّ مَن فَهِمَ هٰذَا الحُكمَ أَبَداً، وهُوَ التَّوحيدُ الخالِصُ، فَاعتَقِدوهُ وصَدِّقوهُ وتَفَهَّموهُ بِإِذنِ اللهِ ﷻ.

ومَن زَعَمَ أَنَّهُ يَعرِفُ اللهَ بِحِجابٍ أَو بِصورَةٍ أَو بِمِثالٍ فَهُوَ مُشرِكٌ؛ لِأَنَّ الحِجابَ وَالمِثالَ وَالصّورَةَ غَيرُهُ، وإِنَّما هُوَ واحِدٌ مُوَحَّدٌ، فَكَيفَ يُوَحِّدُ مَن زَعَمَ أَنَّهُ عَرَفَهُ بِغَيرِهِ، إِنَّما عَرَفَ اللهَ مَن عَرَفَهُ بِاللهِ فَمَن لَم يَعرِفهُ بِهِ فَلَيسَ يَعرِفُهُ، إِنَّما يَعرِفُ غَيرَهُ، وَاللهُ خالِقُ الأَشياءِ لا مِن شَيءٍ. يُسَمّىٰ بِأَسمائِهِ فَهُوَ غَيرُ أَسمائِهِ وَالأَسماءُ غَيرُهُ، وَالمَوصوفُ غَيرُ الواصِفِ.

فَمَن زَعَمَ أَنَّهُ يُؤمِنُ بِما لا يَعرِفُ فَهُوَ ضالٌّ عَنِ المَعرِفَةِ. لا يُدرِكُ مَخلوقٌ شَيئاً

---

١. الأعراف: ١٨٠.

٢. الإسراء: ١١٠.

٣. التوحيد: ص ٥٨ ح ١٦، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٦٠ ح ٥.

إلّا بِاللهِ، ولا تُدرَكُ مَعرِفَةُ اللهِ إلّا بِاللهِ، وَاللهُ خِلوٌ مِن خَلقِهِ، وخَلقُهُ خِلوٌ مِنهُ. إذا أَرادَ اللهُ شَيئاً كانَ كَما أَرادَ بِأَمرِهِ مِن غَيرِ نُطقٍ، لا مَلجَأَ لِعِبادِهِ مِمّا قَضىٰ، ولا حُجَّةَ لَهُم فيمَا ارتَضىٰ، لَم يَقدِروا عَلىٰ عَمَلٍ ولا مُعالَجَةٍ مِمّا أَحدَثَ في أَبدانِهِمُ المَخلوقَةِ إلّا بِرَبِّهِم، فَمَن زَعَمَ أَنَّهُ يَقوىٰ عَلىٰ عَمَلٍ لَم يُرِدهُ اللهُ، فَقَد زَعَمَ أَنَّ إرادَتَهُ تَغلِبُ إرادَةَ اللهِ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ[١].[٢]

٣٩٣١. الإمام الجواد عليه السلام: الحَمدُ للهِ إقراراً بِنِعمَتِهِ، ولا إلٰهَ إلَّا اللهُ إخلاصاً لِوَحدانِيَّتِهِ.[٣]

١ / ٥
ما يَمتَنِعُ فِي التَّوحيدِ

٣٩٣٢. الإمام عليّ عليه السلام: ما وَحَّدَهُ مَن كَيَّفَهُ، ولا حَقيقَتَهُ أصابَ مَن مَثَّلَهُ، ولا إيّاهُ عَنىٰ مَن شَبَّهَهُ.[٤]

٣٩٣٣. عنه عليه السلام: دَليلُهُ آياتُهُ، ووُجودُهُ إثباتُهُ، ومَعرِفَتُهُ تَوحيدُهُ، وتَوحيدُهُ تَمييزُهُ مِن خَلقِهِ، وحُكمُ التَّمييزِ بَينونَةُ صِفَةٍ لا بَينونَةُ عُزلَةٍ، إنَّهُ رَبٌّ خالِقٌ غَيرُ مَربوبٍ مَخلوقٍ، كُلَّما يُتَصَوَّرُ فَهُوَ بِخِلافِهِ.[٥]

---

١. قال الصدوق رحمه الله: معنى ذلك أنّ من زعم أنّه يقوى على عملٍ لم يرده الله أن يقوّيه عليه، فقد زعم أنّ إرادته تغلب إرادة الله، تبارك الله ربّ العالمين (المصدر).

٢. التوحيد: ص ١٤٢ ح ٧ وص ١٩٢ ح ٦، الكافي: ج ١ ص ١١٣ ح ٤ وفيهما صدره إلى «والأسماء غيره» وكلّها عن عبدالأعلى، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٦٠ ح ٦.

٣. الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٧٢ ح ٣٢٢، إعلام الورى: ج ٢ ص ١٠٣، روضة الواعظين: ص ٢٦٣ كلّها عن الريّان بن شبيب، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ٣٨٢ عن ريّان بن شبيب ويحيىٰ الزّيات وغيرهما، بحار الأنوار: ج ٥٠ ص ٧٦ ح ٣.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٣١٠ ح ١٤.

٥. الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٥ ح ١١٥، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٥٣ ح ٧.

٣٩٣٤ . عنه ﷺ ـ لَمّا سُئِلَ عَنِ التَّوحيدِ ـ : التَّوحيدُ أَلّا تَتَوَهَّمَهُ.[١]

٣٩٣٥ . الإمام الصادق ﷺ ـ لَمّا سَأَلَهُ رَجُلٌ أن يَذكُرَ لَهُ مِنَ التَّوحيدِ ما يَسهَلُ الوُقوفُ عَلَيهِ ويَتَهَيَّأُ حِفظُهُ ـ : أَمَّا التَّوحيدُ فَأَلّا تُجَوِّزَ عَلىٰ رَبِّكَ ما جازَ عَلَيكَ.[٢]

٣٩٣٦ . الإمام الرضا ﷺ : لَيسَ اللهَ عَرَفَ مَن عَرَفَ بِالتَّشبيهِ ذاتَهُ، ولا إيّاهُ وَحَّدَ مَنِ اكتَنَهَهُ، ولا حَقيقَتَهُ أَصابَ مَن مَثَّلَهُ، ولا بِهِ صَدَّقَ مَن نَهّاهُ.[٣]

٣٩٣٧ . الكافي عن أبي الحسن ﷺ : اللهُ ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ هُوَ واحِدٌ لا واحِدَ غَيرُهُ، لَا اختِلافَ فيهِ، ولا تَفاوُتَ، ولا زِيادَةَ ولا نُقصانَ.[٤]

---

١ . نهج البلاغة: الحكمة ٤٧٠، خصائص الأئمّة ﷺ : ص ١٢٤، روضة الواعظين: ص ٤٨، أعلام الدين: ص ٣١٨ عن الإمام الصادق ﷺ ، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٥٢ ح ٨٦.

٢ . التوحيد: ص ٩٦ ح ١، معاني الأخبار: ص ١١ ح ٢، مشكاة الأنوار: ص ٣٩ ح ٨، روضة الواعظين: ص ٤٨ وليس فيه صدره، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٦٤ ح ١٣.

٣ . التوحيد: ص ٣٥ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥٠ ح ٥١ كلاهما عن والقاسم بن أيّوب العلوي، الأمالي للمفيد: ص ٢٥٤ ح ٤ عن محمّد بن زيد الطبري، الأمالي للطوسي: ص ٢٢ ح ٢٨ عن محمّد بن يزيد الطبري وفيهما «ليس الله عبد من نعت ذاته» بدل «ليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته»، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٨ ح ٣.

٤ . الكافي: ج ١ ص ١١٩ ح ١، التوحيد: ص ٦٢ ح ١٨، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٢٨ ح ٢٣ كلّها عن الفتح بن يزيد الجرجاني، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٧٣ ح ٢.

المرتبة الثانية: التوحيد في الصفات

إنّ التَّوحيد الوصفيّ يعني نفي الصفات الزائدة عن الذات الإلهية، وهذا المطلب يلازم التَّوحيد الذاتي؛ إذ على أَساس التَّوحيد الذاتـي أَنّ الله تـعالىٰ غـير مـركّب من أَجزاء، وقبول الصفات الزائدة على الذات يستلزم أَنّ الله تـعالىٰ مـركّب مـن الذات والصفات.

والتَّوحيد الوصفيّ يتعلّق بصفات الذات لا صفات الفعل، وبـعبارة أُخـرى: إنّ صفات الذات كالعلم والقدرة هي عين ذاته تعالى. أمّا صفات الفعل كالإرادة والكلام فهي من أَفعاله تعالىٰ وهي حادثة.

لقد اعتبر بعض المحقّقين التّوحيد الوصفيّ بمعنىٰ توحيد الله سبحانه في الصفات الكمالية. وهذا الرأي مفاد بعض الأَحاديث، مثل:

«كُلُّ عَزيزٍ غَيرَهُ ذَليلٌ، وكُلُّ قَوِيٍّ غَيرَهُ ضَعيفٌ، وكُلُّ مالِكٍ غَيرَهُ مَملوكٌ ...».[1]

وقد ذكرنا هذا المعنى للتوحيد الوصفيّ والأَحاديث المتعلقة به في ذيل التَّوحيد الذاتي.

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٦٥.

٢ / ١

صِفاتُ اللهِ عَينُ ذاتِهِ

٣٩٣٨ . الإمام عليّ عليه السلام : أَوَّلُ عِبادَةِ اللهِ مَعرِفَتُهُ، وأَصلُ مَعرِفَتِهِ تَوحيدُهُ، ونِظامُ تَوحيدِهِ نَفيُ التَّشبيهِ عَنهُ، جَلَّ عَن أن تَحُلَّهُ الصِّفاتُ؛ لِشَهادَةِ العُقولِ أنَّ كُلَّ مَن حَلَّتهُ الصِّفاتُ مَصنوعٌ، وشَهادَةِ العُقولِ أنَّهُ ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ صانِعٌ لَيسَ بِمَصنوعٍ. بِصُنعِ اللهِ يُستَدَلُّ عَلَيهِ، وبِالعُقولِ تُعتَقَدُ مَعرِفَتُهُ، وبِالنَّظَرِ تَثبُتُ حُجَّتُهُ. جَعَلَ الخَلقَ دَليلاً عَلَيهِ، فَكَشَفَ بِهِ عَن رُبوبِيَّتِهِ. هُوَ الواحِدُ الفَردُ في أزَلِيَّتِهِ، لا شَريكَ لَهُ في إلٰهِيَّتِهِ، ولا نِدَّ لَهُ في رُبوبِيَّتِهِ، بِمُضادَّتِهِ بَينَ الأَشياءِ المُتَضادَّةِ عُلِمَ أن لا ضِدَّ لَهُ، وبِمُقارَنَتِهِ بَينَ الأُمورِ المُقتَرِنَةِ عُلِمَ أن لا قَرينَ لَهُ.[1]

٣٩٣٩ . الإمام الباقر عليه السلام : إنَّ رَبّي ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ كانَ ولَم يَزَل حَيّاً بِلا كَيفٍ، ولَم يَكُن لَهُ كانَ ولا كانَ لِكَونِهِ كَونُ كَيفٍ، ولا كانَ لَهُ أينٌ، ولا كانَ في شَيءٍ ولا كانَ عَلىٰ شَيءٍ، ولَا ابتَدَعَ لِمَكانِهِ مَكاناً ولا قَوِيَ بَعدَما كَوَّنَ الأَشياءَ، ولا كانَ ضَعيفاً قَبلَ أن يُكَوِّنَ شَيئاً، ولا كانَ مُستَوحِشاً قَبلَ أن يَبتَدِعَ شَيئاً، ولا يُشبِهُ شَيئاً مَذكوراً، ولا كانَ خِلواً مِنَ المُلكِ قَبلَ إنشائِهِ ولا يَكونُ مِنهُ خِلواً بَعدَ ذَهابِهِ. لَم يَزَل حَيّاً بِلا حَياةٍ ومَلِكاً قادِراً قَبلَ أن يُنشِئَ شَيئاً، ومَلِكاً جَبّاراً بَعدَ إنشائِهِ لِلكَونِ.

فَلَيسَ لِكَونِهِ كَيفٌ ولا لَه أينٌ ولا لَهُ حَدٌّ، ولا يُعرَفُ بِشَيءٍ يُشبِهُهُ ولا يَهرَمُ لِطولِ البَقاءِ، ولا يَصعَقُ لِشَيءٍ، بَل لِخَوفِهِ تَصعَقُ الأَشياءُ كُلُّها، كانَ حَيّاً بِلا حَياةٍ حادِثَةٍ، ولا كَونٍ مَوصوفٍ ولا كَيفٍ مَحدودٍ ولا أينٍ مَوقوفٍ عَلَيهِ، ولا مَكانٍ جاوَرَ شَيئاً،

---

١ . الإرشاد: ج ١ ص ٢٢٣ عن صالح بن كيسان، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٥ ح ١١٤ وفيه «نفي الصفات» بدل «نفي التشبيه»، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٥٣ ح ٦.

بَل حَيٌّ يُعرَفُ ومَلِكٌ لَم يَزَل لَهُ القُدرَةُ وَالمُلكُ، أنشَأَ ما شاءَ حينَ شاءَ بِمَشيئَتِهِ، لا يُحَدُّ ولا يُبَعَّضُ ولا يَفنىٰ، كانَ أوَّلاً بِلا كَيفٍ ويَكونُ آخِراً بِلا أينٍ، وكُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وَجهَهُ، لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ.[1]

٣٩٤٠. الكافي عن محمّد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام -في صِفَةِ القَديمِ-: إنَّهُ واحِدٌ، صَمَدٌ، أحَدِيُّ المَعنىٰ، لَيسَ بِمَعانٍ كَثيرَةٍ مُختَلِفَةٍ.

قالَ: قُلتُ: -جُعِلتُ فِداكَ- يَزعُمُ قَومٌ مِن أهلِ العِراقِ أنَّهُ يَسمَعُ بِغَيرِ الَّذي يُبصِرُ، ويُبصِرُ بِغَيرِ الَّذي يَسمَعُ!

قالَ: فَقالَ: كَذَبوا وأَلحَدوا وشَبَّهوا؛ تَعالَى اللهُ عَن ذٰلِكَ، إنَّهُ سَميعٌ بَصيرٌ، يَسمَعُ بِما يُبصِرُ، ويُبصِرُ بِما يَسمَعُ.

قالَ: قُلتُ: يَزعُمونَ أنَّهُ بَصيرٌ عَلىٰ ما يَعقِلونَهُ.

قالَ: فَقالَ: تَعالَى اللهُ! إنَّما يُعقَلُ ما كانَ بِصِفَةِ المَخلوقِ، ولَيسَ اللهُ كَذٰلِكَ.[2]

٣٩٤١. الإمام الصادق عليه السلام: رَبُّنا نورِيُّ الذّاتِ، حَيُّ الذّاتِ، عالِمُ الذّاتِ، صَمَدِيُّ الذّاتِ.[3]

٣٩٤٢. عنه عليه السلام -لِزِنديقٍ حينَ سَأَلَهُ: أتَقولُ: إنَّهُ سَميعٌ بَصيرٌ؟-: هُوَ سَميعٌ بَصيرٌ، سَميعٌ بِغَيرِ جارِحَةٍ وبَصيرٌ بِغَيرِ آلَةٍ، بَل يَسمَعُ بِنَفسِهِ ويُبصِرُ بِنَفسِهِ، ولَيسَ قَولي: «إنَّهُ سَميعٌ بِنَفسِهِ» أنَّهُ شَيءٌ وَالنَّفسُ شَيءٌ آخَرُ، ولٰكِنّي أرَدتُ عِبارَةً عَن نَفسي إذ كُنتُ مَسؤولاً، وإفهاماً لَكَ إذ كُنتَ سائِلاً، فَأَقولُ: يَسمَعُ بِكُلِّهِ لا أنَّ كُلَّهُ لَهُ بَعضٌ؛ لِأَنَّ

---

١. الكافي: ج ١ ص ٨٨ ح ٣ عن أبي بصير، التوحيد: ص ١٤١ ح ٦ عن عبدالأعلى عن الإمام الكاظم عليه السلام نحوه، بحارالأنوار: ج ٤ ص ٢٩٨ ح ٢٧.

٢. الكافي: ج ١ ص ١٠٨ ح ١، التوحيد: ص ١٤٤ ح ٩، الاحتجاج: ج ٢ ص ١٦٧ ح ١٩٦ نحوه، بحارالأنوار: ج ٤ ص ٦٩ ح ١٤.

٣. التوحيد: ص ١٤٠ ح ٤ عن هارون بن عبدالملك، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٦٨ ح ١٢.

الكُلَّ لَنا (لَهُ) بَعضٌ، ولكن أَرَدتُ إفهامَكَ وَالتَّعبيرَ عَن نَفسي، ولَيسَ مَرجِعي في ذٰلِكَ كُلِّهِ إلّا أنَّهُ السَّميعُ البَصيرُ، العالِمُ الخَبيرُ بِلَا اختِلافِ الذّاتِ ولا اختِلافِ مَعنىً.[١]

٣٩٤٣. عنه ﷺ: لَم يَزَلِ اللهُ عَليماً سَميعاً بَصيراً، ذاتٌ عَلّامَةٌ سَميعَةٌ بَصيرَةٌ.[٢]

٣٩٤٤. التوحيد عن أبان بن عثمان الأحمر: قُلتُ لِلصّادِقِ جَعفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أخبِرني عَنِ اللهِ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ لَم يَزَل سَميعاً بَصيراً عَليماً قادِراً؟

قالَ: نَعَم.

قُلتُ لَهُ: إنَّ رَجُلاً يَنتَحِلُ مُوالاتَكُم أهلَ البَيتِ، يَقولُ: إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ لَم يَزَل سَميعاً بِسَمعٍ، وبَصيراً بِبَصَرٍ، وعَليماً بِعِلمٍ، وقادِراً بِقُدرَةٍ!

فَغَضِبَ ﷺ ثُمَّ قالَ: مَن قالَ ذٰلِكَ ودانَ بِهِ فَهُوَ مُشرِكٌ ولَيسَ مِن وِلايَتِنا عَلىٰ شَيءٍ، إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ ذاتٌ عَلّامَةٌ سَميعَةٌ بَصيرَةٌ قادِرَةٌ.[٣]

٣٩٤٥. الإمام الكاظم ﷺ: أوَّلُ الدِّيانَةِ بِهِ مَعرِفَتُهُ، وكَمالُ مَعرِفَتِهِ تَوحيدُهُ، وكَمالُ تَوحيدِهِ نَفيُ الصِّفاتِ عَنهُ؛ بِشَهادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أنَّها غَيرُ المَوصوفِ، وشَهادَةِ المَوصوفِ أنَّهُ غَيرُ الصِّفَةِ، وشَهادَتِهِما جَميعاً بِالتَّثنِيَةِ المُمتَنِعِ مِنهُ الأَزَلُ.[٤]

---

١. الكافي: ج ١ ص ١٠٩ ح ٢ وص ٨٣ ح ٦، التوحيد: ص ١٤٤ ح ١٠ كلّها عن هشام بن الحكم، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٦٩ ح ١٥.

٢. التوحيد: ص ١٣٩ ح ٢ عن حمّاد بن عيسىٰ، إرشاد القلوب: ص ١٦٧ وفيه «وقال له رجل آخر: لم يزل الله... فقال: ذات الله تعالىٰ علامة...»، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٧٢ ح ١٩.

٣. التوحيد: ص ١٤٤ ح ٨، الأمالي للصدوق: ص ٧٠٨ ح ٩٧٥، روضة الواعظين: ص ٤٦ نحوه، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٦٣ ح ٢.

٤. الكافي: ج ١ ص ١٤٠ ح ٦ عن فتح بن عبدالله مولىٰ بني هاشم، التوحيد: ص ٥٧ ح ١٤ عن فتح بن يزيد الجرجاني عن الإمام الرضا ﷺ وفيه «جميعاً على أنفسهما بالبيّنة» بدل «جميعاً بالتثنية»، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٨٥ ح ١٧.

٣٩٤٦ . **الإمام الرضا**ﷺ : أَوَّلُ عِبادَةِ اللهِ مَعرِفَتُهُ، وأَصلُ مَعرِفَةِ اللهِ تَوحيدُهُ، ونِظامُ تَوحيدِ اللهِ نَفيُ الصِّفاتِ عَنهُ؛ لِشَهادَةِ العُقولِ أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ ومَوصوفٍ مَخلوقٌ، وشَهادَةِ كُلِّ مَخلوقٍ أَنَّ لَهُ خالِقاً لَيسَ بِصِفَةٍ ولا مَوصوفٍ، وشَهادَةِ كُلِّ صِفَةٍ ومَوصوفٍ بِالاِقتِرانِ، وشَهادَةِ الاِقتِرانِ بِالحَدَثِ، وشَهادَةِ الحَدَثِ بِالامتِناعِ مِنَ الأَزَلِ المُمتَنِعِ مِنَ الحَدَثِ.[1]

٣٩٤٧ . **التوحيد عن الحسين بن خالد** : سَمِعتُ الرِّضا عَلِيَّ بنَ موسىٰﷺ يَقولُ: لَم يَزَلِ اللهُ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ عَليماً قادِراً حَيّاً قَديماً سَميعاً بَصيراً.

فَقُلتُ لَهُ: يَا ابنَ رَسولِ اللهِ، إنَّ قَوماً يَقولونَ: إنَّهُ ﷻ لَم يَزَل عالِماً بِعِلمٍ، وقادِراً بِقُدرَةٍ، وحَيّاً بِحَياةٍ، وقَديماً بِقِدَمٍ، وسَميعاً بِسَمعٍ، وبَصيراً بِبَصَرٍ.

فَقالَﷺ: مَن قالَ ذٰلِكَ ودانَ بِهِ فَقَدِ اتَّخَذَ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخرىٰ، ولَيسَ مِن وِلايَتِنا عَلىٰ شَيءٍ.

ثُمَّ قالَﷺ: لَم يَزَلِ اللهُ ﷻ عَليماً قادِراً حَيّاً قَديماً سَميعاً بَصيراً لِذاتِهِ، تَعالىٰ عَمّا يَقولُ المُشرِكونَ وَالمُشَبِّهونَ عُلُوّاً كَبيراً.[2]

٢ / ٢
الفَرقُ بَينَ صِفاتِ ذاتِهِ وصِفاتِ فِعلِهِ

٣٩٤٨ . **الكافي عن أبي بصير عن الإمام الصادق**ﷺ : لَم يَزَلِ اللهُ ﷻ رَبُّنا وَالعِلمُ ذاتُهُ

---

١ . التوحيد: ص ٣٤ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥٠ ح ٥١ نحوه وكلاهما عن القاسم بن أيّوب العلوي، الأمالي للمفيد: ص ٢٥٣ ح ٤ عن محمّد بن زيد الطبري، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٦٠ ح ٢٨٣، بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٤٣ ح ١٧ وراجع الأمالي للطوسي: ص ٢٢ ح ٢٨.

٢ . التوحيد: ص ١٤٠ ح ٣، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١١٩ ح ١٠، الأمالي للصدوق: ص ٣٥٢ ح ٤٢٨، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٨٤ ح ٢٩١، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٦٢ ح ١.

ولا مَعلومَ، وَالسَّمعُ ذاتُهُ ولا مَسموعَ، وَالبَصَرُ ذاتُهُ ولا مُبصَرَ، وَالقُدرَةُ ذاتُهُ ولا مَقدورَ، فَلَمّا أَحدَثَ الأَشياءَ وكانَ المَعلومُ وَقَعَ العِلمُ مِنهُ عَلَى المَعلومِ، وَالسَّمعُ عَلَى المَسموعِ، وَالبَصَرُ عَلَى المُبصَرِ، وَالقُدرَةُ عَلَى المَقدورِ ... .

قُلتُ: فَلَم يَزَلِ اللهُ مُتَكَلِّماً؟

قالَ: فَقالَ: إنَّ الكَلامَ صِفَةٌ مُحدَثَةٌ لَيسَت بِأَزَلِيَّةٍ، كانَ اللهُ ﷻ ولا مُتَكَلِّمَ.[1]

٣٩٤٩. **الإمام الصادق** عليه السلام ـ لَمّا سُئِلَ: لَم يَزَلِ اللهُ مُريداً؟ ـ: إنَّ المُريدَ لا يَكونُ إلّا لِمُرادٍ مَعَهُ، لَم يَزَلِ اللهُ عالِماً قادِراً ثُمَّ أرادَ.[2]

٣٩٥٠. **الكافي عن بكير بن أعين:** قُلتُ لِأَبي عَبدِاللهِ عليه السلام: عِلمُ اللهِ ومَشيئَتُهُ هُما مُختَلِفانِ أو مُتَّفِقانِ؟

فَقالَ: العِلمُ لَيسَ هُوَ المَشيئَةَ، أَلا تَرىٰ أَنَّكَ تَقولُ: سَأَفعَلُ كَذا إن شاءَ اللهُ، ولا تَقولُ سَأَفعَلُ كَذا إن عَلِمَ اللهُ! فَقَولُكَ: «إن شاءَ اللهُ» دَليلٌ عَلىٰ أَنَّهُ لَم يَشَأ، فَإِذا شاءَ كانَ الَّذي شاءَ كَما شاءَ، وعِلمُ اللهِ السّابِقُ[3] لِلمَشيئَةِ.[4]

٣٩٥١. **التوحيد عن الحسن بن محمّد النوفلي** ـ في ذِكرِ مَجلِسِ الرِّضا عليه السلام مَعَ سُلَيمانَ المَروزِيِّ مُتَكَلِّمِ خُراسانَ عِندَ المَأمونِ فِي التَّوحيدِ ـ: ... فَقالَ المَأمونُ: يا سُلَيمانُ، سَل أَبَا الحَسَنِ عَمّا بَدا لَكَ، وعَلَيكَ بِحُسنِ الاِستِماعِ وَالإِنصافِ.

---

١. الكافي: ج ١ ص ١٠٧ ح ١، التوحيد: ص ١٣٩ ح ١، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٧١ ح ١٨ وراجع الأمالي للطوسي: ص ١٦٨ ح ٢٨٢.

٢. الكافي: ج ١ ص ١٠٩ ح ١، التوحيد: ص ١٤٦ ح ١٥، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٤٠ كلّها عن عاصم بن حميد، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٤٤ ح ١٦.

٣. في التوحيد: «وعِلمُ اللهِ سابِقٌ للمشيئة».

٤. الكافي: ج ١ ص ١٠٩ ح ٢، التوحيد: ص ١٤٦ ح ١٦، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٤٤ ح ١٥.

قالَ سُلَيمانُ: يا سَيِّدي أَسأَلُكَ؟

قالَ الرِّضاﷺ: سَل عَمّا بَدا لَكَ.

قالَ: ما تَقولُ فيمَن جَعَلَ الإِرادَةَ اسماً وصِفَةً، مِثلَ حَيٍّ وسَميعٍ وبَصيرٍ وقَديرٍ؟

قالَ الرِّضاﷺ: إِنَّما قُلتُم: حَدَثَتِ الأَشياءُ وَاختَلَفَت؛ لِأَنَّهُ شاءَ وأَرادَ، ولَم تَقولوا: حَدَثَت وَاختَلَفَت؛ لِأَنَّهُ سَميعٌ بَصيرٌ. فَهٰذا دَليلٌ عَلىٰ أَنَّها لَيست بِمِثلِ سَميعٍ ولا بَصيرٍ ولا قَديرٍ.

قالَ سُلَيمانُ: فَإِنَّهُ لَم يَزَل مُريداً.

قالَ: يا سُلَيمانُ، فَإِرادَتُهُ غَيرُهُ؟

قالَ: نَعَم.

قالَ: فَقَد أَثبَتَّ مَعَهُ شَيئاً غَيرَهُ لَم يَزَل!

قالَ سُلَيمانُ: ما أَثبَتُّ.

قالَ الرِّضاﷺ: أَهِيَ مُحدَثَةٌ؟

قالَ سُلَيمانُ: لا، ما هِيَ مُحدَثَةٌ.

فَصاحَ بِهِ المَأمونُ، وقالَ: يا سُلَيمانُ، مِثلُهُ يُعايا أَو يُكابَرُ؟! عَلَيكَ بِالإِنصافِ، أَما تَرىٰ مَن حَولَكَ مِن أَهلِ النَّظَرِ؟ ثُمَ قالَ: كَلِّمهُ يا أَبَا الحَسَنِ، فَإِنَّهُ مُتَكَلِّمُ خُراسانَ.

فَأَعادَ عَلَيهِ المَسأَلَةَ، فَقالَ: هِيَ مُحدَثَةٌ يا سُلَيمانُ؛ فَإِنَّ الشَّيءَ إِذا لَم يَكُن أَزَلِيّاً كانَ مُحدَثاً، وإِذا لَم يَكُن مُحدَثاً كانَ أَزَلِيّاً.

قالَ سُلَيمانُ: إِرادَتُهُ مِنهُ، كَما أَنَّ سَمعَهُ مِنهُ وبَصَرَهُ مِنهُ وعِلمَهُ مِنهُ.

قالَ الرِّضاﷺ: فَإِرادَتُهُ نَفسُهُ؟

قالَ: لا.

قالَﷺ: فَلَيسَ المُريدُ مِثلَ السَّميعِ وَالبَصيرِ.

قالَ سُلَيمانُ: إنَّما أرادَ نَفسَهُ، كَما سَمِعَ نَفسَهُ وأَبصَرَ نَفسَهُ وعَلِمَ نَفسَهُ.

قالَ الرِّضاﷺ: ما مَعنىٰ أرادَ نَفسَهُ؟ أرادَ أن يَكونَ شَيئاً، أو أرادَ أن يَكونَ حَيّاً، أو سَميعاً أو بَصيراً أو قَديراً!

قالَ: نَعَم.

قالَ الرِّضاﷺ: أفَبِإِرادَتِهِ كانَ ذٰلِكَ؟!

قالَ سُلَيمانُ: لا.

قالَ الرِّضاﷺ: فَلَيسَ لِقَولِكَ: أرادَ أن يَكونَ حَيّاً سَمعياً بَصيراً مَعنىً إذا لَم يَكُن ذٰلِكَ بِإِرادَتِهِ!

قالَ سُلَيمانُ: بَلىٰ، قَد كانَ ذٰلِكَ بِإِرادَتِهِ.

فَضَحِكَ المَأمونُ ومَن حَولَهُ وضَحِكَ الرِّضاﷺ، ثُمَّ قالَ لَهُم: اِرفَقوا بِمُتَكَلِّمِ خُراسانَ. يا سُلَيمانُ، فَقَد حالَ عِندَكُم عَن حالَةٍ وتَغَيَّرَ عَنها، وهٰذا مِمّا لا يُوصَفُ اللهُ‏ﷻ بِهِ. فَانقَطَعَ.

ثُمَّ قالَ الرِّضاﷺ: يا سُلَيمانُ، أسأَلُكَ مَسأَلَةً. قالَ: سَل ـ جُعِلتُ فِداكَ! ـ.

قالَ: أخبِرني عَنكَ وعَن أصحابِكَ تُكَلِّمونَ النّاسَ بِما يَفقَهونَ ويَعرِفونَ، أو بِما لا يَفقَهونَ ولا يَعرِفونَ؟!

قالَ: بَل، بِما يَفقَهونَ ويَعرِفونَ.

قالَ الرِّضاﷺ: فَالَّذي يَعلَمُ النّاسُ أنَّ المُريدَ غَيرُ الإِرادَةِ، وأنَّ المُريدَ قَبلَ الإِرادَةِ،

وأنَّ الفاعِلَ قَبلَ المَفعولِ، وهٰذا يُبطِلُ قَولَكُم: إنَّ الإرادَةَ وَالمُريدَ شَيءٌ واحِدٌ. قالَ: ـ جُعِلتُ فِداكَ! ـ لَيسَ ذاكَ مِنهُ عَلىٰ ما يَعرِفُ النّاسُ ولا عَلىٰ ما يَفقَهونَ.

قالَ عليه السلام: فَأَراكُم ادَّعَيتُم عِلمَ ذٰلِكَ بِلا مَعرِفَةٍ، وقُلتُم: الإرادَةُ كَالسَّمعِ وَالبَصَرِ إذا كانَ ذٰلِكَ عِندَكُم عَلىٰ ما لا يُعرَفُ ولا يُعقَلُ! فَلَم يُحِر جَواباً.

ثُمَّ قالَ الرِّضا عليه السلام: يا سُلَيمانُ، هَل يَعلَمُ اللهُ عزّ وجلّ جَميعَ ما فِي الجَنَّةِ وَالنّارِ؟!

قالَ سُلَيمانُ: نَعَم.

قالَ: أَفَيَكونُ ما عَلِمَ اللهُ عزّ وجلّ أنَّهُ يَكونُ مِن ذٰلِكَ؟

قالَ: نَعَم.

قالَ: فَإِذا كانَ حَتّىٰ لا يَبقىٰ مِنهُ شَيءٌ إلّا كانَ أَيَزيدُهُم أَو يَطويهِ عَنهُم؟ قالَ سُلَيمانُ: بَل يَزيدُهُم.

قالَ: فَأَراهُ في قَولِكَ: قَد زادَهُم، ما لَم يَكُن في عِلمِهِ أَنَّهُ يَكونُ.

قالَ: ـ جُعِلتُ فِداكَ! ـ وَالمَزيدُ لا غايَةَ لَهُ.

قالَ عليه السلام: فَلَيسَ يُحيطُ عِلمُهُ عِندَكُم بِما يَكونُ فيهِما إذا لَم يُعرَف غايَةُ ذٰلِكَ، وإذا لَم يُحِط عِلمُهُ بِما يَكونُ فيهِما لَم يَعلَم ما يَكونُ فيهِما قَبلَ أَن يَكونَ، تَعالَى اللهُ عَن ذٰلِكَ عُلُوّاً كَبيراً.

قالَ سُلَيمانُ: إنَّما قُلتُ: لا يَعلَمُهُ؛ لِأَنَّهُ لا غايَةَ لِهٰذا، لِأَنَّ اللهَ عزّ وجلّ وَصَفَهُما بِالخُلودِ وكَرِهنا أَن نَجعَلَ لَهُمَا انقِطاعاً.

قالَ الرِّضا عليه السلام: لَيسَ عِلمُهُ بِذٰلِكَ بِموجِبٍ لِانقِطاعِهِ عَنهُم؛ لِأَنَّهُ قَد يَعلَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ

يَزيدُهُم ثُمَّ لا يَقطَعُهُ عَنهُم، وكَذٰلِكَ قالَ اللهُ‌ﷻ في كِتابِهِ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾[١] وقالَ‌ﷻ لِأَهلِ الجَنَّةِ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[٢] وقالَ‌ﷻ: ﴿وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[٣] فَهُوَ ـ جَلَّ وعَزَّ ـ يَعلَمُ ذٰلِكَ ولا يَقطَعُ عَنهُم الزِّيادَةَ. أرَأَيتَ ما أكَلَ أهلُ الجَنَّةِ وما شَرِبوا أَلَيسَ يُخلِفُ مَكانَهُ؟!

قالَ: بَلىٰ.

قالَ: أَفَيَكونُ يَقطَعُ ذٰلِكَ عَنهُم وقَد أَخلَفَ مَكانَهُ؟!

قالَ سُلَيمانُ: لا.

قالَ: فَكَذٰلِكَ كُلُّ ما يَكونُ فيها إِذا أَخلَفَ مَكانَهُ فَلَيسَ بِمَقطوعٍ عَنهُم.

قالَ سُلَيمانُ: بَل يَقطَعُهُ عَنهُم فَلا يَزيدُهُم.

قالَ الرِّضا‌عليه السلام: إذاً يَبيدُ ما فيهِما، وهٰذا يا سُلَيمانُ إبطالُ الخُلودِ وخِلافُ الكِتابِ؛ لِأَنَّ اللهَ‌ﷻ يَقولُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[٤] ويَقولُ‌ﷻ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ويَقولُ‌ﷻ: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[٥] ويَقولُ‌ﷻ: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[٦] ويَقولُ‌ﷻ: ﴿وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾! فَلَم يُحِر جَواباً.

ثُمَّ قالَ الرِّضا‌عليه السلام: يا سُلَيمانُ، أَلا تُخبِرُني عَنِ الإِرادَةِ فِعلٌ هِيَ أَم غَيرُ فِعلٍ؟

---

١. النساء: ٥٦.

٢. هود: ١٠٨.

٣. الواقعة: ٣٢ و ٣٣.

٤. قٓ: ٣٥.

٥. الحِجر: ٤٨.

٦. البيّنة: ٨.

قالَ: بَل هِيَ فِعلٌ.

قالَ: فَهِيَ مُحدَثَةٌ؛ لِأَنَّ الفِعلَ كُلَّهُ مُحدَثٌ.

قالَ: لَيسَت بِفِعلٍ.

قالَ: فَمَعَهُ غَيرُهُ لَم يَزَل.

قالَ سُلَيمانُ: الإِرادَةُ هِيَ الإِنشاءُ.

قالَ: يا سُلَيمانُ هٰذَا الَّذِي ادَّعَيتُموهُ[1] عَلىٰ ضِرارٍ وأَصحابِهِ مِن قَولِهِم: إنَّ كُلَّ ما خَلَقَ اللهُﷻ في سَماءٍ أَو أَرضٍ أَو بَحرٍ أَو بَرٍّ مِن كَلبٍ أَو خِنزيرٍ أَو قِردٍ أَو إنسانٍ أَو دابَّةٍ إرادَةُ اللهِﷻ، وإنَّ إرادَةَ اللهِﷻ تَحيا وتَموتُ، وتَذهَبُ، وتَأكُلُ وتَشرَبُ، وتَنكَحُ وتَلِدُ، وتَظلِمُ، وتَفعَلُ الفَواحِشَ، وتَكفُرُ، وتُشرِكُ، فَتُبَرِّئُ مِنها وتُعاديها، وهٰذا حَدُّها.

قالَ سُلَيمانُ: إنَّها كَالسَّمعِ وَالبَصَرِ وَالعِلمِ.

قالَ الرِّضاﷺ: قَد رَجَعتَ إلىٰ هٰذا ثانِيَةً، فَأَخبِرني عَنِ السَّمعِ وَالبَصَرِ وَالعِلمِ أَمَصنوعٌ؟

قالَ سُلَيمانُ: لا.

قالَ الرِّضاﷺ: فَكَيفَ نَفَيتُموهُ فَمَرَّةً قُلتُم لَم يُرِد ومَرَّةً قُلتُم أَرادَ، ولَيسَت بِمَفعولٍ لَهُ!

قالَ سُلَيمانُ: إنَّما ذٰلِكَ كَقَولِنا مَرَّةً عَلِمَ ومَرَّةً لَم يَعلَم.

---

١. في عيون أخبار الرضا والاحتجاج «عبتموه».

قالَ الرِّضاعليه السلام: لَيسَ ذٰلِكَ سَواءً؛ لِأَنَّ نَفيَ المَعلومِ لَيسَ بِنَفيِ العِلمِ، ونَفيَ المُرادِ نَفيُ الإِرادَةِ أَن تَكونَ؛ لِأَنَّ الشَّيءَ إِذا لَم يُرَد لَم يَكُن إرادَةٌ، وقَد يَكونُ العِلمُ ثابِتاً وإِن لَم يَكُنِ المَعلومُ بِمَنزِلَةِ البَصَرِ؛ فَقَد يَكونُ الإِنسانُ بَصيراً وإِن لَم يَكُنِ المُبصَرُ، ويَكونُ العِلمُ ثابِتاً وإِن لَم يَكُنِ المَعلومُ.[1]

قالَ سُلَيمانُ: إِنَّها مَصنوعَةٌ.

قالَعليه السلام: فَهِيَ مُحدَثَةٌ لَيسَت كَالسَّمعِ وَالبَصَرِ؛ لِأَنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ لَيسا بِمَصنوعَينِ وهٰذِهِ مَصنوعَةٌ.

قالَ سُلَيمانُ: إِنَّها صِفَةٌ مِن صِفاتِهِ لَم تَزَل.

قالَ: فَيَنبَغي أَن يَكونَ الإِنسانُ لَم يَزَل؛ لِأَنَّ صِفَتَهُ لَم تَزَل!

قالَ سُلَيمانُ: لا؛ لِأَنَّهُ لَم يَفعَلها.

قالَ الرِّضاعليه السلام: يا خُراسانِيُّ ما أَكثَرَ غَلَطَكَ! أَفَلَيسَ بِإِرادَتِهِ وقَولِهِ تَكَوُّنُ الأَشياءِ؟!

قالَ سُلَيمانُ: لا.

قالَ: فَإِذا لَم يَكُن بِإِرادَتِهِ ولا مَشيئَتِهِ ولا أَمرِهِ ولا بِالمُباشَرَةِ فَكَيفَ يَكونُ ذٰلِكَ؟! تَعالَى اللهُ عَن ذٰلِكَ. فَلَم يُحِر جَواباً.

ثُمَّ قالَ الرِّضاعليه السلام: أَلا تُخبِرُني عَن قَولِ اللهِ عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾[2] يَعني بِذٰلِكَ أَنَّهُ يُحدِثُ إِرادَةً؟!

---

١. إلى هنا يوجد في الاحتجاج، مع ذيله من «فإنّ الإرادة القدرة» إلى آخره.

٢. الإسراء: ١٦.

قالَ لَهُ: نَعَم.

قالَ: فَإِذا أَحدَثَ إِرادَةً كانَ قَولُكَ: إِنَّ الإِرادَةَ هِيَ هُوَ أَم شَيءٌ مِنهُ باطِلاً؛ لِأَنَّهُ لا يَكونُ أَن يُحدِثَ نَفسَهُ ولا يَتَغَيَّرَ عَن حالِهِ، تَعالَى اللهُ عَن ذٰلِكَ.

قالَ سُلَيمانُ: إِنَّهُ لَم يَكُن عَنىٰ بِذٰلِكَ أَنَّهُ يُحدِثُ إِرادَةً.

قالَ: فَما عَنىٰ بِهِ؟ قالَ: عَنىٰ فِعلَ الشَّيءِ.

قالَ الرِّضاﷺ: وَيلَكَ! كَم تُرَدِّدُ هٰذِهِ المَسأَلَةَ، وقَد أَخبَرتُكَ أَنَّ الإِرادَةَ مُـحدَثَةٌ؛ لِأَنَّ فِعلَ الشَّيءِ مُحدَثٌ.

قالَ: فَلَيسَ لَها مَعنىً.

قالَ الرِّضاﷺ: قَد وَصَفَ نَفسَهُ عِندَكُم حَتّىٰ وَصَفَها بِالإِرادَةِ بِما لا مَعنىٰ لَهُ، فَإِذا لَم يَكُن لَها مَعنىً قَديمٌ ولا حَديثٌ بَطَلَ قَولُكُم: إِنَّ اللهَ لَم يَزَل مُريداً.

قالَ سُلَيمانُ: إِنَّما عَنَيتُ أَنَّها فِعلٌ مِنَ اللهِ لَم يَزَل.

قالَ: أَلا تَعلَمُ أَنَّ ما لَم يَزَل لا يَكونُ مَفعولاً وحَديثاً وقَديماً في حالَةٍ واحِدَةٍ؟!

فَلَم يُحِر جَواباً.

قالَ الرِّضاﷺ: لا بَأسَ، أَتمِم مَسأَلَتَكَ.

قالَ سُلَيمانُ: قُلتُ: إِنَّ الإِرادَةَ صِفَةٌ مِن صِفاتِهِ.

قالَ الرِّضاﷺ: كَم تُرَدِّدُ عَلَيَّ أَنَّها صِفَةٌ مِن صِفاتِهِ. وصِفَتُهُ مُحدَثَةٌ أَو لَم تَزَل؟!

قالَ سُلَيمانُ: مُحدَثَةٌ.

قالَ الرِّضا عليه السلام: اللهُ أَكبَرُ، فَالإِرادَةُ مُحدَثَةٌ وإِن كانَت صِفَةً مِن صِفاتِهِ لَم تَـزَل؟ فَلَم يَرُدَّ شَيئاً.

قالَ الرِّضا عليه السلام: إِنَّ ما لَم يَزَل لا يَكونُ مَفعولاً.

قالَ سُلَيمانُ: لَيسَ الأَشياءُ إِرادَةً، ولَم يُرِد شَيئاً.

قالَ الرِّضا عليه السلام: وَسوَستَ يا سُلَيمانُ، فَقَد فَعَلَ وخَلَقَ ما لَم يُرِد خَلقَهُ ولا فِعلَهُ، وهٰذِهِ صِفَةُ مَن لا يَدري ما فَعَلَ، تَعالَى اللهُ عَن ذٰلِكَ.

قالَ سُلَيمانُ: يا سَيِّدي قَد أَخبَرتُكَ أَنَّها كَالسَّمعِ وَالبَصَرِ وَالعِلمِ.

قالَ المَأمونُ: وَيلَكَ يا سُلَيمانُ، كَم هٰذَا الغَلَطُ وَالتَّرَدُّدُ، اقطَع هٰذا وخُذ في غَيرِهِ إِذ لَستَ تَقوىٰ عَلىٰ هٰذَا الرَّدِّ.

قالَ الرِّضا عليه السلام: دَعهُ يا أَميرَالمُؤمِنينَ، لا تَقطَع عَلَيهِ مَسأَلَتَهُ فَيَجعَلَها حُجَّةً. تَكَلَّم يا سُلَيمانُ.

قالَ: قَد أَخبَرتُكَ أَنَّها كَالسَّمعِ وَالبَصَرِ وَالعِلمِ.

قالَ الرِّضا عليه السلام: لا بَأسَ، أَخبِرني عَن مَعنىٰ هٰذِهِ أَمعنىً واحِدٌ أَم مَعانٍ مُختَلِفَةٌ؟!

قالَ سُلَيمانُ: بَل مَعنىً واحِدٌ.

قالَ الرِّضا عليه السلام: فَمَعنَى الإِراداتِ كُلِّها مَعنىً واحِدٌ؟

قالَ سُلَيمانُ: نَعَم.

قالَ الرِّضا عليه السلام: فَإِن كانَ مَعناها مَعنىً واحِـداً كـانَت إِرادَةُ القِـيامِ وإِرادَةُ القُـعودِ

وإرادَةُ الحَياةِ وإرادَةُ المَوتِ، إذا كانَت إرادَتُهُ واحِدَةً لَم يَتَقَدَّم بَعضُها بَعضاً ولَم يُخالِف بَعضُها بَعضاً، وكانَ شَيئاً واحِداً!

قالَ سُلَيمانُ: إنَّ مَعناها مُختَلِفٌ.

قالَ: فَأَخبِرني عَنِ المُريدِ أَهُوَ الإرادَةُ أو غَيرُها؟!

قالَ سُلَيمانُ: بَل هُوَ الإرادَةُ.

قالَ الرِّضا: فَالمُريدُ عِندَكُم يَختَلِفُ إن كانَ هُوَ الإرادَةُ؟

قالَ: يا سَيِّدي، لَيسَ الإرادَةُ المُريدَ.

قالَ: فَالإرادَةُ مُحدَثَةٌ، وإلّا فَمَعَهُ غَيرُهُ. افهَم وزِد في مَسأَلَتِكَ.

قالَ سُلَيمانُ: فَإِنَّها اسمٌ مِن أَسمائِهِ.

قالَ الرِّضا: هَل سَمّىٰ نَفسَهُ بِذٰلِكَ؟

قالَ سُلَيمانُ: لا، لَم يُسَمِّ نَفسَهُ بِذٰلِكَ.

قالَ الرِّضا: فَلَيسَ لَكَ أَن تُسَمِّيَهُ بِما لَم يُسَمِّ بِهِ نَفسَهُ.

قالَ: قَد وَصَفَ نَفسَهُ بِأَنَّهُ مُريدٌ.

قالَ الرِّضا: لَيسَ صِفَتُهُ نَفسَهُ أَنَّهُ مُريدٌ إخباراً عَن أَنَّهُ إرادَةٌ ولا إخباراً عَن أَنَّ الإرادَةَ اسمٌ مِن أَسمائِهِ.

قالَ سُلَيمانُ: لِأَنَّ إرادَتَهُ عِلمُهُ.

قالَ الرِّضا: يا جاهِلُ، فَإِذا عَلِمَ الشَّيءَ فَقَد أَرادَهُ.

قالَ سُلَيمانُ: أَجَل. قالَ عليه السلام: فَإِذا لَم يُرِدهُ لَم يَعلَمهُ.

قالَ سُلَيمانُ: أَجَل.

قالَ عليه السلام: مِن أَينَ قُلتَ ذاكَ، وما الدَّليلُ عَلىٰ أَنَّ إرادَتَهُ عِلمُهُ، وقَد يَعلَمُ ما لا يُريدُهُ أَبَداً، وذٰلِكَ قَولُهُ عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[1] فَهُوَ يَعلَمُ كَيفَ يَذهَبُ بِهِ وهُوَ لا يَذهَبُ بِهِ أَبَداً.

قالَ سُلَيمانُ: لِأَنَّهُ قَد فَرَغَ مِنَ الأَمرِ فَلَيسَ يَزيدُ فيهِ شَيئاً.

قالَ الرِّضا عليه السلام: هٰذا قَولُ اليَهودِ. فَكَيفَ قالَ تعالى: ﴿ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]؟

قالَ سُلَيمانُ: إنَّما عَنىٰ بِذٰلِكَ أَنَّهُ قادِرٌ عَلَيهِ.

قالَ عليه السلام: أَفَيَعِدُ ما لا يَفي بِهِ؟! فَكَيفَ قالَ تعالى: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[3] وقالَ عزّ وجلّ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[4] وقَد فَرَغَ مِنَ الأَمرِ؟! فَلَم يُحِر جَواباً.

قالَ الرِّضا عليه السلام: يا سُلَيمانُ، هَل يَعلَمُ أَنَّ إنساناً يَكونُ ولا يُريدُ أَن يَخلُقَ إنساناً أَبَداً، وأَنَّ إنساناً يَموتُ اليَومَ ولا يُريدُ أَن يَموتَ اليَومَ؟

قالَ سُلَيمانُ: نَعَم.

قالَ الرِّضا عليه السلام: فَيَعلَمُ أَنَّهُ يَكُونُ ما يُريدُ أَن يَكونَ، أَو يَعلَمُ أَنَّهُ يَكونُ ما لا يُريدُ أَن يَكونَ؟!

---

١. الإسراء: ٨٦.

٢. المؤمن: ٦٠.

٣. فاطر: ١.

٤. الرعد: ٣٩.

قالَ: يَعلَمُ أَنَّهُما يَكونانِ جَميعاً.

قالَ الرِّضاﷺ: إذاً يَعلَمُ أَنَّ إِنساناً حَيٌّ مَيِّتٌ، قائِمٌ قاعِدٌ، أَعمىٰ بَصيرٌ في حالٍ واحِدَةٍ، وهٰذا هُوَ المُحالُ!

قالَ: ـ جُعِلتُ فِداكَ! ـ فَإِنَّهُ يَعلَمُ أَنَّهُ يَكونُ أَحدُهُما دونَ الآخَرِ.

قالَﷺ: لا بَأسَ، فَأَيُّهُما يَكونُ؛ الَّذي أَرادَ أَن يَكونَ، أَوِ الَّذي لَم يُرِد أَن يَكونَ؟

قالَ سُلَيمانُ: الَّذي أَرادَ أَن يَكونَ.

فَضَحِكَ الرِّضاﷺ وَالمَأمونُ وأَصحابُ المَقالاتِ.

قالَ الرِّضاﷺ: غَلَطتَ وتَرَكتَ قَولَكَ: إِنَّهُ يَعلَمُ أَنَّ إِنساناً يَموتُ اليَومَ وهُوَ لا يُريدُ أَن يَموتَ اليَومَ، وأَنَّهُ يَخلُقُ خَلقاً وهُوَ لا يُريدُ أَن يَخلُقَهُم، فَإِذا لَم يَجُزِ العِلمُ عِندَكُم بِما لَم يُرِد أَن يَكونَ فَإِنَّما يَعلَمُ أَن يَكونَ ما أَرادَ أَن يَكونَ.

قالَ سُلَيمانُ: فَإِنَّما قَولي: إِنَّ الإِرادَةَ لَيسَت هُوَ ولا غَيرَهُ.

قالَ الرِّضاﷺ: يا جاهِلُ، إِذا قُلتَ: لَيسَت هُوَ؛ فَقَد جَعَلتَها غَيرَهُ، وإِذا قُلتَ: لَيسَت هِيَ غَيرَهُ؛ فَقَد جَعَلتَها هُوَ!

قالَ سُلَيمانُ: فَهُوَ يَعلَمُ كَيفَ يَصنَعُ الشَّيءَ؟

قالَﷺ: نَعَم.

قالَ سُلَيمانُ: فَإِنَّ ذٰلِكَ إِثباتٌ لِلشَّيءِ.

قالَ الرِّضاﷺ: أَحَلتَ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ قَد يُحسِنُ البِناءَ وإِن لَم يَبنِ، ويُحسِنُ الخِياطَةَ

وإن لَم يَخِط، ويُحسِنُ صنعَةَ الشَّيءِ وإن لَم يَصنَعهُ أَبداً.

ثُمَّ قالَ لَهُ: يا سُلَيمانُ هَل يَعلَمُ أَنَّهُ واحِدٌ لا شَيءَ مَعَهُ؟!

قالَ: نَعَم.

قالَ: أفَيَكونُ ذٰلِكَ إثباتاً لِلشَّيءِ؟

قالَ سُلَيمانُ: لَيسَ يَعلَمُ أَنَّهُ واحِدٌ لا شَيءَ مَعَهُ.

قالَ الرِّضاعليه السلام: أَفتَعلَمُ أَنتَ ذاكَ؟

قالَ: نَعَم.

قالَ: فَأَنتَ يا سُلَيمانُ أَعلَمُ مِنهُ إذاً!

قالَ سُلَيمانُ: المَسأَلَةُ مُحالٌ.

قالَ: مُحالٌ عِندَكَ أَنَّهُ واحِدٌ لا شَيءَ مَعَهُ، وأَنَّهُ سَميعٌ بَصيرٌ حَكيمٌ عَليمٌ قادِرٌ؟

قالَ: نَعَم.

قالَعليه السلام: فَكَيفَ أَخبَرَ اللهُعزّ وجلّ أَنَّهُ واحِدٌ حَيٌّ سَميعٌ بَصيرٌ عَليمٌ خَبيرٌ وهُوَ لا يَعلَمُ ذٰلِكَ! وهٰذا رَدُّ ما قالَ وتَكذيبُهُ، تَعالَى اللهُ عَن ذٰلِكَ.

ثُمَّ قالَ الرِّضاعليه السلام: فَكَيفَ يُريدُ صُنعَ ما لا يَدري صُنعَهُ ولا ما هُوَ! وإذا كانَ الصّانِعُ لا يَدري كَيفَ يَصنَعُ الشَّيءَ قَبلَ أَن يَصنَعَهُ فَإِنَّما هُوَ مُتَحَيِّرٌ، تَعالَى اللهُ عَن ذٰلِكَ.

قالَ سُلَيمانُ: فَإِنَّ الإِرادَةَ القُدرَةُ.

قالَ الرِّضاعليه السلام: وهُوَعزّ وجلّ يَقدِرُ عَلىٰ ما لا يُريدُهُ أَبداً، ولا بُدَّ مِن ذٰلِكَ لِأَنَّهُ قالَ

ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ: ﴿وَلَـئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَـيْكَ﴾ فلَو كانَتِ الإرادَةُ هِيَ القُدرَةُ كانَ قَد أَرادَ أَن يَذهَبَ بِهِ لِقُدرَتِهِ.

فَانقَطَعَ سُليمانُ.

قالَ المَأمونُ عِندَ ذٰلِكَ: يا سُلَيمانُ، هٰذا أَعلَمُ هاشِمِيٍّ.

ثُمَّ تَفَرَّقَ القَومُ.[1]

---

١. التوحيد: ص ٤٤٥ ح ١، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٨٢ ح ١، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٦٧ ح ٢٨٤، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٤٣، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣٣١ ح ٢.

المرتبة الثالثة: التّوحيد في الأفعال

إنّ التَّوحيد في الأَفعال، يعني: كلّ فعل يحدث في هذا العالم هو تحت سلطنة الخالق وبمشيئته وتقديره تعالىٰ، وليس ثمة فاعل يوازي الخالق أَو مستقلّ عـنه، وينطبق هذا المعنىٰ على جميع الأَفعال الإلهيّة، ومن بين الأَفعال الإلهـية المـهمّة: الخلق، والربوبية، والتدبير، من هنا طرحت في ذيل التَّوحيد في الأَفعال.

١/٣
التّوحيد في الخالقيّة

الكتاب

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ﴾.[١]

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.[٢]

﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.[٣]

---

١. الرعد: ١٦. راجع: الأنعام: ١٠٢، الزمر: ٦٢، غافر: ٦٢.

٢. الحشر: ٢٤.

٣. فاطر: ٣.

الحديث

٣٩٥٢. رسول الله ﷺ ـ فِي الدُّعاءِ ـ: يـا لا إِلٰـهَ إِلّا أَنتَ، لَـيسَ خـالِقاً ولا رازِقاً سِـواكَ يـا اللهُ، وأَسأَلُكَ بِـاسمِكَ الظّـاهِرِ فـي كُـلِّ شَـيءٍ بِـالقُدرَةِ وَالكِـبرِياءِ وَالبُـرهانِ وَالسُّلطانِ يا اللهُ.[1]

٣٩٥٣. عنه ﷺ: قالَ اللهُ ﷻ: ومَن أَظلَمُ مِمَّن ذَهَبَ يَخلُقُ كَخَلقي! فَليَخلُقوا ذَرَّةً[2] أو لِيَخلُقوا حَبَّةً أَو شَعيرَةً.[3]

٣٩٥٤. عنه ﷺ: سُبحانَكَ الَّذي لا إِلٰهَ غَيرُهُ... بَديعُ السَّماواتِ وَالأَرضِ، المُبدِعُ غَيرَ المُبتَدِعِ، خالِقُ ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ.[4]

٣٩٥٥. الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ الخَلقَ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ الخَـلقُ وَالأَمـرُ وَالدُّنـيا وَالآخِرَةُ، وهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ وخالِقُهُ، خَلَقَ الخَلقَ وأَوجَبَ أَن يَـعرِفوهُ بِأَنـبِيائِهِ، فَاحتَجَّ عَلَيهِم بِهِم، وَالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ الدَّليلُ عَلَى اللهِ ﷻ، وهُوَ عَـبدٌ مَـخلوقٌ مَـربوبٌ اِصطَفاهُ اللهُ لِنَفسِهِ بِرِسالَتِهِ.[5]

راجع: ج ٤ ص ١٧١ (الفصل الثاني والعشرون: الخالق) وج ٥ ص ٣ (الفصل الخمسون: الفاعل، الفعّال).

---

١. البلد الأمين: ص ٤١٥، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٢٥٩ ح ١.

٢. الذَّرُّ: صغار النمل واحدتُه: ذَرَّة. وقيل: الذرّة ليس لها وزنٌ ويُراد بها ما يُرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة (لسان العرب: ج ٤ ص ٣٠٤ «ذرر»).

٣. صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٧٤٧ ح ٧١٢٠ عن أبي هريرة، صحيح مسلم: ج ٣ ص ١٦٧١ ح ١٠١، مسند ابن حنبل: ج ٣ ص ١١ ح ٧١٦٩.

٤. العظمة: ص ٥٣ ح ١١٠ عن أُسامة بن زيد، كنز العمّال: ج ١٠ ص ٣٧٠ ح ٢٩٨٤٩.

٥. مختصر بصائر الدرجات: ص ٨٧، بصائر الدرجات: ص ٥٣٥ ح ١ كلاهما عن المفضّل بن عمر، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٢٩٧ ح ١.

٣ / ٢
التّوحيد في الرّبوبيّة

٣ / ٢ ـ ١
لا رَبَّ غيرُهُ

٣٩٥٦. رسول الله ﷺ: يا اللهُ لا إلٰهَ إلّا أنتَ وَحدَكَ لا شَريكَ لَكَ ولا إلٰهَ غَـيرُكَ، أنتَ رَبُّ الأَربابِ، ومالِكُ الرِّقابِ، وصاحِبُ العَفوِ وَالعِقابِ، أَسأَلُكَ بِالرُّبوبِيَّةِ الَّتي انـفَرَدتَ بِها أن تُعتِقَني مِنَ النّارِ بِقُدرَتِكَ.[1]

٣٩٥٧. الإمام عليّ ﷺ ـ مِن خُطبَةٍ لَهُ فِي التَّوحيدِ ـ: عَلِمَ ما خَلَقَ وخَلَقَ ما عَلِمَ لا بِالتَّفكيرِ في عِلمٍ حادِثٍ أَصابَ ما خَلَقَ، ولا شُبهَةٍ دَخَلَت عَلَيهِ فيما لَم يَخلُق، لٰكِن قَضاءٌ مُبرَمٌ وعِلمٌ مُحكَمٌ وأَمرٌ مُتقَنٌ، تَوَحَّدَ بِالرُّبوبِيَّةِ وخَصَّ نَفسَهُ بِالوَحدانِيَّةِ.[2]

٣٩٥٨. عنه ﷺ ـ مِن خُطبَتِهِ بِصِفّينَ ـ: فَإِنَّما أَنَا وأَنتُم عَبيدٌ مَملوكونَ لِرَبٍّ لا رَبَّ غَـيرُهُ، يَملِكُ مِنّا ما لا نَملِكُ مِن أَنفُسِنا.[3]

٣٩٥٩. الإمام الصادق ﷺ: اَللهُ غايَةُ مَن غَيّاهُ، وَالمُغَيّىٰ غَيرُ الغايَةِ، تَوَحَّدَ بِالرُّبوبِيَّةِ ووَصَفَ نَفسَهُ بِغَيرِ مَحدودِيَّةٍ.[4]

---

١. مهج الدعوات: ص ١٠٠، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٢١٨ ح ١٧.

٢. الكافي: ج ١ ص ١٣٦ ح ١ عن الإمام الصادق ﷺ، التوحيد: ص ٤٣ ح ٣ عن الحصين بن عبدالرحمٰن عن أبيه عن الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه عنه ﷺ وفيه «ولا بعلم حادث» بدل «في عـلم حـادث»، الغـارات: ج ١ ص ١٧٥ عن إبراهيم بن إسماعيل اليشكري نحوه، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٧٠ ح ١٥.

٣. الكافي: ج ٨ ص ٣٥٦ ح ٥٥٠ عن جابر عن الإمام الباقر ﷺ، نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦، بـحار الأنـوار: ج ٤١ ص ١٥٤ ح ٤٦.

٤. التوحيد: ص ٥٨ ح ١٦، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٦٠ ح ٥.

٣٩٦٠ . الإمام الهادي عليه السلام ـ فِي الدُّعاءِ ـ : يا مَن تَفَرَّدَ بِالرُّبوبِيَّةِ وتَوَحَّدَ بِالوَحدانِيَّةِ ، يا مَن أَضاءَ بِاسمِهِ النَّهارُ وأَشرَقَت بِهِ الأَنوارُ.[1]

٣ / ٢ ـ ٢
ما يَدُلُّ عَلىٰ وَحدَةِ الرُّبوبِيَّةِ

٣٩٦١ . الإمام عليّ عليه السلام : اللهُ أَكبَرُ الحَليمُ العَليمُ الَّذي لَهُ في كُلِّ صِنفٍ مِن غَرائِبِ فِطرَتِهِ وعَجائِبِ صَنعَتِهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ توجِبُ لَهُ الرُّبوبِيَّةَ ، وعَلىٰ كُلِّ نَوعٍ مِن غَوامِضِ تَقديرِهِ وحُسنِ تَدبيرِهِ دَليلٌ واضِحٌ وشاهِدُ عَدلٍ يَقضِيانِ لَهُ بِالوَحدانِيَّةِ.[2]

٣٩٦٢ . عنه عليه السلام ـ مِن كَلامِهِ فِي التَّوحيدِ ـ : بِصُنعِ اللهِ يُستَدَلُّ عَلَيهِ ، وبِالعُقولِ تُعتَقَدُ مَعرِفَتُهُ ، وبِالنَّظَرِ تَثبُتُ حُجَّتُهُ ، جَعَلَ الخَلقَ دَليلاً عَلَيهِ فَكَشَفَ بِهِ عَن رُبوبِيَّتِهِ ، هُوَ الواحِدُ الفَردُ في أَزَلِيَّتِهِ ، لا شَريكَ لَهُ في إلٰهِيَّتِهِ ، ولا نِدَّ لَهُ في رُبوبِيَّتِهِ.[3]

٣٩٦٣ . الإمام الكاظم عليه السلام ـ لِهِشامِ بنِ الحَكَمِ ـ : إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ بَشَّرَ أَهلَ العَقلِ وَالفَهمِ في كِتابِهِ ، فَقالَ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4] . يا هِشامُ ، إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ أَكمَلَ لِلنّاسِ الحُجَجَ بِالعُقولِ ، ونَصَرَ النَّبِيّينَ بِالبَيانِ ودَلَّهُم عَلىٰ رُبوبِيَّتِهِ بِالأَدِلَّةِ ، فَقالَ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ إِنَّ فِى خَلْقِ

---

١ . مهج الدعوات: ص ٨٢ ، بحار الأنوار: ج ٨٥ ص ٢٢٧ ح ١.

٢ . البلد الأمين: ص ١١٢ ، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ١٧١ ح ١٩.

٣ . الإرشاد: ج ١ ص ٢٢٣ عن صالح بن كيسان ، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٥ ح ١١٤ ، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٥٣ ح ٦.

٤ . الزمر: ١٧ و ١٨.

ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].[2]

راجع: ج ٤ ص ٢١٧ (الفصل السادس والعشرون: الربّ).

٣ / ٣
التّوحيد في التّدبير

٣ / ٣ ـ ١
لا يُدَبِّرُ الأَمرَ إلَّا اللهُ

الكتاب

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.[3]

الحديث

٣٩٦٠. رسول الله ﷺ: يا مَن لا يُدَبِّرُ الأَمرَ إلّا هُوَ.[4]

---

١. البقرة: ١٦٣ و ١٦٤.

٢. الكافي: ج ١ ص ١٣ ح ١٢ عن هشام بن الحكم، تحف العقول: ص ٣٨٣ نحوه، بحار الأنوار: ج ١ ص ١٣٢ ح ٣٠.

٣. يونس: ٣١.

٤. البلد الأمين: ص ٤١٠، المصباح للكفعمي: ص ٣٤٧.

٣/٣ـ٢
ما يَدُلُّ عَلىٰ وَحدَةِ التَّدبيرِ

الكتاب

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.[١]

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.[٢]

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً ۝ سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.[٣]

الحديث

٣٩٦٥. تفسير القمّي: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ قالَ: لَو كانَتِ الأَصنامُ آلِهَةً كَما يَزعُمونَ لَصَعِدوا إلَى العَرشِ.[٤]

٣٩٦٦. تفسير القمّي: رَدَّ اللهُ عَلَى الثَّنَوِيَّةِ الَّذينَ قالوا بِإِلٰهَينِ، فَقالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ قالَ: لَو كانَ إلٰهَينِ كَما زَعَمتُم لَكانا يَختَلِفانِ، فَيَخلُقُ هٰذا ولا يَخلُقُ هٰذا، ويُريدُ هٰذا ولا يُريدُ هٰذا، ويَطلُبُ كُلُّ واحِدٍ مِنهُمَا الغَلَبَةَ، وإذا أرادَ أحَدُهُما خَلقَ إنسانٍ أرادَ

---

١. الأنبياء: ٢٢.

٢. المؤمنون: ٩١.

٣. الإسراء: ٤٢ و٤٣.

٤. تفسير القمّي: ج ٢ ص ٢٠، بحار الأنوار: ج ٩ ص ٢٢٢ ح ١٠٨.

الآخَرُ خَلقَ بَهيمَةٍ، فَيَكونُ إنساناً وبَهيمَةً في حالَةٍ واحِدَةٍ، وهٰذا غَيرُ مَوجودٍ، فَلَمّا بَطَلَ هٰذا ثَبَتَ التَّدبيرُ وَالصُّنعُ لِواحِدٍ، ودَلَّ أَيضاً التَّدبيرُ وثَباتُهُ وقِوامُ بَعضِهِ بِبَعضٍ عَلىٰ أنَّ الصّانِعَ واحِدٌ، وذٰلكَ قَولُهُ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ إلىٰ قَولِهِ: ﴿لَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، ثُمَّ قالَ آنِفاً: ﴿سُبْحَـٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.[1]

٣٩٦٧ . الإمام عليّ عليه السلام ـ في خُطبَةٍ لَهُ ـ: لَو ضَرَبتَ في مَذاهِبِ فِكرِكَ لِتَبلُغَ غاياتِهِ، ما دَلَّتكَ الدَّلالَةُ إلّا عَلىٰ أنَّ فاطِرَ النَّملَةِ هُوَ فاطِرُ النَّخلَةِ (النَّحلَةِ)، لِدَقيقِ تَفصيلِ كُلِّ شَيءٍ، وغامِضِ اختِلافِ كُلِّ حَيٍّ، ومَا الجَليلُ وَاللَّطيفُ، وَالثَّقيلُ وَالخَفيفُ، وَالقَوِيُّ وَالضَّعيفُ في خَلقِهِ إلّا سَواءٌ.[2]

٣٩٦٨ . عنه عليه السلام: لَمّا لَم يَكُن إلىٰ إثباتِ صانِعِ العالَمِ طَريقٌ إلّا بِالعَقلِ؛ لِأَنَّهُ لا يُحَسُّ فَيُدرِكَهُ العِيانُ أو شَيءٌ مِنَ الحَواسِّ، فَلَو كانَ غَيرَ واحِدٍ، بَلِ اثنَينِ أو أكثَرَ لَأَوجَبَ العَقلُ عِدَّةَ صُنّاعٍ كَما أَوجَبَ إثباتَ الصّانِعِ الواحِدِ، ولَو كانَ صانِعُ العالَمِ اثنَينِ لَم يَجرِ تَدبيرُهُما عَلىٰ نِظامٍ، ولَم يَنسَق أَحوالُهُما عَلىٰ إحكامٍ ولا تَمامٍ؛ لِأَنَّهُ مَعقولٌ مِنَ الاِثنَينِ الاِختِلافُ في دَواعيهِما وأَفعالِهِما.

ولا يَجوزُ أَن يُقالَ: إنَّهُما مُتَّفِقانِ ولا يَختَلِفانِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَن جازَ عَلَيهِ الاِتِّفاقُ جازَ عَلَيهِ الاِختِلافُ، أَلا تَرىٰ أَنَّ المُتَّفِقَينِ لا يَخلو أن يَقدِرَ كُلٌّ مِنهُما عَلىٰ ذٰلِكَ أو لا يَقدِرُ كُلٌّ مِنهُما عَلىٰ ذٰلِكَ، فَإِن قَدَرا كانا جَميعاً عاجِزَينِ، وإن لَم يَقدِرا كانا جاهِلَينِ، وَالعاجِزُ وَالجاهِلُ لا يَكونُ إلٰهاً ولا قَديماً.[3]

---

١ . تفسير القمّي: ج ٢ ص ٩٣، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢١٩ ح ٦.

٢ . نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٨٢ ح ١١٧، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٦ ح ١.

٣ . بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٩١ نقلاً عن رسالة النعماني.

٣٩٦٩ . الإمام الصادق عليه السلام ـ لِلمُفَضَّلِ بنِ عُمَرَ ـ : يا مُفَضَّلُ ، أَوَّلُ العِبَرِ وَالأَدِلَّةِ عَلَى الباري جَلَّ قُدسُهُ تَهيِئَةُ هٰذَا العالَمِ وتَأليفُ أَجزائِهِ ونَظمُها عَلىٰ ما هِيَ عَلَيهِ ؛ فَإِنَّكَ إذا تَأَمَّلتَ العالَمَ بِفِكرِكَ ومَيَّزتَهُ بِعَقلِكَ وَجَدتَهُ كَالبَيتِ المَبنِيِّ المُعَدِّ فيهِ جَميعُ ما يَحتاجُ إِلَيهِ عِبادُهُ ، فَالسَّماءُ مَرفوعَةٌ كَالسَّقفِ ، وَالأَرضُ مَمدودَةٌ كَالبِساطِ ، وَالنُّجومُ مَنضودَةٌ كَالمَصابيحِ ، وَالجَواهِرُ مَخزونَةٌ كَالذَّخائِرِ ، وكُلُّ شَيءٍ فيها لِشَأنِهِ مُعَدٌّ ، وَالإِنسانُ كَالمُمَلَّكِ ذٰلِكَ البَيتِ ، وَالمُخَوَّلِ جَميعَ ما فيهِ ، وضُروبُ النَّباتِ مُهَيَّأَةٌ لِمَآرِبِهِ ، وصُنوفُ الحَيَوانِ مَصروفَةٌ في مَصالِحِهِ ومَنافِعِهِ ، فَفي هٰذا دَلالَةٌ واضِحَةٌ عَلىٰ أَنَّ العالَمَ مَخلوقٌ بِتَقديرٍ وحِكمَةٍ ، ونِظامٍ ومُلائَمَةٍ ، وأَنَّ الخالِقَ لَهُ واحِدٌ وهُوَ الَّذي أَلَّفَهُ ونَظَمَه بَعضاً إِلىٰ بَعضٍ.[1]

٣٩٧٠ . عنه عليه السلام ـ مِن كَلامِهِ فِي التَّوحيدِ بَعدَ أَن ذَكَرَ بَعضَ آياتِ اللهِ سُبحانَهُ ـ : فَكُلُّ هٰذا مِمّا يَستَدِلُّ بِهِ القَلبُ عَلَى الرَّبِّ سُبحانَهُ وتَعالىٰ ، فَعَرَفَ القَلبُ بِعَقلِهِ أَنَّ مَن دَبَّرَ هٰذِهِ الأَشياءَ هُوَ الواحِدُ العَزيزُ الحَكيمُ الَّذي لَم يَزَل ولا يَزالُ ، وأَنَّهُ لَو كانَ فِي السَّماواتِ وَالأَرَضينَ آلِهَةٌ مَعَهُ سُبحانَهُ لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِما خَلَقَ ، ولَعَلا بَعضُهُم عَلىٰ بَعضٍ ، ولَفَسَدَ كُلٌّ واحِدٍ مِنهُم عَلىٰ صاحِبِهِ.

وكَذٰلِكَ سَمِعَتِ الأُذُنُ ما أَنزَلَ المُدَبِّرُ مِنَ الكُتُبِ تَصديقاً لِما أَدرَكَتهُ القُلوبُ بِعُقولِها ، وتَوفيقِ اللهِ إِيّاها ، وما قالَهُ مَن عَرَفَهُ كُنهَ مَعرِفَتِهِ بِلا وَلَدٍ ولا صاحِبَةٍ ولا شَريكٍ ، فَأَدَّتِ الأُذُنُ ما سَمِعَت مِنَ اللِّسانِ بِمَقالَةِ الأَنبِياءِ إِلَى القَلبِ.[2]

---

١ . بحار الأنوار : ج ٣ ص ٦١ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٢ . بحار الأنوار : ج ٣ ص ١٦٥ عن المفضّل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضّل.

٣٩٧١. عنه ﷺ ـ في مُناظَرَتِهِ لِلزِّنديقِ ـ: لا يَخلو قَولُكَ: إنَّهُما اثنانِ، مِن أن يَكونا قَديمَينِ قَوِيَّينِ، أو يَكونا ضَعيفَينِ، أو يَكونَ أحَدُهُما قَوِيّاً وَالآخَرُ ضَعيفاً؛ فَإِن كانا قَوِيَّينِ فَلِمَ لا يَدفَعُ كُلُّ واحِدٍ مِنهُما صاحِبَهُ ويَتَفَرَّدُ بِالتَّدبيرِ؟ وإن زَعَمتَ أنَّ أحَدَهُما قَوِيٌّ وَالآخَرَ ضَعيفٌ، ثَبَتَ أنَّهُ واحِدٌ كَما نَقولُ، لِلعَجزِ الظّاهِرِ فِي الثّاني فَإِن قُلتَ: إنَّهُما اثنانِ؛ لَم يَخلُ مِن أن يَكونا مُتَّفِقَينِ مِن كُلِّ جِهَةٍ أو مُفتَرِقَينِ مِن كُلِّ جِهَةٍ؛ فَلَمّا رَأَينا الخَلقَ مُنتَظِماً وَالفَلَكَ جارِياً وَالتَّدبيرَ واحِداً وَاللَّيلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ دَلَّ صِحَّةُ الأَمرِ وَالتَّدبيرِ وَائتِلافُ الأَمرِ عَلىٰ أنَّ المُدَبِّرَ واحِدٌ.

ثُمَّ يَلزَمُكَ إنِ ادَّعَيتَ اثنَينِ فُرجَةٌ ما بَينَهُما حَتّىٰ يَكونَا اثنَينِ، فَصارَتِ الفُرجَةُ ثالِثاً بَينَهُما قَديماً مَعَهُما، فَيَلزَمُكَ ثَلاثَةٌ، فَإِنِ ادَّعَيتَ ثَلاثَةً لَزِمَكَ ما قُلتَ فِي الاِثنَينِ حَتّىٰ تَكونَ بَينَهُم فُرجَةٌ فَيَكونوا خَمسَةً، ثُمَّ يَتَناهىٰ فِي العَدَدِ إلىٰ ما لا نِهايَةَ لَهُ فِي الكَثرَةِ.[1]

٣٩٧٢. عنه ﷺ ـ لَمّا سُئِلَ: مَا الدَّليلُ عَلىٰ أنَّ اللهَ واحِدٌ؟

قالَ ـ: اِتِّصالُ التَّدبيرِ، وتَمامُ الصُّنعِ، كَما قالَ ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.[2]

٣٩٧٣. عنه ﷺ ـ بَعدَ الإِشارَةِ إلىٰ آياتِ اللهِ سُبحانَهُ فِي السَّماءِ وَالأَرضِ ـ: فَعَرَفَ القَلبُ بِالأَعلامِ المُنيرَةِ الواضِحَةِ أنَّ مُدَبِّرَ الأُمورِ واحِدٌ، وأنَّهُ لَو كانَ اثنَينِ أو ثَلاثَةً لَكانَ

---

١. الكافي: ج ١ ص ٨٠ ح ٥، التوحيد: ص ٢٤٣ ح ١ نحوه، الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٠٠ ح ٢١٣ وليس فيه ذيله من «ثمّ يلزمك ...» وكلّها عن هشام بن الحكم، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٣٠ ح ٢٢.

٢. التوحيد: ص ٢٥٠ ح ٢ عن هشام بن الحكم، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٢٩ ح ١٩.

في طولِ هٰذِهِ الأَزمِنَةِ وَالأَبَدِ وَالدَّهرِ اختِلافٌ فِي التَّدبيرِ، وتَناقُضٌ فِي الأُمورِ، ولَتَأَخَّرَ بَعضٌ وتَقَدَّمَ بَعضٌ، ولَكانَ تَسَفَّلَ بَعضُ ما قَد عَلا ولَعَلا بَعضُ ما قَد سَفَلَ، ولَطَلَعَ شَيءٌ وغابَ؛ فَتَأَخَّرَ عَن وَقتِهِ أو تَقَدَّمَ ما قَبلَهُ. فَعَرَفَ القَلبُ بِذٰلِكَ أنَّ مُدَبِّرَ الأَشياءِ ما غابَ مِنها وما ظَهَرَ هُوَ اللهُ الأَوَّلُ، خالِقُ السَّماءِ ومُمسِكُها، وفارِشُ الأَرضِ وداحيها[1]، وصانِعُ ما بَينَ ذٰلِكَ مِمّا عَدَّدنا وغَيرِ ذلك مِمّا لَم يُحصَ.[2]

٣٩٧٤. الإمام الكاظم عليه السلام ـ فِي الدُّعاءِ ـ: لَيسَ لَكَ فِي الخَلقِ شَريكٌ، ولَو كانَ لَكَ شَريكٌ لَتَشابَهَ عَلَينا ولَذَهَبَ كُلُّ إلٰهٍ بِما خَلَقَ، ولَعَلا عُلُوّاً كَبيراً، جَلَّ قَدرُكَ عَن مُجاوَرَةِ الشُّرَكاءِ.[3]

٣ / ٣ ـ ٣
ما يُنافِي التَّوحيدَ فِي التَّدبيرِ

الكتاب

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ﴾.[4]

الحديث

٣٩٧٥. الإمام الباقر عليه السلام ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم...﴾ ـ: مِن ذٰلِكَ قَولُ الرَّجُلِ: لا، وحَياتِكَ.[5]

٣٩٧٦. تفسير العياشي عن مالك بن عطيّة عن الإمام الصادق عليه السلام ـ أيضاً ـ: هُوَ الرَّجُلُ يَقولُ:

---

١. الدَّحْوُ: البسط (النهاية: ج ٢ ص ١٠٦).

٢. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٦٥ عن المفضل بن عمر في الخبر المشتهر بتوحيد المفضل.

٣. بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٤٤٦ ح ١ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي.

٤. يوسف: ١٠٦.

٥. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ١٩٩ ح ٩٠ عن زرارة، بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٩٨ ح ٢١.

لَولا فُلانٌ لَهَلَكتُ، ولَولا فُلانٌ لَأَصَبتُ كَذا وكَذا، ولَولا فُلانٌ لَضاعَ عِيالي، أَلا تَرىٰ أَنَّهُ قَد جَعَلَ للهِ شَريكاً في مُلكِهِ يَرزُقُهُ ويَدفَعُ عَنهُ؟!

قالَ قُلتُ: فَيَقولُ: لَولا أَنَّ اللهَ مَنَّ عَلَيَّ بِفُلانٍ لَهَلَكتُ؟

قالَ: نَعَم، لا بَأسَ بِهٰذا.[1]

راجع: ج ٥ ص ١٨٥ (الفصل الثاني والسبعون: المدبّر).

---

١. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٢٠٠ ح ٩٦، عدّة الداعي: ص ٨٩ وزاد في آخره «ونحوه»، بحار الأنوار: ج ٥ ص ١٤٨ ح ١٢.

المرتبة الرابعة: التّوحيد في الحكم

التَّوحيد في الحكم عبارة عن توحيده تعالىٰ في تشريع الأَحكام وتقنينها. ويرىٰ القرآن الكريم أَنّ لله سبحانه وحده حقّ التشريع ووضع القوانين والأَمر بتطبيقها، ويَعدُّ اتّباع كلّ قانون لحياة الانسان الفرديّة والاجتماعيّة ما عدا قانون الله شركاً.

إنّ الدليل علىٰ أَنّ تشريع القوانين و تنفيذها لله وحده، هو أَنّ مَن يعرف الإنسان وحاجاته، ويعلم مبادئ تكامله أَكثر من غيره، ومن كان متحرّراً من الهوىٰ والخوف في تنفيذ القانون، هو أَفضل المشرّعين، وما من أَحد يتّصف بهذه الخصائص بشكل كامل إلّا الله سبحانه، ولمّا كان تعالىٰ خالقاً للإنسان، عارفاً بقابليّاته وحاجاته، العالم المطلق الذي يخبُر مبادئ تكامله، والغنيّ المطلق، فلا مانع يحول دون حكمه أَو حكومته.

علىٰ هذا الأَساس يصف القرآن الكريم اللهَ سبحانه بأَنّه «خير الحاكمين» و «أَحكم الحاكمين» و «خير الفاصلين». وأَنّ التشريع له وحدَه «إن الحكم إلّا لله»، وأَنّ الحكومة حقّ لخلفائه في الأَرض. قال جلّ شأنه:

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾[1].

---

١. ص: ٢٦.

الكتاب

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾.[١]

﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾.[٢]

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾.[٣]

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ﴾.[٤]

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[٥]

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.[٦]

﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾.[٧]

الحديث

٣٩٧٧ . رسول الله ﷺ : لا تُسَمّوا أَولادَكُمُ الحَكَمَ ولا أَبَا الحَكَمِ ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ.[٨]

٣٩٧٨ . الإمام زين العابدين عليه السلام : اللّهُمَّ لا أَشكو إِلىٰ أَحَدٍ سِواكَ ، ولا أَستَعينُ بِحاكِمٍ غَيرِكَ ، حاشاكَ.[٩]

راجع : ج ٤ ص ١٢٥ (الفصل الخامس عشر: الحاكم).

---

١ . الأعراف: ٨٧، يونس: ١٠٩، يوسف: ٨٠.

٢ . هود: ٤٥ و راجع: التين: ٨.

٣ . الكهف: ٢٦.

٤ . الأنعام: ٥٧ و راجع: يوسف: ٦٧.

٥ . يوسف: ٤٠.

٦ . الشورى: ١٠.

٧ . الأنعام: ٦٢ وراجع: القصص: ٧٠ و ٨٨ و غافر: ١٢.

٨ . علل الشرائع: ص ٥٨٣ ح ٢٣ عن الإمام عليّ عليه السلام ، بحار الأنوار: ج ٧٦ ص ٣٥٧ ح ٢٥.

٩ . الصحيفة السجّاديّة: ص ٦٢ الدعاء ١٤.

المرتبة الخامسة: التّوحيد في الطّاعة

إنّ معنى التَّوحيد في الطَّاعة هو أنّه ليس لأحد أن يُطاع إلّا الله والذين اختارهم لأُمور عباده، فاتّباع غير أَمر الله إذا كان خلاف أَمره شركٌ، وإن كان الآمر هوى النفس الذي يعبّر القرآن عنه بالإله في قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَىٰهُ﴾[1].

والتَّوحيد في الطَّاعة شرط للتَّوحيد في التشريع والتقنين، ذلك إذا كان التشريع لله وحده فإنّ إطاعة غيره إذا كان أَمره مخالفاً لأَمر الله تعني اتّخاذ شريك لله في التشريع.

وفي ضوء ذلك، فاجتناب طاعة الأَهواء غير المشروعة والجبابرة الذين يعبّر عنهم القرآن الكريم بالطواغيت، بل اجتناب اتّباع كل شيء وكلّ شخص يدعو الإنسان إلىٰ القيام بعمل يخالف أَمر الله سبحانه ضروريّ للحصول علىٰ هذه المرتبة من التَّوحيد، و بجملة واحدة: إنّ الإثم ومعصية الله في الحقيقة والواقع شرك في الطَّاعة.

---

١. الجاثية: ٢٣.

بناءً على هذا فالموحّد الذي ليس بمشرك مطلقاً هو الذي يجتنب الإثم و معصية الله مطلقاً ، لذا قال الإمام الصادقعليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ :

«شِركُ طاعَةٍ ولَيسَ شِركَ عِبادَةٍ».[1]

والتَّوحيد في الطاعة كالتقوىٰ له ثلاث مراحل هي:

الأُولىٰ: أَداء الواجبات وترك المحرّمات الإلهيّة.

الثانية: عمل المستحبّات وترك المكروهات.

الثالثة: اجتناب كلّ ما ليس له صبغة إلهيّة سواءٌ كان حراماً أَم مكروهاً أَم مباحاً. ففي وصيّة رسول اللهصلى الله عليه وآله لأَبي ذرّ ـ رضوان الله عليه ـ حين قال له:

«يا أباذَرٍّ، لِيَكُن لَكَ في كُلِّ شَيءٍ نِيَّةٌ صالِحَةٌ حَتَّى فِي النَّومِ وَالأَكلِ».[2]

إشارة إلىٰ هذه المرحلة من التَّوحيد التي تعدّ من أَعلىٰ مراحل التَّوحيد في الطَّاعة قال الله عزّ وجلّ:

﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[3]

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.[4]

﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.[5]

---

١. راجع: ص ٤١٤ ح ٣٩٨٠.

٢. مكارم الأخلاق: ج ٢ ص ٣٧٠ ح ٢٦٦١.

٣. التغابن: ١٦.

٤. النساء: ٨٠.

٥. النساء: ٥٩.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.[١]

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.[٢]

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾.[٣]

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.[٤]

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[٥]

الحديث

٣٩٧٩ . تفسير العيّاشي عن أبي الصباح الكناني عن الإمام الباقر ﷺ : إيّاكُم وَالوَلائِجَ[٦]، فَإِنَّ كُلَّ وَليجَةٍ دونَنا فَهِيَ طاغوتٌ ـ أو قالَ: نِدٌّ ـ.[٧]

٣٩٨٠ . الإمام الصادق ﷺ ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ ـ: شِركُ طاعَةٍ ولَيسَ شِركَ عِبادَةٍ.[٨]

٣٩٨١ . عنه ﷺ ـ أيضاً ـ: يُطيعُ الشَّيطانَ مِن حَيثُ لا يَعلَمُ فَيُشرِكُ.[٩]

---

١ . يوسف: ١٠٦.

٢ . النحل: ٣٦.

٣ . الزمر: ١٧.

٤ . التوبة: ٣١.

٥ . النساء: ٦٥.

٦ . الوَليجَةُ: كلّ ما يتّخذه الإنسانُ معتمداً عليه وليس من أهله؛ من قولهم: فلانٌ وَليجةٌ في القوم؛ إذا لحق بهم وليس منهم (المفردات: ص ٨٨٣ «ولج»).

٧ . تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٨٣ ح ٣٣، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٢٤٦ ح ٦.

٨ . الكافي: ج ٢ ص ٣٩٧ ح ٤ عن ضريس، حقائق التأويل: ص ٣٧٥، تفسير القمّي: ج ١ ص ٣٥٨ عن الفضيل عن الإمام الباقر ﷺ، بحار الأنوار: ج ٩ ص ٢١٤ ح ٩٣.

٩ . الكافي: ج ٢ ص ٣٩٧ ح ٣ عن أبي بصير وإسحاق بن عمّار.

٣٩٨٢ . الكافي عن عبد الله الكاهلي عن الإمام الصادق عليه السلام : لَو أَنَّ قَوماً عَبَدُوا اللهَ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَقامُوا الصَّلاةَ ، وآتَوُا الزَّكاةَ ، وحَجُّوا البَيتَ ، وصاموا شَهرَ رَمَضانَ ؛ ثُمَّ قالوا لِشَيءٍ صَنَعَهُ اللهُ أَو صَنَعَهُ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : أَلا صَنَعَ خِلافَ الَّذي صَنَعَ؟ أَو وَجَدوا ذٰلِكَ في قُلوبِهِم ، لَكانوا بِذٰلِكَ مُشرِكينَ . ثُمَ تَلا هٰذِهِ الآيَةَ : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ . ثُمَّ قالَ أَبو عَبدِاللهِ عليه السلام : عَلَيكُم بِالتَّسليمِ .[1]

٣٩٨٣ . الإمام الصادق عليه السلام : إنَّ بَني أُمَيَّةَ أَطلَقوا لِلنّاسِ تَعليمَ الإيمانِ ولَم يُطلِقوا تَعليمَ الشِّركِ ، لِكَي إذا حَمَلوهُم عَلَيهِ لَم يَعرِفوهُ .[2]

٣٩٨٤ . عنه عليه السلام ـ وقَد سَأَلَهُ أَبو بَصيرٍ عَن قَولِهِ تَعالىٰ : ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ـ : أَمَا وَاللهِ ما دَعَوهُم إلىٰ عِبادَةِ أَنفُسِهِم ، ولَو دَعَوهُم إلىٰ عِبادَةِ أَنفُسِهِم لَما أَجابوهُم ، ولٰكِن أَحَلّوا لَهُم حَراماً وحَرَّموا عَلَيهِم حَلالاً فَعَبَدوهُم مِن حَيثُ لا يَشعُرونَ .[3]

٣٩٨٥ . عنه عليه السلام ـ لِأَبي بَصيرٍ في قَولِهِ تَعالىٰ : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُواْ الطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُواْ إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾[4] ـ : أَنتُم هُم ، ومَن أَطاعَ جَبّاراً فَقَد عَبَدَهُ .[5]

٣٩٨٦ . عنه عليه السلام : مَرَّ عيسَى بنُ مَريَمَ عليه السلام عَلىٰ قَريَةٍ قَد ماتَ أَهلُها ... فَقالَ : يا أَهلَ هٰذِهِ القَريَةِ ،

---

١ . الكافي : ج ١ ص ٣٩٠ ح ٢ وج ٢ ص ٣٩٨ ح ٦ ، المحاسن : ج ١ ص ٤٢٣ ح ٩٦٩ ، تفسير العيّاشي : ج ١ ص ٢٥٥ ح ١٨٤ ، مجمع البيان : ج ٣ ص ١٠٧ كلاهما نحوه وليس فيهما «صنعه الله» ، بحار الأنوار : ج ٢ ص ٢٠٥ ح ٩٠ .

٢ . الكافي : ج ٢ ص ٤١٥ ح ١ عن سفيان بن عيينة .

٣ . الكافي : ج ٢ ص ٣٩٨ ح ٧ وج ١ ص ٥٣ ح ١ ، المحاسن : ج ١ ص ٣٨٣ ح ٨٤٨ كلّها عن أبي بصير ، بحار الأنوار : ج ٢ ص ٩٨ ح ٥٠ .

٤ . الزمر : ١٧ .

٥ . مجمع البيان : ج ٨ ص ٧٧٠ عن أبي بصير ، تأويل الآيات الظاهرة : ج ٢ ص ٥١٣ ح ٥ عن أبي بصير عن الإمام الصادق عن الإمام الباقر عليهما السلام ، بحار الأنوار : ج ٢٣ ص ٣٦١ ح ٢٠ .

فَأَجابَهُ مِنهُم مُجيبٌ: لَبَّيكَ يا روحَ اللهِ وكَلِمَتَهُ.

فَقالَ: وَيحَكُم، ما كانَت أعمالُكُم؟

قالَ: عِبادَةُ الطّاغوتِ وحُبُّ الدُّنيا، مَعَ خَوفٍ قَليلٍ وأَمَلٍ بَعيدٍ وغَفلَةٍ في لَهوٍ ولَعِبٍ.

فَقالَ: كَيفَ كانَ حُبُّكُم لِلدُّنيا؟

قالَ: كَحُبِّ الصَّبِيِّ لِأُمِّهِ؛ إذا أقبَلَت عَلَينا فَرِحنا وسُرِرنا، وإذا أدبَرَت عَنّا بَكَينا وحَزِنّا.

قالَ: كَيفَ كانَت عِبادَتُكُم لِلطّاغوتِ؟

قالَ: الطّاعَةُ لِأَهلِ المَعاصي.[1]

٣٩٨٧. عنه ﷺ: مَعنىٰ صِفَةِ الإيمانِ الإِقرارُ وَالخُضوعُ للهِ بِذُلِّ الإِقرارِ وَالتَّقَرُّبُ إلَيهِ بِهِ وَالأَداءُ لَهُ بِعِلمٍ كُلَّ مَفروضٍ مِن صَغيرٍ أو كَبيرٍ مِن حَدِّ التَّوحيدِ فَما دونَهُ إلىٰ آخِرِ بابٍ مِن أبوابِ الطّاعَةِ أوَّلاً فَأَوَّلاً، مَقرونٌ ذٰلِكَ كُلُّهُ بَعضُهُ إلىٰ بَعضٍ مَوصولٌ بَعضُهُ بِبَعضٍ، فَإِذا أدَّى العَبدُ ما فَرَضَ عَلَيهِ مِمّا وَصَلَ إلَيهِ عَلىٰ صِفَةِ ما وَصَفناهُ، فَهُوَ مُؤمِنٌ مُستَحِقٌّ لِصِفَةِ الإِيمانِ....

ومَعنَى الشِّركِ: كُلُّ مَعصِيَةٍ عُصِيَ اللهُ بِها بِالتَّدَيُّنِ فَهُوَ مُشرِكٌ صَغيرَةً كانَت المَعصِيَةُ أو كَبيرَةً، فَفاعِلُها مُشرِكٌ.[2]

---

١. الكافي: ج ٢ ص ٣١٨ ح ١١، مشكاة الأنوار: ص ٤٦١ ح ١٥٣٨ كلاهما عن مهاجر الأسدي، معاني الأخبار: ص ٣٤١ ح ١، ثواب الأعمال: ص ٣٠٣ ح ١، علل الشرائع: ص ٤٦٦ ح ٢١ والثلاثة الأخيرة عن سهل الحلواني نحوه، بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ١٠ ح ٣.

٢. تحف العقول: ص ٣٢٩، بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٢٧٨ ح ٣١.

المرتبة السادسة: التّوحيد في العبادة

العبادة في اللغة هي: اللين والذلّ[1]، وعبادة الله: التذلّل والخضوع أَمامه، ويُستعمَل التَّوحيد في العبادة قرآنيّاً وروائيّاً بمعنيين هما:

١. إطاعة الله وحده وترك عبادة غيره، كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾.[2]

وقوله سبحانه:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾.[3]

وهذا المعنىٰ للتَّوحيد في العبادة هو نفس التَّوحيد في الطَّاعة الذي تقدّم توضيحه من قبل.

٢. خلوص النيّة في عبادة الله وحدَه.

إنّ التَّوحيد في الطّاعة وإن كان يلازم التَّوحيد في العبادة أيضاً ـ لأَنّ طاعة

---

١. قال ابن فارس: العين والباء والدال أصلان صحيحان كأنّهما متضادّان و[الأوّل] من ذينك الأصلين يدلّ علىٰ لين وذلّ، والآخر علىٰ شدّة وغلظ. (معجم مقاييس اللغة: ج ٤ ص ٢٠٥).

٢. النحل: ٣٦.

٣. الزمر: ١٧.

الأَوامر الإلهيّة بنحو مطلق يستلزم إِخلاص النيّة ـ ولكن ارتأينا لتوحيد العبادة عنواناً مستقلاً، للتنبّه على أَنّ الرياء في الطّاعة والعبادة شرك.

أَعلى مراتب التّوحيد

إنّ أَعلىٰ مراتب الإخلاص أَو التّوحيد في العبادة، هي أَنّ الإنسان في عبادته وطاعته لله تعالىٰ لا يطلب أَجراً، بل إِنّ عشق الله سبحانه وحبّه يدفعانه إِلىٰ طاعته، كما قال الإمام الصادقعليه السلام:

«إِنَّ النّاسَ يَعبُدونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلىٰ ثَلاثَةِ أوجُهٍ، فَطَبَقَةٌ يَعبُدونَهُ رَغبَةً في ثَوابِهِ فَتِلكَ عِبادَةُ الحُرَصاءِ، وهُوَ الطَّمَعُ، وآخَرونَ يَعبُدونَهُ فَرَقاً مِنَ النّارِ فَتِلكَ عِبادَةُ العَبيدِ، وهِيَ الرَّهبَةُ، ولٰكِنّي أعبُدُهُ حُبّاً لَهُ عَزَّ وَجَلَّ فَتِلكَ عِبادَةُ الكِرامِ، وهُوَ الأَمنُ».[1]

قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.[2]

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.[3]

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.[4]

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ

---

١. راجع: المحبة في الكتاب والسنّة: «القسم الثاني / الفصل الأوّل / عبادة المحبّين».

٢. الأنبياء: ٢٥.

٣. الفاتحة: ٥.

٤. الزمر: ٣.

وَلَانُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَايَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.[١]

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَاتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَلَاتَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَايَنفَعُكَ وَلَايَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.[٢]

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.[٣]

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَايُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.[٤]

راجع: البقرة: ٨٣، يوسف: ٤٠.

الحديث

٣٩٨٨. المعجم الكبير عن شدّاد بن أوس: قالَ النَّبيُّ ﷺ: إذا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ بِبَقيعٍ[٥] واحِدٍ يَنفُذُهُمُ البَصَرُ ويُسمِعُهُمُ الدّاعي، قالَ: أنَا خَيرُ شَريكٍ، كُلُّ عَمَلٍ كانَ عُمِلَ لي في دارِ الدُّنيا كانَ لي فيهِ شَريكٌ فَأَنا أَدَعُهُ اليَومَ، ولا أَقبَلُ اليَوم إلّا

---

١. آل عمران: ٦٤.

٢. يونس: ١٠٤ـ١٠٦.

٣. الأنعام: ١٦٢ و ١٦٣.

٤. الكهف: ١١٠.

٥. البَقيع: المكان المتّسع (المصباح المنير: ص ٥٧).

خالِصاً. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1] ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحًا وَلَايُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.[2]

٣٩٨٩. رسول الله ﷺ: لم آتِكُم إلّا بِخَيرٍ؛ آتَيتُكم أن تَعبُدُوا اللهَ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ... وأن تَدَعُوا اللّاتَ وَالعُزّىٰ.[3]

٣٩٩٠. الإمام الصادق ﷺ ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحًا وَلَايُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ـ: الرَّجُلُ يَعمَلُ شَيئاً مِنَ الثَّوابِ لا يَطلُبُ بِهِ وَجهَ اللهِ إنَّما يَطلُبُ تَزكِيَةَ النّاسِ، يَشتَهي أن يُسمِعَ بِهِ النّاسَ، فَهٰذَا الَّذي أشرَكَ بِعِبادَةِ رَبِّهِ.[4]

٣٩٩١. عنه ﷺ ـ في قَولِهِ تَعالىٰ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[5] ـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: إخلاصُ العِبادَةِ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أفضَلُ ما طَلَبَ بِهِ العِبادُ حَوائِجَهُم.[6]

٣٩٩٢. عنه ﷺ ـ في قَولِ اللهِ ﷻ: ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ ـ: خالِصاً مُخلِصاً، لَيسَ فيهِ شَيءٌ مِن عِبادَةِ الأَوثانِ.[7]

٣٩٩٣. الإمام الرضا ﷺ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ رَغبَةٌ وتَقَرُّبٌ إلَى اللهِ تَعالىٰ ذِكرُهُ، وإخلاصٌ لَهُ بِالعَمَلِ دونَ غَيرِهِ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ استِزادَةٌ مِن تَوفيقِهِ وعِبادَتِهِ وَاستِدامَةٌ لِما

---

١. الصافّات: ٤٠.

٢. المعجم الكبير: ج ٧ ص ٢٩١ ح ٧١٦٧.

٣. مسند ابن حنبل: ج ٩ ص ٤٨ ح ٢٣١٨٨، كنزالعمّال: ج ١ ص ٣١ ح ٣٥.

٤. الكافي: ج ٢ ص ٢٩٣ ح ٤، منية المريد: ص ٣١٨، تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٣٥٢ ح ٩٣ كلّها عن جرّاح المدائني، بحارالأنوار: ج ٧٢ ص ٢٨١ ح ٤.

٥. الفاتحة: ٥.

٦. تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٢٢ ح ١٧ عن محمّد بن مسلم، بحار الأنوار: ج ٨٥ ص ٢١ ح ١٠.

٧. الكافي: ج ٢ ص ١٥ ح ١، المحاسن: ج ١ ص ٣٩١ ح ٨٧٣ نحوه وكلاهما عن عبدالله بن مسكان، تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٤٣ ح ١٣٣ عن أبي بصير نحوه، بحارالأنوار: ج ٨٤ ص ٧٠ ح ٢٧.

أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِ ونَصَرَهُ.[١]

٣٩٩٤. الإمام العسكريّ عليه السلام ـ في تَفسيرِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ـ: قالَ اللهُ عزّ وجلّ: قولوا يا أَيُّهَا الخَلقُ المُنعَمُ عَلَيهِم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أَيُّهَا المُنعِمُ عَلَينا، نُطيعُكَ مُخلِصينَ مَعَ التَّذَلُّلِ وَالخُشوعِ بِلا رِياءٍ ولا سُمعَةٍ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: مِنكَ نَسأَلُ المَعونَةَ عَلىٰ طاعَتِكَ لِنُؤَدِّيَها كَما أَمَرتَ، ونَتَّقِيَ مِن دُنيانا عَمّا عَنهُ نَهَيتَ، ونَعتَصِمَ مِنَ الشَّيطانِ ومِن سائِرِ مَرَدَةِ الإِنسِ مِنَ المُضِلّينَ، ومِنَ المُؤذينَ الظّالِمينَ بِعِصمَتِكَ.[٢]

٣٩٩٥. الإمام عليّ عليه السلام: العِبادَةُ الخالِصَةُ أَلّا يَرجُوَ الرَّجُلُ إِلّا رَبَّهُ، ولا يَخافَ إِلّا ذَنبَهُ.[٣]

٣٩٩٦. عنه عليه السلام: طوبىٰ[٤] لِمَن أَخلَصَ للهِ العِبادَةَ وَالدُّعاءَ، ولَم يَشغَل قَلبَهُ بِما تَرىٰ عَيناهُ، ولَم يَنسَ ذِكرَ اللهِ بِما تَسمَعُ أُذُناهُ.[٥]

٣٩٩٧. عنه عليه السلام: مِن أَحَبِّ الكَلامِ إِلَى اللهِ هٰؤُلاءِ الكَلِماتُ: اللّهُمَّ لا إِلٰهَ إِلّا أَنتَ، اللّهُمَّ لا نَعبُدُ إِلّا إِيّاكَ، اللّهُمَّ لا نُشرِكُ بِكَ شَيئاً، اللّهُمَّ إِنّي ظَلَمتُ نَفسي فَاغفِر لي؛ فَإِنَّهُ لا يَغفِرُ الذُّنوبَ إِلّا أَنتَ.[٦]

٣٩٩٨. الإمام الصادق عليه السلام: اللّهُمَّ إِنّي أُشهِدُكَ وكَفىٰ بِكَ شَهيداً، وأُشهِدُ مَلائِكَتَكَ وحَمَلَةَ

---

١. كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣١٠ ح ٩٢٦، علل الشرائع: ص ٢٦٠ ح ٩، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٠٧ ح ١ وفيه «وبصّره» بدل «ونصره» وكلّها عن الفضل بن شاذان، بحار الأنوار: ج ٨٥ ص ٥٤ ح ٤٦.

٢. تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ٩٥، تأويل الآيات الظاهرة: ج ١ ص ٢٧ ح ٧، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٩ ح ١٥ وفيه «مردة الجنّ والإنس» بدل «مردة الإنس»، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢١٦.

٣. غرر الحكم: ح ٢١٢٨، عيون الحكم والمواعظ: ص ٦٥ ح ١٦٦٦.

٤. طُوبىٰ: اسم شجرة في الجنّة، وقيل: بل إشارة إلى كلّ مستطاب في الجنّة من بقاء بلا فناء، وعزّ بلا زوال، وغنى بلا فقر (مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٢٨).

٥. الكافي: ج ٢ ص ١٦ ح ٣ عن عليّ بن أسباط عن الإمام الرضا عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٢٩ ح ٥.

٦. كنز العمّال: ج ٢ ص ٦٧٨ ح ٥٠٥٣ نقلاً عن هنّاد ويوسف القاضي في سننه.

عَرشِكَ وسُكّانَ سَماواتِكَ وأَرضِكَ، بِأَنَّكَ أَنتَ اللهُ الَّذي لا إِلٰهَ إِلّا أَنتَ، المَعبودُ الَّذي لَيسَ مِن لَدُن عَرشِكَ إِلىٰ قَرارِ أَرضِكَ مَعبودٌ يُعبَدُ سِواكَ إِلّا باطِلٌ مُضمَحِلٌّ غَيرُ وَجهِكَ الكَريمِ، لا إِلٰهَ إِلّا أَنتَ المَعبودُ فَلا مَعبودَ سِواكَ، تَعالَيتَ عَمّا يَقولُ الظّالِمونَ عُلُوّاً كَبيراً.[1]

٣٩٩٩. الإمام الرضا عليه السلام ـ في كِتابِهِ لِلمَأمونِ لَمّا سَأَلَهُ أَن يَكتُبَ لَهُ مَحضَ الإِسلامِ عَلىٰ سَبيلِ الإِيجازِ وَالإِختِصارِ ـ: إِنَّ مَحضَ الإِسلامِ شَهادَةُ أَن لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، إِلٰهاً واحِداً أَحَداً فَرداً صَمَداً قَيّوماً[2] سَميعاً بَصيراً قَديراً قَديماً قائِماً باقِياً، عالِماً لا يَجهَلُ، قادِراً لا يَعجِزُ، غَنِيّاً لا يَحتاجُ، عَدلاً لا يَجورُ، وأَنَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ ولَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ، لا شِبهَ لَهُ ولا ضِدَّ لَهُ ولا نِدَّ لَهُ ولا كُفوَ لَهُ، وأَنَّهُ المَقصودُ بِالعِبادَةِ وَالدُّعاءِ وَالرَّغبَةِ وَالرَّهبَةِ.[3]

---

١. تهذيب الأحكام: ج ٣ ص ١٤٤ ح ٣١٧ عن عليّ بن الحسين العبدي، الإقبال: ج ٢ ص ٢٨٣ عن عليّ بن الحسن العبدي، بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٣٠٣ ح ٢.

٢. القَيُّومُ: القائم الحافظ لكلّ شيء والمعطي له ما به قوامه (مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٩١).

٣. عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٢١ ح ١ عن الفضل بن شاذان، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣٥٢ ح ١.

القسم الثالث

التعرف على أسماء الله

وفيه فصول :

الفصل الأوّل

معنى أسماء الله

هناك اختلاف في الآراء حول الجذر اللغوي للاسم، فالكوفيّون يرون أنّه مشتقّ من«الوسم» بمعنى العلامة، ويرى البصريّون أنّه مشتقّ من «السموّ» بمعنى العلوّ والرفعة، بيد أنّهم يعترفون بأنّه يستعمل من حَيثُ المَعنىٰ اللغوي بمعنى العلامة.[1]

أمّا «الصفة» فقد جاءت بهذه الهيئة ولكنّ أصلها اللغوي هو «الوصف» كما أنّ «العِدَة» اشتقّت من «الوعد». و بناءً علىٰ هذا فإنّ «الصفة» هي مصدر بمعنى الوصف، ولكنّها في كثير من الأحيان تستعمل بمعنىٰ اسم المصدر، و يراد منها حينئذٍ الأمارة والعلامة[2]، غير أنّ الصفة أمارة تبيّن إحدىٰ خصائص الموصوف[3].

وعلىٰ هذا فالاسم والصفة كلاهما بمعنى العلامة والأمارة للمسمّى والموصوف؛ فالاسم يشمل كلّ علامة و أمارة، و أمّا الصفة، فهي علامة مخصّصة و مقيّدة. و من هنا فإنّ بين الاسم والصفة علاقة عموم و خصوص مطلق، أي

---

١. راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين «البصريّين والكوفيّين»: ج ٦ ص ١٦ والمصباح المنير: ص ٢٩٠ ولسان العرب: ج ١٤ ص ٤٠١ ومشكل إعراب القرآن: ج ١ ص ٦.

٢. معجم مقاييس اللغة: ج ٦ ص ١١٥ ، كتاب التعريفات: ص ٥٨.

٣. المصباح المنير: ص ٦٦١، العين: ص ١٩٥٧.

أَنّ كلّ صفة اسم ولكـن ليس كـلّ اسـم صـفة، فـالأَعلام و الأَسـماء الخـاصّة، مثل «زيد» و «بكر» أَسماء وليست صفات. أمّا الأَسـماء الدالّـة عـلىٰ الأَوصـاف فهي أسماء وصفات كالعالم والعلم.[١]

أمّا في علوم الأَدب والعرفان و الكلام فإنّ للاسم والصفة إطلاقات أُخرىٰ أَيضاً؛ فطبقاً لإحدى الإطلاقات في العلوم الأدبية، تكون المصادر كالعلم والقدرة أسماء وليست بصفات، أما المشتقات كالعالم والقادر فـهي صـفات وليست بأسـماء. و يحمل الاسم والصفة في العرفان النظري مَعنىً معاكساً تماماً للمعنى المذكور.[٢]

وأَمّا الأَحاديث في بيان أَسماء الله وصفاته فلم يؤخذ فيها بنظر الاعتبار التفاوت الموجود في الاصطلاحات المختلفة للاسم والصفة؛ وأُطلق الاسم والصفة كلاهما علىٰ الكمالات من قبيل «العلم»، و علىٰ الصفات المتّصفة بالكمالات مثل «العالم»، نذكر علىٰ سبيل المـثال أَنّ بـعض الأَحـاديث فـي خـصوص السـميع و البـصير استخدمت فيها لفظة «الصفة»[٣]. وفي بعضها الآخر استخدمت لفظة «الاسم»[٤]، بل إنّ هذين المعنيين أُطلقا حتىٰ على كلمتي العلم والعالِم في الحديث الواحد. وقـد صرّحت بعض الأَحاديث بأَنّ الاسم والصفة على مَعنىٰ واحد، فقد رُوي عَن الإمام الباقرعليه السلام أَنّه قالَ:

---

١. معجم الفروق اللغوية: ص ٣١٤ الرقم ١٢٦٩.

٢. راجع شرح فصوص الحكم للقيصري: ج ١ ص ٣٤. فيما يـخصّ الاصـطلاحات المـختلفة للاسـم والصـفة؛ الفتوحات المكيّة لابن العربي: ج ٢ ص ٥٨؛ موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون، ج٢، ص١٧٩١ و ص ١٠٧٨ وج١ ص١٨١ و ص ١٨٤؛ جامع الدروس العربية: ج ١ ص ٩٧؛ صرف ساده (بالفارسية) ص ٢٢٤.

٣. التوحيد: ص ١٤٦ ح ١٤.

٤. التوحيد: ص ١٨٧ ح ٢.

«إنَّ الأَسماءَ صِفاتٌ وَصَفَ بِها نَفسَهُ».[١]

و عندما سأَل محمّد بن سنان الإمام الرضاعليه السلام: مَا الاِسمُ؟ قالَ:

«صِفَةٌ لمَوصوفٍ».[٢]

بناءً علىٰ ما سبق ذكرُه فإنّ جميع أَسماء الله صفاتُه، و كلّ صفاته أَسماؤه. وقد جاء الفصل بين الأَسماء والصفات في تقسيمات هذا الكتاب بناءً علىٰ ما اقتضاه نظم التأليف وليس من باب الفصل في المعنى.

بناءً على المعنى اللغوي للاسم والصفة، وانطلاقاً من وحدة مصداقهما بشأن الله تعالى، نستنتج في ضوء الأَحاديث الواردة في هذا المجال أَنّ أَسماء الله هي من نوع صفاته، وأَنّه تعالى ليس له اسم إلّا ويحمل صفة من صفاته. ومن هنا فإنّ الله سبحانه و تعالىٰ ليس له اسم عَلَم جامد غير مشتقّ جاء كعلامة له فقط من غير أَن ينطوي علىٰ وصف من أَوصافه، و يمكن القول بعبارة أُخرىٰ: إِنّ الاسم بشأن الله مقيّد، وكون أَسماء الله علامة هي من جهة كونها ذات دلالة علىٰ وصف خاصّ به.

و سنرىٰ عند تفسير لفظ الجلالة «الله» أَنّ لهذا الاسم جذر اشتقاقي أَيضاً، وقد ذكرت الأَحاديث الشريفة جذوراً مختلفة له.[٣]

قال العلّامة الطباطبائيرحمه الله في بيان معنى الأَسماء الحسنىٰ:

«نحن أَوّل ما نفتح أَعيننا ونشاهد من مناظر الوجود ما نشاهده يقع إدراكنا علىٰ أَنفسنا وعلىٰ أَقرب الأُمور منّا، وهي روابطنا مع الكون الخارج من

---

١. راجع: ص ٤٣٠ ح ٤٠٠٣.

٢. عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٢٩ ح ٢٥.

٣. راجع: ص ٤٣٧ «معنى الله».

مستدعيات قوانا العاملة لإبقائنا، فأَنفسنا وقوانا وأَعمالنا المتعلّقة بها، هي أَوّل ما يدقّ باب إدراكنا لكنّا لا نرىٰ أَنفسنا إلّا مرتبطة بغيرها ولا قوانا ولا أَفعالنا إلّا كذلك، فالحاجة من أَقدم ما يشاهده الإنسان، يشاهدها من نفسه ومن كلّ ما يرتبط به من قواه وأَعماله والدنيا الخارجة، وعند ذلك يقضي بذات ما يقوم بحاجته ويسدّ خلّته وإليه ينتهي كلّ شيء، وهو الله سبحانه، ويصدّقنا في هذا النظر والقضاء قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾.[1]

وقد عجز التاريخ عن العثور علىٰ بدء ظهور القول بالربوبيّة بين الأَفراد البشريّة، بل وجده وهو يصاحب الإنسانيّة إلى أَقدم العهود التي مرّت على هذا النوع حتّىٰ أَنّ الأَقوام الوحشيّة التي تحاكي الإنسان الأَوّلي في البساطة لما اكتشفوهم في أَطراف المعمورة كقطّان أَميركا وأُستراليا وجدوا عندهم القول بقوى عالية هي وراء مستوى الطبيعة ينتحلون بها، وهو قول بالربوبيّة وإن اشتبه عليهم المصداق فالإذعان بذات ينتهي إليها أَمر كلّ شيء من لوازم الفطرة الإنسانيّة لا يحيد عنه إلّا من انحرف عن إلهام فطرته لشبهة عرضت له كمن يضطرّ نفسه على الاعتياد بالسمّ وطبيعته تحذّره بإلهامها، وهو يستحسن ما ابتلي به.

ثمّ إنّ أَقدم ما نواجهه في البحث عن المعارف الإلهيّة أَنّا نذعن بانتهاء كلّ شيء إليه، وكينونته ووجوده منه فهو يملك كلّ شيء لعلمنا أَنّه لو لم يملكها لم يمكن أَن يفيضها ويفيدها لغيره على أَنّ بعض هذه الأَشياء ممّا ليست حقيقته إلّا مبنيّة على الحاجة منبئة عن النقيصة، وهو تعالىٰ منزّه عن كلّ حاجة ونقيصة؛ لأَنّه الذي إليه يرجع كلّ شيء في رفع حاجته ونقيصته.

---

١. فاطر: ١٥.

فله الملك ـ بكسر الميم وبضمّها ـ على الإطلاق ، فهو سبحانه يملك ما وجدناه في الوجود من صفة كمال ؛ كالحياة والقدرة والعلم والسمع والبصر والرزق والرحمة والعزّة وغير ذلك .

فهو سبحانه حيّ ، قادر ، عليم ، سميع ، بصير ؛ لأَنّ في نفيها إثبات النقص ولا سبيل للنقص إليه . ورازق ، ورحيم ، وعزيز ، ومحيي ، ومميت ، ومبدئ ، ومعيد ، وباعث ، إلى غير ذلك ؛ لأَنّ الرزق والرحمة والعزّة والإحياء والإماتة والإبداء والإعادة والبعث له ، وهو السبّوح القدّوس العليّ الكبير المتعال ، إلى غير ذلك ، نعني بها نفي كلّ نعت عدميّ ، وكلّ صفة نقص عنه .

فهذا طريقنا إلى إثبات الأَسماء والصفات له تعالىٰ علىٰ بساطته ، وقد صدّقنا كتاب الله في ذلك حيث أَثبت الملك ـ بكسر الميم ـ والملك ـ بضمّ الميم ـ له على الإطلاق في آيات كثيرة لا حاجة إلىٰ إيرادها» .[1]

---

١ . الميزان في تفسير القرآن : ج ٨ ص ٣٤٩ ، راجع تمام كلامه .

١ / ١

أسماؤُهُ تعبيرٌ

٤٠٠٠. الإمام الرضا ﷺ ـ مِن كَلامِهِ فِي التَّوحيدِ ـ: أَسماؤُهُ تَعبيرٌ، وأَفعالُهُ تَفهيمٌ، وذاتُهُ حَقيقَةٌ.[١]

٤٠٠١. عنه ﷺ ـ لَمّا سُئِلَ عَنِ الاِسمِ ما هُوَ؟ قالَ ـ: صِفَةٌ لِمَوصوفٍ.[٢]

٤٠٠٢. الإمام عليّ ﷺ ـ في دُعاءٍ عَلَّمَهُ نَوفاً البِكالِيَّ ـ: فَأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي ظَهَرتَ بِهِ لِخاصَّةِ أَولِيائِكَ فَوَحَّدوكَ وعَرَفوكَ فَعَبَدوكَ بِحَقيقَتِكَ أَن تُعَرِّفَني نَفسَكَ؛ لِأُقِرَّ لَكَ بِرُبوبِيَّتِكَ عَلىٰ حَقيقَةِ الإِيمانِ بِكَ، ولا تَجعَلني يا إِلٰهي مِمَّن يَعبُدُ الاِسمَ دونَ المَعنىٰ، وَالحَظني بِلَحظَةٍ مِن لَحَظاتِكَ تُنَوِّرُ بِها قَلبي بِمَعرِفَتِكَ خاصَّةً ومَعرِفَةِ أَولِيائِكَ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.[٣]

٤٠٠٣. الكافي عن عبد الرحمٰن بن أبي نجران: كَتَبتُ إِلىٰ أَبي جَعفَرٍ ﷺ ـ أو قُلتُ لَهُ ـ: جَعَلَنِي اللهُ فِداكَ! نَعبُدُ الرَّحمٰنَ الرَّحيمَ الواحِدَ الأَحَدَ الصَّمَدَ؟

قالَ: فَقالَ: إِنَّ مَن عَبَدَ الاِسمَ دونَ المُسَمّىٰ بِالأَسماءِ أَشرَكَ وكَفَرَ وجَحَدَ ولَم يَعبُد شَيئاً، بَلِ اعبُدِ اللهَ الواحِدَ الأَحَدَ الصَّمَدَ، المُسَمّىٰ بِهٰذِهِ الأَسماءِ دونَ الأَسماءِ؛ إِنَّ الأَسماءَ صِفاتٌ وَصَفَ بِها نَفسَهُ.[٤]

---

١. التوحيد: ص ٣٦ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥١ ح ٥١ كلاهما عن القاسم بن أيّوب العلوي، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٦١ ح ٢٨٣، تحف العقول: ص ٦٣ عن الإمام عليّ ﷺ، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٨ ح ٣.

٢. الكافي: ج ١ ص ١١٣ ح ٣، التوحيد: ص ١٩٢ ح ٥، معاني الأخبار: ص ٢ ح ١ كلاهما عن محمّد بن سنان، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٥٩ ح ٣.

٣. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٩٦ ح ١٢ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي عن نوف البكالي.

٤. الكافي: ج ١ ص ٨٧ ح ٣.

٤٠٠٤ . الإمام الصادق ﷺ ـ لَمّا سَأَلَهُ الزِّنديقُ عَنِ اللهِ: ما هُوَ؟ ـ: هُوَ الرَّبُّ، وهُوَ المَعبودُ، وهُوَ اللهُ، ولَيسَ قَولي: «الله» إثباتَ هٰذِهِ الحُروفِ أَلِفٍ، لامٍ، هاءٍ، ولٰكِنّي أَرجِعُ إلَىٰ مَعنىً هُوَ شَيءٌ خالِقُ الأَشياءِ وصانِعُها، وَقَعَت عَلَيهِ هٰذِهِ الحُروفُ، وهُوَ المَعنَى الَّذي يُسَمّىٰ بِهِ اللهُ، وَالرَّحمٰنُ وَالرَّحيمُ وَالعَزيزُ وأَشباهُ ذٰلِكَ مِن أَسمائِهِ، وهُوَ المَعبودُ ـ جَلَّ وعَزَّ ـ.[1]

٤٠٠٥ . الكافي عن النضر بن سويد: عَن هِشامِ بنِ الحَكَمِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبا عَبدِ اللهِ ﷺ عَن أَسماءِ اللهِ وَاشتِقاقِها: «الله» مِمّا هُوَ مُشتَقٌّ؟

فَقالَ: يا هِشامُ، «الله» مُشتَقٌّ مِن إلٰهٍ، وإلٰهُ يَقتَضي مَألوهاً، وَالاِسمُ غَيرُ المُسَمّىٰ، فَمَن عَبَدَ الاِسمَ دونَ المَعنىٰ فَقَد كَفَرَ ولَم يَعبُد شَيئاً، ومَن عَبَدَ الاِسمَ وَالمَعنىٰ فَقَد أَشرَكَ وعَبَدَ اثنَينِ، ومَن عَبَدَ المَعنىٰ دونَ الاِسمِ فَذاكَ التَّوحيدُ، أَفَهِمتَ يا هِشامُ؟

قالَ: قُلتُ: زِدني.

قالَ: للهِ تِسعَةٌ وتِسعونَ اسماً، فَلَو كانَ الاِسمُ هُوَ المُسَمّىٰ لَكانَ كُلُّ اسمٍ مِنها إلٰهاً، ولٰكِنَّ «اللهَ» مَعنىً يُدَلُّ عَلَيهِ بِهٰذِهِ الأَسماءِ، وكُلُّها غَيرُهُ.

يا هِشامُ، الخُبزُ اسمٌ لِلمَأكولِ، وَالماءُ اسمٌ لِلمَشروبِ، وَالثَّوبُ اسمٌ لِلمَلبوسِ، وَالنّارُ اسمٌ لِلمُحرِقِ. أَفَهِمتَ يا هِشامُ فَهماً تَدفَعُ بِهِ وتُناضِلُ بِهِ أَعداءَنا المُتَّخِذينَ مَعَ اللهِ ﷻ غَيرَهُ؟

قُلتُ: نَعَم.

---

١ . التوحيد: ص ٢٤٥ ح ١، الكافي: ج ١ ص ٨٤ ح ٦ نحوه وكلاهما عن هشام بن الحكم.

فَقالَ: نَفَعَكَ اللهُ بِهِ وثَبَّتَكَ يا هِشامُ.

قالَ: فَوَاللهِ ما قَهَرَني أحَدٌ فِي التَّوحيدِ حَتّىٰ قُمتُ مَقامي هٰذا.[1]

٤٠٠٦. الإمام الصادق عليه السلام: مَن عَبَدَ اللهَ بِالتَّوَهُّمِ فَقَد كَفَرَ، ومَن عَبَدَ الاِسمَ دونَ المَعنىٰ فَقَد كَفَرَ، ومَن عَبَدَ الاِسمَ وَالمَعنىٰ فَقَد أشرَكَ، ومَن عَبَدَ المَعنىٰ بِإِيقاعِ الأَسماءِ عَلَيهِ بِصِفاتِهِ الَّتي وَصَفَ بِها نَفسَهُ فَعَقَدَ عَلَيهِ قَلبُهُ، ونَطَقَ بِهِ لِسانُهُ في سَرائِرِهِ وعَلانِيَتِهِ فَأُولٰئِكَ أصحابُ أميرِ المُؤمِنينَ عليه السلام حَقّاً ـ وفي حَديثٍ آخَرَ ـ: أُولٰئِكَ هُمُ المُؤمِنونَ حَقّاً ـ.[2]

٤٠٠٧. عنه عليه السلام ـ لِزِنديقٍ سَأَلَهُ: كَيفَ جازَ لِلخَلقِ أن يَتَسَمَّوا بِأَسماءِ اللهِ تَعالىٰ؟ ـ: إنَّ اللهَ جَلَّ ثَناؤُهُ وتَقَدَّسَت أسماؤُهُ أباحَ لِلنّاسِ الأَسماءَ، ووَهَبَها لَهُم، وقَد قالَ القائِلُ مِنَ النّاسِ لِلواحِدِ: واحِدٌ، ويَقولُ لِلّهِ: واحِدٌ، ويَقولُ: قَوِيٌّ، وَاللهُ تَعالىٰ قَوِيٌّ، ويَقولُ: صانِعٌ، وَاللهُ صانِعٌ، ويَقولُ: رازِقٌ، وَاللهُ رازِقٌ، ويَقولُ: سَميعٌ بَصيرٌ، وَاللهُ سَميعٌ بَصيرٌ، وما أشبَهَ ذٰلِكَ. فَمَن قالَ لِلإِنسانِ: واحِدٌ فَهٰذا لَهُ اسمٌ ولَهُ شَبيهٌ، وَاللهُ واحِدٌ وهُوَ لَهُ اسمٌ ولا شَيءَ لَهُ شَبيهٌ، ولَيسَ المَعنىٰ واحِداً.

وأمَّا الأَسماءُ فَهِيَ دَلالَتُنا عَلَى المُسَمّىٰ؛ لِأَنّا قَد نَرَى الإِنسانَ واحِداً وإنَّما نُخبِرُ واحِداً إذا كانَ مُفرَداً، فَعُلِمَ أنَّ الإِنسانَ في نَفسِهِ لَيسَ بِواحِدٍ فِي المَعنىٰ؛ لِأَنَّ أعضاءَهُ مُختَلِفَةٌ، وأجزاءَهُ لَيسَت سَواءً، ولَحمَهُ غَيرُ دَمِهِ، وعَظمَهُ غَيرُ عَصَبِهِ، وشَعرَهُ غَيرُ ظُفرِهِ، وسَوادَهُ غَيرُ بَياضِهِ، وكَذٰلِكَ سائِرُ الخَلقِ، وَالإِنسانُ واحِدٌ فِي الاِسمِ، ولَيسَ بِواحِدٍ فِي الاِسمِ وَالمَعنىٰ وَالخَلقِ، فَإِذا قيلَ لِلّهِ فَهُوَ الواحِدُ الَّذي

---

١. الكافي: ج ١ ص ١١٤ ح ٢ وص ٨٧ ح ٢، التوحيد: ص ٢٢٠ ح ١٣، الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٠٣ ح ٢١٦ وراجع: مرآة العقول: ج ١ ص ٣٠٤ـ٣٠٦.

٢. الكافي: ج ١ ص ٨٧ ح ١، التوحيد: ص ٢٢٠ ح ١٢ وراجع: مرآة العقول: ج ١ ص ٣٠٣.

لا واحِدَ غَيرُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا اختِلافَ فيهِ، وهُوَ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ سَميعٌ وبَصيرٌ وقَوِيٌّ وعَزيزٌ وحَكيمٌ وعَليمٌ، فَتَعالَى اللهُ أَحسَنُ الخالِقينَ.[1]

٤٠٠٨. عنه ﷺ: اِسمُ اللهِ غَيرُهُ، وكُلُّ شَيءٍ وَقَعَ عَلَيهِ اسمُ شَيءٍ فَهُوَ مَخلوقٌ ما خَلَا اللهَ.[2]

٤٠٠٩. الكافي عن ابن سنان: سَأَلتُ أَبَا الحَسَنِ الرِّضا ﷺ: هَل كانَ اللهُ ﷻ عارِفاً بِنَفسِهِ قَبلَ أَن يَخلُقَ الخَلقَ؟

قالَ: نَعَم.

قُلتُ: يَراها ويَسمَعُها؟

قالَ: ما كانَ مُحتاجاً إِلىٰ ذٰلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَم يَكُن يَسأَلُها ولا يَطلُبُ مِنها، هُوَ نَفسُهُ ونَفسُهُ هُوَ، قُدرَتُهُ نافِذَةٌ، فَلَيسَ يَحتاجُ إِلىٰ أَن يُسَمِّيَ نَفسَهُ، ولٰكِنَّهُ اختارَ لِنَفسِهِ أَسماءً لِغَيرِهِ يَدعوهُ بِها؛ لِأَنَّهُ إِذا لَم يُدعَ بِاسمِهِ لَم يُعرَف، فَأَوَّلُ مَا اختارَ لِنَفسِهِ «العَلِيُّ العَظيمُ» لِأَنَّهُ أَعلَى الأَشياءِ كُلِّها، فَمَعناهُ اللهُ، وَاسمُهُ العَلِيُّ العَظيمُ هُوَ أَوَّلُ أَسمائِهِ، عَلا عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ.[3]

٤٠١٠. الإمام الرضا ﷺ: اِعلَم أَنَّهُ لا يَكونُ صِفَةٌ لِغَيرِ مَوصوفٍ، ولَا اسمٌ لِغَيرِ مَعنىً، ولا حَدٌّ لِغَيرِ مَحدودٍ، وَالصِّفاتُ وَالأَسماءُ كُلُّها تَدُلُّ عَلَى الكَمالِ وَالوُجودِ، ولا تَدُلُّ عَلَى الإِحاطَةِ، كَما تَدُلُّ عَلَى الحُدودِ الَّتي هِيَ التَّربيعُ وَالتَّثليثُ وَالتَّسديسُ؛ لِأَنَّ اللهَ ـ عَزَّ وجَلَّ وتَقَدَّسَ ـ تُدرَكُ مَعرِفَتُهُ بِالصِّفاتِ وَالأَسماءِ، ولا تُدرَكُ بِالتَّحديدِ بِالطّولِ

---

١. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٩٥ عن المفضل بن عمر.

٢. الكافي: ج ١ ص ١١٣ ح ٤، التوحيد: ص ١٤٢ ح ٧ وفيه «غير الله» بدل «غيره» وكلاهما عن عبد الأعلى، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٤٩ ح ٣.

٣. الكافي: ج ١ ص ١١٣ ح ٢، التوحيد: ص ١٩١ ح ٤، معاني الأخبار: ص ٢ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٢٩ وفيها «عليّ علا كلّ شيء» بدل «علا على كلّ شيء»، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٨٨ ح ٢٦.

وَالعَرضِ وَالقِلَّةِ وَالكَثرَةِ وَاللَّونِ وَالوَزنِ وما أَشبَهَ ذٰلِكَ، ولَيسَ يَحُلُّ بِاللهِ جَلَّ وتَقَدَّسَ شَيءٌ مِن ذٰلِكَ حَتّىٰ يَعرِفَهُ خَلقُهُ بِمَعرِفَتِهِم أَنفُسَهُم بِالضَّرورَةِ الَّتي ذَكَرنا، ولٰكِن يُدَلُّ عَلَى اللهِ ﷻ بِصِفاتِهِ، ويُدرَكُ بِأَسمائِهِ... فَلَو كانَت صِفاتُهُ جَلَّ ثَناؤُهُ لا تَدُلُّ عَلَيهِ، وأَسماؤُهُ لا تَدعو إلَيهِ، وَالمَعلَمَةُ مِنَ الخَلقِ لا تُدرِكُهُ لِمَعناهُ كانَتِ العِبادَةُ مِنَ الخَلقِ لِأَسمائِهِ وصِفاتِهِ دُونَ مَعناهُ، فَلَولا أَنَّ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ لَكانَ المَعبودُ المُوَحَّدُ غَيرَ اللهِ تَعالىٰ؛ لِأَنَّ صِفاتِهِ وأَسماءَهُ غَيرُهُ.[١]

تعليق:

كما لاحظنا فإنّ الأَحاديث بيّنت أَوجهاً مختلفة لإطلاق الأسماء والصفات. وهذه الأَسماء والصفات يجب أَن تستخدم بشكل لايفضي إلىٰ أُمور من قبيل تشبيه الخالق بالمخلوق، أَو نفي الخالق أَو تعطيل المعرفة، أَو إيجاد صور ذهنيّة و إحاطة بالذات الإلهيّة. فالباري ﷻ يوصف تارة بأَفعاله، وقد تفسّر صفات الله تارة أُخرى تفسيراً سلبيّاً. والإنسان يقيم علاقته مع الله ـ جلّ و علا ـ من خلال هذه الأَسماء والصفات، و يدعوه و يتضرّع إلَيهِ في إطار معرفته له، ولكن ينبغي الالتفات إلىٰ أَن أَسماء الله لا موضوع لها، وكلّها تعبير عَن الذات الإلهية المقدّسة، والإنسان يتوجّه عَن طريق هذه الأَسماء إلىٰ الله الذي يعرفه بالفطرة.

١ / ١ ـ ١

مَعنَى «الإلٰهِ»

٤٠١١. الإمام عليّ ﷺ ـ فِي الدُّعاءِ ـ: أَنتَ إلٰهِي المالِكُ الَّذي مَلَكتَ المُلوكَ، فَتَواضَعَ لِهَيبَتِكَ

---

١. التوحيد: ص ٤٣٧ ح ١، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٧٤ ح ١ كلاهما عن الحسن بن محمّد النوفلي، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣١٥ وراجع تحف العقول: ص ٤٢٤.

الأَعِزّاءُ ودانَ لَكَ بِالطّاعَةِ الأَولِياءُ، فَاحتَوَيتَ بِإِلٰهِيَّتِكَ عَلَى المَجدِ وَالسَّناءِ.[١]

٤٠١٢ . عنه ﷺ : لَيسَ بِإِلٰهٍ مَن عُرِفَ بِنَفسِهِ، هُوَ الدّالُّ بِالدَّليلِ عَلَيهِ، وَالمُؤَدّي بِالمَعرِفَةِ إِلَيهِ.[٢]

٤٠١٣ . عنه ﷺ: اللّٰهُمَّ أَنتَ الَّذي لايَتَعاظَمُكَ غُفرانُ الذُّنوبِ وكَشفُ الكُروبِ... لِأَنَّكَ الباقِي الرَّحيمُ الَّذي تَسَربَلتَ[٣] بِالرُّبوبِيَّةِ، وتَوَحَّدتَ بِالإِلٰهِيَّةِ وتَنَزَّهتَ مِنَ الحَيثوثِيَّةِ، فَلَم يَجِدكَ واصِفٌ مَحدوداً بِالكَيفوفِيَّةِ... .[٤]

٤٠١٤ . الإمام الحسن ﷺ ـ لَمّا سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَسمَعُ الشَّيءَ فَيَذكُرُهُ دَهراً، ثُمَّ يَنساهُ في وَقتِ الحاجَةِ إِلَيهِ كَيفَ هٰذا؟ ـ: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذي يَنسَى الشَّيءَ، ثُمَّ يَذكُرُهُ فَما مِن أَحدٍ إِلّا عَلىٰ رَأسِ فُؤادِهِ حُقَّةٌ مَفتوحَةُ الرَّأسِ، فَإِذا سَمِعَ الشَّيءَ وَقَعَ فيها، فَإِذا أَرادَ اللهُ أَن يُنسِيَها أَطبَقَ عَلَيها، وإِذا أَرادَ اللهُ أَن يُذَكِّرَهُ فَتَحَها، وهٰذا دَليلُ الإِلٰهِيَّةِ.[٥]

٤٠١٥ . الإمام زين العابدين ﷺ : اللّٰهُمَّ لَكَ الحَمدُ بَديعَ السَّماواتِ وَالأَرضِ، ذَا الجَلالِ وَالإِكرامِ، رَبَّ الأَربابِ وإِلٰهَ كُلِّ مَألوهٍ، وخالِقَ كُلِّ مَخلوقٍ.[٦]

٤٠١٦ . الإمام الباقر ﷺ : إِنَّ تَفسيرَ الإِلٰهِ هُوَ الَّذي أَلِهَ الخَلقُ عَن دَركِ ماهِيَّتِهِ وكَيفِيَّتِهِ، بِحِسٍّ أَو بِوَهمٍ، لا بَل هُوَ مُبدِعُ الأَوهامِ وخالِقُ الحَواسِّ.[٧]

---

١ . البلد الأمين: ص ١٢١، جمال الأُسبوع: ص ٦٧، العدد القويّة: ص ٣٣٤ الرقم ٥ كلاهما من دون إسنادٍ إلى المعصوم، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ١٨٤ ح ٢٣.

٢ . الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٦ ح ١١٥، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٥٣ ح ٧.

٣ . السِّربال: القميص، وتسربل: أي لبس السربال (الصحاح: ج ٥ ص ١٧٢٩).

٤ . البلد الأمين: ص ٩٦، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ١٤٦ ح ٩.

٥ . تفسير القمّي: ج ٢ ص ٤٥، بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٣٩ ح ٩.

٦ . الصحيفة السجّادية: ص ١٨٥ الدعاء ٤٧، المصباح للكفعمي: ص ٨٨٦.

٧ . التوحيد: ص ٩٢ ح ٦، معاني الأخبار: ص ٧ ح ٣ كلاهما عن وهب بن وهب القرشي عن الإمام الصادق ﷺ، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٢٤ ح ١٥.

٤٠١٧ . عنه ﷺ ـ في قُنوتِهِ ـ: اللّهُمَّ... بِعُبَيدِكَ ضَعفُ البَشَرِيَّةِ وعَجزُ الإِنسانِيَّةِ، ولَكَ سُلطانُ الإِلٰهِيَّةِ ومَلَكَةُ البَرِيَّةِ.[1]

٤٠١٨ . الإمام الصّادق ﷺ : لا يُكَوِّنُ الشَّيءَ لا مِن شَيءٍ إلَّا اللهُ، ولا يَنقُلُ الشَّيءَ مِن جَوهَرِيَّتِهِ إلىٰ جَوهَرٍ آخَرَ إلَّا اللهُ، ولا يَنقُلُ الشَّيءَ مِنَ الوُجودِ إلَى العَدَمِ إلَّا اللهُ.[2]

٤٠١٩ . عنه ﷺ : قَدِمَ وَفدٌ مِن أَهلِ فِلَسطينَ عَلَى الباقِرِ ﷺ فَسَأَلوهُ عَن مَسائِلَ فَأَجابَهُم، ثُمَّ سَأَلوهُ عَنِ الصَّمَدِ، فَقالَ:

تَفسيرُهُ فيهِ؛ الصَّمَدُ خَمسَةُ أَحرُفٍ: فَالأَلِفُ دَليلٌ عَلىٰ إنِّيَّتِهِ، وهُوَ قَولُهُ ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3] وذٰلِكَ تَنبيهٌ وإِشارَةٌ إلَى الغائِبِ عَن دَركِ الحَواسِّ، وَاللّامُ دَليلٌ عَلىٰ إلٰهِيَّتِهِ بِأَنَّهُ هُوَ اللهُ، وَالأَلِفُ وَاللّامُ مُدغَمانِ لا يَظهَرانِ عَلَى اللِّسانِ ولا يَقعانِ فِي السَّمعِ ويَظهَرانِ فِي الكِتابَةِ، دَليلانِ عَلىٰ أَنَّ إلٰهِيَّتَهُ بِلُطفِهِ خافِيَةٌ لا تُدرَكُ بِالحَواسِّ، ولا تَقَعُ في لِسانِ واصِفٍ ولا أُذُنِ سامِعٍ؛ لِأَنَّ تَفسيرَ الإِلٰهِ هُوَ الَّذي أَلِهَ الخَلقُ عَن دَركِ ماهِيَّتِهِ وكَيفِيَّتِهِ بِحِسٍّ أَو بِوَهمٍ، لا بَل هُوَ مُبدِعُ الأَوهامِ وخالِقُ الحَواسِّ، وإِنَّما يَظهَرُ ذٰلِكَ عِندَ الكِتابَةِ، [فَهُوَ][4] دَليلٌ عَلىٰ أَنَّ اللهَ سُبحانَهُ أَظهَرَ رُبوبِيَّتَهُ في إبداعِ الخَلقِ، وتَركيبِ أَرواحِهِمُ اللَّطيفَةِ في أَجسادِهِمُ الكَثيفَةِ، فَإِذا نَظَرَ عَبدٌ إلىٰ نَفسِهِ لَم يَرَ روحَهُ، كَما أَنَّ لامَ الصَّمَدِ لا تَتَبَيَّنُ ولا تَدخُلُ في حاسَّةٍ مِنَ الحَواسِّ الخَمسِ، فَإِذا نَظَرَ إلَى الكِتابَةِ ظَهَرَ له ما خَفِيَ ولَطُفَ.

فَمَتىٰ تَفَكَّرَ العَبدُ في ماهِيَّةِ البارِئِ وكَيفِيَّتِهِ، أَلِهَ فيهِ وتَحَيَّرَ ولَم تُحِط فِكرَتُهُ

---

١ . مهج الدعوات: ص ٧١، بحار الأنوار: ج ٨٥ ص ٢١٦ ح ١.

٢ . التوحيد: ص ٦٨ ح ٢٢ عن عبد الله بن سنان، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٤٨ ح ٢.

٣ . آل عمران: ١٨.

٤ . ما بين المعقوفين سقط من المصدر، وأثبتناه من بحار الأنوار.

بِشَيءٍ يَتَصَوَّرُ لَهُ؛ لِأَنَّهُ ﷻ خالِقُ الصُّوَرِ، فَإِذا نَظَرَ إِلىٰ خَلقِهِ ثَبَتَ لَهُ أَنَّهُ ﷻ خالِقُهُم ومُرَكِّبُ أَرواحِهِم في أَجسادِهِم.[1]

٤٠٢٠. الكافي عن هشام بن الحكم: قالَ أَبو شاكِرٍ الدَّيصانِيُّ: إِنَّ فِي القُرآنِ آيَةً هِيَ قَولُنا. قُلتُ: ما هِيَ؟ فَقالَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَاءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾[2] فَلَم أَدرِ بِما أُجيبُهُ!

فَحَجَجتُ فَخَبَّرتُ أَبا عَبدِ اللهِ ؑ، فَقالَ: هٰذا كَلامُ زِنديقٍ خَبيثٍ، إِذا رَجَعتَ إِلَيهِ فَقُل لَهُ: مَا اسمُكَ بِالكوفَةِ؟ فَإِنَّهُ يَقولُ: فُلانٌ. فَقُل لَهُ: مَا اسمُكَ بِالبَصرَةِ؟ فَإِنَّهُ يَقولُ: فُلانٌ. فَقُل: كَذٰلِكَ اللهُ رَبُّنا فِي السَّماءِ إِلٰهٌ وفِي الأَرضِ إِلٰهٌ، وفِي البِحارِ إِلٰهٌ وفِي القِفارِ إِلٰهٌ وفي كُلِّ مَكانٍ إِلٰهٌ.

قالَ: فَقَدِمتُ فَأَتَيتُ أَبا شاكِرٍ فَأَخبَرتُهُ، فَقالَ: هٰذِهِ نُقِلَت مِنَ الحِجازِ.[3]

٤٠٢١. الإمام الرضا ؑ ـ مِن كَلامٍ لَهُ في تَوحيدِ اللهِ سُبحانَهُ ـ: لَهُ مَعنَى الرُّبوبِيَّةِ إِذ لا مَربوبَ، وحَقيقَةُ الإِلٰهِيَّةِ إِذ لا مَألوهَ.[4]

١ / ١ ـ ٢

مَعنَى «اللهِ»

٤٠٢٢. الإمام عليّ ؑ: «اللهُ» مَعناهُ المَعبودُ الَّذي يَأَلَهُ فيهِ الخَلقُ ويُؤلَهُ إِلَيهِ، وَاللهُ هُوَ المَستورُ

---

١. التوحيد: ص ٩٢ ح ٦، معاني الأخبار: ص ٧ ح ٣ كلاهما عن وهب بن وهب القرشيّ، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٢٤ ح ١٥.

٢. الزخرف: ٨٤.

٣. الكافي: ج ١ ص ١٢٨ ح ١٠.

٤. الأمالي للمفيد: ص ٢٥٦ ح ٤ عن محمّد بن زيد الطبريّ، التوحيد: ص ٣٨ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥٢ ح ٥١ كلاهما عن محمّد بن يحيىٰ بن عمر بن عليّ بن أبي طالب ؑ، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٢٩ ح ٣.

عَن دَركِ الأَبصارِ، المَحجوبُ عَنِ الأَوهامِ وَالخَطَراتِ.[١]

٤٠٢٣ . عنه عليه السلام : «اللهُ» أَعظَمُ اسمٍ مِنَ أَسماءِ اللهِ عزّ وجلّ، وهُوَ الاِسمُ الَّذي لا يَنبَغي أَن يُسَمّىٰ بِهِ غَيرُ اللهِ، ولَم يَتَسَمَّ بِهِ مَخلوقٌ.[٢]

٤٠٢٤ . عنه عليه السلام : لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ ووارِثُهُ، لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ إِلٰهُ الآلِهَةِ.[٣]

٤٠٢٥ . الإمام زين العابدين عليه السلام ـ لَمّا سُئِلَ عَن مَعنىٰ بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ ـ : حَدَّثَني أَبي، عَن أخيهِ الحَسَنِ عَن أبيهِ أَميرِ المُؤمِنينَ عليهم السلام: أَنَّ رَجُلاً قامَ إِلَيهِ فَقالَ: يا أَميرَ المُؤمِنينَ، أخبِرني عَن «بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ» ما مَعناهُ؟

فَقالَ: إِنَّ قَولَكَ «اللهُ» أَعظَمُ اسمٍ مِن أَسماءِ اللهِ عزّ وجلّ، وهُوَ الاِسمُ الَّذي لا يَنبَغي أَن يُسَمّىٰ بِهِ غَيرُ اللهِ، ولَن يَتَسَمَّ بِهِ مَخلوقٌ.

فَقالَ الرَّجُلُ: فَما تَفسيرُ قَولِهِ: «اللهِ»؟

قالَ: هُوَ الَّذي يَتَأَلَّهُ[٤] إِلَيهِ عِندَ الحَوائِجِ وَالشَّدائِدِ كُلُّ مخلوقٍ عِندَ انقِطاعِ الرَّجاءِ مِن جَميعِ مَن هُوَ دونَهُ، وتَقَطُّعِ الأَسبابِ مِن كُلِّ مَن سِواهُ، وذٰلِكَ أَنَّ كُلَّ مُتَرَئِّسٍ في هٰذِهِ الدُّنيا ومُتَعَظِّمٍ فيها ـ وإِن عَظُمَ غِناؤُهُ وطُغيانُهُ وكَثُرَت حَوائِجُ مَن دونَهُ إِلَيهِ ـ فَإِنَّهُم سَيَحتاجونَ حَوائِجَ لا يَقدِرُ عَلَيها هٰذَا المُتَعاظِمُ، وكَذٰلِكَ هٰذَا المُتَعاظِمُ يَحتاجُ حَوائِجَ لا يَقدِرُ عَلَيها، فَيَنقَطِعُ إِلَى اللهِ عِندَ ضَرورَتِهِ وفاقَتِهِ، حَتّىٰ إِذا كَفىٰ هَمَّهُ عادَ

---

١ . التوحيد: ص ٨٩ ح ٢ عن وهب بن وهب القرشي عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٢٢.

٢ . التوحيد: ص ٢٣١ ح ٥ عن محمّد بن زياد ومحمّد بن سيّار عن الإمام العسكري عن الإمام زين العابدين عليه السلام، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧ ح ٩، بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٢٤٤.

٣ . بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٢٢٢ نقلاً عن الدروع الواقية وراجع مصباح المتهجّد: ص ٦٠١ والإقبال: ج ١ ص ١٠٢.

٤ . أَلَهَ: عَبَدَ، وأَلِهَ: تحيَّر (الصحاح: ج ٦ ص ٢٢٢٣).

إِلىٰ شِركِهِ. أَما تَسمَعُ اللهَ ﷻ يَقولُ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.[1]

فَقالَ اللهُ ﷻ لِعِبادِهِ: أَيُّهَا الفُقَراءُ إِلىٰ رَحمَتي، إِنّي قَد أَلزَمتُكُمُ الحاجَةَ إِلَيَّ في كُلِّ حالٍ، وذِلَّةَ العُبودِيَّةِ في كُلِّ وَقتٍ، فَإِلَيَّ فَافزَعوا في كُلِّ أَمرٍ تَأخُذونَ فيهِ وتَرجونَ تَمامَهُ وبُلوغَ غايَتِهِ، فَإِنّي إِن أَرَدتُ أَن أُعطِيَكُم لَم يَقدِر غَيري عَلىٰ مَنعِكُم، وإِن أَرَدتُ أَن أَمنَعَكُم لَم يَقدِر غَيري عَلىٰ إِعطائِكُم، فَأَنَا أَحَقُّ مَن سُئِلَ وأَولىٰ مَن تُضُرِّعَ إِلَيهِ، فَقولوا عِندَ افتِتاحِ كُلِّ أَمرٍ صَغيرٍ أَو عَظيمٍ. «بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ» أَي أَستَعينُ عَلىٰ هٰذَا الأَمرِ بِاللهِ الَّذي لا يَحِقُّ العِبادَةُ لِغَيرِهِ، المُغيثِ إِذَا استُغيثَ، وَالمُجيبِ إِذا دُعِيَ، الرَّحمٰنِ الَّذي يَرحَمُ، بِبَسطِ الرِّزقِ عَلَينَا، الرَّحيمِ بِنا في أَديانِنا ودُنيانا وآخِرَتِنا، خَفَّفَ عَلَينَا الدّينَ وجَعَلَهُ سَهلاً خَفيفاً، وهُوَ يَرحَمُنا بِتَمَيُّزِنا مِن أَعدائِهِ.[2]

٤٠٢٦. الإمام الباقر ؑ: «اللهُ» مَعناهُ المَعبودُ الَّذي أَلِهَ الخَلقُ عَن دَركِ ماهِيَّتِهِ، وَالإِحاطَةِ بِكَيفِيَّتِهِ، ويَقولُ العَرَبُ: أَلِهَ الرَّجُلُ إِذا تَحَيَّرَ فِي الشَّيءِ فَلَم يُحِط بِهِ عِلماً، ووَلَهَ إِذا فَزِعَ إِلىٰ شَيءٍ مِمّا يَحذَرُهُ ويَخافُهُ، فَالإِلٰهُ هُوَ المَستورُ عَن حَواسِّ الخَلقِ... فَمَعنىٰ قَولِهِ: «اللهُ أَحَدٌ» المَعبودُ الَّذي يَأْلَهُ الخَلقُ عَن إِدراكِهِ، وَالإِحاطَةِ بِكَيفِيَّتِهِ، فَردٌ بِإِلٰهِيَّتِهِ، مُتَعالٍ عَن صِفاتِ خَلقِهِ.[3]

---

١. الأنعام: ٤٠ و ٤١.

٢. التوحيد: ص ٢٣١ ح ٥، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ؑ: ص ٢٧ ح ٩ كلاهما عن يوسف بن محمّد بن زياد و عليّ بن محمّد بن سيّار عن الإمام العسكري ؑ، بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٢٣٢ ح ١٤.

٣. التوحيد: ص ٨٩ ح ٢ عن وهب بن وهب القرشي عن الإمام الصادق ؑ، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٢٢.

٤٠٢٧. **الإمام الكاظم عليه السلام ـ في مَعنَى «اللهِ» ـ: إستَولىٰ عَلىٰ ما دَقَّ وجَلَّ.**[1]

٤٠٢٨. **الإمام الرضا عليه السلام: إنَّ في تَسمِيَةِ اللهِ عزّ وجلّ الإقرارَ بِرُبوبِيَّتِهِ وتَوحيدِهِ.**[2]

راجع: ص ٤٣١ ح ٤٠٠٤ و ٤٠٠٥
و ٤٤٢ ح ٤٠٣٥،
بحار الأنوار: ج٣ ص٢٢٦.

١ / ١ ـ ٣
مَعنىٰ «اللهُ أكبَرُ»

٤٠٢٩. **رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في تَفسيرِ «اللهُ أكبَرُ» ـ: أمّا قَولُهُ: «اللهُ أكبَرُ» فَهِيَ كَلِمَةٌ لَيسَ أعلاها كَلامٌ، وأحَبُّها إلَى اللهِ، يَعني لَيسَ أكبَرُ مِنهُ؛ لِأَنَّهُ يُستَفتَحُ الصَّلواتُ بِهِ، لِكَرامَتِهِ عَلَى اللهِ، وهُوَ اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ الأَكبَرِ.**[3]

٤٠٣٠. **الكافي عن ابن محبوب عمّن ذكره عن الإمام الصّادق عليه السلام: قالَ رَجُلٌ عِندَهُ: «اللهُ أكبَرُ».**

فَقالَ: اللهُ أكبَرُ مِن أيِّ شَيءٍ؟

فَقالَ: مِن كُلِّ شَيءٍ.

فَقالَ أبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: حَدَّدتَهُ.

فَقالَ الرَّجُلُ: كَيفَ أقولُ؟

---

١. الكافي: ج ١ ص ١١٥ ح ٣، معاني الأخبار: ص ٤ ح ١، التوحيد: ص ٢٣٠ ح ٤ كلّها عن الحسن بن راشد وراجع: المحاسن: ج ١ ص ٣٧٢ ح ٨١٢ وبحار الأنوار: ج ٣ ص ٣٣٦ ح ٤٤.

٢. عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٩٣ ح ١، علل الشرائع: ص ٤٨٢ ح ١ كلاهما عن محمّد بن سنان، بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٣٢٣ ح ٢٧.

٣. الاختصاص: ص ٣٤ عن الحسين بن عبد الله عن أبيه عن جدّه عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام.

قالَ: قُل: اللهُ أكبَرُ مِن أن يُوصَفَ.[١]

٤٠٣١ . الكافي عن جميع بن عمير: قالَ أبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: أيُّ شَيءٍ «اللهُ أكبَرُ»؟

فَقُلتُ: اللهُ أكبَرُ مِن كُلِّ شَيءٍ.

فَقالَ: وكانَ ثَمَّ شَيءٌ فَيَكونُ أكبَرَ مِنهُ؟!

فَقُلتُ: وما هُوَ؟

قالَ: اللهُ أكبَرُ مِن أن يُوصَفَ.[٢]

راجع: ج ٥ ص ١٠١ (الفصل التاسع والخمسون: الكبير، المتكبّر).

٤ـ١/١

مَعنىٰ «بِاسمِ اللهِ»

٤٠٣٢ . الإمام زين العابدين عليه السلام ـ فِي الدُّعاءِ ـ: ... بِاسمِ اللهِ كَلِمَةِ المُعتَصِمينَ ومَقالَةِ المُتَحَرِّزينَ.[٣]

٤٠٣٣ . التوحيد عن الحسن بن عليّ بن فضّال: سَأَلتُ الرِّضا عَلِيَّ بنَ موسىٰ عليه السلام عَن «بِاسمِ اللهِ».

قالَ: مَعنىٰ قَولِ القائِلِ: بِاسمِ اللهِ، أي أسِمُ عَلىٰ نَفسي سِمَةً مِن سِماتِ اللهِ عزّ وجلّ؛ وهِيَ العِبادَةُ.

---

١ . الكافي: ج ١ ص ١١٧ ح ٨، التوحيد: ص ٣١٣ ح ١، معاني الأخبار: ص ١١ ح ٢، بحار الأنوار: ج ٨٤ ص ٣٦٦ ح ٢٠.

٢ . الكافي: ج ١ ص ١١٨ ح ٩، التوحيد: ص ٣١٣ ح ٢ عن جميع بن عمرو، معاني الأخبار: ص ١١ ح ١، المحاسن: ج ١ ص ٣٧٦ ح ٨٢٧، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٢١٨ ح ١.

٣ . البلد الأمين: ص ١٠٠، المصباح للكفعمي: ص ١٤٤، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ١٥٣ ح ١١.

قالَ: فَقُلتُ لَهُ: ما السِّمَةُ؟

فَقالَ: العَلامَةُ.[1]

٤٠٣٤ . الكافي عن عبد الله بن سنان: سَأَلتُ أَبا عَبدِ اللهِ ﷺ عَن تَفسيرِ «بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ» قالَ: الباءُ بَهاءُ اللهِ، وَالسّينُ سَناءُ اللهِ، وَالميمُ مَجدُ اللهِ.

ورَوىٰ بَعضُهُم: الميمُ مُلكُ اللهِ، وَاللهُ إِلٰهُ كُلِّ شَيءٍ، الرَّحمٰنُ بِجَميعِ خَلقِهِ، وَالرَّحيمُ بِالمُؤمِنينَ خاصَّةً.[2]

٤٠٣٥ . الإمام العسكريّ ﷺ ـ في قَولِ اللهِ ﷻ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ـ: اللهُ هُوَ الَّذي يَتَأَلَّهُ إِلَيهِ عِندَ الحَوائِجِ وَالشَّدائِدِ كُلُّ مَخلوقٍ عِندَ انقِطاعِ الرَّجاءِ مِن كُلِّ مَن هُوَ دونَهُ، وتَقَطُّعِ الأَسبابِ مِن جَميعِ ما سِواهُ، يَقولُ: «بِاسمِ اللهِ» أَي أَستَعينُ عَلىٰ أُموري كُلِّها بِاللهِ الَّذي لا تَحِقُّ العِبادَةُ إِلّا لَهُ، المُغيثِ إِذا استُغيثَ، وَالمُجيبِ إِذا دُعِيَ.[3]

راجع: ص ٤٢٨ ح ٤٠٢٥.

---

١ . التوحيد: ص ٢٢٩ ح ١، معاني الأخبار: ص ٣ ح ١، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٦٠ ح ١٩ وفيه «العبوديّة» بدل «العبادة»، بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٢٣٠ ح ٩.

٢ . الكافي ج ١ ص ١١٤ ح ١، التوحيد: ص ٢٣٠ ح ٢، معاني الأخبار: ص ٣ ح ١، بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٢٣١ ح ١.

٣ . التوحيد: ص ٢٣٠ ح ٥، معاني الأخبار: ص ٤ ح ٢ كلاهما عن محمّد بن زياد ومحمّد بن سيّار، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ: ص ٢١ ح ٥، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٤١ ح ١٦.

الفصل الثاني

أصناف أسماء الله

٢ / ١
الأسماء اللفظية

٤٠٣٦ . الإمام عليّ عليه السلام : ما مِن حَرفٍ إلّا وهُوَ اسمٌ مِن أَسماءِ اللهِ عزّ وجلّ.[١]

٤٠٣٧ . الإمام الصادق عليه السلام : هٰذِهِ ﴿كـهيعص﴾ أَسماءُ اللهِ مُقَطَّعَةً.[٢]

٢ / ٢
الأسماء التكوينية

٤٠٣٨ . الإمام عليّ عليه السلام : أَنَا أَسماءُ اللهِ الحُسنىٰ، وأَمثالُهُ العُليا، وآياتُهُ الكُبرىٰ.[٣]

٤٠٣٩ . عنه عليه السلام : نَحنُ الاِسمُ المَخزونُ المَكنونُ، نَحنُ الأَسماءُ الحُسنَى الَّتي إذا سُئِلَ اللهُ عزّ وجلّ بِها

---

١ . التوحيد: ص ٢٣٥ ح ٢، معاني الأخبار: ص ٤٤ ح ٢ كلاهما عن يزيد بن الحسن عن الإمام الكاظم عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٢٠ ح ٤.

٢ . تفسير القمّي: ج ٢ ص ٤٨ عن أبي بصير، بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٣٧٦ ح ٤.

٣ . مختصر بصائر الدرجات: ص ٣٤ عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ٤٧ ح ٢٠.

أَجابَ، نَحنُ الأَسماءُ المَكتوبَةُ عَلَى العَرشِ.[١]

٤٠٤٠. الإمام الباقر عليه السلام ـ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٢] ـ: نَحنُ جَلالُ اللهِ وكَرامَتُهُ الَّتي أكرَمَ اللهُ العِبادَ بِطاعَتِنا.[٣]

٤٠٤١. الإمام الصادق عليه السلام: مِنّا... الاِسمُ المَخزونُ وَالعِلمُ المَكنونُ.[٤]

٤٠٤٢. عنه عليه السلام ـ في زِيارَةِ أميرِ المُؤمِنينَ عليه السلام ـ: السَّلامُ عَلَى اسمِ اللهِ الرَّضِيِّ، ووَجهِهِ المُضيءِ.[٥]

٤٠٤٣. الإمام الرضا عليه السلام: إذا نَزَلَت بِكُم شِدَّةٌ فَاستَعينوا بِنا عَلَى اللهِ، وهُوَ قَولُ اللهِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[٦] قالَ أبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: نَحنُ وَاللهِ الأَسماءُ الحُسنىٰ، الَّذي لا يُقبَلُ مِن أحَدٍ إلّا بِمَعرِفَتِنا، قالَ: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.[٧]

٤٠٤٤. الإمام الهادي عليه السلام: نَحنُ الكَلِماتُ الَّتي لا تُدرَكُ فَضائِلُنا ولا تُستَقصىٰ.[٨]

راجع: بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١٧٣ باب «إنّهم عليهم السلام كلمات الله وولايتهم الكلم الطيّب».

---

١. المحتضر: ص ٧٥، مدينة المعاجز: ج ١ ص ٥٥٦ ح ٣٥١ كلاهما نقلاً عن منهج التحقيق إلى سواء الطريق عن سلمان، بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٣٨ ح ٥.

٢. الرحمن: ٧٨.

٣. تفسير القمّي: ج ٢ ص ٣٤٦، بصائر الدرجات: ص ٣١٢ ح ١٢ كلاهما عن سعد بن ظريف، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١٩٦ ح ٢٠.

٤. بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٣٧ عن المفضّل بن عمر.

٥. الإقبال: ج ٣ ص ١٣٣، المزار للشهيد الأوّل: ص ٩٤ كلاهما عن محمّد بن مسلم، فرحة الغري: ص ٤٧ عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدين عليه السلام بزيادة «نور» قبل «وجهه»، بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ٣٠٦.

٦. الأعراف: ١٨٠.

٧. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٤٢ ح ١١٩، الكافي: ج ١ ص ١٤٣ ح ٤ عن معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام نحوه وليس فيه صدره، الاختصاص: ص ٢٥٢ وليس فيه ذيله من «قالَ أبو عبد الله عليه السلام»، بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ٥ ح ٧.

٨. الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٩٩ ح ٣٣١، الاختصاص: ص ٩٤، المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤ ص ٤٠٠، تحف العقول: ص ٤٧٩ نحوه، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١٧٤ ح ١.

٢ / ٣
المُستأثَرُ مِنَ الأَسماءِ

٤٠٤٥. رسول الله ﷺ ـ في دُعائِهِ المُسَمّىٰ بِالأَسماءِ الحُسنىٰ ـ: يا اللهُ وَأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي لا يُحيطُ بِهِ عِلمُ العُلَماءِ، يا اللهُ وَأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي لا يَحويهِ حُكمُ الحُكَماءِ.[١]

٤٠٤٦. عنه ﷺ: إنَّ للهِ تَعالىٰ أَربعَةَ آلافِ اسمٍ: أَلفٌ لا يَعلَمُها إلَّا اللهُ، وأَلفٌ لا يَعلَمُها إلَّا اللهُ وَالمَلائِكَةُ، وأَلفٌ لا يَعلَمُها إلَّا اللهُ وَالمَلائِكَةُ وَالنَّبِيّونَ، وأَمَّا الأَلفُ الرّابِعُ فَالمُؤمِنونَ يَعلَمونَهُ: ثَلاثُمِئَةٍ مِنها فِي التَّوراةِ، وثَلاثُمِئَةٍ فِي الإِنجيلِ، وثَلاثُمِئَةٍ فِي الزَّبورِ، ومِئَةٌ فِي القُرآنِ، تِسعةٌ وتِسعونَ ظاهِرَةٌ، وواحِدٌ مَكتومٌ، مَن أَحصاها دَخَلَ الجَنَّةَ.[٢]

٤٠٤٧. عنه ﷺ: ما قالَ عَبدٌ قَطُّ إذا أَصابَهُ هَمٌّ وحُزنٌ: «اللّٰهُمَّ إنّي عَبدُكَ وَابنُ عَبدِكَ وَابنُ أَمَتِكَ، ناصِيَتي بِيَدِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكمُكَ، عَدلٌ فِيَّ قَضاؤُكَ، أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيتَ بِهِ نَفسَكَ، أَو أَنزَلتَهُ في كِتابِكَ، أَو عَلَّمتَهُ أَحَداً مِن خَلقِكَ، أَوِ استَأثَرتَ بِهِ في عِلمِ الغَيبِ عِندَكَ، أَن تَجعَلَ القُرآنَ رَبيعَ قَلبي، ونورَ صَدري، وجَلاءَ حُزني، وذَهابَ هَمّي» إلّا أَذهَبَ اللهُ ﷻ هَمَّهُ، وأَبدَلَهُ مَكانَ حُزنِهِ فَرَحاً.[٣]

٤٠٤٨. الإمام الصادق ؏ ـ لِمَن قالَ لَهُ: يَدخُلُنِي الغَمُّ ـ: أَكثِر مِن أَن تَقولَ: «اَللهُ اللهُ رَبّي لا أُشرِكُ بِهِ شَيئاً»، فَإِذا خِفتَ وَسوَسَةً أَو حَديثَ نَفسٍ فَقُل: «اللّٰهُمَّ إنّي عَبدُكَ وَابنُ

---

١. البلد الأمين: ص ٤١٥، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٢٥٩ ح ١.

٢. عوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٠٦ ح ١٥٧، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢١١ ح ٦.

٣. مسند ابن حنبل: ج ٢ ص ١٦٨ ح ٤٣١٨، صحيح ابن حبّان: ج ٣ ص ٢٥٣ ح ٩٧٢، المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٦٩٠ ح ١٨٧٧، المعجم الكبير: ج ١٠ ص ١٦٩ ح ١٠٣٥٢ كلّها عن عبد الله بن مسعود، كنز العمّال: ج ٢ ص ١٢٢ ح ٣٤٣٤؛ الدعوات: ص ٥٥ ح ١٤٠، مكارم الأخلاق: ج ٢ ص ١٥٥ ح ٢٣٨٢، مصباح المتهجّد: ص ٥٠٩ ح ٥٨٨ عن الإمام الكاظم ؏ والثلاثة الأخيرة نحوه، بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ٢٠١ ح ٣٢.

عَبدِكَ وَابنُ أَمَتِكَ، ناصِيَتي بِيَدِكَ، عَدلٌ فِيَّ حُكمُكَ، ماضٍ فِيَّ قَضاؤُكَ، اللّٰهُمَّ إِنّي أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ أَنزَلتَهُ في كِتابِكَ، أَو عَلَّمتَهُ أَحداً مِن خَلقِكَ، أَوِ استَأثَرتَ بِهِ في عِلمِ الغَيبِ عِندَكَ، أَن تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأَن تَجعَلَ القُرآنَ نورَ بَصَري، ورَبيعَ قَلبي، وجَلاءَ حُزني، وذَهابَ هَمّي، اللهُ اللهُ رَبّي لا أُشرِكُ بِهِ شَيئاً».[١]

٤٠٤٩. الإمام الكاظم عليه السلام ـ فِي الدُّعاءِ ـ: اللّٰهُمَّ إِنّي أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيتَ بِهِ نَفسَكَ، أَو أَنزَلتَهُ في شَيءٍ مِن كُتُبِكَ، أَوِ استَأثَرتَ بِهِ في عِلمِ الغَيبِ عِندَكَ، أَو عَلَّمتَهُ أَحَداً مِن خَلقِكَ، أَن تَجعَلَ القُرآنَ رَبيعَ قَلبي، وشِفاءَ صَدري، ونورَ بَصَري، وذَهابَ هَمّي وحُزني؛ فَإِنَّهُ لا حَولَ ولا قُوَّةَ إِلّا بِكَ.[٢]

راجع: ج ٥ ص ٤١ ح ٥٠٠٤.

---

١. الكافي: ج ٢ ص ٥٦١ ح ١٦ عن سعيد بن يسار، بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ٣١١ ح ٦٣ نقلاً عن مهج الدعوات.

٢. مصباح المتهجّد: ص ٥٠٩ ح ٥٨٨؛ كنز العمّال: ج ٢ ص ١٢٢ ح ٣٤٣٥ نقلاً عن ابن السني في عمل اليوم والليلة عن أبي موسى.

الفصل الثالث

عدد أسماء الله

٣ / ١
عدد الأسماء اللفظية

٤٠٥٠. رسول الله ﷺ : إنَّ فِي القُرآنِ تِسعَةً وتِسعينَ اسماً ، مَن أحصاها كُلَّها دَخَلَ الجَنَّةَ.[١]

٤٠٥١. عنه ﷺ : إنَّ للهِ تِسعَةً وتِسعينَ اسماً ، مِئَةً إلّا واحِداً ، مَن أحصاها دَخَلَ الجَنَّةَ.[٢]

٤٠٥٢. عنه ﷺ : إنَّ للهِ ـ تَبارَكَ وتَعالىٰ ـ تِسعَةً وتِسعينَ اسماً ؛ مِئَةً إلّا واحِداً، مَن أحصاها دَخَلَ الجَنَّةَ، وهِيَ :

اللهُ، الإلٰهُ ، الواحِدُ ، الأَحَدُ ، الصَّمَدُ[٣] ، الأَوَّلُ ، الآخِرُ ، السَّميعُ ، البَصيرُ ، القَديرُ ،

---

١. تاريخ بغداد: ج ٣ ص ٤٢٢ الرقم ١٥٥٣ عن أبي هريرة وراجع بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢١١ ح ٦.

٢. صحيح البخاري: ج ٢ ص ٩٨١ ح ٢٥٨٥، صحيح مسلم: ج ٤ ص ٢٠٦٣ ح ٦، سنن الترمذي: ج ٥ ص ٥٣٠ ح ٣٥٠٦، سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٢٦٩ ح ٣٨٦٠، مسند ابن حنبل: ج ٣ ص ٩١ ح ٧٦٢٧ كلّها عن أبي هريرة، كنز العمّال: ج ١ ص ٤٤٨ ح ١٩٣٣؛ التوحيد: ص ١٩٤ ح ٨ عن سليمان بن مهران عن الإمام الصادق عن آبائه ﷺ ، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٠٩ ح ٣.

٣. الصَّمَدُ: الّذي انتهى إليه السؤدد، وقيل: هو الدائم الباقي، وقيل: هو الّذي يُصمَد في الحوائج؛ أي يُقصَد (مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٠٤٩).

القاهِرُ، العَلِيُّ، الأَعلَى، الباقِي، البَديعُ، البارِئُ، الأَكرَمُ، الظّـاهِرُ، البـاطِنُ، الحَـيُّ، الحَكيمُ، العَليمُ، الحَـليمُ، الحَـفيظُ، الحَـقُّ، الحَسيبُ[١]، الحَـميدُ، الحَـفيُّ، الرَّبُّ، الرَّحمٰنُ، الرَّحيمُ، الذّارِئُ[٢]، الرَّزّاقُ، الرَّقيبُ، الرَّؤوفُ، الرّائِـي، السَّـلامُ، المُـؤمِنُ، المُهيمِنُ، العَزيزُ، الجَبّارُ، المُتَكَبِّرُ، السَّيِّدُ، السُّبّوحُ[٣]، الشَّـهيدُ، الصّـادِقُ، الصّـانِعُ، الطّاهِرُ، العَدلُ، العَفُوُّ، الغَفورُ، الغَنِيُّ، الغِياثُ، الفاطِرُ، الفَردُ، الفَتّاحُ، الفالِقُ، القَديمُ، المَلِكُ، القُدّوسُ، القَوِيُّ، القَريبُ، القَيّومُ، القـابِضُ، البـاسِطُ، قـاضِي الحـاجاتِ، المَجيدُ، المَولَى، المَـنّانُ، المُـحيطُ، المُـبينُ، المُـقيتُ، المُـصَوِّرُ، الكَـريمُ، الكَـبيرُ، الكافي، كاشِفُ الضُّرِّ، الوَترُ، النُّورُ، الوَهّابُ، النّـاصِرُ، الواسِـعُ، الوَدودُ، الهـادِي، الوَفِيُّ، الوَكيلُ، الوارِثُ، البَرُّ، الباعِثُ، التَّوّابُ، الجَليلُ، الجَوادُ، الخَبيرُ، الخـالِقُ، خَيرُ النّاصِرينَ، الدَّيّانُ[٤]، الشَّكورُ، العَظيمُ، اللَّطيفُ، الشّافي.[٥]

٤٠٥٣ . الإمام الصادق عليه السلام ـ لَمّا سُئِلَ عَنِ الأَسماءِ التِّسعَةِ وَالتِّسعينَ الَّتي مَن أَحصاها دَخَلَ الجَنَّةَ[٦] ـ: هِيَ فِي القُرآنِ:

---

١ . الحَسِيبُ: الكافي (النهاية: ج ١ ص ٣٨١).

٢ . الذّارئ: هو الّذي ذرأ الخلق؛ أي خلقهم (لسان العرب: ج ١ ص ٧٩ «ذرأ»).

٣ . سُبّوح قُدّوس: يرويان بالفتح والضم والفتح أقيس والضمّ أكثر استعمالاً، وهو من أبنية المبالغة والمراد بهما التنزيه (النهاية: ج ٢ ص ٣٣٢ «سبح»).

٤ . الدَّيّانُ: القهّار، وقيل: الحاكم والقاضي (النهاية: ج ٢ ص ١٤٨ «دين»).

٥ . التوحيد: ص ١٩٤ ح ٨، الخصال: ص ٥٩٣ ح ٤، عدّة الداعي: ص ٢٩٩ كلّها عن سليمان بن مهران عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٨٦ ح ١.

٦ . قالَ الشيخ الصدوق رحمه الله: معنىٰ قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنَّ للهِ تَبارَكَ وتَعالىٰ تِسعَةً وتِسعينَ اسماً، مَن أحصاها دَخَلَ الجَنَّةَ» إحصاؤها هو الإحاطة بها والوقوف على معانيها، وليس مَعنىٰ الإحصاء عدّها، وبالله التوفيق (التوحيد: ص ١٩٥).

فَفِي الفاتِحَةِ خَمسَةُ أَسماءٍ: يا أَللهُ، يارَبُّ، يا رَحمانُ، يا رَحيمُ، يا مالِكُ.

وفِي البَقَرَةِ ثَلاثَةٌ وثَلاثونَ اسماً: يا مُحيطُ، يا قَديرُ، يا عَليمُ، يا حَكيمُ، يا عَلِيُّ، يا عَظيمُ، يا تَوّابُ، يا بَصيرُ، يا وَلِيُّ، يا واسِعُ، يا كافي، يا رَؤوفُ، يا بَديعُ، يا شاكِرُ، يا واحِدَ، يا سَميعُ، يا قابِضُ، يا باسِطُ، يا حَيُّ، يا قَيّومُ، يا غَنِيُّ، يا حَميدُ، يا غَفورُ، يا حَليمُ، يا إِلٰهُ، يا قَريبُ، يا مُجيبُ، يا عَزيزُ، يا نَصيرُ، يا قَوِيُّ، يا شَديدُ، يا سَريعُ، يا خَبيرُ.

وفي آلِ عِمرانَ: يا وَهّابُ، يا قائِمُ، يا صادِقُ، يا باعِثُ، يا مُنعِمُ، يا مُتَفَضِّلُ.

وفِي النِّساءِ: يا رَقيبُ، يا حَسيبُ، يا شَهيدُ، يا مُقيتُ، يا وَكيلُ، يا عَلِيُّ، يا كَبيرُ.

وفِي الأَنعامِ: يا فاطِرُ، يا قاهِرُ، يا لَطيفُ، يا بُرهانُ.

وفِي الأَعرافِ: يا مُحيي، يا مُميتُ.

وفِي الأَنفالِ: يا نِعمَ المَولىٰ، يا نِعمَ النَّصيرُ.

وفي هودٍ: يا حَفيظُ، يا مَجيدُ، يا وَدودُ، يا فَعّالُ لِما يُريدُ.

وفِي الرَّعدِ: يا كَبيرُ، يا مُتَعالِ.

وفِي إِبراهيمَ: يا مَنّانُ، يا وارِثُ.

وفِي الحِجرِ: يا خَلّاقُ.

وفي مَريَمَ: يا فَردُ.

وقالَ العلّامة الطباطبائي ﷺ: المراد بقوله: «مَن أحصاها دَخَلَ الجَنَّةَ» الإيمان باتّصافه تعالى بجميع ما تدلّ عَلَيهِ تلك الأسماء، بحَيثُ لا يشذّ عنها شاذّ (الميزان في تفسير القرآن: ج ٨ ص ٣٥٩).

وفي طٰهٰ: يا غَفّارُ.

وفي «قَد أَفلَحَ»: يا كَريمُ.

وفِي النُّور: يا حَقُّ، يا مُبينُ.

وفِي الفُرقانِ: يا هادي.

وفي سَبَأٍ: يا فَتّاحُ.

وفِي الزُّمَرِ: يا عالِمُ.

وفي غافِرٍ: يا غافِرُ، يا قابِلَ التَّوبَةِ، يا ذَا الطَّولِ، يا رَفيعُ.

وفِي الذّارِياتِ: يا رَزّاقُ، يا ذَا القُوَّةِ، يا مَتينُ.

وفِي الطور: يا بَرّ.

وفِي «اقتَرَبَت»: يا مَليكُ، يا مُقتَدِرُ.

وفِي الرَّحمٰن: يا ذَا الجَلالِ وَالإِكرامِ، يا رَبَّ المَشرِقَينِ، يا رَبُّ المَغرِبَينِ، يا باقي، يا مُهَيمِنُ.

وفِي الحَديدِ: يا أَوَّلُ، يا آخِرُ، يا ظاهِرُ، يا باطِنُ.

وفِي الحَشرِ: يا مَلِكُ، يا قُدّوسُ، يا سَلامُ، يا مُؤمِنُ، يا مُهَيمِنُ، يا عَزيزُ، يا جَبّارُ، يا مُتَكَبِّرُ، يا خالِقُ، يا بارِئُ، يا مُصَوِّرُ.

وفِي البُروجِ: يا مُبدِئُ، يا مُعيدُ.

وفِي الفَجرِ: يا وَترُ.

وفِي الإِخلاصِ: يا أَحَدُ، يا صَمَدُ.[1]

---

١. الدرّ المنثور: ج ٣ ص ٦١٥ نقلاً عن أبي نعيم عن محمّد بن جعفر؛ بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٢٧٣ ح ٤.

كلام في عدد الأسماء الحسنى اللفظية

قال العلّامة الطباطبائي ﴿﴾: «لا دليل في الآيات الكريمة على تعيّن عدد للأسماء الحسنىٰ تتعين به، بل ظاهر قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[2]، وقوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3]، وأَمثالها من الآيات أَنّ كلّ اسم في الوجود هو أَحسن الأَسماء في معناها فهو له تعالىٰ فلا تتحدّد أَسماؤه الحسنىٰ بمحدّد.

والذي ورد منها في لفظ الكتاب الإلهي مئة وبضعة وعشرون اسماً، هي:

أ ـ الإله، الأَحد، الأَول، الآخر، الأَعلى، الأَكرم، الأَعلم. أَرحم الراحمين، أَحكم الحاكمين، أَحسن الخالقين، أَهل التقوى، أَهل المغفرة، الأَقرب، الأَبقىٰ.

ب ـ البارئ، الباطن، البديع، البرّ، البصير.

ت ـ التوّاب.

ج ـ الجبّار، الجامع.

---

١. طه: ٨.

٢. الأعراف: ١٨٠.

٣. الحشر: ٢٤.

ح ـ الحكيم، الحليم، الحي، الحق، الحميد، الحسيب، الحفيظ، الحفي.

خ ـ الخبير، الخالق، الخلاق، الخير، خير الماكرين، خير الرازقين، خير الفاصلين، خير الحاكمين، خير الفاتحين، خير الغافرين، خير الوارثين، خير الرّاحمين، خير المنزلين.

ذ ـ ذوالعرش، ذوالطول، ذوالانتقام، ذو الفضل العظيم، ذوالرّحمة، ذوالقوة، ذوالجلال والإكرام، ذوالمعارج.

ر ـ الرّحمٰن، الرّحيم، الرؤوف، الرّب، رفيع الدّرجات، الرّزاق، الرّقيب.

س ـ السّميع، السّلام، سريع الحساب، سريع العقاب.

ش ـ الشّهيد، الشّاكر، الشّكور، شديد العقاب، شديد المحال.

ص ـ الصّمد.

ظ ـ الظّاهر.

ع ـ العليم، العزيز، العفو، العلي، العظيم، علّام الغيوب، عالم الغيب والشّهادة.

غ ـ الغنيّ، الغفور، الغالب، غافر الذنب، الغفار.

ف ـ فالق الإصباح، فالق الحبّ والنوى، الفاطر، الفتّاح.

ق ـ القوي، القدّوس، القيّوم، القاهر، القهّار، القريب، القادر، القدير، قابل التوب، القائم علىٰ كل نفس بما كسبت.

ك ـ الكبير، الكريم، الكافي.

ل ـ اللطيف.

م ـ الملك، المؤمن، المهيمن، المتكبرّ، المصوّر، المجيد، المجيب، المبين،

المولى، المحيط، المقيت، المتعال، المحيي، المتين، المقتدر، المستعان، المبدي، مالك الملك.

ن ـ النَّصير، النُّور.

و ـ الوهّاب، الواحد، الولي، الوالي، الواسع، الوكيل، الودود.

هـ ـ الهادي.

وقد تقدّم أَنّ ظاهر قوله: «ولله الأَسماء الحسنى» «وله الأَسماء الحسنى» أَنّ معاني هذه الأَسماء له تعالىٰ حقيقة وعلى نحو الأَصالة، ولغيره تعالىٰ بالتبع فهو المالك لها حقيقة، وليس لغيره إِلّا ما ملكه الله من ذلك، وهو مع ذلك مالك لما ملكه غيره لم يخرج عن ملكه بالتمليك، فله سبحانه حقيقة العلم مثلاً، وليس لغيره منه إِلّا ما وهبه له، وهو مع ذلك له لم يخرج من ملكه وسلطانه...

وأَمّا ما ورد مستفيضاً ممّا رواه الفريقان عن النَّبيﷺ: «إِنَّ لِلهِ تِسعَةً وتسعينَ اسماً مِئَةً إلّا واحِداً مَن أَحصاها دَخَلَ الجَنَّةَ» أَو ما يقرب من هذا اللفظ فلا دلالة فيها على التوقيف. هذا بالنظر إِلى البحث التفسيري، وأَمّا البحث الفقهي فمرجعه فن الفقه والاحتياط في الدِّين يقتضي الاقتصار في التسمية بما ورد من طريق السمع، وأَمّا مجرّد الإِجراء والإِطلاق من دون تسمية فالأَمر فيه سهل».[1]

---

١. الميزان في تفسير القرآن: ج ٨ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٩.

٣ / ٢
عدد الأسماء التكوينيّة

الكتاب

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[1]

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.[2]

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.[3]

الحديث

٤٠٥٤ . الإمام الصادق عليه السلام ـ في تَفسيرِ قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ...﴾ ـ: قَد أَخبَرَكَ أَنَّ كَلامَ اللهِ عزّ وجلّ لَيسَ لَهُ آخِرٌ ولا غايَةٌ، ولا يَنقَطِعُ أَبداً.[4]

تعليق

أَسماء الله وكلماته التكوينيّة بمعناها العامّ تشمل جميع مخلوقات الله، و علىٰ هذا الأَساس فإنّ كلمات الله لا عدَّ لها ولاحصر، والمخلوقات غير قادرة علىٰ إحصائها، ولكن هذا لايعني طبعاً أَنّ الله غير قادر علىٰ إحصائها؛ فهو تعالىٰ يعلم عدد جميع مخلوقاته؛ ولهذا نرى القرآن الكريم يعلن: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾[5]، ﴿لَا يُغَادِرُ

---

١ . لقمان: ٢٧.

٢ . الكهف: ١٠٩.

٣ . إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨.

٤ . تفسير القمّي: ج ٢ ص ٤٦ عن أبي بصير، تفسير نور الثقلين: ج ٣ ص ٣١٣ ح ٢٥٦.

٥ . الجنّ: ٢٨.

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَىٰهَا﴾[١]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾.[٢]

وإضـافة إلىٰ الأَسماء والكلمات التكوينيّة العامّة، فإنّ لله تعالىٰ أسماء وكلمات تكوينيّة خاصّة أيضاً تذكر تحت عنوان «أَسماء الله الحسنى»، أو «أَمثاله العليا»، أو «آياته الكبرى»، أَو «اسم الله الرضيّ»، و مصداقُها البارز الأَنبياءُ والأَولياء وأَهل البيت عليهم السلام.

---

١. الكهف: ٤٩.

٢. النبأ: ٢٩.

الفصل الرّابع

الإسم الأعظم

٤ / ١
ما روي في تفسير الإسم الأعظم

٤ / ١ ـ ١
البَسمَلَة

٤٠٥٥ . رسول الله ﷺ : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أَقرَبُ إِلَى الاِسمِ الأَعظَمِ[1] مِن سَوادِ العَينِ إِلىٰ بَياضِها.[2]

---

١ . استعملت كلمة «اسم» في معناها الجامع القابل للصدق على جميع أسمائه تعالى، فهو من باب ذكر المفهوم والإشارة به إلى المصداق. وبما أنّ الاسم الأعظم أشرف المصاديق فلا محالة أن يكون أولى وأحقّ بانطباق المفهوم عليه. وبهذا يتّضح معنى كون «باسم الله» أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها؛ فإنّ القرب بينهما قرب ذاتي، إذ المفهوم متّحد مع مصداقه خارجاً، وقرب سواد العين إلى بياضها قرب مكانيّ، والاتّحاد بينهما وضعيّ (البيان في تفسير القرآن: ص ٥١٤).

٢ . عدّة الداعي: ص ٤٩، تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٢٨٩ ح ١١٥٩ عن عبد الله بن يحيى الكاهلي عن الإمام الصادق عليه السلام وفيه «ناظر» بدل «سواد»، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٥ ح ١١ عن محمّد بن سنان عن الإمام الرضا عليه السلام، تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٢١ ح ١٣ عن إسماعيل بن مهران عن الإمام الرضا عليه السلام، دلائل الإمامة: ص

٤٠٥٦ . مُهج الدعوات عن معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اِسمُ اللهِ الأَكبَرُ. أَو قالَ: الأَعظَمُ.[1]

٤ / ١ ـ ٢

آياتٌ مِنَ القُرآنِ

٤٠٥٧ . رسول الله صلى الله عليه وآله : اِسمُ اللهِ الأَعظَمُ في هاتَينِ الآيَتَينِ: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2]، وفاتِحَةِ سورَةِ آلِ عِمرانَ: ﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[3].[4]

٤٠٥٨ . عنه صلى الله عليه وآله : اِسمُ اللهِ الأَعظَمُ الَّذي إِذا دُعِيَ بِهِ أَجابَ في سُوَرٍ ثَلاثٍ: البَقَرَةِ، وآلِ عِمرانَ، وطٰهٰ.[5]

٤٠٥٩ . عنه صلى الله عليه وآله : اِسمُ اللهِ الأَعظَمُ الَّذي إِذا دُعِيَ بِهِ أَجابَ في هٰذِهِ الآيَةِ مِن آلِ عِمرانَ: ﴿قُلِ

← ٤٢٠ ح ٣٨٣ عن أحمد بن إسحاق عن الإمام الهادي عن الإمام الرضا عليه السلام وفيها «اسم الله الأعظم» بدل «الاسم الأعظم»، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ٣٧١ ح ٦؛ المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٧٣٨ ح ٢٠٢٧، تاريخ بغداد: ج ٧ ص ٣١٣ الرقم ٣٨٢٦ كلاهما عن ابن عبّاس نحوه، كنز العمّال: ج ٢ ص ٢٩٦ ح ٤٠٤٧.

١ . مهج الدعوات: ص ٣٧٩.

٢ . البقرة: ١٦٣.

٣ . آل عمران: ١ و ٢.

٤ . سنن أبي داوود: ج ٢ ص ٨٠ ح ١٤٩٦، سنن الترمذي: ج ٥ ص ٥١٧ ح ٣٤٧٨، سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٢٦٧ ح ٣٨٥٥ وليس فيه ذيله، سنن الدارمي: ج ٢ ص ٩٠٧ ح ٣٢٦٦، المعجم الكبير: ج ٢٤ ص ١٧٤ ح ٤٤٠ وح ٤٤١ والثلاثة الأخيرة نحوه وكلّها عن أسماء بنت يزيد، كنز العمّال: ج ١ ص ٤٥١ ح ١٩٤١.

٥ . سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٢٦٧ ح ٣٨٥٦، المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٦٨٤ ح ١٨٦١ وليس فيه «الذي إذا دعي به أجاب»، المعجم الكبير: ج ٨ ص ٢٣٧ ح ٧٩٢٥، المعجم الأوسط: ج ٨ ص ١٩٢ ح ٨٣٧١ كلّها عن أبي أُمامة، كنز العمّال: ج ١ ص ٤٥١ ح ١٩٤٢؛ مهج الدعوات: ص ٣٨٠ عن أبي أُمامة، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٢٢٤.

﴿ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾[١] إلىٰ آخِرِهِ.[٢]

٤٠٦٠ . عنه ﷺ: هَل أَدُلُّكُم عَلَى اسمِ اللهِ الأَعظَمِ الَّذي إذا دُعِيَ بِهِ أَجابَ، وإذا سُئِلَ بِهِ أَعطىٰ الدَّعوَةُ الَّتي دَعا بِها يونُسُ، حَيثُ نـاداهُ فِـي الظُّـلُماتِ الثَّـلاثِ: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[٣].[٤]

٤٠٦١ . عنه ﷺ: اِسمُ اللهِ الأَعظَمُ في سِتِّ آياتٍ في آخِرِ سورَةِ الحَشرِ.[٥]

٤٠٦٢ . كنز العمّال عن البراء بن عازب: قُلتُ لِعَلِيٍّ ؛ : يا أَميرَ المُؤمِنينَ، أسأَلُكَ بِاللهِ ورَسولِهِ إلّا خَصَصتَني بِأَعظَمِ ما خَصَّكَ بِهِ رَسولُ اللهِ ﷺ، وَاختَصَّهُ بِهِ جِبريلُ، وأَرسَلَهُ بِـهِ الرَّحمٰنُ، فَضَحِكَ، ثُمَّ قالَ لَهُ: يا بَراءُ إذا أَرَدتَ أَن تَدعُوَ اللهَ ﷻ بِاسمِهِ الأَعظَمِ، فَاقرَأ مِن أَوَّلِ سورَةِ الحَديدِ إلىٰ آخِرِ سِتِّ آياتٍ مِنها إلىٰ ﴿... عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، وآخِرَ سورَةِ الحَشرِ يَعني أَربَعَ آياتٍ، ثُمَّ ارفَع يَدَيكَ فَقُل: «يا مَن هُوَ هٰكَذا، أَسأَلُكَ بِحَقِّ هٰذِهِ الأَسماءِ أَن تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأَن تَفعَلَ بي كَذا وكَذا مِمّا تُريدُ». فَوَ الَّذي لا إلٰهَ غَيرُهُ لَتَقبِلَنَّ[٦] بِحاجَتِكَ إن شاءَ اللهُ.[٧]

---

١ . آل عمران: ٢٦.

٢ . المعجم الكبير: ج ١٢ ص ١٣٣ ح ١٢٧٩٢ عن ابن عبّاس، كنز العمّال: ج ١ ص ٤٥١ ح ١٩٤٣؛ مهج الدعوات: ص ٣٨٠ عن أسماء بنت زيد بزيادة الآية ٢٧ من آل عمران، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٢٢٤.

٣ . الأنبياء: ٨٧.

٤ . المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٦٨٥ ح ١٨٦٥، تفسير الطبري: ج ١٠ الجزء ١٧ ص ٨٢ نحوه وكلاهما عن سعد بن مالك، كنز العمّال: ج ١ ص ٤٥٢ ح ١٩٤٤.

٥ . مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٠١ عن ابن عبّاس، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٢٢٤؛ الفردوس: ج ١ ص ٤١٦ ح ١٦٨٦ عن ابن عبّاس، كنز العمّال: ج ١ ص ٤٥٢ ح ١٩٤٥.

٦ . في الدرّ المنثور: «لتنقلِبَنّ».

٧ . كنز العمّال: ج ٢ ص ٢٤٨ ح ٣٩٤١ نقلاً عن أبي داوود، دستور معالم الحكم: ٩١ نحوه، الدرّ المنثور: ج ٨ ص ٤٩ نقلاً عن ابن النجّار في تاريخ بغداد وراجع بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٢٣٠ ح ٢.

٤٠٦٣ . الإمام الصادق عليه السلام : إِسمُ اللهِ الأَعظَمُ مُقَطَّعٌ في أُمِّ الكِتابِ.[١]

٤٠٦٤ . عنه عليه السلام : ﴿الٓمٓ﴾ هُوَ حَرفٌ مِن حُروفِ اسمِ اللهِ الأَعظَمِ المُقَطَّعِ فِي القُرآنِ، الَّذي يُؤَلِّفُهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وَالإِمامُ، فَإِذا دَعا بِهِ أُجيبَ.[٢]

٤ / ١ ـ ٣
نُصوصٌ مِنَ الأَدعِيَةِ

٤٠٦٥ . رسول الله صلى الله عليه وآله ـ لَمّا سَمِعَ رَجُلاً يَقولُ: اللّهُمَّ إِنّي أَسأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمدَ لا إِلٰهَ إِلّا أَنتَ وَحدَكَ لا شَريكَ لَكَ، المَنّانُ، بَديعُ السَّماواتِ وَالأَرضِ، ذُوالجَلالِ وَالإِكرامِ ـ: لَقَد سَأَلَ اللهَ بِاسمِهِ الأَعظَمِ، الَّذي إِذا سُئِلَ بِهِ أَعطىٰ، وإِذا دُعِيَ بِهِ أَجابَ.[٣]

٤٠٦٦ . سنن ابن ماجة عن بريدة : سَمِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله رَجُلاً يَقولُ: اللّهُمَّ إِنّي أَسأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنتَ اللهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذي لَم يَلِد وَلَم يولَد وَلَم يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ.

فَقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: لَقَد سَأَلَ اللهَ بِاسمِهِ الأَعظَمِ، الَّذي إِذا سُئِلَ بِهِ أَعطىٰ، وإِذا دُعِيَ بِهِ أَجابَ.[٤]

---

١ . ثواب الأعمال: ص ١٣٠ ح ١، تفسير العيّاشي: ج ١ ص ١٩ ح ١، مهج الدعوات: ص ٣٧٩ كلّها عن عليّ بن أبي حمزة البطائني، بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٢٣٤ ح ١٦.

٢ . معاني الأخبار: ص ٢٣ ح ٢، تفسير القمّي: ج ١ ص ٣٠ كلاهما عن أبي بصير، بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٦ ح ٣٨.

٣ . سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٢٦٨ ح ٣٨٥٨، سنن الترمذي: ج ٥ ص ٥٥٠ ح ٣٥٤٤ نحوه، مسند ابن حنبل: ج ٤ ص ٢٤١ ح ١٢٢٠٦، المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٥٧ ح ٢ كلّها عن أنس بن مالك وراجع كنز العمّال: ج ١ ص ٤٥٢ ح ١٩٤٨ ومهج الدعوات: ص ٣٨٠ وبحار الأنوار: ج ٩٥ ح ١٦٣.

٤ . سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٢٦٧ ح ٣٨٥٧، سنن أبي داوود: ج ٢ ص ٧٩ ح ١٤٩٣ وفيه «بالاسم» بدل «باسمه الأعظم»، سنن الترمذي: ج ٥ ص ٥١٥ ح ٣٤٧٥ نحوه، مسند ابن حنبل: ج ٩ ص ١٣ ح ٢٣٠٢٦ عن عبد الله بن بريدة، صحيح ابن حبّان: ج ٣ ص ١٧٣ ح ٨٩١، المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٦٨٣ ح ١٨٥٨، كنز العمّال: ج ١ ص ٤٥٣ ح ١٩٤٩.

٤٠٦٧ . **سنن أبي داود عن حفص عن أنس:** أَنَّهُ كانَ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ جالِساً ورَجُلٌ يُصَلّي، ثُمَّ دَعا: اللَّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ بأَنَّ لَكَ الحَمدَ لا إلٰهَ إلّا أنتَ، المَنّانُ، بَديعُ السَّماواتِ وَالأَرضِ، يا ذَا الجَلالِ وَالإِكرامِ، يا حَيُّ يا قَيّومُ.

فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَقَد دَعا اللهَ بِاسمِهِ العَظيمِ، الَّذي إذا دُعِيَ بِهِ أجابَ، وإذا سُئِلَ بِهِ أعطىٰ.[1]

٤٠٦٨ . **الأدب المفرد عن أنس:** كُنتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ دَعا رَجُلٌ فَقالَ: يا بَديعَ السَّماواتِ، يا حَيُّ يا قَيّومُ، إنّي أسأَلُكَ.

فَقالَ: أتَدرونَ بِما دَعا؟ وَالَّذي نَفسي بِيَدِهِ، دَعَا اللهَ بِاسمِهِ الَّذي إذا دُعِيَ بِهِ أجابَ.[2]

٤٠٦٩ . **الإمام الحسين ؑ عن الإمام عليّ ؑ:** رَأَيتُ الخِضرَ ؑ فِي المَنامِ قَبلَ بَدرٍ بِلَيلَةٍ، فَقُلتُ لَهُ: عَلِّمني شَيئاً أُنصَرُ بِهِ عَلَى الأَعداءِ.

فَقالَ: قُل: «يا هُوَ، يا مَن لا هُوَ إلّا هُوَ»، فَلَمّا أصبَحتُ قَصَصتُها عَلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَقالَ لي: يا عَلِيُّ عُلِّمتَ الاِسمَ الأَعظَمَ. فَكانَ عَلىٰ لِساني يَومَ بَدرٍ.

وإنَّ أميرَ المُؤمِنينَ ؑ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمّا فَرَغَ قالَ: يا هُوَ، يا مَن لا هُوَ إلّا هُوَ، اغفِر لي وَانصُرني عَلَى القَومِ الكافِرينَ.

وكانَ عَلِيٌّ ؑ يَقولُ ذٰلِكَ يَومَ صِفّينَ وهُوَ يُطارِدُ، فَقالَ لَهُ عَمّارُ بنُ ياسِرٍ: يا أميرَ المُؤمِنينَ، ما هٰذِهِ الكِناياتُ؟

---

١ . سنن أبي داوود: ج ٢ ص ٧٩ ح ١٤٩٥، سنن النسائي: ج ٣ ص ٥٢، صحيح ابن حبان: ج ٣ ص ١٧٥ ح ٨٩٣ نحوه، مسند ابن حنبل: ج ٤ ص ٣١٦ ح ١٢٦١١ وفيه «الحنّان» بدل «المنّان»، المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٦٨٣ ح ١٨٥٦ وفيه «باسم الله الأعظم» بدل «باسمه العظيم»، كنز العمّال: ج ٢ ص ٢٤٩ ح ٣٩٤٢.

٢ . الأدب المفرد: ص ٢١١ ح ٧٠٥.

قالَ: اِسمُ اللهِ الأَعظَمُ، وعِمادُ التَّوحيدِ للهِ لا إلٰهَ إلّا هُوَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وآخِرَ الحَشرِ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلّىٰ أَربَعَ رَكعاتٍ قَبلَ الزَّوالِ.[1]

٤٠٧٠. الإمام زين العابدين عليه السلام: كُنتُ أَدعُو اللهَ سُبحانَهُ سَنَةً عَقيبَ كُلِّ صَلاةٍ أَن يُعَلِّمَنِي الاِسمَ الأَعظَمَ، فَإِنّي ذاتَ يَومٍ قَد صَلَّيتُ الفَجرَ، إِذ غَلَبَتني عَينايَ وأَنا قاعِدٌ، وإِذا أَنا بِرَجُلٍ قائِمٍ بَينَ يَدَيَّ يَقولُ لي: سَأَلتَ اللهَ تَعالىٰ أَن يُعَلِّمَكَ الاِسمَ الأَعظَمَ؟ قُلتُ: نَعَم.

قالَ: قُل: «اللّهُمَّ إِنّي أَسأَلُكَ بِاسمِكَ اللهِ، اللهِ، اللهِ، اللهِ، الَّذي لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ رَبُّ العَرشِ العَظيمِ».

قالَ: فَوَاللهِ ما دَعَوتُ بِها[2] لِشَيءٍ إِلّا رَأَيتُ نُجحَهُ.[3]

٤٠٧١. الإمام الرضا عليه السلام: مَن قالَ بَعدَ صَلاةِ الفَجرِ: «بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ، لا حَولَ ولا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيمِ» مِئَةَ مَرَّةٍ، كانَ أَقرَبَ إِلَى اسمِ اللهِ الأَعظَمِ مِن سَوادِ العَينِ إِلىٰ بَياضِها، وإِنَّهُ دَخَلَ فيهَا اسمُ اللهِ الأَعظَمُ.[4]

٤ / ١ ـ ٤

كُلُّ اسمٍ مِن أَسماءِ اللهِ

٤٠٧٢. رسول الله صلى الله عليه وآله ـ لَمّا سُئِلَ عَنِ اسمِ اللهِ الأَعظَمِ ـ: كُلُّ اسمٍ مِن أَسماءِ اللهِ، فَفَرِّغ قَلبَكَ

---

١. التوحيد: ص ٨٩ ح ٢ عن وهب بن وهب القرشي عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٢٢.

٢. في المصدر: «لها»، والتصويب من بحار الأنوار.

٣. مكارم الأخلاق: ج ٢ ص ١٥٩ ح ٢٣٩٢، مهج الدعوات: ص ٣٨٢ نحوه، بحار الأنوار: ج ٦١ ص ١٧٠ ح ٢٧.

٤. مهج الدعوات: ص ٣٧٩ عن سليمان بن جعفر الحميري، بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ١٦٢ ح ٤١.

عَن كُلِّ ما سِواهُ، وَادعُهُ بِأَيٍّ اسمٍ شِئتَ، فَلَيسَ فِي الحَقيقَةِ للهِ اسمٌ دونَ اسمٍ، بَل هُوَ الواحِدُ القَهّارُ.[1]

٤ / ٢
مَن كانَ عِندَهُ الإِسمُ الأَعظَمُ

الكتاب

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.[2]

الحديث

٤٠٧٣. الإمام الباقر عليه السلام: إِنَّ اسمَ اللهِ الأَعظَمَ عَلىٰ ثَلاثَةٍ وسَبعينَ حَرفاً، وإِنَّما كانَ عِندَ آصَفَ مِنها حَرفٌ واحِدٌ، فَتَكَلَّمَ بِهِ، فَخُسِفَ بِالأَرضِ ما بَينَهُ وبَينَ سَريرِ بِلقَيسَ، حَتّىٰ تَناوَلَ السَّريرَ بِيَدِهِ، ثُمَّ عادَتِ الأَرضُ كَما كانَت أَسرَعَ مِن طَرفَةِ عَينٍ، ونَحنُ عِندَنا مِنَ الإِسمِ الأَعظَمِ اثنانِ وسَبعونَ حَرفاً، وحَرفٌ واحِدٌ عِندَ اللهِ تَعالىٰ، اِستَأثَرَ بِهِ في عِلمِ الغَيبِ عِندَهُ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيمِ.[3]

٤٠٧٤. الإمام الصادق عليه السلام: كانَ سُلَيمانُ عِندَهُ اسمُ اللهِ الأَكبَرُ، الَّذي إِذا سَأَلَهُ أَعطىٰ، وإِذا

---

١. مصباح الشريعة: ص ١٢٩.

٢. النمل: ٤٠.

٣. الكافي: ج ١ ص ٢٣٠ ح ١ عن جابر وح ٣ عن عليّ بن محمّد النوفلي عن الإمام العسكري عليه السلام، خصائص الأئمة عليهم السلام: ص ٤٧ عن الإمام عليّ عليه السلام وكلاهما نحوه، بصائر الدرجات: ص ٢٠٨ ح ١ وص ٢٠٩ ح ٦ كلاهما عن جابر، المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤ ص ٤٠٦ عن عليّ بن محمّد النوفلي عن الإمام الهادي عليه السلام وكلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج ١٤ ص ١١٣ ح ٥.

دَعا بِهِ أَجابَ، ولَو كانَ اليَومَ لَاحتاجَ إِلَينا.[١]

٤٠٧٥ . عنه عليه السلام: سَلمانُ عُلِّمَ الاِسمَ الأَعظَمَ.[٢]

٤٠٧٦ . بصائر الدرجات عن عبد الله بن بكير عن أَبي عبد الله عليه السلام: كُنتُ عِندَهُ فَذَكَروا سُليمانَ وما أُعطِيَ مِنَ العِلمِ وما أُوتِيَ مِنَ المُلكِ، فَقالَ لي: وما أُعطِيَ سُليمانُ بنُ داوودَ؟ إِنَّما كانَ عِندَهُ حَرفٌ واحِدٌ مِنَ الاِسمِ الأَعظَمِ، وصاحِبُكُمُ الَّذي قالَ اللهُ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٣] وكانَ وَاللهِ عِندَ عَلِيٍّ عليه السلام عِلمُ الكِتابِ. فَقُلتُ: صَدَقتَ وَاللهِ، جُعِلتُ فِداكَ![٤]

٤٠٧٧ . الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ عيسَى بنَ مَريَمَ عليه السلام أُعطِيَ حَرفَينِ وكانَ يَعمَلُ بِهِما، وأُعطِيَ موسىٰ أَربَعَةَ أَحرُفٍ، وأُعطِيَ إِبراهيمُ ثَمانِيَةَ أَحرُفٍ، وأُعطِيَ نوحٌ خَمسَةَ عَشَرَ حَرفاً، وأُعطِيَ آدَمُ خَمسَةً وعِشرينَ حَرفاً، وإِنَّ اللهَ تَعالىٰ جَمَعَ ذٰلِكَ كُلَّهُ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وإِنَّ اسمَ اللهِ الأَعظَمَ ثَلاثَةٌ وسَبعونَ حَرفاً، أَعطىٰ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله اثنَينِ وسَبعينَ حَرفاً، وحُجِبَ عَنهُ حَرفٌ واحِدٌ.[٥]

٤٠٧٨ . عنه عليه السلام: إِنَّ اللهَ سُبحانَهُ وتَعالىٰ جَعَلَ اسمَهُ الأَعظَمَ عَلىٰ ثَلاثَةٍ وسَبعينَ حَرفاً، فَأَعطىٰ آدَمَ مِنها خَمسَةً وعِشرينَ حَرفاً، وأَعطىٰ نوحاً مِنها خَمسَةَ عَشَرَ حَرفاً، وأَعطىٰ

---

١. بصائر الدرجات: ص ٢١١ ح ٢، المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤ ص ٢٤٩ وفيه «سأل به» بدل «سأله» وكلاهما عن أبي بصير، بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢٧ ح ٧.

٢. رجال الكشّي: ج ١ ص ٥٦ ح ٢٩، الاختصاص: ص ١١ كلاهما عن أبي بصير، بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٣٤٦ ح ٥٩.

٣. الرعد: ٤٣.

٤. بصائر الدرجات: ص ٢١٢ ح ١، بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ١٧٠ ح ٣٦.

٥. الكافي: ج ١ ص ٢٣٠ ح ٢، بصائر الدرجات: ص ٢٠٨ ح ٢ بزيادة «وأهل بيته» بعد «لمحمّد»، تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٣٥٢ ح ٢٣١ عن عبد الله بن بشير، بصائر الدرجات: ص ٢٠٩ ح ٤ عن عبد الصمد بن بشير كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢٥ ح ٢.

إبراهيمَ مِنها ثَمانِيَةَ أحرُفٍ، وأَعطىٰ موسىٰ مِنها أَربَعَةَ أَحرُفٍ، وأَعطىٰ عيسىٰ مِنها حَرفَينِ؛ فَكانَ يُحيي بِهِمَا[1] المَوتىٰ، ويُبرِئُ الأَكمَهَ وَالأَبرَصَ، وأَعطىٰ مُـحَمَّداًﷺ اثنَينِ وسَبعينَ حَرفاً، وَاحتَجَبَ بِحَرفٍ لِئَلّا يَعلَمَ أَحَدٌ ما في نَفسِهِ، ويَعلَمُ مـا فـي أَنفُسِ العِبادِ.[2]

٤٠٧٩. الإمام الرضا عليه السلام: أُعطِيَ بَلعَمُ بنُ باعورا الاِسمَ الأَعظَمَ، فَكان يَدعو بِهِ فَيُستَجابُ لَهُ.[3]

راجع: أهل البيت في الكتاب والسنّة: (القسم الرابع / الفصل الثاني / اسم الله الأعظم).

---

١. في المصدر: «بها»، والصواب ما أثبتناه كما في بصائر الدرجات و بحار الأنوار.

٢. مختصر بصائر الدرجات: ص ١٢٥، بصائر الدرجات: ص ٢٠٨ ح ٣، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢١١ ح ٥.

٣. تفسير القمّي: ج ١ ص ٢٤٨ عن الحسن بن خالد، بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٣٧٧ ح ١.

تحقيق في معنى الاسم الأعظم

تكرّر موضوع الاسم الأَعظم للهﷻ في الأَحاديث، وبخاصّة في الأَدعية كثيراً، وذُكر أَنّ كلّ إِنسان يدعو الله به يُستجاب دعاؤه، وأَنّ أَهل البيت عليهم السلام يعرفون جميع حروفه إِلّا حرفاً واحداً منه، فما ذلك الاسم؟

إِنّ روايات الباب مختلفة كما لوحظ ولا يمكن الإجابة عن هذا السؤال بشكلٍ قاطع من وجهة نظر الروايات، لكن يتسنّىٰ لنا أَن نقول: هَبْ أَنّ هذه الروايات صحيحة فإِنّ الاسم الأَعظم الذي كان عند الأَنبياء وأَهل البيت عليهم السلام بالخصائص المذكورة له يجب أَن يكون شيئاً غير الأَلفاظ الواردة في الروايات المذكورة لا محالة.

لقد أَدّىٰ فقدان الدليل القاطع على المراد من الاسم الأَعظم إِلىٰ تضارب الآراء فيه، حتّى نقل السيوطيّ عشرين قولاً منها:

ذهب جماعة منهم: أَبو جعفر الطبريّ، وأبو الحسن الأَشعريّ، وأبو حاتم بن حيّان، والباقلاني إِلىٰ أَنّ الأَسماء الإلهيّة كلّها عظيمة، ولا وجود لاسم أَعظم من الأَسماء الأُخرىٰ.

وذهب بعضهم: إلىٰ وجود الاسم الأَعظم، لكن لا يعلمه إلّا الله تعالىٰ وحدَه.

ورأىٰ بعض آخر: أَنّ الاسم الأَعظم خافٍ بين الأَسماء الحسنىٰ.

وقال آخرون: الاسم الأَعظم، هو كلّ اسم يدعو به العبد ربّه بكلّ وجوده[١].

ومنهم: من ذكر أَنّ الاسم الأَعظم اسم جامع للأَسماء كلّها[٢].

ومنهم: من يعتقد أَنّ الأَنبياء مظاهر أُمّهات أَسماء الحقّ، وهي داخلة في الاسم الأَعظم الجامع، ومظهر الحقيقة المحمّديّة[٣].

أَجل، إِنّ الخلاف في تبيان ما غمضت حقيقته علىٰ الباحثين طبيعيّ، بيد أَنّي وجدتُ بين الآراء المختلفة التي لاحظتها أَنّ كلام العلّامة الطباطبائي في تبيينه هو أَفضلها.

أَفضل تحقيق في تبيان الاسم الأَعظم

قال العلّامة الطباطبائي ﷺ ـ في بيان معنى الاسم الأَعظم ـ:

«شاع بين النّاس أَنّه اسم لفظي من أَسماء الله سبحانه إِذا دعي به استجيب، ولا يشذّ من أَثره شيء غير أَنّهم لما لم يجدوا هذه الخاصّة في شيء من الأَسماء الحسنى المعروفة ولا في لفظ الجلالة، اعتقدوا أَنّه مؤلّف من حروف مجهولة تأليفاً مجهولاً لنا لو عثرنا عليه أَخضعنا لإرادتنا كلّ شيء.

وفي مزعمة أَصحاب العزائم والدعوات أَنّ له لفظاً يدلُّ عليه بطبعه لا بالوضع

---

١. لمزيد من الاطّلاع على الأَقوال الأُخرىٰ راجع: الحاوي للسيوطي: ج ٢ ص ١٣٥ ح ١٣٩.

٢. كتاب التعريفات: ص ١٠ و ١١.

٣. شرح فصوص الحكم للقيصريّ: ص ١٠٨.

اللغوي غير أَنّ حروفه وتأليفها تختلف باختلاف الحوائج والمطالب . ولهم في الحصول عليه طرق خاصة يستخرجون بها حروفاً أَولاً، ثمّ يؤلّفونها ويدعون بها على ما نعرفه من راجع فنهم[١]. وفي بعض الروايات الواردة إِشعار ما بذلك، كما ورد أَنّ «بسم الله الرحمٰن الرحيم» أَقرب إِلى اسم الله الأَعظم من بياض العين إِلى سوادها، وما ورد أَنّه في آية الكرسي، وأَوّل سورة آل عمران، وما ورد أَنّ حروفه متفرقة في سورة الحمد يعرفها الإمام وإِذا شاء أَلّفها ودعا بها فأستجيب له، وما ورد أَنّ آصف بن برخيا وزير سليمان دعا بما عنده من حروف اسم الله الأَعظم فأَحضر عرش ملكة سبأ عند سليمان في أَقل من طرفة عين، وما ورد أَنّ الاسم الأَعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً قسم الله بين أَنبيائه اثنين وسبعين منها، واستأَثر واحداً منها عنده في علم الغيب، إِلى غير ذلك من الروايات المشعرة بأنّ له تأليفاً لفظياً.

والبحث الحقيقي عن العلّة والمعلول وخواصّها يدفع ذلك كلّه فإنّ التأثير الحقيقي يدور مدار وجود الأَشياء في قوته وضعفه والمسانخة بين المؤثر والمتأَثر، والاسم اللفظي إِذا اعتبرنا من جهة خصوص لفظه كان مجموعة أَصوات مسموعة هي من الكيفيات العرضية، وإِذا اعتبر من جهة معناه المتصوّر كان صورة ذهنية لا أَثر لها من حيث نفسها في شيء البتة، ومن المستحيل أَن يكون صوت أَوجدناه من طريق الحنجرة أَو صورة خيالية نصوّرها في ذهننا بحيث يقهر بوجوده وجود كلّ شيء، ويتصرّف فيما نريده على ما نريده فيقلب السماء أَرضاً والأَرض سماءً ويحوّل الدنيا إِلى الآخرة وبالعكس وهكذا، وهو في نفسه معلول لإرادتنا.

والأَسماء الإلهية واسمه الأَعظم خاصّة وإِن كانت مؤثرة في الكون ووسائط

---

١. كما في المصدر، والظاهر أنّ فيها تصحيف.

وأَسباباً لنزول الفيض من الذات المتعالية في هذا العالم المشهود، لكنها إِنّما تـؤثر بحقائقها لا بالأَلفاظ الدالّة في لغة كذا عليها ، ولا بمعانيها المفهومة مـن أَلفـاظها المتصورة في الأَذهان، ومعنى ذلك أَنّ الله سبحانه هو الفاعل الموجد لكلّ شيء بما له من الصفة الكريمة المناسبة له التي يحويها الاسم المناسب ، لا تأثير اللـفظ أَو صـورة مـفهومة فـي الذهـن أَو حـقيقة أُخـرى غـير الذات المـتعالية، إِلّا أَنّ الله سبحانه وعد إِجابة دعوة، من دعاه كما في قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1]، وهذا يتوقّف على دعاء وطلب حقيقي، وأَن يكون الدعاء والطلب منه تعالىٰ لا من غيره ـ كما تقدم في تفسير الآية ـ فمن انقطع عن كلّ سبب واتصل بربّه لحاجة من حوائجه فقد اتصل بحقيقة الاسم المناسب لحاجته فيؤثر الاسم بحقيقته ويستجاب له ، وذلك حقيقة الدعاء بالاسم فعلىٰ حسب حال الإسم الذي انقطع إِليه الداعـي يكون حال التأثير خصوصاً وعموماً ، ولو كان هذا الاسم هو الاسم الأَعظم انقاد لحقيقته كلّ شيء واستجيب للداعي به دعاؤه على الإطلاق.

وعلى هذا يجب أَن يحمل ما ورد من الروايات والأَدعية في هذا البـاب دون الاسم اللفظي أَو مفهومه .

ومعنىٰ تعليمه تعالىٰ نبياً من أَنبيائه أَو عبداً من عباده أسما من أَسمائه أَو شيئاً من الاسم الأَعظم هو أَن يفتح له طريق الانقطاع إِليه تعالى باسمه ذلك في دعائه ومسألته فإن كان هناك اسم لفظي وله معنى مفهوم فإنّما ذلك ؛ لأَجل أَن الأَلفـاظ ومعانيها وسائل وأَسباب تحفظ بها الحقائق نوعاً من الحفظ فافهم ذلك»[2].

---

١ . البقرة: ١٨٦.

٢ . الميزان في تفسير القرآن: ج ٨ ص ٣٥٤، ٣٥٦.

الفصل الخامس

دور أسماء الله في تدبير العالم

٤٠٨٠ . رسول الله ﷺ ـ في دُعائِهِ المُسمّىٰ بِالأَسماءِ الحُسنىٰ ـ: أَسأَلُكَ وأَدعوكَ بِاسمِكَ الَّذي تَقطَعُ بِهِ العُروقَ مِنَ العِظامِ، ثُمَّ تُنبِتُ عَلَيهَا اللَّحمَ بِمَشِيئَتِكَ، فَلا يَنقُصُ مِنها مِثقالُ ذَرَّةٍ بِعَظيمِ ذٰلِكَ الاِسمِ بِقُدرَتِكَ يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تَعلَمُ بِهِ ما فِي السَّماءِ وما فِي الأَرضِ وما فِي الأَرحامِ ولا يَعلَمُ ذٰلِكَ أَحَدٌ غَيرُكَ يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تَنفُخُ بِهِ الأَرواحَ فِي الأَجسادِ فَيَدخُلُ بِعَظيمِ ذٰلِكَ الاِسمِ كُلُّ روحٍ إلىٰ جَسَدِها، ولا يَعلَمُ بِتِلكَ الأَرواحِ الَّتي صَوَّرتَ في جَسَدِهَا المُسَمّىٰ في ظُلُماتِ الأَحشاءِ إلّا أنتَ يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّتي[1] تَعلَمُ بِهِ ما فِي القُبورِ وتُحَصِّلُ بِهِ ما فِي الصُّدورِ يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي أَنبَتَّ بِهِ اللُّحومَ عَلَى العِظامِ فَتَنبُتُ عَلَيها بِذٰلِكَ الاِسمِ يا اللهُ.

---

١ . كذا في المصدر و بحار الأنوار، والصحيح: «الذي».

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ القادِرِ بِكَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ يا أللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي خَلَقتَ بِهِ الحَياةَ مِن مَشيئَتِكَ العُظمىٰ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمّىً يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي خَلَقتَ بِهِ المَوتَ وأَجرَيتَهُ فِي الخَلقِ عِندَ انقِطاعِ آجالِهِم وفَراغِ أَعمالِهِم يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي طَيَّبتَ بِهِ نُفوسَ عِبادِكَ، فَطابَت لَهُم أَسماؤُكَ الحُسنىٰ وآلاؤُكَ الكُبرىٰ يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ المُصَوِّرِ الماجِدِ الواحِدِ الَّذي خَشَعَت لَهُ الجِبالُ وما فيها يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تَقولُ بِهِ لِلشَّيءِ كُن فَيَكونُ بِقُدرَتِكَ يا اللهُ...

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تَجري بِهِ الفُلكَ فِي البَحرِ المُسَلسَلِ المَحبوسِ بِقُدرَتِكَ يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي يُسَبِّحُ لَكَ بِهِ قَطرُ المَطَرِ وَالسَّحابُ الحامِلاتُ قَطَراتِ رَحمَتِكَ يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي أَجرَيتَ بِهِ وابِلَ السَّحابِ فِي الهَواءِ بِقُدرَتِكَ يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تُنَزِّلُ بِهِ قَطرَ المَطَرِ مِنَ المُعصِراتِ ماءً ثَجّاجاً[1] فَتَجعَلُهُ فَرَجاً يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي مَلَأتَ بِهِ قُدسَكَ بِعَظيمِ التَّقديسِ يا قُدّوسُ يا اللهُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي استَعانَ بِهِ حَمَلَةُ عَرشِكَ فَأَعَنتَهُم وطَوَّقتَهُمُ احتِمالَهُ

---

١. ثجّاجاً: أي متدافقاً. وقيل: سيّالاً (مجمع البحرين: ج ١ ص ٢٣٩).

فَحَمَلوهُ بِذٰلِكَ الاِسمِ يا اللهُ.

وأَساْلُكَ بِاسمِكَ الَّذي خَلَقتَ بِهِ الكُرسِيَّ سَعَةَ السَّماواتِ وَالأَرضِ يا اللهُ.

وأَساْلُكَ بِاسمِكَ الَّذي خَلَقتَ بِهِ العَرشَ العَظيمَ الكَريمَ وعَظَّمتَ خَلقَهُ فَكان كَما شِئتَ أَن يَكونَ بِذٰلِكَ الاِسمِ يا عَظيمُ يا اللهُ.

وأَساْلُكَ بِاسمِكَ الَّذي طَوَّقتَ بِهِ العَرشَ بِهَيبَةِ العِزَّةِ وَالسُّلطانِ يا اللهُ.

وأَساْلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تُخرِجُ بِهِ نَباتَ الأَرضِ مَنافِعَ لِخَلقِكَ وغِيَاثاً يا اللهُ ... .

وأَساْلُكَ بِاسمِكَ الَّذي خَلَقتَ بِهِ النُّجومَ وجَعَلتَ مِنها رُجوماً لِلشَّياطينِ ما بَينَ السَّماءِ وَالأَرضِ يا اللهُ.

وأَساْلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تَنتَثِرُ بِهِ الكَواكِبُ نَثراً لِدَعوَتِكَ يا اللهُ.

وأَساْلُكَ بِاسمِكَ الَّذي يَطيرُ بِهِ الطَّيرُ في جَوِّ السَّماءِ صافّاتٍ بِأَمرِكَ يا اللهُ.

وأَساْلُكَ بِاسمِكَ الَّذي أُحضِرَت بِهِ الأَرَضونَ لِأَمرِكَ يا اللهُ.

وأَساْلُكَ بِاسمِكَ الَّذي يُسَبِّحُ لَكَ بِهِ كُلُّ شَيءٍ بِلُغاتٍ مُختَلِفَةٍ يا اللهُ ... .

وأَساْلُكَ بِاسمِكَ الَّذي شَقَقتَ بِهِ الأَرضَ شَقّاً، وأَنبَتَّ فيها حَبّاً وعِنَباً وقَضباً[1]، وزَيتوناً ونَخلاً، وحَدائِقَ غُلباً[2]، وفاكِهَةً وأَبّاً[3] يا اللهُ.

وأَساْلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تُخرِجُ بِهِ الحُبوبَ مِنَ الأَرضِ، فَتَزَيَّنُ بِها الأَرضَ، فَتُذَكِّرُ بِنِعمَتِكَ يا أَللهُ.

---

١. القَضْب: كل نبتٍ اقتُضِبَ فأُكِلَ طرياً (المصباح المنير: ص ٥٠٧).

٢. غُلْباً: أي ملتفّة الشجر، أو غِلاظ أعناق النخل (مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٣٢٨).

٣. الأبُّ: مارعته الأغنام. وهو للبهائم كالفاكهة للإنسان (مجمع البحرين: ج ١ ص ٥).

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تُسَبِّحُ لَكَ بِهِ الضَّفادِعُ فِي البِحارِ وَالأَنهارِ وَالغُدرانِ بِأَلوانِ صِفاتِها وَاختِلافِ لُغاتِها يا أللهُ.... .

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الظّاهِرِ في كُلِّ شَيءٍ بِالقُدرَةِ وَالكِبرِياءِ وَالبُرهانِ وَالسُّلطانِ يا أللهُ.[١]

٤٠٨١ . الإمام عليّ عليه السلام ـ في دُعائِهِ المَعروفِ بِدُعاءِ كُمَيلٍ ـ : اللّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ... بِأَسمائِكَ الَّتي غَلَبَت[٢] أركانَ كُلِّ شَيءٍ.[٣]

٤٠٨٢ . الإمام زين العابدين عليه السلام ـ في دُعائِهِ عَقيبَ الصَّلاةِ ـ : اللّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي بِهِ تَقومُ السَّماءُ وَالأَرضُ، وبِاسمِكَ الَّذي بِهِ تَجمَعُ المُتَفَرِّقَ وتُفَرِّقُ المُجتَمِعَ، وبِاسمِكَ الَّذي تُفَرِّقُ بِهِ بَينَ الحَقِّ وَالباطِلِ، وبِاسمِكَ الَّذي تَعلَمُ بِهِ كَيلَ البِحارِ وعَدَدَ الرِّمالِ ووَزنَ الجِبالِ، أن تَفعَلَ بي كَذا وكَذا.[٤]

٤٠٨٣ . الإمام الصادق عليه السلام ـ في دُعاءِ الإِلحاحِ ـ : اللّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي بِهِ تَقومُ السَّماءُ وبِهِ تَقومُ الأَرضُ، وبِهِ تُفَرِّقُ بَينَ الحَقِّ وَالباطِلِ، وبِهِ تَجمَعُ بَينَ المُتَفَرِّقِ، وبِهِ تُفَرِّقُ بَينَ المُجتَمِعِ، وبِهِ أحصَيتَ عَدَدَ الرِّمالِ وزِنَةَ الجِبالِ وكَيلَ البِحارِ.[٥]

٤٠٨٤ . الإمام الكاظم عليه السلام ـ في دُعاءٍ لَهُ بَعدَ صَلاةِ جَعفَرٍ ـ : أسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تَحشُرُ بِهِ

---

١ . البلد الأمين: ص ٤١١ ـ ٤١٥، بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٢٥٤ ح ١.

٢ . في البلد الأمين: «مَلَأَت» والظاهر أنّه الصواب.

٣ . مصباح المتهجّد: ص ٨٤٤ ح ٩١٠، الإقبال: ج ٣ ص ٣٣٢ كلاهما عن كميل بن زياد النخعي.

٤ . دلائل الإمامة: ص ٥٣٩ ح ٥٢١ عن أبي عليّ محمّد بن أحمد المحمودي عن الإمام المهدي عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ٥٩ ح ٦٦.

٥ . الغيبة للطوسي: ص ٢٦٠ ح ٢٢٧، كمال الدين: ص ٤٧٠ ح ٢٤ كلاهما عن أبي نعيم الأنصاري عن الإمام المهدي عليه السلام، مصباح المتهجّد: ص ٢٣٥ ح ٣٤٠، بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٧ ح ٥.

المَوتىٰ إِلَىٰ المَحشَرِ، يا مَن لا يَقدِرُ عَلىٰ ذٰلِكَ أَحَدٌ غَيرُهُ، أَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي تُحيي بِهِ العِظامَ وهِيَ رَميمٌ.[١]

٤٠٨٥ . الإمام المهدي عليه السلام ـ في قُنوتِهِ ـ: أَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي كَوَّنتَ بِهِ طَعمَ المِياهِ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي أَجرَيتَ بِهِ الماءَ في عُروقِ النَّباتِ بَينَ أَطباقِ الثَّرىٰ، وسُقتَ الماءَ إِلىٰ عُروقِ الأَشجارِ بَينَ الصَّخرَةِ الصَّمّاءِ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي كَوَّنتَ بِهِ طَعمَ الثِّمارِ وأَلوانَها.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي بِهِ تُبدِئُ وتُعيدُ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الفَردِ الواحِدِ المُتَفَرِّدِ بِالوَحدانِيَّةِ المُتَوَحِّدِ بِالصَّمَدانِيَّةِ بِاسمِكَ[٢].

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي فَجَّرتَ بِهِ الماءَ مِنَ الصَّخرَةِ الصَّماءِ وسُقتَهُ مِن حَيثُ شِئتَ.

وأَسأَلُكَ بِاسمِكَ الَّذي خَلَقتَ بِهِ خَلقَكَ ورَزَقتَهُم كَيفَ شِئتَ وكَيفَ شاؤوا.[٣]

---

١ . جمال الأُسبوع: ص ١٨٦ عن الحسن بن القاسم العبّاسي، بحار الأنوار: ج ٩١ ص ١٩٧ ح ٣.

٢ . كذا في الطبعة المعتمدة، ولا توجد كلمة «باسمك» في طبعة إيران وبحار الأنوار.

٣ . مهج الدعوات: ص ٩١، بحار الأنوار: ج ٨٥ ص ٢٣٤.

الفهرس التفصيلي

القسم الثاني: التعرّف على توحيد الله

القسم الثالث: التعرّف على أسماء الله